Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تأليف
شمس الدين الشهرزوري

# تاريخ الحكماء

## "نزهة الأرواح وروضة الأفراح"

تحقيق
عبد الكريم أبو شويرب



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



# تَارِيخُ الحُكَمَاء

"نزهةُ الأرواح وَروضةُ الأفْراح"

الطبعة الأولى

ذو الحجة 1398 من وفاة الرسول (صلَّى الله عليه وسلَّم)
الموافق ناصر/يوليو 1988 م.

[الغلاف من تصميم الفنان فؤاد الكعبازي]

# تاريخ الحكماء

## "نزهة الأرواح وروضة الأفراح"

تأليف

شمس الدين الشهرزوري

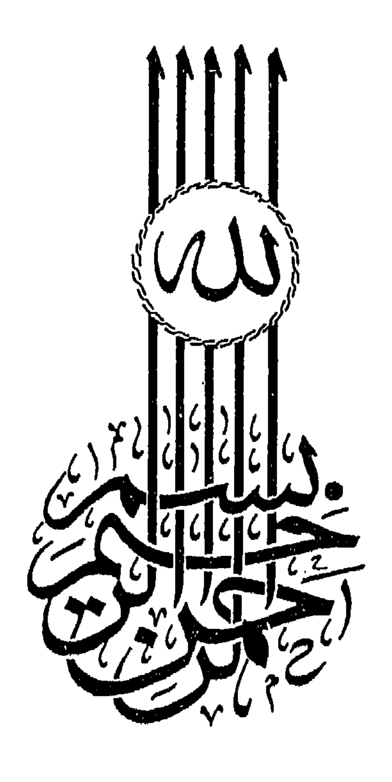
تحقيق

د. عبد الكريم أبو شويرب



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية




بسم الله الرحمن الرحيم



# تمهيد

تميزت عصور النهضة الإسلامية بظهور العديد من العبقريات الفريدة التي أثرت جميع مجالات الانتاج الفكري في تلك العصور. ورغم مرور قرون زمنية عديدة على ذلك الانتاج الا أننا حتى اليوم بل وغداً ايضاً سنظل نستعملها ونستفيد منها كمراجع أساسية لكثير من العلوم والابحاث الحديثة وحتى من الناحية المنهجية العلمية والطرق والنظريات التي ابتدعوها أو اكتشفوها.

ان هؤلاء العباقرة لم يتوقفوا عند حدود النقل والاقتباس أو الترجمة بل تميز انتاجهم بالتجديد وتحكيم المنطق والاضافات الابداعية في كل الميادين التي طرقوها أو ألَّفوا فيها.

ودفعت عجلة البحث العلمي الحكماء والعلماء في ذلك الوقت الى بذل الجهد للتأليف والترجمة في مجالات العلوم والمعارف فكان الطبيب يعالج المرضى ويخصص قسماً من يومه للقراءة والتأليف وكتابة الرسائل أو الكتب الطبية، وكان الصيدلاني يختار الاعشاب والنباتات الطبية ويحضر خلطات الادوية وخلال خلوته يصنف كتباً عن الأدوية المفردة أو المركبة أو الرسائل عن ترياق ضد السموم، وكذا كان الفلكي والرياضي والاديب وغيرهم.

موضوع تراجم سير الاعلام هو من المواضيع التي تناولها العباقرة العرب والمسلمون في مختلف العصور، حيث قدموا لنا موسوعات عديدة للمؤلفين

والمؤلفات ومن مختلف التخصصات العلمية أو التاريخية أو الادبية. ولا تزال كثير من المكتبات الكبيرة في دول العالم تضم داخل رفوفها العديد من المخطوطات العربية والتي لم تر النور الى الآن والتي تنتظر من ينقب عنها ويقدمها للقراءة، وفي كل سنة، نسمع عن اكتشاف بعض نوادر المخطوطات العربية وقد حققت أو نشرت، ونجد دائماً فيها الجديد والطريف والإبداع العلمي الجيد.

ونشير الى أن كتب التراجم تمثل جانباً غنياً في الحياة العلمية الاسلامية وهي منظمة تنظيماً دقيقاً، فللأطباء تراجمهم الخاصة، وللأدباء المفكرين معاجمهم، وللشعراء والعلماء والفقهاء طبقاتهم وسيرهم، وهناك بجانب هذا التوزيع العلمي، كالتوزيع الزمني أو الأبجدي أو الجغرافي وغيره، وكمثال نذكر:

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة.
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع.
الكواكب السائرة في تراجم علماء المائة العاشرة.
خلاصة الأثر في تراجم علماء القرن الحادي عشر للمحبي.
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.
وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان.

وفي مجال تراجم سير الحكماء الأطباء لدينا أيضاً العديد من المصنفات مما حقق ونشر في السابق، وربما كان العمل الذي قام به الطبيب اسحق بن حنين هو من أوائل هذه الأعمال المتمثل في كتابه «تاريخ الأطباء والحكماء» وتلى ذلك كتاب الفهرست لابن النديم المتوفي سنة 385 هـ/995 م.

وكتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل المتوفي سنة 987/377 م.، وبعد ذلك كتاب تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي المتوفي سنة 595 هـ/ 1170 م.، ثم كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي المتوفي سنة 646 هـ/ 1245 م.، ثم كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة المتوفي سنة 668 هـ/ 1269 م. ثم كتاب نزهة الارواح وروضة الافراح في تاريخ الحكماء للشهرزوري المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري.

ونلاحظ أن كلاً من هؤلاء المصنفين نهج نهجاً علمياً خاصاً من حيث بداية التراجم وترتيب اصحاب الترجمة كما قدم كل منهم جوانب ومآثر لصاحب الترجمة تختلف عما قدمه الآخر حتى صارت هذه الموسوعات رغم تعددها متممة لبعضها ولا تغني واحدة منها عن الاخرى، مع وجود التكرار والاقتباس والنقل من واحدة لاخرى لبعض المقاطع أو الجمل أو حتى ترجمة كاملة لبعض مشاهير الحكماء المعرف بهم.

كما ان هؤلاء المصنفين قد تجاوزوا الحدود الاقليمية والزمنية الضيقة في كل الحالات، لذا شملت أعمالهم الحكماء بداية من أول الخليقة إلى عصرهم ومن مختلف الأمصار والاصقاع ومن يونان وهنود وفرس وسريان وغيرهم من الملل والنحل.

وتحمل كتب سير وتراجم الأعلام أهمية كبيرة للباحثين الآن حيث انها فضلاً عن تقديم السيرة الذاتية للعَلَم أي مولده ونشأته ودراسته واعماله نجد ايضاً تصنيفاً لاهم مؤلفاته ورسائله وكلامه المأثور من حكم ومواعظ نثرية أو شعرية، كما نجد القصص والطرائف أو المآسي التي مرَّ بها صاحب الترجمة وكذا الاشارات له ولمؤلفاته في الكتب الأخرى.

ويحتل مخطوط تاريخ الحكماء للشهرزوري موقعاً خاصاً ومهماً بين سلسلة من سبقه من المصنفات لأنه نحا منحىً جديداً من حيث طريقة تقديم الاعلام وبايجاز ودون اطناب ومدح مُمِلٍّ مع تجنب تكرار القصص المعروفة التي اعتاد نقلها غيره عمن سبقه حتى اصبحت هذه القصص شائعة ساذجة، كما انه يشير الى الكتب التي استقى منها معلوماته فيقول في كثير من المواضع كتاب ابن النديم أو كتاب أبي معشر أو يشير إلى اسم المؤلف كابن سينا أو ابن الهيثم أو غيرهما.

ولهذه المزايا وغيرها مما سيلاحظه القارىء فاني رأيت تحقيق هذا المخطوط وتقديمه للقارىء العربي ليحتل مكانه في عالم النور بعد كل هذه السنوات في الظلمات واقبية الاضابير والمخطوطات الى أرفف المكتبة العربية المضيئة المشرقة. ولا بد من تقديم الشكر أولاً للأخوة المشرفين على مكتبتي السليمانية وأحمد الثالث باستانبول حيث سمحوا لي بالاطلاع وتصوير

النسختين للمخطوط، كما اتوجه بالشكر للاستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف امين عام جمعية الدعوة الاسلامية العالمية لما بذله من مساعٍ ودعم في سبيل تحقيق هذا العمل واشكر ايضاً الاستاذ الدكتور محمد الجراري مدير عام مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي لمساعداته العديدة وتسهيل الاتصال بالمكتبات وتصوير المخطوطتين، واني مدين بالشكر للإخوة المشرفين على مكتبة مركز دراسات جهاد الليبيين وتسهيل الوصول للمراجع اللازمة للكتاب، ولم يكن من اليسير لهذا العمل ان يرى النور لولا مساعدة الاستاذ الدكتور عماد غانم الذي بذل اكبر جهد في سبيل حل المشاكل التي واجهتني خلال التحقيق والمقارنة واستقراء الكلمات الغامضة في المخطوطتين. كما أتوجه بالشكر للأستاذ عبد الكريم قبلان لملاحظاته وتصويباته القيمة ومراجعة المتن والهوامش وصُنْع الفهارس، وبذل قصارى الجهد لإظهار هذا العمل على أحسن وجه ممكن.

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير.

**د. عبد الكريم أبو شويرب**

**طرابلس، الجماهيرية 1987 م.**

# وصف المخطوط الأول

اسم المكتبة: احمد الثالث: رقم 4510

الحالة العامة للورق: جيدة لا توجد اثار تسوس

مقاس الصفحة: 19.5 - 14.5 سم

مقاس الكتابة: 14.5×8 سم

عدد الأوراق (اللوحات): 207 لوحة

عدد الأسطر في الصفحة: 18 سطرا

الغلاف الخارجي: مقوى جيد

الصفحة الأولى بعد الغلاف: فهارس للمخطوط

الخط: نسخ جيد متسق رفيع منتظم الأسطر

الترقيم: اعداد هندية (ربما تكون حديثة)

تاريخ النسخ: مجهول

اسم الناسخ: مجهول

التملكات: عديدة على الغلاف

الهوامش: استدراك كلمات سقطت من الناسخ

أوله: الحمد لله القديم الأزلي الدائم السرمدي . . .

اخره: جواد كل دجى حظي وادمه ناسا خلفت من حظي الظلم

الفهرس: به فهرس بارقام الصفحات

ملاحظات: يضم هذا المخطوط ترجمة 5 أعلام زيادة عن النسخ الأخرى للمخطوط، يضم 150 ترجمة وسبب اختيار هذه النسخة للتحقيق لأنها النسخة التي ضمت أكثر عدد من الترجمات كما انها اطول في تقديم الاعلام وذكر حكمهم ومآثرهم بالمقارنة إلى النسخة المتوافرة لدي.

# وصف المخطوط الثاني

**اسم المكتبة**: السليمانية/ ينى جامع رقم: 908

**الحالة العامة للورق**: متوسط

**قياس الصفحة**: 15×21 سم

**قياس الكتابة**: 8×14 سم

**عدد الأوراق (اللوحات)**: 241 لوحة

**عدد الأسطر في الصفحة**: 15 سطراً

**الغلاف الخارجي**: جيد

**الصفحة الأولى بعد الغلاف**: تملكات وأختام

**الخط**: نسخ جيد منسق منتظم يغفل النقط والحركات

**الترقيم**: اعداد عربية (ربما تكون حديثاً)

**تاريخ النسخ**: مجهول

**اسم الناسخ**: مجهول

**التملكات**: ختم في الصفحة الأخيرة: **وقف السلطان احمد خان غازي**

**الهوامش**: خال من أي هوامش أو استدراك

**أوله**: الحمدلله القويم الأزلي الدايم السرمدي. . .

**آخره**: «كتاب الله مشهود يراه الغافلون ويقرأه العاملون، شكر الرب افضل من الصبر ولا ارضاه كالرضى، تم بنعمة الله وحسن توفيقه

**الفهرس**: لا يوجد

**ملاحظات**: عدد الرجال الذين ضمهم هذا المخطوط يساوي العدد نفسه (٩٠ ترجمة) في النسخ الاخرى المعروفة عدا نسخة السليمانية.

# نسخ أخرى للمخطوط في مكتبات العالم

تركيا: مكتبة راغب: رقم 960
مكتبة الحميدية: رقم 1447
مكتبة احمد الثالث رقم: 1447
مكتبة اسعد باشا رقم: 3804
مكتبة محمد الفاتح رقم: 4515

**المتحف البريطاني/ لندن،** رقم: 601، ورقم 688
**المتحف العراقي** رقم: 2246
**مكتبة برلين** رقم: 10055، ورقم 10056
**مكتبة ليون** رقم: 10488
**مكتبة لي** رقم: 40
**المكتب الهندي/ لندن** رقم: 4613
**المتحف البريطاني/ كمبردج،** رقم: 100 مختصر بالفارسية

# أسماء الحكماء المعرف بهم

## الحكماء قبل الإسلام:

## الحكماء بعد ظهور الإسلام:

# تعريف بالمؤلف

شهرزور مدينة غلب عليها اسم كركوك بالعراق، وقال ياقوت «هي كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان. . .» وقد خرج من هذه الناحية من الأجلّة والكبراء والأئمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء، ما يفوت الحصر عده، ويعجز عن احصائه وحسبك بالقضاة بني الشهرزوري جلالة قدر وعظم بيت، وفخامة فعل، وذكر ما علمت أن في الإسلام كله من وُلِّي من القضاة أكثر من عدتهم من بيتهم».

وعندما يذكر الشهرزوري فيذكر أولاً اسبقهم واشهرهم وهو أبو احمد القاسم بن الظفر كان قاضياً بمدينة اربل وتوفي بالموصل سنة 479 هـ وولده قاضي الخافقين ابو بكر ولي القضاء بعد والده وتوفي ببغداد سنة 538، وقد قيل له قاضي الخافقين لكثرة البلاد التي ولى فيها القضاء. وأما ولده الآخر وهو أبو منصور المظفر فقد تولى القضاء بمنطقة سنجار، وولده الآخر أبو محمد عبدالله المعروف بالمرتضى فقد كان مشهوراً بالفضل والدين حسن الوعظ تولى القضاء بالموصل ثم ببغداد وتوفي سنة 511 هـ بالموصل.

وحفيد عميد هذه الاسرة هو القاضي كمال الدين ابو الفضل محمد فكان من أشهر القضاة تفقه على اسعد الميهني ببغداد وتولى القضاء بالموصل وبها بنى مدرسة الشافعية توفي سنة 572 هـ ومن مشاهير هذه الاسرة ايضاً ابو الكرم المبارك بن حسن الشهرزوري من مدينة بغداد. يقول عنه السمعاني (في

كتاب الانساب) فقيه مقرىء فاضل وصنف كتاب المصباح وتوفي سنة 550 هـ

محمد بن محمود الشهرزوري، الاشراقي (شمس الدين)
كان حيّاً سنة 687 هـ/1288 م.

رغم استناد الكثير من الباحثين على مؤلفات الشهرزوري وحتى المخطوطة منها والاشارة له ولهذه المؤلفات خصوصاً كتب تراجم الاعلام والحكماء، الا أن ترجمة حياته لا تزال مجهولة ولا يعرف إلا القليل عن مولده ووفاته وتنقلاته وتقلباته وهذا ما دعى الاشارة الى انه كان حياً سنة 687 هـ وهي سنة تأليف هذا المخطوط وذكر ذلك بروكلمان وكحاله.

ويرجح ان يكون من نسل عميد الاسرة محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري التي نزحت من الموصل الى بغداد ودمشق، وقد تقلد القضاء واشتغل بالفقه والحديث فضلاً عن اهتمامه بالادب والشعر والتراث والتأليف في هذه المواضيع.

ومن أهم المراجع التي اشارت للمؤلف وكتبه:
- البغدادي: هدية العارفين 136:2
- اسعد طلس: مكتبة المجلس النيابي طهران 13
- سركيس عواد: المخطوطات التاريخية 79
- فؤاد سيد: فهرس المخطوطات المصورة 166;2، 170:3:2، 315
- بروكلمان: المجلد الأول ص: 468-469
- الواردت: فهرس المخطوطات العربية بمكتبة برلين جزء 9 ص: 459-460
- الزركلي: الاعلام 87:7
- كحالة: معجم المؤلفين جزء 12 ص 32
- حمارنة/ د. سامي خلف: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) 1969 م.

ومن أهم مصنفاته:
- الشجرة الالهية
- التنقيحات في شرح التلويحات في الحكمة

- الرموز والامثال اللاهوتية

ومن الباحثين الذين استفادوا من مخطوطة تاريخ الحكماء للشهرزوري الطبيب العلامة المصري أحمد عيسى وذلك في كتابه معجم الأطباء (الطبعة الثانية 1982) في الصفحات التالية ص 4 ,46 ,370 وأيضاً في كتابه المأثور من كلام الأطباء.

# منهج المؤلف

يبدأ المؤلف كتابه كما جرت العادة في عصره بحمد الله والثناء على رسوله عليه السلام وذكر الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب والهدف منه وهو «تقديم التواريخ المفصلة ومقدمة وكلاماً في حقيقة الحكمة والفلسفة وأحوال الحكمة»، ثم يورد كلام بعض الحكماء في معنى الحكمة من أقوال سقراط وافلاطون وغيرهما. وبعد هذه المقدمة يورد فصلاً في ابتداء أحوال الفلسفة وزمن ظهورها واوائل من تكلم بالحكمة، وفي الفصول التي تليه يقدم الحكماء واحداً واحداً بترتيب زمني بدءاً بآدم عليه السلام وبعض الأنبياء ثم الحكماء الاغريق واليونانيين ثم من تكلم بالحكمة بعد ظهور الإسلام إلى عصر المؤلف.

ولكل علم يورد كلامه المأثور والحكم المنقولة عنه والاقوال والمواعظ المنسوبة له تحت باب «آداب ومواعظ. . .» ويقدم بعض نوادر أو قصص المعرف بهم والتي تستحق الذكر.

وإذا ما تناولنا بعض الاعلام وتراجمهم نجد انه يورد الاسم الكامل ويشمل اسم ابيه وشهرته وكنيته ونسبته ويذكر نوع تخصصه في مجال العلوم أو الآداب كما يعرفنا بأسماء شيوخه أو تلاميذه ممن أخذ عنهم وتتلمذ عليهم ويشير الى تصانيفه أو المشهور منها ويثبت اسماء المصادر التي استقى منها هذه المعلومات.

ونلاحظ انه لا يتبع خطاً معيناً مع كل علم فيما ذكر وربما كان ذلك لعدم توافر المعلومات الكاملة عنه مثل تواريخ المولد والوفاة وتصانيفه بالشكل الذي نجده في فهرست ابن النديم.

وما ندركه بعد قراءة الكتاب ان المؤلف قد وضع في ذهنه جمع الكلام المأثور لمشاهير الحكماء في هذا الموضوع.

# مصادر المؤلف

اعتمد المؤلف على العديد من المصنفات التي توافرت لديه ممن سبقه من المؤرخين او المترجمين للحكماء والمشاهير، كما اعتمد من جهة أخرى عما سمعه من الرواة والنقلة مما لم يدون بل جرى مجرى النقل عبر الأجيال وهو أمر معروف. وفي مواقع كثيرة نجد المؤلف يشير الى اسم المؤلف الذي اقتبس منه المقطع واحياناً يشير الى الكتاب فقط واخرى الى الاثنين معاً ولكنه في حالات كثيرة يهمل هذه الاشارات وتأكدنا من اقتباسها لورودها لدى مؤلف آخر قد تقدمه زمنياً أو سبق من حيث التأليف.

والامر الذي لم أتمكن من أن أجزم فيه هو امكانية اتقان المؤلف للغة اليونانية حيث لم نجد ما يشير بأنه قد درسها أو ترجم عنها، ولكن غزارة المادة وعمقها وتعدد التراجم حول الحكماء اليونان ودقة التعابير والحكم الواردة عنهم لا تتأتى الا من رجل اتقن لغتهم وتعمق فيها وأدرك المعاني وما وراءها من مغازٍ وأحاجٍ.

وقد اشار المؤلف الى اسماء العديد من المؤلفات اليونانية المشهورة حول الحكمة والحكماء وبعضها ترجم الى العربية منذ اوائل العصر الاسلامي.

وهذه قائمة بالكتب الوارد ذكرها في المخطوط والتي رجع لها المؤلف:

ص. 45: ب : وذكر محمد بن يوسف العامري في كتابه المسمى بكتاب: الأمد على الأبد...

| | |
|---|---|
| ص 47 ب | : فهذا هو كلام العامري (يعني في كتابه الآنف الذكر: الأمد على الأبد). |
| ص 48 | : وذكر فرفوريوس. . . |
| ص 89 | : وذكر فرفوريوس في تاريخه |
| ص 49 | : وذكر ابراهيم النديم في تاريخه (ويعني الفهرست) |
| ص 52 | : قال أبو معشر في اختلاف الزيجات. . . |
| ص 60-61 | : وحكم أبو معشر. . . |
| ص 301 | : قال أبو النصر الفارابي. . . |
| ص 172 | : قال أبو سليمان السجري. . . |
| ص 301 | : قال أبو سليمان السجري |
| ص 308-309 | : يقول الشيخ أبو علي ابن سينا. . . |
| ص 297 | : وقال ابن سينا في بعض كتبه |
| ص 318 | : قال أبو علي (ابن سينا) |
| ص 318 | : وقال الظهير البيهقي |
| ص 295 | : وقال القاضي بن صاعد (طبقات الأمم!) |
| ص 297 | : وقد حكم له أبو ريحان (البيروني) |
| ص 304 | : الغزالي في كتاب التهافت |
| ص 308 | : البلخي كتاب الأمد الأقصى وكتاب الابانة عن علل الديانة |
| ص 314 | : وذكر في كتاب المفتاح لابن هندو. . . |
| ص 315 | : وكتاب المفتاح (لابن هندو) نافع جداً. . . |
| ص 336-355 | : سليمان بن طاهر السجستاني وكتابه: صوان الحكمة[1] |
| ص 303 | : رسائل اخوان الصفا: اخوان الصفا |
| ص 305 | : الكندي: المناظر |

---

(١) وينسب أيضاً لأبي جعفر بن بابويه ص: 336 الحاشية.

# منهج المحقق

منذ القراءة الاولى للمخطوط ادركت الصعوبات التي ستواجهني من حيث مقارنة النسختين وضبط الاختلاف بينهما وتثبيت ما تجاوزه وتناساه الناسخ وكذلك من حيث مقارنة ما جاء في هذا المخطوط مع ما ورد في كتب تراجم الحكماء الأخرى واستخراج الجمل أو المقاطع التي اقتبسها المؤلف من هذه الكتب الأخرى.

وكان بود المحقق ان يعثر على النسخة الأم للمخطوط اي تلك التي نسخها أو املاها أو اجازها المؤلف أو على الأقل كتبت في عصره ولكن لصعوبة الاطلاع على كل النسخ رأى المحقق أن يعتمد على نسخة مكتبة أحمد الثالث (النسخة أ) لأنها كاملة من حيث الترقيم والصفحات وشاملة لكل الاعلام واخترت نسخة مكتبة بني جامع (النسخة ب) للمقارنة والمراجعة وهي تنقص بعض التراجم وتختصر كثيراً من الصفحات.

وتحتوي النسخة أ على العديد من الهوامش وتعليقات الناسخ وهذا ما أثبتُّه في اسفل كل صفحة بينما وُضعت تعليقات وهوامش المحقق في آخر الكتاب وقبل الفهارس وتحتوي النسخة أ على ترجمة أربعين علماً قبل الإسلام وستة وثمانين بعد ظهور الاسلام وقد اضاف الناسخ (مجهول الاسم) سبعة أعلام عاش آخرهم في القرن السابع ولعل ذلك يدلنا ان الناسخ قد عاش أو عاصر هذه الفترة.

بعد مقارنة النسختين من المخطوط وتثبيت الفروق والسهو والاضافات بينهما قارنت كل مراجع الاعلام الواردة في الكتاب مع تلك الواردة في كتب تراجم الحكماء الأخرى بدءاً بالفهرست ثم ابن جلجل ثم البيهقي ثم القفطي ثم ابن أبي أصيبعة وثبتت الجمل أو المقاطع المقتبسة منهم، وقد كان المؤلف معاصراً لابن ابي اصيبعة ولكن لم يطلع اي منهما على مؤلف الآخر كما لم يطلع ابن جلجل الأندلسي على فهرست ابن النديم وهو معاصر له وربما لو أطلع كل منهم على مصنف معاصره لكان عمله أعظم وأشمل. وقد الحقت بآخر الكتاب تراجم حياة لبعض الحكماء الذين وردت أسماؤهم دون تفاصيل حول حياتهم ومصنفاتهم كما أرفقت معجماً للكلمات العلمية وآخر للاعلام اليونانيين وقوبلت أسماؤهم بما يوافق أو يقارب من أسماء لاتينية لهؤلاء الحكماء.

ولا شك أن أكبر صعوبة هي تحقيق الاسماء اليونانية وارجاعها الى اصلها حيث ان تعريب الكلمة قد أجري عليها الكثير من التحريف والزيادات والنقص كما انها تتجاوز المائة عداً وبعضها لم اتمكن من قراءته ونقله.

أما بالنسبة للاعلام العرب والمسلمين فالمشكلة التي واجهتني هي العثور على تراجم لبعضهم ممن أهملهم وتجاوزهم حتى أشهر كتب تراجم الاعلام المعروفة لذا لم يكن في الامكان التعريف بكل اسماء الاعلام المعرف بهم أو تلك التي تمر عرضاً. وقد اوردت ترجمة ملخصة لبعض الاعلام وبعض اللمحات حول صاحب الترجمة مما لم يذكره المؤلف.

# مصادر المحقق ومراجعه


- ابن النديم: الفهرست تحقيق رضا جواد، طهران، 1971.
- ابن جلجل داود بن سليمان الأندلسي، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة 1955.
- القفطمي جمال الدين، اخبار العلماء باخبار الحكماء، مصر 1909
- البيهقي، علي بن يزيد، تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق محمد كرد علي، دمشق 1946.
- ابن ابي اصيبعة عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق د. نزار رضا بيروت 1965.
- فاتك، أبو الوفاء المبشر، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مدريد 1958.
- البغدادي، اسماعيل، هدية العارفين، اسطنبول 1951.
- الزركلي، خير الدين، الاعلام، بيروت 1980.
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت.
- عواد، سركيس، المخطوطات التاريخية.
- سيد، فؤاد، فهرس المخطوطات المصورة 1963.
- عيسى، أحمد، معجم الأطباء. ط 2 ,1982.
- عيسى، أحمد المأثور من كلام الاطباء
- الزوزني، محمد بن علي مختصر الزوزني (تاريخ الحكماء)، ليبزيغ 1903.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان تحقيق أحمد الشنقيطي، القاهرة 1955.
- د. عبد الحليم منتصرتاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ط 3، 1969 القاهرة.
- حكمت نجيبدراسات في تاريخ العلوم عند العرب، 1977، جامعة الموصل العراق

- ابن خلدون المقدمة دار الكشاف، بيروت.
- محمد فريد وجدي دائرة معارف القرن العشرين: 1971.
- السمعاني كتاب الانساب حققه محمد عوامه.
- طوقان/ قدري حافظ: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك 1963

- **Brockelman, C.,** Geselichte des Arabischen Literatur, Leyden Brill 1937-49
- **Sezgin Fuat:** Geschichte des Arabischen Schrifttums, leyden E.J.Brill 1970-79
- **Ahl wardt, W.:** Verzeichnis der arabischen Hand schriften

كتاب تواريخ الحكماء

كتاب نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تواريخ حكماء المتقدمين والمتأخرين تأليف الشيخ المعظم والفيلسوف المكرم شمس الحق والدين الشهرزوري ضاعف الله أنوار قلبه ..

٩٠٨

الصفحة الأولى وغلاف النسخة الثانية من المخطوط (ب)

الصفحة الأولى من المخطوط (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله القديم الازلي الدايم السرمدي المتعالي بجلال حضرته
عن احداق النواظر المتفرد بكمال صمديته عن الاشباه والنظاير
المتنزه عن ادراك الاوهام المسلوب عن ذاته المقدسة
النورانية صفات الاجسام الباقي مع الدهور ولا يعلم
الدهر الداهر العلي القاهر القدوس الطاهر الذي عجزت
عن ادراك كنه حقيقته عقول العقلاء وتلاشت
عند ارادة معرفة ذاته الباب الحكماء واذهان العلماء
واشهد ان لا اله الا الله شهادة انتفع بها يوم الفزع
الاكبر والخروج عن مضيق الابدان الى فضاء المحشر
واصلي على عباد الله المخلصين وانبيائه الصادقين
صلوة تزلفهم عند الله سبحانه وتعالى بالمرتبة العليا
وتقربهم الى الانوار الالهية والضيا خصوصا على
المبعوث من صميم العرب العرباء المنقذ من الضلال

والاهواء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب خير الانبياء وافضل
الاتقياء وصلى الله عليه وعلى آله الصابرين على البأساء
والضراء وبعد فان تواريخ الحكماء الاقدمين
والفلاسفة المتألهين من اليونانيين والمصريين مما يجب
على المستبصر تحصيله وعلى الحليم تعلمه وتعليمه ولذلك
معرفة كلماتهم الحكمية ونوادرهم الوعظية وسيرهم
الجميلة المرضية فان لطالب السعادة الابدية في الوقوف
على ذلك اذا كان الغرض الاقتداء بهم والتشبه
بافعالهم واقوالهم وحركاتهم وسكناتهم وسلوك
السبيل الى الله عز وجل على آثارهم نعمة عظيمة وعطية
جزيلة وعبر كثيرة فالناظر في اسرار اللاهوت والمشتاق
الى معاينة انوار الملكوت لا ينبغي ان يقتدى بغير اولئك
الاساطين ولا يهتدي الا بانوار الحكماء الفاضلين
والانبياء المرسلين ولا يعول على احد من ابناء الشياطين
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون

الصفحة الأولى من المخطوط الثاني (ب)

مدا وانبسط انبساطا واوك الشاغلات من سائر الطاعات
لترى القوم فاما ما تورعني [illegible] الوجود كله ما لم [illegible]
ولقد غنى الحبيب فاين الواحدون هنا [illegible] النور
والقوم في ملاعب الفسق يلعبون لا باس بفساد [illegible]
لا مع حبيبه الصمت بالوسط من الكلام وقال لا [illegible]
السيف الحائل الى ان يدنو [illegible] المرآة المشهود [illegible]
في الطرائق ان تنشب بذيله وطوائف من النيران [illegible]
فلا ضوءها وكثر دخانها طفقت تطفى بحبوب [illegible]
تزعزع ان عبدة البطن والفرج في الدارين لعنوا [illegible]
ادبارهم وردوهم الى سوء البوارح المنجون بالعذاب
و [illegible] العقل نور الله ولا يهتدى الى النور عن النور وله
[illegible] صور وانه الا مرآة فرد انه [illegible]
الله ومرآة الله لا [illegible] مرآة الاجسام اذا [illegible]
[illegible] الواحد الى الوحيد [illegible] اصرف القلوب
الى الابرار واسرف [illegible] شواهد [illegible]

---

المحجوبون فان الفكر لا تسلط على اله الارباب [illegible]
اذكرى ايها المدينة الفاضلة ربك ما صوادك [illegible]
والفصاح والعجم والعظيم ما اهمك ما [illegible]
الله اسواقها ومشاعرها ومشاغلها [illegible] وسطوحها
عند بلوغ رأس النيرات الى مراسم التسبيح وكبرى تكبيرا [illegible]
يهزم جنود الشيطان وتهزم عبدة الطاغوت [illegible]
حينئذ ان النفوس وحرك الاشباح الصيحة الجمهورية [illegible]
وتمضي في كتاب الله المسطور بالبيان [illegible] لولا [illegible]
المطلق نطقت لعطر شواهد الايمان [illegible]
الحادثات [illegible] الازل اذا دعى صاحب اليد العليا
[illegible] الوشاة [illegible] امر الله بالرصد اذا [illegible]
في الهوى علك الهوى كيف تلون كتاب الله مشهود
[illegible] الغافلون [illegible] العاقلون ما [illegible] الرب [illegible]
[illegible] الصبر [illegible] كالرضى [illegible]
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد و [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوط الثاني (ب)

# الرموز المستعملة في الكتاب

| | |
|---|---|
| (أ) | النسخة الأولى للمخطوط |
| (ب) | النسخة الثانية للمخطوط |
| (. . . .) | كلمة غير مقروءة |
| (     ) | فراغ في الأصل |
| (وقد) | اضافة من المحقق لتناسق الجملة |
| ح. ن | حاشية الناسخ |
| ح. م. | حاشية المحقق |
| (7)، أ: الرب | نص الكلمة في النسخة الأولى من المخطوط |
| (8) ب: العرب | نص الكلمة في النسخة الثانية من المخطوط |
| الفهرست | كتاب «الفهرست» لابن النديم |
| البيهقي | «تاريخ حكماء الاسلام» للبيهقي |
| القفطي | «أخبار العلماء باخبار الحكماء» لجمال الدين القفطي (مختصر الزوزني) |
| أصيبعة | «عيون الانباء في طبقات الأطباء» لابن ابي اصيبعة |
| ابن جلجل | «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل |
| بروكلمان | تاريخ التراث العربي |
| الاعلام | الاعلام للزركلي ط1984 |
| طوقان | تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك 1963 |
| دائرة المعارف | محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين 1971. |
| GAL | موسوعة بروكلمان |
| GAS | موسوعة سزجين |

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ القديمِ الأزليّ الدائمِ السَّرمديّ المُتعالي بجلال أحديته عن أحداق النواظر، المنفردِ بكمالِ صَمَدِيَّتِهِ عنِ الأشباهِ والنظائر، المنزّه عن إدراك الأوهام، المسلوبِ عن ذاته المقدَّسة النورانية صفات الأجسام، الباقي الأبديِّ مَعَ الدُّهورِ والأعوام، فهو الدَّهْرُ الدَّاهر، والعليُّ القادر، القدوسُ الطاهر، الذي عجزت عن إدراك كُنْهِ حقيقته عقولُ العقلاء، وتلاشتْ عند إرادة معرفةِ ذاتِهِ ألبابُ الحكماء وأذهان العلماء، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله شهادةً أنتفِعُ بها يومَ الفزعِ الأكبر، وتُخرجُني عن مضيق الأبدانِ إلى فضاءِ المحشر، وأصلّي على عباد الله المخلصين وأنبيائه الصادقين صلاةً تُزْلِفُهُمْ عند الله سبحانه وتعالى بالمرتبة العُليا، وتقربهم إلى الأنوار الالهية والضِّيا، خصوصاً على المبعوث من صميم العَرَبِ العَرْباء، المُنقِذِ مِنَ الضَّلالِ والأهواءِ، مُحمَّدَ بن عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ آخر الأنبياء وأفضل الأتقياء، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله الصابرين على البأساء والضراء.

أما بَعْدُ فإنّ تواريخَ الحكماءِ الأقدمين، والفلاسفة المتألهين من اليونانيين والمصريين، مما يجبُ على المتبصِّرِ تحصيلُهُ وعلى الحكيم تعلمه وتعليمه، وكذلك معرفةُ كلماتهم الحِكَمِيَّة، ونوادرهِم الوعظيَّة، وسيرتهم الجميلة المرضية، فإن لطالب السعادة الأبديَّة في الوقوف على ذلك إذا كان الغَرَضُ

الاقتداءَ بهم والتشبُّهَ بأفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسَكَناتِهم، وسلوك السبيل إلى الله عزّ وجلّ على آثارهم نعمةً عظيمةً وعَطِيَّةً جزيلةً وعِبَراً كثيرةً، فإنَّ الناظرَ في أسرار اللاهوت، والمشتاق إلى معاينة أنوار الملكوت، لا ينبغي أن يقتديَ بغيرِ أولئك الأساطين، ولا يهتدي إلاّ بأنوارِ الحكماء الفاضلين والأنبياء المُرْسلينَ، ولا يُعَوِّلَ على أحدٍ من أبناءِ الشياطين، الذين ضلّ سعيُهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فالزّمان قد خلا عن أمثالِ هؤلاءِ الفُضلاءِ وصار الخلْقُ كلُّهم إلاّ مَنْ شاء الله تعالى مغمورين بجهالة الجهلاء، فإن كُنْتَ مِنَ الطالبين المُجِدِّين، وأهلِ العقل المُهتدين، فعليك باتِّباعِ أَثَرهم، والفَحْصِ عن حقيقة خبرهم، فمِثْلُهُمْ بينَ عينيك، ولتكنْ أفعالُكَ وأقوالُك صادرةً على ذلك المنوال، وواردةً على ذلك المثال، لعلك بهذا الاجتهاد تنخرطُ في سلكهم، وتنتظمُ في عِقْدِهِم، وتقفُ على الأسرار العظيمةِ التي قد طُوِيَتْ بعدَهم، ولا تطمعُ في الوقوف على ذلك كلِّه بغير سلوكٍ خالصٍ وتجرُّدٍ بالغ، وانسلاخ عن الدنيا يُشْبهُ انسلاخَ الحيَّةِ عن جلدِها، وتقدم على التواريخ المفصَّلَةِ مُقدمةً وكلاماً في حقيقة الحكمةِ والفلسفة وأحوال الحُكماءِ اليونانيين ووصف بلادهِمْ وغير ذلك على سبيل الجملة[1].

أما الكلامُ النبويُّ الدَّالُّ على تفخيم الحكمةِ وتعظيمِها ما وَرَدَ عنه ﷺ أنَّه قال: ما أنفقَ مُنْفِقٌ ولا تصدَّقَ متصدِّقٌ بأفْضَلَ مِنْ كلام الحكمةِ إذا تكلَّم به الحكيمُ والعالمُ فلكُلٍّ مُستمعٍ منهم منفعة.

وقال ﷺ: نِعْمَ الهَدِيَّةُ ونِعْمَةِ العَطِيَّةُ الكلِمةُ مِنْ كلامِ الحكمةِ يسمعُها الرجلُ المؤمنُ ثم ينطوي عليها حتى يُهدِيَها لأخيه المؤمن.

وقال ﷺ: الحِكْمَةُ ضالَّةُ المؤمِنِ يأخُذُها من حيث وجدها ولا يبالي مِنْ أيِّ وعاءٍ خرجتْ.

---

(1) ح. م.: نلاحظ أن المؤلف بعد مقدمته لم يورد اسم الكتاب واسم المؤلف كما جرت عليه عادة التأليف في عصره.

وقال ﷺ: العلمُ كثيرٌ فخذوا من كلِّ شيءٍ أحسَنه.

ويُروى عنه ﷺ أنه كان إذا كَمُل واحدٌ من أهله قال له: يا أرسطاطاليس هذه الأمَّة؛ وذلك وصْفٌ له بالحكمة والمعرفة.

وقال: تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ عند الله تعالى من عبادةِ سبعين[1] سنة. والمُراد بالفِكْرِ هو ترتيبُ المُقدَّمات ونَصْبُ الأدِلَّةِ لإدراكِ المعقولات.

وقال ﷺ لحُذَيْفَةَ: خالِطِ الحكماءَ[2] وسائلِ العلماءَ وجالسِ الكُبراءَ.

وقال ﷺ: من زَهِدَ في الدنيا أسْكَنَ الله تعالى الحكمَةَ[3] قلْبَهُ وأنْطَقَ بها لسانَه.

وقال ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى: ما زَهِدَ عبدٌ في الدنيا إلَّا أمْطَرْتُ به مطراً وأنْبَتُّ به نباتاً أنْبَتُّ الحكمةَ في قلبه وأنطقتُ بها لسانه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: روِّحوا هذه القلوب واطلبوا لها طرائفَ الحكمةِ فإنها تملُّ كما تَمَلُّ الأبدان. وقيل: مَنْ اتَّخَذَ الحكمة لجاماً اتَّخَذَهُ الناس إماماً.

[وقال][4] الكندي: مَنْ لم يكُنْ حكيماً لم يَزَلْ سقيماً.

[وقال][5] الجزري: أعْظَمُ الحقوقِ عند الله تعالى حقُّ الحكمةِ، فَمَنْ جعلَ الحكمةَ في غير أهلِها طالَبَهُ الله تعالى بحقوقها، ومَنْ طالَبَهُ بحقوقِها خَصَمَهُ.

[وقال][6] الدِّينَوَري: الحكماءُ ورِثوا الحِكْمَةَ بالصَّمت والفِكْر، فانطلقت ألسنتُهم بما ليس بَيْنَهُ وبينهم غيرُه.

---

(1) أ: ح. ن.: ستين.
(2) أ: ح. ن.: عاشر الحكماء.
(3) أ: ح. ن.: في.
(4) ح. م.: وقال.
(5) ح. م.: وقال.
(6) ح. م.: وقال.

[وقـال][1] ذا النون المصري[2]: الزهد يـورِث الحِكْمـةَ، والحكمـةُ تـورث الصِّحة[3].

وآدم وشيث وإدريس ونـوح وشعيب وداود وسليمـان كلهم حكمـاء فضـلاء أنبياء الله تعالى، وبعضهم له مصنَّفات في الحكمة، وإذا كانت الحكمةُ عبارةً عن معـرفةِ أعيـان الموجـودات على ما هي عليهـا لا غير، فـالأسمـاء تختلفُ بحسَبِ اختلاف طُرُقِ التعليم، فإن أدْركها بعضُهم بـزمانٍ يسيـرٍ من غيرِ تعلُّمٍ بشريٍّ، وكان مأموراً من المـلأ الأعلى بإصـلاح النوع الإنسـاني سُمِّيت نبوَّةً، وإن كان بالتعلُّم والدِّراسة سُمِّيَتْ فلسفـةً، ودرجةُ الحكمـةِ عظيمـةٌ، ومنزلتُهـا مفخَّمةٌ، ولا مرتبةَ في المعاد عند الله سبحانه وتعالى للجاهل بها.

والقرآنُ والحديثُ وكلامُ أساطينِ المعرفةِ[4] وأهْلِ الولايـةِ مشحونٌ بمـدْحِ الحكمةِ ووصفِها. والله تعالى وصفَ نفسَه بالحكمةِ.

وفي الحقيقــة، الحكيمُ المُـطلَقُ: هــو الله تعــالى، وكــلُّ مَن أدرَكَ مَنْ المعقولات نصيباً سُمِّيَ على سبيل التجوُّز والاستعـارة حكيماً، لـدنوِّهِ مِنَ الله تعالى، وتشبُّهِهِ به، وقربِهِ منه بالإدراك والعِلمِ الذي هو صفةُ الله تعـالى، لأنه إذا لم يكن القُرْبُ زمانياً[5] فهو قُرْبٌ معنويٌّ، ودنوٌّ إدراكيٌّ، فإذا كانت السعادة الأبدية هي القربْ من الله تعالى ومشاهدةَ جلالِهِ، ومعـاينة كِبـريائِـه، وذلك لا يحصُلُ، ولا يتيسَّرُ إلّا بالحكمةِ فلا شيءَ أعظمُ منها، ولا أتمُّ فائدةً منها.

وقد قالَ الحكيمُ الفـاضلُ سُقْـراطُ: إنَّ كلَّ مَنْ يحضُـرُنا يـزعمُ أنه حكيم، وإنّما الحكيم أيُّها الرجالُ هو الله سبحانه وتعالى، وقـد وصفَ بعضُ العارفين الحِكْمَةَ فقال: النورُ جوهـرُها، والحقُّ مقصـدُها، والإلهـامُ سائقُهـا، والقلْبُ

---

(1) ح. م.: وقال.

(2) ذو النون المصري: توفى 2045 هـ / 859 م. زاهد متعبد من مر له فصاحة وحكمة وشعـر، اتهمه المتوكل الخليفة العباسي بالزندقة فاستحضـره اليه وسمـع كلامـه ثم أطلقه فعـاد إلى مصر وتوفي بالجيزة.

(3) أ: ح. ن.: النظر الصحيح.

(4) أ: ح. ن.: الحكمة.

(5) أ: ح. ن.: ومكانياً.

مسكنُها، والعقلُ فائدُها، واللهُ سبحانَه مُلهِمُها، واللِّسانُ مُظهِرُها.

ويُرْوَى أيضاً في بعض الوافدات أن عمرو بن العاص قَدِمَ الإسكندرية على رسول الله ﷺ، فسأله عن ما رأى في الإسكندرية، فقال: يارسولَ الله رأيتُ أقواماً يَتَطَيْلَسُونَ ويجتمعون حِلقاً، ويذكرون رجُلاً يقال له أرسطاطاليس لَعَنَهُ الله، فقال له ﷺ: يا عمرو، إن أرسطاطاليس كان نبيّاً فجهلهُ قومُهُ؛ هكذا سمعْنا والله أعلمُ بالصَّواب.

وبالجملة وصْفُ فضيلةِ الحكمة والحكماءِ وجلالتِهما يحتاجُ في استيفائهما إلى جِلْدٍ ضخم، فلْنَقْتَصِرْ على هذا القدْر.

واعلَمْ أنَّ هؤلاءِ الحكماءَ الذين نريدُ أنْ نذكُرَهُم، زعم بعضهم أنَّهم يونانيون، وبعضهم روميُّون، والأظهر أنَّ غالبَهم يونانيون، والبعض روميون، والمعْتَبَرون مِنَ الفلاسفة يونانيون، لكن لمَّا كان بلداهما متلاصقين[1] أوجبَ ذلك الالتباسَ في نسْبتِهما. وكان اليونانيون في قديم الزمان أُمَّةً عظيمةَ القَدْرِ في الأُمم، طائرةَ الذِّكْرِ في الآفاق، فخِمَةَ الملوكِ عند جميع أهل الأقاليم، كالاسكندر ذي القرنين، والبطالِسَةِ، وغيرهم، ولم يزلْ مَلِكُهُم متَّصلاً إلى أن غلَبَهُمْ عليه الروم، فصارتْ مملكةً واحدةً روميَّةً، كما فَعَلَتْ الفُرْسُ بمملكةِ البابليين حين استولَتْ عليها، وصيَّرت المملكتيْنِ مملكةً واحدة فارسيَّة. وكانت بلادُ اليونانيين في الرُّبْع المَغربي الشِّمالي من الأرض، ويحدُّها من جهة الجنوب البحرُ الروميُّ والثغورُ الشاميَّةُ والثغور الجزرية؛ ومن جهة الشمال بلاد اللاَّن وما حاذاها من ممالك الشمال[2]؛ ومن جهة المَغرب تخوم بلاد أمانيا التي قاعدتها مدينة رُومِيَّة؛ ومن جهة المشرق تخومُ بلاد أرمينِيَةَ وبابُ الأبوابِ والخليجُ المُعترِضُ ما بين بحرِ الروم وبحرِ نِيْطُس الشَّمالي يتوسَّطُ بلادَ اليونانيين فيصيرُ القسمُ الأعظمُ منها في حيِّزِ المَشْرِق، والقسمُ الأصغر في حيِّز المَغرِب.

---

(1) أ: ح. ن.: متصاقبين.

(2) أ: ح. ن.: الشام.

وَلُغَةُ اليونانيين تُسمَّى الإغريقيةَ، وهي من أوسَعِ اللغاتِ وأجلِّها، وكانت عامَّةُ اليونانيين صابيَّةً مُعَظِّمةً للكواكب دائنةً بعبادةِ الأصنامِ؛ وعلماؤهم يُسمّون فلاسفة، ومَعْناهُ مُحِبُّ الحكمةِ، وهم من أرفعِ الناسِ طبقةً وأَجَلِّ أهلِ العلمِ منزلةً[1] لما ظهر منهم من الإعتناء الصحيح بفنون الحِكمةِ مِنْ العلوم المنطقية والطبيعية والرياضية والإلّهية والسياسية. وأعظمُ هؤلاءِ الفلاسفةِ طبقةً وقدْراً عنْدَ اليونانيين خمسةٌ: أنباذُقْلِس وفيثاغُورْس وسقراط وأفلاطُن وأرَسْطاطاليس؛ وأنباذُقلِس على ما قيل أقدَمُهُم زماناً ثَمَّ على الترتيب المذكور، وستأتي الأحوالُ والتواريخُ مفصَّلَةً؛ وأمّا بلاد الرُّوم فإنّها مجاورةٌ لبلاد اليونانيين، ولغتُهُم مُخالِفَةٌ لِلُغَتِهِم وتُسْمَى اللاطينية.

وحَدُّ بلادِ الروم من جهة الجنوب البحرُ الرُّوميُّ الممتدُّ ما بين طنجة إلى الشام، وحدُّها من جهة الشمال بعضُ ممالك الأُمم الشمالية من الرُّوسِ والبرغر وغيرهما مع طائفةٍ من البحر المغربيِّ الأعظم المحيط المعروف بأُقْيَانُس، وحَدُّها من جهة المشرق تخومُ بلادِ اليونانيين، وحدُّها من جهة المغرب أقصى الأندلُس إلى البحر المغربيّ المحيط المعروف بأُقْيانُس. وكانت هذه المملكة ثلاثةَ قِطَعٍ، فإن أوَّلها سن جهة المشرق مما يتاخم بلاد اليونانيين[2] بلاد أمانِيَة، ثم أوسطها بلاد إفْرنسة، ثم آخرها بلاد الأندلُس في أقصى المغرب وطرف المعمور.

وكانت قاعدةُ هذه المملكة كُلُّها مدينة رومِية العظمى من البلاد اللاطينية[3]، وكان بانيها رُومُس، وإليه نسبت، وكان بنيان رُومِيَةَ قبل المسيح بسبعمائة سنةٍ وأربع وخمسين سنةً، ولم يزل ملكهم على حاله حتى غلبهم عليه أُغُسطس أوَّلُ ملوكِ القياصرة، وأضاف مملكة اليونانيين إلى مملكته، فجعلها مملكةً واحدةً روميَّةً عظيمة الشَّان، طولُها من المشرِق إلى المغرب نحو مائة مرحلة

---

(1) أ: ح. ن.: معرفة و..

(2) إلى.

(3) أ: ح. ن.: اللاطينية.

من تخـوم بلاد أرمينيـة، أعني قريبـاً من سيواس إلى أقصى بـلاد الأندلس في المغرب، وصارت رُومِيَةُ قاعدةَ هاتين المملكتين إلى أن قـام قسْطنـطينُ وبنى مدينته على الخليـج، وصارت عِـوضَها قسـطنطِنيـة مبنيَّة في بـلاد اليونـانيين، وكان الروم صابيةً إلى أن ظهر قسطنـطينُ بدين المسيـح فتنصَّروا عن آخـرهم وسرى بعد ذلك في سائر الأمم.

وقـد قيل إنَّ مِنْ إبـراهيم إلى موسى خمسمـائـة سنـةٍ وخمس سنين، ومن إبراهيم إلى المسيح ألفان وخمس وستون سنة.

ومن إبراهيم إلى سنة تسعٍ ومائتين الهجرية ألفان وتسعمائة وثلاثون سنة.

ومن موسى إلى المسيح ألفُ وخمسمائة وستُّون سنة.

ومن مـوسى إلى سنة تسعين ومـائتين الهجريـة ألفـان وأربـع مـائـةٍ وأربـع وثلاثون سنة.

ومن المسيح إلى سنة سبعين[1] ومائتين للهجرة ثماني مائـة وأربع وسبعـون سنة[2].

ومن اسقِليسـوس الأوَّل إلى إبراهيم ثـلاثةُ آلاف سنـة وثلاث مـائـةٍ وثمـانٌ وسبعون سنة.

ومن المسيح إلى جالينوس سبع وخمسون سنة.

---

(1) ب: تسعين.

(2) يلفت انتباهنا هنا أن المؤلف يوصل تسلسل الحكماء إلى سنة 290 هـ. وهذا يدلنا على أنه استقى هـذه المعلومات من كتـاب طبقات الأطبـاء الحكماء لاسحق بن حنين المتـوفى سنة 290 هـ أو قد أخذهـا من الفهرست أو غيره ممن كان قـد استقاه من اسحق بن حنين وثبت التواريخ نفسها.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# فصل في ابتداء أحوال الفلسفة

واعْلَمْ [ان الحكمة تُطلَبُ إمّا للعمل بها، وتُسمَّى حكمةً عمليَّةً، أو لِتُعلَمَ فقط، وتسمى علمية، فمِنَ الحكماء من قدَّم العملي على العلمي، ومنهم من أخَّره. فالقسم العمليُّ هو عملُ الخير، أعني تهذيبَ الأخلاق، والعلمي هو عِلْمُ الحقِّ أعني معرفةَ أعيان الموجودات.

والقسمان يُمكنُ الوصول إليهما بالعقل الكامل، إلاّ أنّ الاستعانةَ في القسم العملي بغيره أكثر؛ والأنبياءُ أُيِّدوا بأمدادٍ روحانية لِتُقْرِنَ القسم العمليَّ وطرفاً ما مِنَ القسم العمليّ؛ والحكماء تعرَّضوا لِأمدادٍ عقليَّةٍ تُقررُ القسم العلمي وطرفٍ ما من القسم العملي.

فغاية الحكيم أن يتجلَّى لعقله كل الكون ويتشبَّهُ بالإله الحقِّ سبحانه وتعالى بغاية الإمكان؛ وغايةُ النبيِّ عليه السلام أن يتجلَّى لعقله نظامُ الكون، فيقْدِرُ بذلك على مصالح العامَّة حتى يبقى نظام العالم، وتنتظم مصالح العبد، وذلك لا يتأتّى إلاّ بترغيبٍ وترهيبٍ وتخييلٍ، فكل ما وردت به أصحاب الشرائع مقرَّرٌ عند الحكماء على ما ذكرنا إلاّ من أخذ حكمته من مشكاة النبوَّة فإنّه يعتقد كمال درجتهم.

فمن الحكماءِ حكماء الهندِ من البراهمة المنكرين للنبوَّاتِ؛ ومنهم حكماءُ

المغـرب، وهـم شرذمـةٌ قليلةٌ، لأنّ أكثر حكمتهم طبيّـات الـطبـع، وخـطرات الفكر، ورُبما قالوا بالنبوّات؛ ومنهـم حكماء اليونانيين والروم، وينقسمـون إلى قـدمـاء هم أسـاطين الحكمـة، وإلى متـأخّـرين منهم المشـاؤون وأصحـاب الرِّواق، وإلى متأخرين وهـم حكماء الإسلام][1].

وذكروا أنّ أول من ظهر منـه الفلسفة وعُـرف بالحكمـة على اختلاف بينهم في ذلك ثالِيسُ المَلَطِيُّ من حكماء ملطيَّة، فهو أولُ من تفلسف بمصر، وصار بعد ذلك إلى ملطيَّة. وهو شيخ، وبه سمِّيت فرقةٌ من اليونانيين فلاسفةً، فقـد كان للفلسفة انتقالٌ كثير.

وقال ثاليسُ: إنَّ أوَّلَ ما خلق الله تعالى الماءُ، وينجاب[2] جميع الكائنـات إليه، وتوهم أن جميـع الأشياء من الـرطوبـة، واستدلَّ على ذلـك ببعض كلام أوميـرُس الشاعـر مرادُه بقـوله: المبـدع الأوّلُ الماءُ أي هـو مبـدأُ المـركبـاتِ الجسمانية لا المبدأُ الأول في الموجودات العلوية، لكنه لما اعتقد أنّ العنصرَ الأول قابلٌ كل صورةٍ أي منبع الصور، فـأثبت في العالم الجسمـاني له مثـالاً يوازيه في قبـول الصور كلهـا، ولـم يجد على هـذه الصفةِ غيـر الماءِ، فجعلهُ المبـدَعَ الأول في المركبـات وأنشأ منـه الأجسامَ السمـاويةَ والأرضيَّـةَ، وهـذا موافقٌ لما في التوْرية أنَّ مبدأ الخلقِ جوهرٌ خلقهُ الله تعالى، ثم نظر إليـه نظر الهيبـةِ فذابتْ أجـزاؤه وصارت مـاءً، ثم بان منـه بُخارٌ مثـل الدخـان خلق منه السمـاوات، وظهر على وجـه الماء زَبَـدٌ كزَبَـدِ البحـر فخلق منـه الأرض، ثم أرساها بالجبالِ وبعض المنابع، وهو تلقّى الحكمةَ من مشكاةِ النبوَّةِ، والـذي أثبتهُ في العنصر الأول الهوى هو منبعُ الصُّورِ شديدُ الشبـه باللوح المحفـوظ، والماءُ على القول الثاني شديدُ الشبه بـالماء الـذي عليه العـرش وكان عـرشه على الماءِ.

وقال إن للعالم مبدعاً لا تدركُ العقولُ صفتهُ من جهة هـويته، وإنّمـا يدرك

---

(1) [. . . . .] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

(2) أ: ح. ن.: وينحل.

من جهة آثاره، وهو الذي لا يُعرَف اسمه فضلاً عن هويته إلاّ من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينه للأشياء، فلا يدرك له اسماً من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا، وأبدع ما أبدع، ولا صورةَ له في الذوات لأنه قبل الابداع إنّما هو فقط، فليس هناك جهةٌ ليكون هو ذا صورةٍ، والوحدةُ الخالصةُ تُنافي هذين الوجهين.

وقال إن فوق السماء عوالم لا يقدر المنطقُ أن يصف تلك الأنوارَ المبدعة أو يقف على حسنها والمنطق والنفس والطبيعة. وكان بعده أنكسامَنْدُوس الملطي، وكان رأيُهُ أن أول الموجودات المخلوقة للباري تعالى الذي لا نهاية له، ومنه كان الكون، وإليه ينتهي الكلُّ. وكان بعد انقسمانس ثانس الملطي، وكان يرى أن أول الموجودات المخلوقة للباري تعالى الهواء، ومنه كان الكل وإليه ينحلُّ، مثل النفس الذي فينا، فإنّ الهواء هو الذي يحفظه فينا، والروح والهواء يمسكان العالم، والروح والهوى يُقالانِ على معنىً واحدٍ قولاً متواطئاً.

ثم كان بعده أنِكْساغُورْسُ وفلاَرْمابَوْسُ، وكانا يريان أن مبدأ الموجودات التي خلقها الباري سبحانه هو المتشابهة الأجزاء.

ثم كان بعدهما أرسلارس بن أبولوذس من أهل أثينة، وكان يرى أن مبدأ ما خلق الله تعالى هو مالا نهاية[1]، ويُفرَضُ فيه التكاثرُ والتخلخل، فمنه ما يصيرُ ناراً ومنه ما يصيرُ ماءً، وهؤلاء الفلاسفةِ بعضهم كان تالياً لبعض، وبهم استُكْمِلَتْ فلسفةُ اليونانيين، فهذا هو المبدأ الأول للفلسفة الناشئة بمَلطِيَّة.

وأقول إن الأظهر أنّ هذا الكلام المنقول عن هؤلاء وغيرهم من القدماء كان رمزاً عن أمورٍ وأحوالٍ وأسرارٍ لهم، وإلاّ فتُنقل عنهم أشياءُ لا يقولها مَنْ له أدنى تمييز فضلاً عن الحكماء والفاضلين.

وقيل إنّ للفلسفة مبدأً آخر هو مِنْ فيثاغورس بن فيسارَخَسْ من أهل سَامِيَا،

---

(1) أ: ح. ن.: له.

وهو أوّل مَنْ سمَّى الفلسفة بهـذا الاسم، وكان يقـولُ إنّ المبادي التي خَلَقها الله أولاً هي الأعـدادُ والمعادلاتُ التي فيهـا، وكان يسميهـا تـأليفـاتٍ ويُسمِّي المركَّبَ من جملةِ ذلك اسطُقْسات، ويسمِّيها أيضاً هندسيَّات.

وأقول ليس مُرادُهُ أنّ المبادي عددٌ وأنّ العدد جوهَرٌ قائم بـذاته، وهـو مبدأ الموجودات بل مرادُهُ أنّ في عالم العقل ذواتٍ مجرَّدَةً هي إنيات محضة قائمـة لا في أين، وهي عـدديات أي معـدودات لأنّه يصْـدُقُ على الباري تعـالى أنه أوّلٌ وثانيهِ العقلُ الأولُ وهكذا إلى آخر المراتب.

ثم ابن اقليطُسْ وأثالِيس الذي ينسبُ إلى ماطانيطس، وكانا يريان أنّ مبـدأ الأشياء كُلِّها النار وانتهاؤها إلى النار، وإذا انطفتِ النارُ تشكَّلَ بها العالَمُ.

ثم ايفُـورس بن نـاونيس من أهــل أشيسـة[1] الـذي تفلسف في أيـامـه ديمقراطيس، وكان يرى أنّ مبادي المـوجودات أجسـامٌ مُدْركـةٌ عقْلاً لا خـلاءَ فيها ولا كَوْنَ لها وأنّ الله خلقها سَرْمَدِيَّـةً غير فـاسدةٍ لا تحتمـلُ أن تنكسِرَ ولا تَنْهَشِمَ، ولا يَعْرِضُ لها في شيء من أجـزائها اختـلافٌ ولا استحالـة، ولا هي مدركةٌ عقلاً، فهي تتحرَّكُ في الخـلاء والملاء إلى أن يشـاء الله تعالى، وهـذا الخلاءُ لانهايةَ له عنده، وكذلك الأجسامُ لا نهايةَ لهـا، والأجسامُ لهـا التشكُّلُ والعِظَمُ والثقلُ.

ثم أنباذُقْلِسْ بن هاذين من أهل أفراغيِّا، وكان يـرى أنَّ الأسْطُقْسـات التي خلقها الله تعالى أربعة مشهورة، والمبادي اثنتان: المحبَّـة والغَلَبَة، إحـداهما تفعل الإيجاد والأخرى التفرقة.

وأقـول هذا رمـزٌ أيضاً، وليس مُـرادُهُ ما فهِمَـهُ الحكمـاءُ الـظاهـريـون. ثم سُقراط من أهل أشيسَة[2].

(1) أ: ح. ن.: أثينة.

(2) أ: ح. ن.: أثينة.

ثم أفلاطُن فإن رأيَيْهُما في جميع الأشياء واحدٌ وهما يريانِ أنّ المبادي ثلاثة، وهي الله تعالى ثم خلق العنصر والصورة.

ثم أرَسْطاطالِيسُ من أهل أساخِرًا، ورأيُه أنّ المبادي هي الصورة والعنصر والعَدَمُ والأسطُقْساتُ الأربعةُ وجِسْمٌ خامسٌ هو الأثيرُ غيرُ مستحيل.

ثم زَيْنُونُ بن باوَسادِس من أهل فُسْطُسْ[1]، وكان يرى أنّ الأوّلَ المخلوقَ هو العنصُر والأُسْطُقسَّات أربعة وفِرَقُهُمْ سمِّيتْ لفطالِنفي[2] لأنّ فيثاغورس كان مقيماً بأنطاكيا، لأنّه انتقل من سَامِس التي كانت موطنه بسبب تغلُّبِ المُتغلِّب، ولم نورِد مقالاتِهِم الشنيعة لأنّها مذكورةٌ في الكتب.

وذكر محمد بن يوسُف العامريُّ، وكان ممَّن شاخ في الفلسفة في كتابه المسمَّى بكتاب «الأمَد[3] على الأبد»[4]: إنّ أوَّلَ الحكماء لُقمان تلميذُ داود عليه السلام، وكان أنباذُقِلِسُ تلميذه.

إلاّ أنّه لمَّا عاد إلى بلادِ يونان تكلَّم في خِلقة العالمَ بأشياءَ، فوُجِدتْ ظواهِرُهُ قادحةً في أمر المَعادِ، فهجَرَهُ بعضُهم على ما هو دأْبُ العُوامِ مَعَ الفضلاء، وكان اليونانيون يصفونه بالحكمة.

ثم وُصِفَ بعدهُ بالحكمةِ فيثاغورس[5]، وقد اختلف بمصر إلى أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام حين جَلَوا عن الشام، وكان تعلَّم الهندسةَ قبْلَهم من المصريين، وتعَلَّمَ العُلُومَ الطبيعيةَ والإلَهيَّةَ أيضاً من أصحاب سليمان، ونقل العلومَ الثلاثة أعني العلم الرياضيَّ والطبيعيَّ والإلَهيَّ إلى بلاد

---

(1) أ: ح. ن.: ماساوس فنطس.
(2) أ: ح. ن.: الغناليطقي.
(3) أ: الأمدى (تصحيفاً، والصَّوابُ ما أثبتُه). أنظر كشف الظنون ١ : ١٦٨.
(4) أ: الأبدان. (والصواب ما أثبتُه، وقد أجزت لنفسي حصر اسم الكتاب بين مزدوجين «...» وفصْله عن كلمة (إن) بوضع نقطتين (:).
(5) أ: ح. ن.: لمصاحبة لقمان بل هو أوَّلُ من وُصِفَ بالحكمة.

يونان، ثم استخرجَ بذكائِهِ عِلْمَ الألحان وأوقعها تحت النِّسَبِ العددية، وادَّعى أنه استفاد ذلك من مِشكاة النبوَّةِ.

ثم سقراط أخَذ عن فيثاغُورس، واقتصر من أصنافها على المعالم الإلَهيـة، وأعرض عن ملاذ الـدُّنيا، وأظهـر الخلافَ على اليـونانيين في الـدِّين، وقابـل رؤساء ذوي الشِّرْكِ بالحِجَجِ والأدلّة فثوَّر العـامَّةَ عليـه، ولجأ ملكهم إلى قتلِهِ على ما يأتي ذكره مفصَّلاً.

ثم أفلاطن، ولم يقتصر على المعالم الدينية بل جَمَعَ إليها العلومَ الـطبيعيَّةَ والإلَهيـة والريـاضيَّة. وفي الأخيـر فوَّض التعليمَ والمـدرسة إلى البـارعِين من تلامذِه، وتخلَّى عن الناس لعبادة ربِّه تعالى. وفي زمـانه ظهـر الوبـاءُ فأمَـرَهُمْ بعضُ أنبياء بني إسرائيل بإذن الله تعالى بإضعاف مَذْبـحٍ كان لهم على شكْـل المكعَّب ويـرتفعُ الـوباءُ، فـابتنوا آخَـرَ مِثْلَهُ وأضافـوهُ إليه فـازداد؛ فعادوا إليـه فأوحى الله تعالى إليـه بأنَّهم مـا أضعفوه بـل قَرَنُـوا إليه آخـر مثله، وليس هذا بتضعيف المكعَّبِ، فاستعانوا حينئذٍ بأفلاطُن، فقـال لهم: إنكم تأخَّـرون عن الحكمة، وتنفرون عن الهنـدسة بـأفلاطُن فـابتلاكُم الله تعـالى بالـوباءِ عقـوبةً لكم، فإن للعلوم الحِكَميَّة عند الله تعالى مقداراً، ثم ألقى على أصحابـه بأنّـه متى أمكنكم استخـراج خـطَّيْن بين خـطَّين على نسبـةٍ مُتَـوَالِيَـةٍ تـوصَّلتُم إلى تضعيفِ ذلـك المذبـح، فـلا حيلةَ غيـرُهُ، فعمِلوا على استخـراجـه، وتمَّمـوا العمل بتضعيفه، فارتفع الوباءُ فامسكوا عن ثَلْبِ الهندسة وغيـرها من المعـالِم العقلية.

ثمَّ أرسطو، وكان يسمَّى في حداثته الرُّوحانيّ لفرْط ذكائـه، وكان أفـلاطُن يسمِّيه العقلَ. وفي أيّامه استتبَّ المُلْكُ لـذي القرنيْن، وانقمـع به الشِّـرْكُ في بلادِ يونان، فهؤلاء الخمسة كانوا يوصَفُون بالحِكْمة، وليس بعـد هؤلاءِ حكيمٌ يَسَمَّى بهـا كـلُّ واحـدٍ ينتسبُ إلى صنـاعـةٍ مثـل أبُقْـراط الـطبيب، وأوميـرس الشاعر، وأرشَميذَس المهندس، وديوجانِس الكلب، وديمقراطيسُ الطبيعيّ.

قال وقد تعـرَّض جالينـوس لمَّا كثُـرتْ مصنفاتُـه في الحكمة أن ينتقـلَ عن

لقَبِ الطِّبِّ إلى لَقَبِ الفلسفة والحكيم، فهزَؤوا به وقالوا له عليكَ بالمراهِم والمُسْهِلات وعلاجِ القروح والحُمِّيات، فإنَّه مَنْ شهِدَ على نفسه بأنّه شاكٌّ في العالم أقديمٌ هو أم مُحْدَثٌ، وفي المعادِ أحقٌّ هو أم باطلٌ، وفي النَّفسِ أجوهَرٌ هي أم عَرَضٌ لَمُنْخَفِضُ الدَّرجةِ عن أنْ يُسمَّى حكيماً، فهذا هو كلامُ العامِريِّ.

ثم ذكر علماءُ السِّيَرِ أنّه نشأ بعد هؤلاءِ جماعةٌ سلَّموا الأصولَ الصحيحة لمَنْ تقدَّمهم، ثم اشتغلوا بتصفُّحِ الجزئيات لتصِحَّ لهم صناعةٌ ما، فاقْتصروا من النظر على تلك الآراءِ المحسوسة، وأخذوا أكثر براهينهم عن الأوائل، فهم وإنْ كانوا فاضلين ليس لهم قوة على تحقيق أصولِ صناعتِهم أي مباديها مثل جالينوس وبطليموس وأمثالهم، فكلُّ واحدٍ اشتغلَ بالتجربةِ وحكايةِ أصحاب التجارب، واستعملَ القياس بتسليم الأصولِ والمُقدّماتِ التي بنى عليها، وجالينوس أتْعَبَ نفسَهُ حتى صنَّفَ كتاباً قيِّماً يعتقده، واعترف بالجهل والتقصير والحَيْرةِ فيما أتعَبَ الحكماءُ به أنفسَهم، حتى قال الإسكندرُ الأفروديسيّ في حقِّه: إنَّ جالينوس غرم ثمانين سنةً من عمره حتى حصل على الإقرار بأنّه لا يَعْلَمُ.

وأما في الفروع الطِّبِّيّةِ فلا كلامَ في تبريزِهِ فيها، ولم يبلُغِ الدرجةَ العاليةَ مِنَ الحكمةِ. وأمّا أفلاطون وسقراط وفيثاغورس وغيرهُم من الأوائل فإن كُتُبَهُم وكلامَهُم مملوءٌ بالرموز والألغاز.

وكانوا يفعلون ذلك لثلاثةِ وجوه:

ـ أحدُها الكراهةُ لئلّا يغوصَ على أسرار الحكمة أحدٌ ممَّن ليس لها بأهل فتصير عُدَّةً له على اكتساب ضربٍ من القزازة.

ـ والثاني أن لا يتوانى العاشقُ لها في بذل العنايةِ لاقتنائها وإن لحقَتْهُ المشقَّةُ في تحصيلها، ويستصعبُها الكسْلانُ[1] لغموضِها فيزدريها.

(1) أ: ح. ن.: الإنسان.

ـ والثالث تشحيذُ الطِّباعِ باستلذاذ الفِكْر لئلاَّ يحتاج المتعلِّمُ إلى طيب الدَّعَةِ ورَوْح النَّفس، ويقبل بجهده على تفهيم ما يُنْفِرُ عنه.

وذَكَرَ فَرْفُورْيُوس أن ثالِيسَ المَلَطِيَّ ظهر في سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة من مُلْك بُخْتِنصَر، وغلب خُسْرُو بن دارا على مدينة أشيسة[1] والرُّوم، وفي زمانه كان ما قَتَلَ بُخْتنصر أميراً مِنْ أمراء بَهْراسَب وماني، كان في عهد شابور بن أُردَشير صلَّى النبيِّ عليه السلام في فلسطين، ونجَمَ في زمانه ديمقراطيس وأنكساغورس في يونان بالفلسفة. وفي مُلْكِ بَهْمن الفاضل ظهَرَ ديمقراطيس وأبِقراط وشَهِرَ أَبِقْراطُ بالطِّبِّ. وفي مُلْكِ دارا بن أرْدَشِير عَرَفَ اليونانيون كتابتَهم التي هي على أربعٍ وعشرين حرفاً، ولم يكن لهم قبل ذلك إلاّ سَتَّةَ عشر حرفاً استُخرِجَتْ على التدريج، كل واحدٍ منهم استخرَجَ أربعةً أو أكثر. وفي ذلك الزمان وُلِدَ أفلاطون، وفي سنة[2] عشر من مُلْكِ أردَشير بن دارا كان أفلاطُنْ حدثاً متعلِّماً يتَلمَذُ لسُقراط.

ومات سُقراط بعد أن مهر أفلاطون في الفلسفة، فقام مقامَهُ، وأظهر فلسفته وتعاليمَهُ وجلس على كرسيِّهِ، وفي أوّل سنةٍ من ملكه وُلد أرسطاطاليس، فلمَّا أتَتْ عليه سبعُ عشرة[3] سنة سلَّمَهُ أبوه إلى أفلاطُن، فمكَثَ يعلِّمه نيِّفاً وعشرين سنة. وفي زمن أردَشير الثاني ملك على بلاد مقدونية من بلاد اليونانيين فيلِبّس أبو الاسكندر. وفي سنة ثلاث عشرة من مُلْكِ أردَشير هذا وُلِدَ الإسكندر، ولسنتين[4] بقِيَتا من مُلْكِ أرسخو مات أفلاطون. وفي زمانه أُحْصِرَ في مدينة رُومية من الناس، فمكثوا في الإحصار ثلاث سنين، ثم كَلُّوا وأعْياهم الحساب العدُّ، فأمسكوا.

وفي زمان دارا آخِر ملوك فارس تملَّكَ فيلبس والد الاسكندر على بلاد

---

(1) أ: ح. ن.: أثينة.

(2) أ: ح. ن.: ست.

(3) أ: سبعة عشر. (والصواب ما أثبتناه).

(4) أ: ح. ن.: وعشرين.

اليونانيين، وصالح دارا على خراجٍ يؤدِّيه، وهلك بعد هذا في السَّنةِ الخامسةِ من مُلْكِ دارا.

وذكر ابراهيم النديم في تاريخه ما يدلُّ على أنّ جالينوس كان بعد زمان عيسى عليه السلام، وهو ما ذكرناه سالفاً.

ثم قال أيضاً إن جمهور الناسِ لا يمكنهم أن يفهموا شيئاً من ذي الأقاويل البرهانية، ولذلك صاروا يحتاجون إلى رموز ينتفعون بها، يعني رموزَ الأنبياء عليهم السلام، فهُمْ ينتفعون بها منفعَةً ليستْ باليسيرة من التصديق بأشياء بغير بُرهانٍ، وإلاّ فما كان يفهَمُ البدَوِيُّ الجلفُ، والعبرانيُّ الكثيفُ الصَّرْفُ، حقائقَ الأشياءِ عند التصريحِ بها بلْ كان يجحدُ. ونجمَ فيثاغورس في زمان دارا الثاني.

قال وقدِ افتتَحَ ملوكُ فارِسَ كُور اليونانيين والرُّوم، وغَلبوا عليها وعلى مُدُنٍ كانت معادية لكتُبِهم المشتملة على الحكمةِ كالجزيرة والشام ومِصْرَ وغيرها، فأخذوا ما كان فيها من كُتُبِ الحكمة والنجوم والهندسة والموسيقى والحِيَل. وأهدى من الكتبِ ملكُ الرومِ لشابور ذي الأكناف، فلذلك تهيَّأ في الفُرْسِ من أبدع آلةَ العُودِ العجيبةِ النائلةَ جميع آلاتِ الموسيقى، والذي استخرجه لم يذكرِ اسمَهُ مخافةَ أن ينسبوه إلى اللهو واللعب والبطالة، ولم تكُنْ هذه الآلةُ في زمن بطليموس ونيقوماخِس لأنّهما لم يذكراها في كتابَيْهما.

قال: وبطليموس لمْ يكنْ في عصره ببعيدٍ عن ابتداء عصرِ أردشير بن بابَك.

قال: وأمَّا عِلْمُ النجومِ فابتداؤه كان من بابل من جهة الكلدانيين، وذلك قبل زمان ابراهيمَ عليه السلام، وسبَبُهُ إقبالُهم على صناعةِ الفلاحة والملاحَة، وهما لا يستغنيان عنها، وكان يُعينهم على ذلك صفاءُ الجوِّ في بلادهم ولطافةُ طباعهم، وذكاءُ أذهانهم، وخفَّةُ أرواحِهِمْ.

وأمّا الهندسةُ فابتداؤها من مصر بسبب احتياجهم إليها لأجْلِ النيل

والمزارعِ وكشحِ النِّيلِ عن مزارعِهِمْ في كل سنة.

وأمّا اللّحونُ[1] فأول من أبدعها قوم من اليونانيين يُقالُ لهم ثامس فيما بين قسطنطينية وسقلية لِكَثْرةِ ما نالهم من الحروب، فوضعوا أداتَيْن إحداهما للجراةِ وتحريضهم على لقاء عدوِّهم، وإزالة الجبنِ عن صدورهم بالألحان القادِحَةِ لنارِ الغضبِ المَهَوِّنَةِ للنُّوَبِ.

والأخرى لترهيب قلوبِ أعدائهم[2]، وتشويه عقولِهِمْ، وتوليَةِ فكرهم بالألحان المُجزعة المؤدِّيَةِ إلى النكولِ.

وأمّا علمُ الحساب فأوّل من فتَقَهُ أهْلُ قِرشَ أعني أهل حِمْصَ ومن يليهم، لأنّهم كانوا تُجاراً مسافرين يحتاجون إلى الحساب.

وأمّا علم الطبائع فمن الشام، وسبَبُهُ الوباءُ، كان يكثُرُ بنواحيهم، ويعُمُّ، فاضطرُّوا إلى الاستعانةِ بالقِوى الطبيعية.

وذكَرَ أبو سهْلِ بنُ نوبخت في كتاب النهمطان أنّه قد كثُرَت صنوف العلوم وأنواعُ الكتب ووجوه المآخذ التي اشتُقَّ منها ما تدلُّ عليهِ النجومُ، فما هو كائنٌ منها قبل ظهورها على ما وَصَفَ أهل بابل في كتُبِهم، وتعلَّمَ أهلُ مصر منهم وعمِلَ به أهلُ الهند في بلادهم على مثالِ ما كان الخلْقُ عليه قبْلَ مفارقتهم المعاصي وارتكابِهم المساوىء، ووقوعِهم في لُجج الجهالات، فإنّ ذلك قد بلغ بهم على ما ذُكِر في الكتُب القديمة الغاية حتى صاروا حيارى ضُلَّالاً لا يعرفون شيئاً، فلم يزالوا على ذلك حيناً من الدَّهْر حتى نشأَ مِنْ ذراريهِمْ وأعقابهم مَنْ أيّد بالتذكُّر لتلك الأمور والفطنةِ لها، والمعرفةِ بها، والعِلْمِ الماضي من أحوال الدنيا ومن شأنها، وسياسةِ أوّلها، والمستأْنَفِ من تدبيرِ أوْسطها وعاقبةِ آخرها، وحالِ سكّانها، ومواضعِ أفلاك سمائِها، ودرجِها ومنازِلها، وجميع أنحائها، وذلك على عهْدِ جَم الملك. وعرفتِ[3]

(1) ح.م.: اللحون أو ألحان جمع لحن أو نغم.
(2) أ: ح. ن.: للموت.
(3) أ: ح. ن.: الدنيا.

العلماءُ ذلك، ووضعوه في الكُتُبِ، وأوضَحْتْ ما وَضَعَتْ منه، ووضعت مع وضعها ذلك الدُّنيا وجلالتها ومبدأ أشيائها وتأسيسها وحال العقاقيرِ والأدوية.
وكانوا على ذلك بُرْهَةً من الدَّهْرِ حتى مَلَكَ الضحاك بن ميٍّ في[1] حِصَّةِ المشتري وتوبتِهِ[2]. وسلطانه، فبنى مدينةً اشْتُقَّ اسمُها من اسْمِ المُشتري، فجَمَعَ فيها العلمَ والعلماءَ، وبناها اثني عشر قصراً على عدَّة بروجِ السماءِ، وسمَّاها بأسمائها، وخزن فيها كُتُبَ أهلِ العلمِ، وأسكنها العلماءَ، فانقاد لهم العالَمُ، ودبَّروا أمورَهم.

ومنهم هِرْمِس البابليّ وتنكلُوشا وطيفورس وغيرُهُمْ من الأفاضلِ، ومازالوا على أحوالهم مقيمين إلى أنْ بعَثَ الله تعالى نبيّاً في زمانهم، فانكروا نبوَّتَهُ، فاختلطت أحوالُهُم وتشتَّتَتْ أمورُهم.

وقام كلُّ عالِمٍ منهُم إلى بلدٍ يسكنُهُ ويترأَّسُ عليه، فسقط هُرْمُس إلى مِصْرَ وكان من أعْلَمِهم وأعقَلهم، فمَلكها وعَمرها، وأظهَرَ علمه فيها، وبقي جلُّ ذلك ببابل إلى خروج الاسكندر، فهدَمَ تلك العمائر، وأخَذ من العلم المنقوش فيها، واستنسخ ما احتاج إليه من النجوم والطِّبِّ والطبائع، وبعث بها إلى أرض مصرَ، وبقيَتْ أشياءُ بناحية الهندِ والصِّينِ.

وكانت الفُرْسِ نسختها على عهدِ نبيِّهم زرادشت وحاماسب حَذَراً منهم مِنْ فعلةِ الإسكندر، وغَلَبَتِهِ على بلادهم وإهلاك ما قَدَر عليه من كتبهم وعلومهم، فدرس العلم حينئذٍ بالعراق، وقلَّ، وصار الناس أصحابَ عصبيَّةٍ وفِرْقةٍ، وصار لكُلِّ طائفةٍ منهم ملكٌ، فسُمُّوا ملوك الطوائف.

ولم يزلْ أهلُ بابل مقهورين مغلوبين إلى أن ملك أردَشير بن بابَك من نسْلِ ساسان، فجمَعَ أمْرَهم، وأعلى كلمتَهُمْ، فبَعَث إلى الصين والهندِ

---

(1) أ: ح. ن.: في.
(2) أ: ح. ن.: ونوبته.

والرومِ ، فجمع العلوم والكتب مما قدِرَ عليه، وفعل ابنُهُ شابُورُ مثل ذلـك[1]، وكتبَ الكتب بـالفارسيَّـةِ على ما كـان هِرْمِس البـابلي ودُورينـوسُ السـرْيـاني وقندوزس اليوناني من اشينية[2] وبطليموس الإسكنـدراني وقرمـاسب الهندي، فشرحوها وعلَّموها الناس على مثلِ ما كان أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلُها من بابل ثم جمعَهَا وألَّفها. وكذلك فعل كسرى أنُوشَرْوَان بعـدهما كـذلك لمحبَّـةِ العلم والعمل، ولأهْـلِ كل زمـانٍ ودَهْرٍ تجـارُبُ حادثـةٌ وعلمٌ مُجَدَّدٌ لهم على قَدْرِ الكواكِب والبُروجِ الـذي هو وليٌّ تـدبير الـزمان بـأمْرِ الله تعالى.

قال أبو مَعْشر[3] في اختلافِ الزيجات: إن ملوكَ الفـرس بلغوا في عنـايتهم بصيـانةِ العلوم وحـرصهم على بقائها على وجه الـدهـر وإشفـاقهم عليهـا من أحداث الجوِّ وآفات الأرض أن اختاروا لها من الورَقِ أصْبرَها على الأحـداث وأبقاها على الدهر وأبعدها عن التعفُّنِ لحاء شجرِ الخـذْنك، ويسمَّى التـوز، وبهم اقتـدى أهـلُ الصين والهنـدِ والأُممِ ، واختـاروهـا لِقِسِيِّهم لصـلابَتِهـا وملاسَتِها وبقائها على القِسِيِّ.

ثم طلبوا لها بعد ذلك من بقاع الأرض وبُلدان الأقاليم أصحَّها تُربـةً وأقلَّها عُفُونةً وأبْعـدها من الـزلازل والخسوفِ وأبقـاها على الـدهرِ بنـاءً، فلم يجدوا أجمعَ لهذه الأوصـاف من أصفهان؛ ثم فتَّشـوا عن بقاع هـذا البلد فلم يجدوا أفضل من رستاق جيٍّ، فجاؤوا إلى مُهَنَّدٍ وهو في داخل المدينة المسماة بجيٍّ فأودعوه علومَهم، وقد بقيَ إلى زمانِنا هذا، وهو يُسمَّى سارويه[4][5].

ومن هـذا البنية ذرى النـاس من بناهـا لأنّ قبْـلَ زمـانِنـا هـذا بسنين كثيـرة

---

(1) أ: ح. ن.: بعده.

(2) أ: ح. ن.: أثينة.

(3) أبو معشر: جعفر بن محمد بن عمر البلخي: ت: 272 هـ / 886 م، عـالم فلكي مشهور، أصله من بلخ وأقام ببغداد وتوفي بـواسط. من تصـانيفـه: المـدخـل الكبير، هيئة الفلك، الأمطار والرياح، مواليد الرجال والنساء وغيرها.

(4) أ: ح. ن.: سارُوم.

(5) ح. م.: وردت هذه القصة أيضاً في كتاب الفهرست، ص 301.

انهدمت من هذه نـاحيةٌ، وظهـروا فيها على أَزَجٍ معقـودٍ من طين الشقيف فيه كُتُبٌ كثيرةٌ من كُتُبِ الأوائلِ، مكتوبةٌ في لَحاء، التّوز، مودوعةٌ أصناف علومِ الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة.

فوقَعَ بعضُها إلى مَنْ عنى به فقراءه، فوجد فيه كتـاباً لبعض ملوك الفُـرْسِ المتقدِّمين أنَّ طمهورث المَلِكَ الفاضلَ المُحِبَّ للعلومِ وأهلِها قد انتهى إليـه خبرُ الحدثِ الغربيّ الذي كان من جهة الجوِّ في تتابُعِ الأمطار هناك وإفراطها في الـدوامِ والغزارة وخـروجها عن الحـدِّ، وأنه كـان من أوَّلِ يـومٍ من سني مُلكِه إلى أوَّلِ يومٍ من بَدْوِ هذا الحدث الغربيّ مـائتان وواحـد وثلاثـون سنةً وثلاثمائة يوم.

وأنّ المنجِّمين كـانوا يخـوِّفونـه من أوّلِ ابتداءِ مُلكـه بعدي هـذا الحـدث المغربي من ناحية المغرب إلى ما يليه من جانب المشرِق، فـأمَرَ المهنـدسين بإيقاع الاختيار على أصحِّ البقاع، فاختـاروا لها مـوضعَ البنيـة ساروِيَـه، وهي قائمة إلى الساعة، فأمَر ببنائها، ونَقَلَ إليها علوماً كثيرةً مختلفةَ الأجناس، وأنّه كان فيها كتابٌ منسوبٌ إلى بعض الحكماء المتقدِّمين فيه سنون وأدوارٌ معلومة لاستخراج أوساطِ الكواكبِ وعِللِ حركاتها، وكانوا يسمُّونها أدوارَ الهزازات.

وجميع القدماء[1] من الهند والكلدانيين، وهُمْ سكان بابل كانوا يستخرجون الأوساط من هذه السنين والأدوار، واستخـرَجَ المُنجِّمون منـه في ذلك الـزمان زيجاً سمَّوه زيج الشهرزار ومعناه: ملكُ الزِّيجات، فهذا لفظ أبي معشر.

ويُقـالُ إن الصاحِبَ ابن العميـد وَجَدَ في سـور هذه المـدينة صنـاديق فيها كتب، فأنفذها إلى بغداد، فاستخرجها بعضهم. وسارُويـه من الأبنية العجيبـة القـديمـة المُعجـزة البنـاء، وهي في المشـرِق تشبِـهُ الأهـرام التي بمصـر في الجلالة وإعجاز البناء.

ويُقـالُ إنّ المنطقَ والحكمـةَ التي ألَّفها وهـذَّبها أرسـطاطاليس أصـل ذلـك

(1) أ: ح. ن.: الحكماء.

مأخوذ من خزائن الفُرْس حين ظفر الاسكندر بدارا وبلادِهم، وأنّه ما قدرَ أرسطو على ذلك إلاّ بمدد كُتُبهم ومعاونَتِها، ولا شكَّ ولا خفاءَ عند من أدرَكَ طرفاً من الأمور الشريفة والحكمةِ الصحيحة[1] مقدار حِكْمَةِ فارس وشرفها.

وكان فيهم ملوكٌ أفاضل مثل كَيُومَرت وطَمْهُورث وأفريدُون وأردَشير بن بابك وكيخُسرو وغيرِهم من الملوك العارفين بحقيقة الحكمة، ومثل حاماسَّب وفرشاوش وبُزُرجُمهرُ وغيرِهُم من الأجلَّة والحكماء الأعِزَّة. لكن من دأب الأمور الإلَهية والأحوال السماوية أن تنتقل الحكمة والمُلك من جيل إلى جيل، ومن قومٍ إلى قومٍ، فسُبحانَ الأزليّ الأبديّ الدائم الغيرُ المتغيِّرُ على مرِّ الدهور والأعصارِ.

ويقال: كانت الحكمة في قديم الزمان ممنوعاً عنها إلاّ مَنْ كان من أهلِها ومَنْ يتقبَّلها طبعاً، وكانتِ الحكماءُ تنظرُ في مواليد مَنْ يريدُ الحكمةَ والفلسفة، فإن علِمَتْ أنّ في صاحب المولِد في مولِدِهِ حصول ذلك استخدموه وإلاّ فلا.

وكانت الفلسفةُ ظاهرةً قبْلَ المسيح عليه السلام في اليونانيين، فلمَّا تَنَصَّرَتِ الرومُ مُنِعُوا عنها وأحرقوها[2] وحرَّموا الكلامَ فيها إذْ كانت في الظاهر بضدِّ الشرائع النبوية ثم إن الرومَ رجعت إلى مذاهب الفلاسفة.

وكان السَّببُ في ذلك ملك أيوليانسّ، وكان ينزِل بانطاكية، ووزَّر له باسَطْيُوس[3] شارِح كُتُبِ أَرَسْطُو.

ثم لمَّا قصدَهُ شابورُ ذو الأكتاف وظَفِرَ به سار إلى أرض العجَمِ حتى بلَغَ جُنْدَ شابور فحاصرها وصَعُبَ عليه فتحها.

---

(1) أ: ح. ن.: في.

(2) أ: ح. ن.: وأخرجوه.

(3) أ: ح. ن.: بامسطوس.

ب: ثاسطيوس.

ثم إنَّ شابورَ تخلَّصَ من سِجْن الروم، وطوى البلاد حتى دخل جُنْدَ شابُور وخَرَجَ بمَنْ فيها إلى الروم، فهزمهم[1] وقتلوا أيوليانس، ووَلّى عوَضَهُ قسطنطين الأكبر؛ فعاد المنْعُ من الاشتغال بالفلسفة، وبالجملة بحسَبِ رغباتِ الملوكِ والأمراءِ والأكابر تظهرُ الحِكْمَةُ والفلسفةُ، وبحسب نفرتِهم عنها وعداوتهم لها تختفي. وهكذا دأْبُ الدنيا أبداً وأزلاً.

فهذا خَبَرُ الحِكْمَةِ والحُكماءِ على الإجمالِ، وستأتي الأحوالُ مفصَّلةً إن شاء الله تعالى.

وأمّا سبَبُ ظهورِ الفلسفة في المِلَّةِ الإسلامية فبسَبَبِ مصاحبةِ بعض الأكابر قوماً من الفلاسفة العارفين باللُّغتين أعني: اليونانية والعربية، ونقْلِهم شيئاً من الكلماتِ الحِكَمِيَّةِ والكُتُبِ من اليونانية إلى العربية، فأوَّلُ نقْلٍ كان في الإسلام كان في زمن بني أُميَّة، وذلك أنّ خالد بن يزيد لِهَوَسٍ كان له في الصنعةِ أمَرَ بنقل الكُتُبِ التي في الصنعة. وهو أولُ نقلٍ كان في الإسلام.

ونقلَ الديوان من الفارسية إلى العربية في زمن الحجَّاج. فأمّا الديوان بالشام فكان بالرومِيَّةَ، فنقلَهُ منصور بن سرحون في زمن هشام بن عبدِ الملك، ونُقلَ في زمن بني العباس على التدريج في كلِّ وقتٍ بعضُ الأشياءِ، وكان المأمونُ أصلاً عظيماً في ذلك.

ويُقال إنه رأى في المنام شيخاً يميلُ وجْهُهُ إلى الشُّقْرَةِ عليه ثيابٌ منسوجةٌ بالذهب جالسٌ على سُدَّةٍ، قال: فهبتُهُ إلاّ أنّي مع ذلك دَنَوْتُ منه فقُلْتُ له: من أنت؟ فقال: أنا أرسطاليس الحكيم. قال، فقلتُ له: إني أسأَلُكَ عن أشياءَ. فقال: سل. فقُلت له: ما الحُسْنُ؟ فقال: ما حسُنَ عند العقلِ. قال، فقلتُ له: ثم ماذا؟ فقال: ما حسُن عند الشَّرْع. قال، ثم قلت له: ثم ماذا؟ قال: ما حَسُنَ في العُرْفِ. ثم قلت له: ثم ماذا؟. قال: ثُم لا ثُم. ثمَّ

(1) أ: ح. ن.: فقهروهم.

قال: ما كان في الذَّهَب[1]. فليكُن عنـدك كالـذَّهَبِ، فلما استيقظ اعتقـدَ في جميـع أنـواع علومِ الحكمـةِ، فجمّـعَ النَّقلَةَ، وفتـح دارَ الحكمـةِ، وأطلق الجراياتِ والوظائف على أن ينقلوا العلوم الحِكمِيَّة إلى العربية. وأنفَذَ رسـولاً إلى ملِكِ الروم يطلُبُ كُتُبَ الحكمةِ، فسَيَّرَ له جُمْلَةً من الكتبِ، وكذلك فَعَلَ بنو موسى، وكثُرَ بعد ذلك الطَّلَبُ حتى كـان بعضُهُمْ يذهَبُ إلى الـروم ويبذُلُ الأموالَ ويطلُبُ الكتبَ وينقلُها إلى العربية.

## 1 ـ أوَّلُ الحكمـاءِ آدم أبـو البشـر صلوات الله تعـالى عليـه وسلامه

فكان في أوَّلِ الدورِ الأول بعد خرابِ الرُّبع المسكونِ بالطوفانِ، وهو أوَّلُ مَنِ استخـرجَ الصنائِـعَ وآلاتِها وعلَّمهـا أولادَهُ، واستخرج أيضـاً العلومَ ودوَّنها لِأولادِهِ، ورأيتُ بعضَ كتبِـهِ في التعفينـات وبعض الصنـائـع[2] والعلومِ وعلم الاسماءِ في قولـه تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَـاءَ كُلَّهَا﴾. وعـاش دهراً طـويلاً، وكان رجلاً فاضلاً عظيمَ القدْرِ جليلَ الشَّانِ أوَّلِ أنبياءِ اللهِ تعالى ورُسلِهِ عليهم الصلاةُ والسلامُ.

## 2 ـ ولده شيث (عليهما السلام)

ثم ولدُهُ شيث عليهما السـلامُ، وهو أوزيـا الأوَّلُ، وهو أيضـاً اغاثـا ذيمونَ أستاذ هرّمسِ الهرامِسة المسمَّى عنـد[3] (الرَّبِّ تعـالى) بأدريسَ عليـه السلامُ، وهو أوَّلُ مَنْ أُخِذَ عنه الشريعةُ والحكمةُ، والصَّابيةُ تُنتسبُ إليه وتعترف بنُبوَّتِه، ولهم كتبُ أحكـامٍ، بعضها منسـوبـةٌ إلى شِيْثَ عليـه السـلامُ، وبعضهـا إلى

---

(1) أ: ح. ن.: قال.

(2) أ: ح. ن.: المذكورة.

(3) أ: ح. ن.: العرب.

يحيى بن زكريًّا عليه السلامُ، ولا يقولون بقيمة الأجسادِ بل الأرواحِ.

ولهم كتابةٌ وحروفٌ بالنَّبَطِيَّةِ قديمةٌ على هجاء أبْجدْ، وليس لهم أ ب ت ث. ولهم كتابٌ يسمونهُ الزَّبور[1]، الأولَ وهو مائةٌ وعشرون سورةً، كبارٌ وصغارٌ، وقِبْلتُهم بيتُ المقدسِ، واللهُ أعلمُ بمسكنِهِ منَ الأرضِ. ولعلَّ الأظهرَ أنّه كان بالشامِ أو بصعيدِ مصرَ.

ومن كلامه قال: إنّه[2] يجب أن يكونَ في المؤمنِ الحقيقي ستَّ عشرةَ خصلةً:

1 ـ المعرفةُ باللهِ تعالى وملائكتِهِ من السَّمائيينَ والرَّوحانيينَ وحملةِ العرشِ وأهْلِ طاعتهِ.

2 ـ معرفةُ الخيرِ والشرِّ، أما الخيرُ فليُرغَبْ فيه، وأمّا الشرُّ فَلْيُحذرْ مِنْ فعلِهِ.

3 ـ السَّمعُ والطاعةُ للملِكِ الرحيم الذي استخلفَهُ اللهُ تعالى في الأرض وملَّكهُ أمْرَ البلاد والعباد.

4 ـ بِرُّ الوالديْنِ.

5 ـ اصطناعُ المعروفِ بقدْرِ الطاقةِ[3].

6 ـ المُواساةُ للفقراء.

7 ـ التعصُّب للغرباء.

8 ـ الشجاعةُ في طاعةِ اللهِ تعالى.

9 ـ العصمةُ عن الفجورِ.

---

(1) ب: النور الأول.

(2) أ: ح. ن.: انه.

(3) ب: بقدر الطاعة.

10 ـ الصبرُ بالإنابةِ واليقين.

11 ـ صدقُ اللَّهْجَةِ.

12 ـ العدلُ[1].

13 ـ القنوع في الدنيا.

14 ـ الضحايا والقرابينُ شكراً لله تعالى على ما أوْلَى من النِعَمِ لخلْقِهِ.

15 ـ الحلمُ وحمدُ اللهِ تعالى على مصائبِ الدنيا من غير تململٍ.

16 ـ الحياءُ وقِلَّةُ المماراة.

وقـال ﷺ: سبيلُ الملِكِ كمـا يُحِبُ أن تكونَ رعِيّـةً تحت طاعتـه، كذلـك يلزمُهُ أن يكون هو المتفقِّدَ أحوالَهُمْ قبل حـالِ نفسِهِ في جميـعِ أُمُورِهِمْ، لأن صورتَهُ معهم صورةُ النفسِ في البدنِ.

وقال: إنْ ظنَّ الملِكُ أنَّهُ يجمعُ مالاً من ظلمٍ فقـد ظنَّ عجزاً، ولا يجْمَـعُ الملِكُ المالَ إلاّ مِنْ عِمارةِ الأرض.

وقـال: إنْ غفلَ الملِكُ عن النَّـظرِ في أُمورِ رعيَّتِـهِ وجيوشِـهِ وأعدائِـهِ يـومـاً واحداً اشتغل فكره ووسوسَ خاطرهُ واشتهر عنه شهراً، وإنْ غفل يـومينِ حُمِلَ ذلك عنهُ شهرين، هذا إن سلمَ عن أمرٍ يبعثُهُ فيذهب بمُلكِهِ.

وقال: مَاأَحْسَنَ حالَ الرعيَّةِ وأولياءِ الملِكِ إذا كـان ملكهم لطيفُ العقـل، صحيحُ الرأي، عالماً بالحكمةِ، وما أسوأ حالَهُم إذا عدِمَ من هذه شيئاً.

وقال: إذا استهانَ الملكُ بصغيرِ الأشياءِ صار كبيراً، كـالعلَّةِ في البدنِ متى لم يُتدارِكْ علاجها ولَّدتْ سقماً للبدَنِ.

وقال: إذا اغْتَرَّ بـالملْقِ والمنطقِ اللَّطيفِ من عـدوِّهِ ولم يتفقد آثـارَهُ ويتَتَبَّعْ

(1) أ: ح. ن.: بالإيمان.

(2) بين القوسين قد حذف من النسخة ب.

أعمالهُ فلا يأْمَنُ وثوبَهُ عليه؛ فإنّ وثبـةَ الأسدِ على غفلةٍ سببُ هـلاكِ الموثـوقِ به.

وقال: سبيلُ الملِكِ أنْ لا يغفَلَ عن تعليمِ ولدهِ سائرَ العلومِ التي لها قوامُ مملكتِهِ، والعدلُ في رعيَّتِـهِ، وسياسـةُ جيوشِـهِ، ولا يحسن له مـداومةُ الصَّيْـدِ واللَّعِبِ، ويلزمهُ الجدُّ، وتجنبُ الهزل.

وقال: يجب على الملِكِ أن يُظهر نعمتهُ على أهل الفضلِ والعلمِ وطـالبهِ ليحثُّوا أنفسهم في الزيادة.

وقـال سبيلُ الملكِ إذا أرادَ أنْ يستخـدمَ متصرِّفـاً في شيءٍ من أعمـالـه أن يسـألَ عن أخلاقـه وصبره، وتـدبيره لنفسـه ومنزلـه، فـإذا كـان حَسَنَ الخلقِ، شـديدَ السيـاسةِ لسـائرِ أحـواله، وفيـه الدّينُ والصبـرُ على الأشيـاء العـارضـةِ فيستخدمهُ، وإن كان ضِدَّ ذلك فلا.

وقـال: يصبـرُ في الأمـــور فـإنّ الاستعجـــالَ في الغضبِ. وقـال: القلوبُ الفارغةُ موكلَةٌ بالشهوات.

وقال: صديقٌ في اللهِ تعالى يودُّكَ خالصاً خيرٌ من أخٍ شقيقٍ يتمنّى ميراثـك عاجلاً.

وقال: كلُّ شيءٍ يأْلَفُ جنسهُ، والإنسانُ يألفُ شكله.

وقال: مَنْ لم يعرفْ مقدار جميل يُفعل به فاستبدلَهُ بالقبيحِ كفِعْلِ العبيدِ.

وقال: غُرْبَةُ المجهولِ ذُلٌّ.

وقال: أغنى الغنى صحَّةُ الجسم وأجَلُّ السرورِ سعةُ الصدرِ.

وقال: طاعةُ المحبَّةِ والوُدِّ أرجى من طاعةِ السَّلْطنةِ والهَيْبَةِ.

وقال: نِعْمَ المُؤَدِبُ التجاربُ. ونِعْمَ الوفاءُ النَّظر في العواقب.

وقال: أفضلُ أمر الدنيا وأشرفُهُ الثناءُ، وفي الآخرةِ، النجاةُ في المعادِ.

وقال: العمرُ لا يحاوِرُهُ الجهالُ في الانفراد ولا مواصلةُ الأشرار.

وقال: الجهولُ عند السلطان الجائر خيرٌ من العزيز العظيم الجاه عندهُ.

وقال: العُضْمُ خيرٌ مِنَ الوَلَدِ البَلِيدِ.

وقال: القُرْبُ مِنَ العاقِلِ القليلِ البختِ خَيْرٌ مِنَ الجاهِلِ الكثيرِ المالِ.

وقال: الحِكْمَةُ تُورِثُ صَاحِبَهَا فِراشَ التَّواضُع. وبها ينالُ معرفَةَ الأمورِ، وبما يُحسِنُ الثقةَ وتنزلُ الرحمةُ بعدل السلطان، ويُبتغى الرضى، وينفق بالمساءلة، وتجتمع الآراء ويزدادُ الزرع، ويَكثر البِرُّ، ويظهر الأخيارُ وتقلُّ الذُّنوبُ.

[وقال: أطل من أحس الحكمةَ بغيرِ إمعانٍ، وجهلَ من ظنَّ أنَّ البهاءَ سبيلاً مع النَّعيمِ والله أعلم][1].

## 3 ـ خبر هرمس الهَرَامِسَةِ

وزعم أبو معشر أنّ الهرامِسَة كثيرةٌ، إلاّ أنّ أفضلهم وأعلمهم وأعظمهم ثلاثةٌ: أوَّلهم الذي كان قبل الطوفان، وتذكر الفرسُ أنّ جده كيُومرث وهو أحنوخ عند العبرانيين وإدْريس عند العرب.

قال: وهو أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ في الأشياءِ العلويَّةِ، ومِنَ الحركاتِ النجوميَّةِ، وأنَّ جده جيومَرث[2] عَمِلَ ساعات الليلِ والنهارِ.

وهو أوَّلُ من بنى الهياكل ومجَّد الله تعالى فيها.

وأوّل مَنْ تكلَّم في الطب وألَّف لأهلِ زَمَانه قصائدَ موزونةً وأشعاراً معلومةً في الأشياء العُلويَّةِ والأرضيَّةِ[3].

---

(1) [—] الفقرة غير موجودة بالنسخة ب.

(2) أ: ح. ن.: خير مرد.

(3) ح. م.: الكلام الوارد هنا عن هرمس الأول والثاني والثالث ينسبه المؤلف إلى أبي معشر من كتاب الألوف، ويرد نفس هذا الكلام حرفياً عند ابن جلجل وينسبه أيضاً إلى أبي معشر.

وهـو أوَّلُ من انذرَ بـالـطوفـانِ، وأنّ آفـةً سمـاويـةً تلحقُ الأرضَ من المـاءِ والنارِ.

وكان مسكنُهُ صعيد مِصْرَ فبنى الأهـرام ودوائنَ البرابي، وخـاف هذا العلم بالطوفانِ فبنى البرابي[1]، وهو الجبلُ المعروفُ بالبوتاجية[2]، وصوَّرَ فيها جميع الصناعاتِ وصنَـائعها نقشـاً، وصوَّر جميـع آلاتِ الصُّناعِ ، وأشـار إلى صغارِ العلومِ برسومٍ لمنْ بعدَهُ خشيةَ أن تذهبَ وَثُبت في الأثر المـرويّ أنّه أوَّلُ من درس الكتب ونظر في العلومِ ، وأُنزِلَ عليـه ثلاثـون صحيفةً، وأوَّلَ مَنْ خـاط الثياب.

وحكى عنه أبو معشرٍ حكاياتٍ شنِعَةً.

## 4 ـ وهرمس الثاني

بابليٌّ سكن مدينة الكلدانيينَ، وكان بعد الطوفـانِ في مَدَينَـة[3] بابـل، وهو أوَّل من بنى مدينةَ بـابل بعـد نُمْرُودَ الجبَّـار، وكان بـارعاً في الـطب والفلسفة عـارفاً بـطبائـع الأعدادِ. وكـان تلميذهُ فيثـاغُـورس وجَـدَّدَ مِنَ العلومِ مـا دثـر بالطوفان، ومدينةُ الكلدانيين مدينةُ الفلسفةِ من أهـلِ المشرقِ، وهُمْ فـلاسفةُ الفرُس حُذَّاقٌ.

## 5 ـ وهرمسُ الثالثِ

كان بعد[4] الطوفان، وهو صاحبُ كتابِ الحيوانِ ذواتِ السُّموم.

وكان فيلسوفاً طبيباً جوَّالاً في البلادِ عالماً بِنَصْبِها وطبائع أهلها.

ولـه كلامٌ في الكيميـاء، وتلميـذهُ أسقُلومُـوس، ولـه أخبـارٌ شنعـةٌ وقصصٌ بشعَةٌ.

(1) ح. م.: قصـة الأبنية بمصـر يقال لهـا البـرابي من الحجـارة العـظيمـة ـ (وقـد يقصـد بهـا الاهرامات) وردت أيضاً بالفهرست ص 418.

(2) أ: ح. ن.: باليونانية.

(3) أ: ح. ن.: تدبير.

(4) أ: ح. ن.: وقت.

وُلِدَ هرْمِسُ الهرامِسَةِ بمِصرَ في مدينـةِ مَنْف وهي على اثني عشر ميـلاً من الفُسـطاطِ، وكانت دار الحكمـة حتى بُنيتْ الإسكندريَّـةُ، فَنُقِلَتْ منهـا. وهـو باليونانيَّةِ إرْمِسْ، وإنّما عُرِّبَ، فقيل: هُرْمِسْ. ومعنى أرْمِسٍ: عُطارِدُ.

يسمىً أيضـاً عليـه السـلام عنـد اليونـانيين: طَـرْسَمِينَ، وعنـد العـربِ: إدْريس، وعند العِبرانيين: أُخُنوخُ.

وهو ابن تارَحْ بنْ مَاهَلْلِيل بنْ قينان بن أنوش بْنِ شِيث بْن آدَمْ عليه السلام.

كان قبل الطوفان الكبيرُ الذي غَرَّقَ الدنيا، وهو الطوفان الأوَّلُ.

وكان بعده طوفان آخرُ غرَّقَ أهْـلَ مِصرَ فقط؛ وكـان في بدايـة أمْره تلميـذاً لغَاذيمَون[1].

## 6 ـ غاديمون

وكان غَاديمُون النَّبيُّ عليه السـلامُ أحدَ أنبيـاءِ اليونـانيين والمصريّين، وهـو أوُريَا الثَّاني وإدّريسُ أوُرْيَا الثالث، وتفسير اسم غاديمُونَ: السَّعيدُ الجدِّ.

وخرج هِرْمِسْ مِنْ مِصْرَ ودَار الأرض كلّها، وعاد إلى مصر فرفعه[2] تعـالى، ورفعناه مكاناً علياً، وذلك بعد اثنين وثمانين سنةً ودعا الخلائقَ من سآئر أهلِ الأرض إلى الباري سبحانهُ وتعالى باثنينِ وسبعين لِساناً أتاهُ الله تعـالى الحكمةَ بمناطقهِمُ وعلَّمَهُمْ وأدَّبهُم وبنى لهم مائة مدينةٍ وثماني مـدنٍ عظيمـةٍ أصغرَهـا الرُّهَا، وعلَّمَهم العلومَ.

وكان أوَّلَ من استخرج علمَ النجوم. وأقام لأهلِ كلِّ إقليمٍ سُنـةً تليقُ بهم وتُقاربُ آراءهُم، وخدمه الملوك وأطاعه أهل الأرض كلها، وأهل الجزائر التي في البحار، وخدمـه الملوك الأربعة، كُـلُّ واحدٍ منهم وُلِّيَ بـأمْرِهِ عليـه السلام الأرض كلها.

(1) أ: ح. ن.: المصري.

(2) أ: ح. ن.: الله إليه قال الله.

فأوَّلُهُمْ إيلاوسُ وتفسيرهُ: الرحيمُ.

والثاني: ابنُه لاَوَسْ.

والثالث اسْقَلْبيُوسْ.

والرابع آمون، وهو ابو سَيْلُوخَسْ.

ودعا إلى دين الله عزَّ وجلَّ والقولِ بالتوحيدِ، وعبادَةِ الخالِقِ، وتخليصِ النفوس، من العذابِ، والحظِ[1] على الزهْدِ في الدنيا، والعملِ بالعدلِ، وطلبِ الخلاص في الآخرةِ.

وأمرهُمْ بصلواتِ ذكرها لهم عن صفاتٍ بيَّنها لهم، وصيامٍ في أيَّامٍ معلومةٍ من كل شهرٍ، والجهاد لأعداء الدين والزكاة في الأموال، ومعونة الضعفاءِ، وغَلَظَ عليهم في الطهارةِ من الجنابةِ والحيضِ ومنَ الموتَى وأَمَرَهُمْ بتحريمِ أكلِ الخنزيرِ والجمل والحمار والكلب والبصل والباقلاَّءِ وكل ما يضر بالدماغ وغيرها من المآكل. وحرَّمَ السكر من كل شيءٍ من المشروبات وشدَّد فيه أعظم تشديدٍ، وجعل لهم أعياداً كثيرةً في أوقاتٍ معروفةٍ وصلواتٍ فيها وقُربانات.

ومنها لدخولِ الشمس رؤوسَ البروج.

ومنها لرؤيةِ الهلال وأوقات القرانات، وكلَّما صارتِ الكواكب إلى بيوتها وأشرافها وناظرتْ كواكب أُخَر قرَّبُوا قُرباناً، والقرابينُ فيما جاء به ثلاثة أشياءَ: البخور والذَّبائح والخمرُ، ويقرْبُون من باكورةِ الأشياءِ من الرياحينِ الوردَ، ومن الحبوب الحنطةَ والشَّعيرَ ومن الفاكهة العِنَبَ ومنَ الأشربةِ الخمر. ووعدهم أنّه سيأتي بعده عدَّة أنبياءَ.

وعرَّفهم أنّ من صفاتِ النبيِّ المبعوثِ أنّ يكونَ بريئاً من المذمومات والآفاتِ كلها، كاملاً في الفضائل الممدوحاتِ كلها لا يقصر عن مسألةٍ يُسألُ

(1) «كذا» في «أ» والصواب: الحض.

عنهـا مِمَّا في السَّمٰـواتِ والأرضِ ، وأن يدُلَّ على مـا فيه الشفـاءُ من كُلِّ ألمٍ وأنْ يكونَ مستجاب الدعوةِ في كُلِّ ما طلبـهُ مِنْ إنزالِ الغيـثِ، ورفـعِ الآفاتِ وغير ذلك من المطالبِ، وأن يكون مـذهبُهُ ودعـوتَهُ المـذهب الذي بـهِ يصلح العالم ويُكثِرُ عمارتَهُ.

ورتَّبَ الناس ثلاث طبقاتٍ: كَهَنَةً ومُلوكاً ورعيَّةً، ومرتبةُ الكاهنِ فوق مـرتبةِ الملِكِ، لأنَّ الكاهنَ يسأَلُ اللهَ في نفسه وفي مَلِكِهِ وفي رعيَّتِـهِ، وليس للملِكِ أن يسـألَ اللهَ تعالى في شيءٍ إلاّ في نفسـه فقط وكان عليـه السَّلامُ رجـلاً آدَمَ اللونِ، تامَّ القامةِ، أجْلَحَ، حسنَ الوجه، كثَّ اللحيَةِ، مليـحَ التخاطيط، تـامَّ البـاع، عريضَ المنكبَيْنِ، ضخم العـظام، قليل اللحم، بـراق العينِ أكحلَ، مُتـأنيـاً في كـلامـه، كثيـرَ الصَّمْتِ ساكنَ الأعضـاءِ، إذا مشى أكثـر نـظره إلى الأرضِ، كثير الجدِّ، فيه فكرةٌ وعبسَةٌ، إذا تكلم يحرك سُبَّابته.

وكان على فَصِّ خاتمـه الذي يلبسُـهُ كلَّ يـومٍ: الصبرُ مـع الإيمانِ يـورثُ الـظَّفر، وعلى فصِّ الخـاتمِ الذي يلبسُـهُ في الأعيادِ: تمـامَ الفرحِ بـالأعيـادِ الأعمالُ الصَّالحةُ، وعلى فصِّ خاتمهِ الذي يلبَسُهُ إذا صلَّى على ميِّتٍ: الأجَلُ حِصَارُ الأملِ، والموتُ رقيبٌ غيرُ غافلٍ، وعلى المنـطقة التي يلبسُهَـا دائماً: النظر في العاقبـةِ يُورِثُ سـلامةَ النفسِ والبـدنِ منَ الأغراض المؤذيـةِ، وعلى المنطقة التي يلبسُهَا في الأعيادِ: حفظُ الفُروضِ والزَّبـور تمام الـدِّين، وتمامُ الدِّين كمال المروءة[1]، وعلى المنطقة التي يلبسها وقتَ الصلاةِ على الميِّتِ: مَنْ نظر نفسَهُ فَازَ وشفاعَتَهُ عند رَبِّـهِ الأعمالُ الصـالحةُ، وانتهت شـريعتُهُ وهي الملَّةُ الحنيفيَّـةُ، وتُعْـرَفُ أيضـاً بـدينِ القيمـةِ إلى مشـارق الأرضِ ومغـاربهـا وشمالها وجَنوبِها، وطبقـاتِ الأرضِ بأسـرِها حتى لم يبقَ على وجـهِ الأرضِ آدمِيٌّ إلاّ تديَّن بها، وكانت قِبْلَتُهُ الجنوبَ على خطِ نصفِ النهارِ.

---

(1) أ: ح. ن.: والشريعة.

## ـ مُخْتارُ حِكَمِ هِرْمِس ومواعِظِهِ وآدابِهِ[1]

هـو المثلثُ بـالحكمـةِ، ومعنى المثلَّثِ بـالحكمـةِ أنَّـهُ نبيٌّ، ثم مَلِكٌ، ثم حكيمٌ، أيّ هو مُتَّصِفٌ بهذه الصفاتِ الثلاث الممدوحةِ وهو إدْريسُ.

قـال: لن يستطيـع أحَدٌ أن يشكُـرَ الله على نِعَمِهِ بمثـلِ الإنعـامِ بهـا على خلقِهِ.

وقـال: مَنْ أرادَ بلُوغَ العِلْمِ وصَالِحَ العمـلِ فليتـركْ من يـدهِ أداةَ الجهـل وسيِّىءَ العمل، كما أنّ الصـانعَ الـذي يعرفُ الصنـائع كُلَّهـا إذا أراد الخياطـةَ أخذ آلتَها، وترك آلَةَ النجارة، وإذا أراد الكتابةَ أخذَ آلَتها وترك آلـةَ الخياطـةِ، فَحُبُّ الدنيا وحُبُّ الآخرةِ لا يجتمعانِ في قلبٍ أبداً.

وقال: أيُّها الإنسـانُ إذا اتَّقَيْتَ ربَّكَ وحـذرت الطرق المؤديـةَ إلى الشرِّ لم تقع فيه.

وقال: لا تملْ إلى الدنيا والهـوى وحلاوتهمـا الصادتـان[2] لك عن الشغـل بمعادِكَ، فتكون كالغريق المشتغـل عن التدبيـرِ بخلاص نفسـه بحمل بضـاعةٍ ثقيلةٍ اغترَّ بحُسْنِهَا، وهي سبَبُ عطبهِ.

وقال: لم يَكُن البشرُ ليهتدوا إلى معرفةِ عظمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لولا أنْ عـرفهُم نفسَـهُ وهداهُمْ إلى عبـادتِـهِ بِـالـوَسـائِطِ مِنْ أنبيـائـه وحملةِ وحيِـهِ المختـارِيْن المصـطفين الناطقين عن روحِ القـدس المرشـدينِ إلى تقوى اللهِ عـزَّ وجـلَّ، وسُبُـلِ طاعتِـهِ، المـوقفين لنـا على حـدودِ أوامِـرِهِ، وزواجـرِهِ، وحفظِ سنَنِـهِ والسُّلُوكِ في مذاهِبِ رضاهُ المُؤَديةِ إلى الحياةِ الدائمةِ والنَّعِيمِ المتَّصِلِ.

وقال: لا ترفعوا إلى اللهِ تعالى دعاكُمْ بالجهالةِ ولا بالنِّيَاتِ المدخولـةِ، ولا تعصوهُ، ولا تَتعَدُّوا حدودَهُ ونواميسهُ ولا يجرِيَنَّ أحَدُكُمْ إلى معاملةِ أخيـهِ على

---

(1) ب: مختار مواعظ هرمس وحكمه وآدابه.

(2) «كذا» في: «أ»، والصواب: الصادَّتيْن.

ما يكرهُ أن يعامل بمثله واتَّفَقُوا وتحابُّوا وثابِـروا على الصومِ والصـلاة جماعـةً بصائر صافيةً ونيَّـاتٍ[1] غير منقسمـةٍ ولا مشوبـةٍ وتوآدُّوا على طـاعةِ اللهِ تعـالى بالتَّقوى لـهُ وابتغوا الخيـر واجتهدوا فيـه ولتك تـأديةُ فـرائض اللهِ تعالى عليكم بـالتمـام والكمـال والخشـوع والخضـوع من غيـر عجبٍ ولا استكبـارٍ وإيـاكُمْ والتَّفاخر والتكـاثُرَ، وعليكم بـالأحبابِ والتـواضعِ لكيمـا تَسْتكْثرُوا فِعْـلَ أثمارِ الخيرِ من أعمالكُمْ.

وقـال: ابْعُدُوا عن مخـالـطةِ الخـونـةِ والفسقَـةِ ومُبتغي الضَّـلالِ ومقـابـحِ الأفعالِ. وقال: لا تحلِفُوا باللهِ كاذبينَ، ولا تهجَّمُوا على اللهِ تعـالى باليمينِ، واعتمـدوا الصدق حتى تكـون نعم من قولكم: نعم، ولا: لا، وتـورعُـوا عن تحليفِ الكـذابينَ باللهِ عـزَّ وجلَّ فـإنّكم تشاركـونهم في الإثم إذا علمتم منهم الحنث، وليكن الأثر في نفوسكم أن تكِلوهم إلى اللهِ سبحانه عـالم السرائـر، فحسبكم به من جاءكم يجزي المحسِنَ بإحسانِهِ والمسيءَ بإساءتِهِ.

وقال: اعلمُوا واستيْقِنُوا أن تقْوَى اللهِ سبحانه هي الحكمـةُ الكبرى والنعمـةُ العـظمى والسَّبَبُ الداعي إلى الخيـر والفـاتـحُ لأبـوابِ الفهم والعقـل لأنّ الله سبحـانـه لمَّـا أَحَبَّ عبـادهُ ووهَبَ لهم العقـل واختصَّ أنبيـاءَهُ بـروحِ القـدس وكشفَ لهم عن السَّرائرِ الرَّبَّانيَّـةِ وحقائقَ الحكمـةِ وانتهوا عن الضَّـلالِ وتبعوا الرَّشَادِ.

وقال: استشعروا الحكمة وابتغوا الـديانـة وعوِّدُوا أنفسكم الـوقارَ والسكينـةَ وتحلَّوْا بالآدابِ الحسنةِ الجميلةِ وتَرَوَّوْا في أُمُورِكُمْ ولا تستعْجِلُوا ولا سيَّما في مُجازاةِ المسيءِ، واجعلُوا الحياءَ قِبلَ وُجُوهِكُمْ والخيفَـةِ من اللهِ سُبْحانَـهُ حَشْوَ جنوبكُمْ، وتدبَّرُوا بالصحةِ والاستقامةِ، واحذرُوا عواقب النَّدامة، فبسلوكِ هذه السبيل تصيرُ النَّفْسُ حُرَّةً معتقةً من رقِ الجهالةِ وعبوديَّةِ الحداثةِ.

وقال: وإنْ تكن من أحدكم فـرطة أو ارْتكب منكـراً فليُقلِعْ عنها ولا تحملْهُ

(1) أ: ح. ن.: نقية.

السَّلامةُ منها على المعاودةِ لها بل بـالتوبـةِ والإقلاعِ عنهـا، فإنّهـا وإنْ سُتِرتْ عليه في الدنيا فإنّـه يَفْتَضِحُ بهـا يومَ الـدِّينِ، ويجازي عليهـا بعقوبـةٍ لا رحمةَ معها.

وقال: تأدَّبُوا بآدابِ اللهِ سبحانَهُ التي دعـاكم إليها وأمـركُمْ بحفظهـا واتَّبِعُوا الحكماء والعلماءَ، وخُذُوا عنهم الفضائلَ ولتكُنْ شهواتكم مصـروفةً إلى طلب الحمد واستحقاق المدحِ، ولا تصرفوها إلى الشرور ومقابيحِ الأمور. وقـال: اهْربُوا مِنَ المآكِلِ الخبيثَةِ واحتشِمُوا مِنَ المكاسِبِ الدَّنيئـةِ، فإنْهـا وإنْ مَلأَتْ أكياسَكُمْ من المالِ، فإنّها تُفرغُ قلوبكُمْ من الإيمانِ.

وقـال: عَـوِّدُوا أنفسكُمْ إكـرامَ الأخيـارِ والأشـرارِ، أمَّـا الأخيـارُ فمِنْ أجـل خيْرهِمْ، وأمَّا الأشرارُ فلاستكفِافِ شَرِّهِمْ.

وقـال: تحفَّظُوا مِنْ مُخـالـطةِ القـومِ الـذين لا يهتـدُونَ للحقِّ ولا يكملُونَ لمعرفتِهِ، ولا يتعلقُون مِنْهُ بعِصْمَتِهِ غيْرَ أنْ يسْتَمعوهُ سَمَاعاً ولا يفعَلُوهُ فِعَالاً ولا تَنْصِبُـوا لمكـارِهِ النـاس الحبـائِـلَ ولا تفـوهم الغـوائـل، ولا تسْعَـوْا لهم في المضرّة. فإن ذلك لا يخفى، ومتى خَفِيَ في الأوَّلِ لم يخف في المستقبلِ، وأريعوا نُفُوسَكُمْ عن أنْ تفعلوا هذه الفِعَالَ أو أنْ تَقُومُوا هذا المقامَ.

وقال: اجْمعُوا بين محبَّةِ الدِّينِ ومحبَّةِ الحِكْمَةِ وأقِفُوا نُفُوسَكُمْ على تَعْليمِهَا وإنْ قدِرْتُم على أن يكونَ زمانُ مقامِكُمْ في هذه الدنيا مصروفاً بأسره إلى ذلك دون غيره فافْعلوا، ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم ما يصعُبُ على غيركم وكان ما يحصُلُ لكم من شرفِ الفضيلةِ أنفع من ذخائرِ الذَّهب والفضَّةِ وسائِـر أصناف القِنْيَةِ فإنّها تفْنى وثوابُ اللهِ تعالى لا يفْنَى.

وقـال: سَاوُوا بين بـاطِنكُم وظاهِـرِكُمْ في المخـاطبـاتِ، ولا تكُنْ ألسنتكُمْ مخالفةً لضمائِرِكُمْ.

وقـال: أطيعُوا رؤسـاءَكُمْ واخْضَعُـوا لسلطانكُمْ وأكـرِمُـوا كبـراءَكُمْ، وبَـرُّوا مُؤَدبيكُم ولِتَغْلِبْ عليكم محبَّةُ اللهِ تعالى والحقِّ، ولا تُخـالِفُوا الـرأيَ الصَّوابَ

ومشاورة النُّصحاءِ لتأمنُوا النَّدامَةَ وتسْلَمُـوا من الملامـةِ ولتكُنْ أفواهُكُمْ مَمْلوءَةً بشُكْرِ اللهِ سبحانه وحمده عند الشدَّةِ والرخاءِ والفقر والغنى.

وقـال: لا تفـاضلُوا بـأعمـالكم ولا تجُـورُوا في الحُكمِ، ولا تستعملوا الشقاق، ولا تزكُّوا الخونـةَ، ولا تَخُونـوا الأزكياءَ، وليكُنِ الفقـرُ مع الاستقـامةِ أَحَبَّ إليكم من الثروةِ معَ الإثمِ فإنّ المالَ يفْنَى وأعْمالَ البِرِّ والخَيْرِ تبقى.

وقال: لا تُحبُّوا كثرةَ الضحكِ والهزلِ، ولا تَطَيَّروا بالنَّاسِ وإن ظهرتُمْ مِنْ أحدٍ على عاهةٍ أو عورةٍ أو حالةٍ مذمومَةٍ فلا تعيبُـوهُ ولا تضحكوا منـه واعتبروا وارجعُوا إلى الله سبحانه، فإن البشـريَّة تجمعُكُمْ، وأنتم وهم من طينـةٍ واحدةٍ خُلقتُمْ، وليس الضـاحكُ بـآمنٍ من أنْ ينـالَـهُ مِثْلَهُ في المستـأنَفِ، والـواجبِ عليكُمْ إذا رَأَيْتُمْ ذوي البَلْوَى أن تَرْفَعُوا نـواظِرَكُمْ إلى اللهِ سبحـانَهُ، وتحمـدُوهُ على العافيةِ وتَسلُوهُ الاعاذة.

وقال: إذا جَادَلَكُمْ المخالِفُونَ لكم في الدِّينِ بالفظاظةِ وسُـوءِ القوْلِ، فـلا تقابلُوهُم بمثل ذلك بلْ بالرِّفْقِ والدَّلالةِ والهدايةِ ولُـطْفِ المخاطبَـةِ، واعتَصِمُوا باللهِ سبحانَهُ، وقُولُوا بأجْمَعِكُمْ: اللهمَّ أَصْلِحْ برِيَّتَكَ، وأجر عليهمُ من قضائكَ وقَدْرِكَ وما يَقُودَهُمْ إلى الإلفَةِ والسَّلاَمَةِ والإيمانِ والهدى.

قـال: اكْثِـرُوا من الصمتِ في المحـافِـلِ، ولا تُـطْلِقُـوا ألسنتِكُمْ بمحضـرِ المتحفِّـظِينَ عليكم بمـا عسى أن يَجْعَلُوهُ سـلاحـاً يُقَـاتِلُونَكُمْ بـه، وأقِلُّوا مِنَ المراءِ والهَذْرِ والفُضُولِ مِنَ القولِ.

وقـال: حيـاةُ النفسِ في الحكم، والحكم في الإيمـان بـاللهِ عَـزَّ وجَـلَّ، والإيمانُ في اللهِ عَزَّ وجلَّ في حفظِ الدِّينِ، ولا تَعْلَمُـونَ أنَّ الحكمةَ والإيمـانَ باللهِ سبحانه لا يفترقانِ إنْ وُجِدَ أَحَدُهُمَا وُجِدَ الآخَرُ، وإنْ عُدِمَ عُدِمَ.

وقال: لا يُكونَ الإنسانُ عادلاً وهو غير خائفٍ من اللهِ عزَّ وجلَّ وإنَّما يكـونُ العـدولُ عدولاً إذا استكثـروا من خشيةِ اللهِ عـزَّ وجلَّ، وبـذلك يكسبـون روحَ القدسِ في يوم القيـامةِ، ويُفتـحُ لهم أبوابُ الفـردوسِ في يومِ القيـامةِ حتى

تسيحَ[1] أنفسُهُمْ في النفوسِ المطهَّرَةِ العاملةِ مع اللهِ تعالى المستحقَّةِ للحياة الأبديَّةِ.

وقال: احذَرُوا الأشرارَ والحسَّادَ والمشتملين على العداواتِ والأحقادِ والسُّكارى والجُهال، وإذا هَمَمْتُم بالخيرِ فقدِّموا فعلَهُ لئلاَّ يعارضَكُمْ سُوءَ الخاطِرِ فتتوقَّفُوا عنه.

وقال: لا تغبُطوا الفاسِقَ على أنْ يواتِيَهُ الخبْطُ فإنّ استمْتَاعَهُ قليلٌ، وعاقِبَتهُ الوَبالُ، واللهُ لا يصلحُ أعمالَهُمْ.

وقال: روِّضوا أولادَكُمْ بالتعليمِ قبلَ أن يكبَرُوا لئِلاَّ يَتَمَرَّدُوا عليكُمْ ويَميلُوا إلى الشَّرِّ ويَلْحَقَكُمْ الإثمُ فيهم.

وقال: لِتَكُنْ هِمَّتُكُمْ إلى اللهِ سبحانَهُ رَبِّ الأرضِ والسماءِ، وارفعُوا إليه صلواتِكُمْ ودُعاءَكُمْ بِصَفاءٍ مِنْ ضمائِرِكُمْ وعلى غيْرِ تسوُّرٍ من خواطِرَكُمْ فإنّكُمْ إنْ تناجُوهُ بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ يَسْمَعْ مُنْكُمْ ويستجِبْ لكُمْ ويبلِغْكُمْ آمَالَكُمْ ويَفْتَحْ لكُمْ أبْوابَ الرَّشْدِ في مَساعِيكُمْ ومُتَوَجهاتِكُمْ، ويَعْصِمْكُمْ من أفْكارِ الشَّرِّ ويَحْفَظْ أنْفُسَكُمْ مِنَ المكارِهِ ويُنَجيكُمْ مِنْ فِخاخِ الآثامِ ويَرُدّ عَنْكُمْ المَخاوِفَ، ويَكُبَّ رَؤوسَ أعْدَائِكُمْ تحْتَ أقْدَامِكُمْ.

وقال: إذا دَخَلْتُمْ في الصِّيَامِ فَطَهِّرُوا أنْفُسَكُمْ مِنْ نَجسٍ ودَنَسٍ، وَصُومُوا للهِ سُبْحانَهُ بِقُلُوبٍ خالِصَةٍ صافِيَةٍ مُنَزَّهَةٍ مِنَ الأفكارِ السَّيِّئَةِ[2] والهواجِسِ المُنْكِرَةِ، فإنّ اللهَ سبحانَهُ يستبعِدُ القُلُوبَ الملطَّخَةَ والنِّيَّاتِ المَدْخُولَةَ ومَعَ صِيامِ أفْواهِكُمْ. مِنْ المآكلِ فلتصُمْ جوارحكُم عن المآثِم، فإن الله سبحانه لا يرضَى أن تَصُوموا مِنَ المطاعم فقط، لكن مِنَ المناكير كُلِّها والفواحِشِ بأسْرِها ما يُغْنَى عنكم، ليت شعريَ الصومُ إذا كانت أفعالكُمْ فيه مذمُومَةً وبصائِرُكُمْ مشوبَةً، وواظبُوا في صيامكُمْ على بيوتِ اللهِ تعالى، واعمِرُوها

(1) تسبيح في: «أ»، والصواب ما أثبتناه.

(2) والسيئة في: «أ»، والصواب ما أثبتناه.

بالصلاةِ والدُّعاءِ ولا تستكبروا بالعِبَادةِ ولا ترُوموا بِهَا السِّمعَةَ والشهرةَ، بل استعملوها بالتَذَلُّلِ والاستكانَةِ، وإذا أَدَّيْتُمْ فرائِضَكُمْ وعيَّدْتُم أعيادكُمْ وانقلبتُمْ إلى منازلكُمْ مسرورين بِحَريمكُمْ وأولادكُمْ فاذكُروا أَهْلَ الضُرِّ والمسكنةِ ومُدُّوا أيديكم إليهم بالبرِّ والمواساةِ، وقال: نَفِّسوا عن المكروبينَ، وفرِّجُوا عن المحزونين، وتفقَّدوا الأسارى، وعالِجوا المرْضَى، أطيفُوا الغرباءَ، أطْعِمُوا الجياعَ، أرْوُوا العطاشَ، عزُّوا أهْلَ المصائِبِ، خلِّصُوا المظلومينَ مِمَّنْ يَظْلُمهم، لا تزيدوا المحزونين، ولا تصيروا عليهم مع خطوبِ زمانهم عوناً، بل سلوهُمْ وعاونوهم وعاضدوهم وآسوهُمْ بالقول الحسن والفعل الجميل، وإنْ كانوا ممَّنْ أَسْلفوكُمْ الإساءةَ فاعفُوا واقتصِرُوا بهم على ما نالهُمْ من العقوبةِ.

وقال: اكتسِبُوا الأصدقاءَ وقدِّموا الاختبارَ لهم قبل الاستمالةِ إليهم، ولا تعجلوا بالثقةِ بهم قبل المحنة لهم لئلَّا يلحقَكُمْ النَّدمُ وينالكم منهم المضرَّةُ.

وقال: مَنْ أتاهُ الله تعالى فضلاً في دنياهُ فلا يفتخِرَنَّ على أخيه ولا يدخله العُجب والتعاظم، وليكن ذلك الفضلُ محتقراً في عينه فإنَّ الله سبحانه خلق الفُقراء والأغنياءَ وهم عنده سواءٌ.

وقال: لا تُبْدوا عند الغضبِ منكم كلمةَ فُحْشٍ فإنَّها تورثُكم العارَ والمنقصَةَ، ويلحقُ بكُمْ العيبُ والهجنةُ، وتَجُرُ عليكم المآثِمَ والعقوبةِ.

وقال: مَنْ كَظم غَيظهُ، وقيَّد لفظهُ، ونظَّف منطقهُ، وطهَّر نفسَهُ فقد غلب الشَّرَّ كلَّهُ.

وقال: لاينبغي لطالبِ الحكمةِ أن يكون طلبُهُ لها ذريعةً فيها ليُثاب عليها ويُمَنَّ بها، لكن ينبغي له أن تكون منه رغبةٌ لنفسه فيها لفضلها على كلِّ شيءٍ سواها.

وقال: إذا كانتِ الحكمةُ خالصةً فهي معدِنُ كلِّ سعادةٍ ومظهرةُ كُلِّ أدبٍ وماحِقَهُ كُلِّ شرٍّ.

وقال: خيرُ الملوكِ من بدَّلَ الشَّرِ في مملكتـهِ إلى السِّيرةِ الحسنـةِ، وشرُّهم مَنْ عكس.

وقال: الدليلُ على غريزةِ الجودِ السَّماحُ عند العُسرةِ، وعلى غريزةِ الورعِ الصِّدقُ عند السخطِ، وعلى غريزةِ الحلمِ العفو عند الغضب.

وقال مَنْ سَرَّهُ مودَّةُ الناس إيَّاهُ ومعونتهم لـه، وحسن القول منهم فيـه حقيقٌ على أنْ يكون مثل ذلك لهم.

وقال: مَنْ أحَبَّ أنْ يُجادَ عليه عند حـاجته فَلْيَجُـدْ بما وُسِـعَ له على أهـل الحاجة إليه.

وقال: مَنْ فضَّلَ العلماء وقصد العدلُ واستفاد العمـل الصالـح واجتهد في طلبِ الحكمةِ وتزيَّنّ بالأدبِ أصاب ما يرغب فيه من خير الدنيا والآخرةِ.

وقـال: أعْظمُ النـاس مصيبةً في الـدنيا والآخـرةِ مَنْ لم يكن لـه عقـلٌ ولا حكمةٌ ولا لهُ في الأدب رغبةٌ.

وقـال: مَنْ منع مـا عنده من العلمِ والأدبِ للصَّـالحين قويَ بـذلك جهـلُ الأشرارِ، ومَنْ منع العلمَ لمستحقِّه منعه الله تعالى مَنْفَعَتَهُ في الـدنيا والآخـرةِ، ولا يبخـل بالعلم على مستحقِّـهِ إلاّ جاهـلٌ قليـلُ العلمِ، فـإنْ لم يكن قليـلُ العلم فهو رديءُ الهمَّةِ حسودُ.

وقال: مَنْ جادَ بالعلمِ والحكمةِ فهو أفضلُ مِمَّنْ جادَ بالمالِ وأبْقى لذكره، فإنّ المال يفْنى والذكر يبقى.

وقال: السَّلامةُ أنْ لا يعاديَ المرءُ أحداً، ولا تكونَ لهُ إسـاءةٌ إلى مَنْ عاداهُ وأضرَّ به بل يحسِنُ إليه ويُلِيْنُ لهُ القول. وإنَّ مِنْ أفضلِ الأعمال ثلاثةُ أشياءَ: أنْ تبدل العدوَّ صديقاً، والجاهلَ عالماً، والفاجرَ برّاً.

وقـال: الصالـحُ من خيرُه خيـرٌ لكلِّ أحـدٍ، ومَنْ يَعُدُّ خيـرَ كلِّ أحـدٍ لنفسه خيراً.

وقال: ما أقلَّ منفعةَ المعرفةِ مع غلبةِ الشَّهوَةِ، وما أكثرَ منفعةَ قِلَّةِ المعـرفةِ مع مِلْكِ النفسِ.

وقال: الموتُ كسهمٍ مُرْسَلٍ وعمركَ بقدرِ سَيْرِهِ نحوك.

وقال: مِنْ أَوْكَدِ أسباب الحكمة والحلم رحمةُ الجهال.

وقـال: ربَّما شـرِقَ شاربُ المـاءِ قبل ريِّـه، ومَنْ تجـاوز الكِفـاف لـم يغنـه الإكثارُ.

وقال: السَّاعي كاذبٌ لِمَنْ سعى إليه أو خائِن لمن سعى به. المـزاجُ يُفْني الهيبةَ كما تُفني النَّار الحطبَ.

وقال: الفرصةُ سريعةُ الفوتِ بطيئةُ العودةِ.

وقال: لا أشجع من بريءٍ ولا أجبن من مُريبٍ.

وقال: مَنْ جرى في عنانِ أملهِ عثر بأجَلهِ.

وقال: كأنَّ الحـاسد خُلِقَ ليغتـاظ. وقال: اقْتصَّ من شهـوةٍ خالفتْ عقلك بالخلافِ عليها.

وقال: الغضبُ إذا كان له سببٌ يُعرَفُ كان الرِضى سهلاً يسيراً، وإذا كـان بلا سببٍ كان الرضى صعباً، لأنَّ المُحال غير موجودٍ على كلِّ حالٍ.

وقال: المُستشيرُ على طرفِ النجاحِ. وسُئِلَ: ما الَّذي يَهُدُّ الرجل؟ فقال: الغضبُ والحقـدُ، وأبلغُ منهما الهمُّ. وسُئِـلَ: ما بـالُ العلماءِ يـأتُـونَ أبـوابَ الأغنياءِ أكثر مما تأتي الأغنياءُ أبواب العلماءِ؟

قال: لمعرفةِ العلماءِ بفضل الغنى وجهل الأغنياءِ بفضل العلم، وإنَّ العلم ممدوحٌ بكلِّ لسانٍ متزيِّنٍ به في كلِّ مكانٍ.

وقـال: العقلُ بغيـر أدبٍ كالشجـرةِ العاقـرةِ، والعقل مـع الأدبِ كالشجـرةِ المثمرةِ.

وقـال: العلمُ بـالخيـرِ والشـرِّ هـو تمـام العلم، وبتمـام العلم يكـونُ تمـامُ الحكمة وبتمامِ الحكمةِ سلامةُ العاقبةِ.

وقال: ما ينبغي للعاقلِ أنْ يطلُب طاعةَ غيره وطاعةُ نفسه ممتنعةٌ عليه.

وقال: مَنْ عُرِفَ بالجهلِ كان عاقـلاً، ومن جهلهُ كان جـاهلاً، ومَنْ جهـل صورةَ الحكمةِ جهل صورة ذاتهِ، ومَنْ جهل صورةَ ذاتهِ كان بغيرِ ذاتهِ أجهَلَ.

وقال: النَّاسُ إثنان: طالبٌ لا يجدُّ وواجِدٌ لا يكتفي.

وقال: الحكمةُ إنّما هي كالجواهرِ التي في الصَّدفِ في قُعورِ البحار لا تُنالُ إلّا بالغُوَّاصِ الحُذَّاقِ.

وقال: لا يمدح بكمـالِ العقل مَنْ لا تكمُـلُ عفَّتُهُ، ولا بكمـالِ العلمِ مَنْ لم يكمل عقله.

وقال: الأدبُ صورةُ العقلِ، فحسِّنْ عقلكَ ما قدرْتَ.

وقال: العاقلُ لا تدعُهُ عيوبُه يفرحُ بما ظهر من محاسنهِ.

وقال: النُّصحُ بين المَلأ تقريعٌ.

وقال: إعادةُ الاعتذارِ تُذكِّرُ بالذَّنْبِ.

وقال: مَاعفا عن الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ به.

وقال: الجاهلُ صغيرٌ وإنْ كان شيخاً، والعالمُ كبيرٌ وإنْ كان حدثاً.

وقال: الدنيا تُهِينُ مَنْ كانت تكرمُهُ والأرض تأكُلُ مَنْ كانت تطعمُهُ.

وقال: غضب الجاهل في قوله، وغضبُ العاقلِ في فعلِهِ.

وقال: الميِّتُ يقلُّ الحاسدُ له ويكثرُ الكذب عليه.

وقال: يكفيك مِنَ الحاسد أنّه يغْتمُّ وقت سرورك.

وسُئِـلَ عن شيخٍ لـه زوجةٌ، فقـال: مَنْ لا يقدرُ أن يسبـح في البحـرِ كيف يقدرُ على أن يحمل على عنقه آخر.

وقال: اجتنِبْ مصاحبةَ الكذّابِ فإنّه مثل السَّرابِ يلمعُ ولا ينفعُ.

وقال: مَنْ كثُرَ حقدُهُ قلَّ عتابُهُ.

وقال: الحازِمُ مَنْ لَمْ يشغله النظر بالنعمةِ عن العمل للعاقبةِ، والهمُّ بالحادثةِ عن الحيلة لدفعها.

وقال: مَنْ مدحَكَ بما ليس فيكَ فلا تأْمَنْهُ أنْ يَذُمَّكَ بما ليس فِيكَ.

وقال: الغضبُ يُصَدِّيء العقل حتى لا يرى صاحِبُه حَسَناً فيفْعَلُهُ، ولا قبيحاً فيجتنبهْ.

وقال: مَنْ تكلَّفَ بما لا يعنيه فاتَهُ ما يعنيه. وقال: لا تقطع أخاكَ إلاّ بعد عجز الحيلة في الاستصلاح، ولا تتبعه بعد القطيعةِ وقيعةً فتفسدُ طريقهُ بالرجوع إليك، ولعلَّ التجارب أنْ تردَّهُ عليك وتصلحه لك.

وقال: خيرُ الأصحابِ من نَسِيَ ذنبك ولم يقرِّعك به، فبهِ معروفه عندك ولم يمُنَّ به عليك.

وقال: أَعْطِ الحقَّ من نفسك وإن لم تعطِهِ منها كان الحَكَمُ خصمك.

وقال: نعمةُ الجاهلِ كروضةٍ على مزبلةٍ.

وقال: إخوان السُّوءِ كشجرةٍ على النار يحرق بعضها بعضاً، ورُبَّ كلامٍ جوابه السكوتُ، ورُبَّ عملٍ الكَفُّ عنه أفضلُ، ورُبَّ خصومةٍ الإعراضُ عنها أصوبُ.

وقال: أفضلُ ما خلقَ الله سبحانه في هذا العالمِ الناس، وأفضلُ ما في الناس العقل، وأفضلُ أمورِ العقلِ تدبير صاحبِهِ بالعدلِ والكفُّ لنفسه عن الذُّنوبِ.

وقال: أحْمَدُ الأشياءِ عند أهل السَّماءِ والأرض لسانٌ ناطقٌ صادقٌ بالحقِّ والعدلِ.

وقال: الخيُر والشَّرُّ واصلانِ إلى الناس لا محالةَ.

وقال: فَطوبى والويلُ لمن جرى وصولهما إلى الناسِ على يديهِ.

وقال: ينبغي للسُّلطانِ، وذوي المُلْكِ أن لا يُمَلِكوا ولا يسلِّطوا إلاّ مَنْ له رحمةٌ ومودَّةٌ لكلِّ أحدٍ مثل ما يكونُ عند الأبِ[1] للولدِ الكريمِ عليه.

وقال: غايةُ النفس المنطقيَّةِ المعرفةُ الحقيقيَّةُ، وغايةُ معرفةِ القوة الشهوانيَّةِ المحبَّةُ، وغاية معرفةِ فعل القُوَّةِ الغضبيَّةِ السلامةُ.

وقال: كفى بالظَّفر شفيعاً للمذنب إلى الحكيم. وسُئِلَ عن الجودِ، فقال: هو أنْ تجودَ بمالِكَ وتَصونَ نفسكَ عَنْ سؤالِ غيرِكَ.

وقال: إنَّ أمْرَ الدنيا لحقيرٌ مِنْ أنْ تطاعَ فيه الأحقادُ.

وقال قائل: غضبك بحلمِكَ، وجهلُكَ بعلمِكَ، ولسانُكَ بذكرِكَ.

وقال لتلميذِهِ فواطليس وعنده موسيقى: حَرِّكْ على صورة الشجاعةِ، أفَهِمْتَ ما قلتُ؟

قال: نعم. فقال: لا أرى عليك أثر الفهم.

قال: وكيف ذاك؟

قال: لا أراكَ مسروراً والدليلُ على الفهم السرور.

وقال: الحياءُ في الصَّبِيِّ أحمدُ من الخوفِ، لأنّ الحياءَ يدلُّ على العقل، والخوفَ يدلُّ على الرَّهْبةِ.

وقال: تزوَّدْ مِنَ الخير وأنت مقبلٌ خيرٌ من أن تتزوَّدَ منه وأنت مدبرٌ.

وقال: مَنْ لم يكن موضعاً فيه سلطانٌ قاهرٌ، وقاضٍ عادل، وطبيبٌ ماهرٌ عالمٌ، وسوقٌ قائمٌ، ونهرٌ جارٍ فقد ضيَّع نفسه وأهله ومالَهُ وولدَهُ.

---

(1) أ: ح. ن.: المحبّ.

ووصَّى بَلْسُوخس وهو آمون الملك، فقال: أوَّلُ ما آمرُكَ بتقوى الله عزَّ وجلَّ، وإيثار طاعته، ومَنْ تولَّى أمر الناس فقد يجب عليه ثلاثة أشياءَ يكون ذاكراً لها.

أوَّلها أن تكون يدُهُ مطلقةً على قومٍ كثيرٍ.

والثاني أنّ الَّذي يده مطلقةٌ عليهم أحرارٌ لا عبيدٌ.

والثالث أنَّ سلطانَهُ إنَّما يلبثُ مدَّةً يسيرةً، فسبيلُكَ أنْ تُطَهِّرَ نفسك بحسنِ النيَّةِ يا آمُون والقول بالحقِّ وإيّاكَ أنْ يهمَّكَ الحرب والجهاد لمن لا يؤمنُ باللهِ عزَّ وجلَّ، وتتبَّعْ سنتي وشريعتي لما ترغب إليه من دخولهم في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ اسمه. واحذر أن ترغب في أخْذِ أموالهم وتركهم على طغيانهم فإنَّ المال لا رغبةَ فيه إلّا من جِلٍ، وقال الله فيه الرضى.

واعلم أنَّ الرعيَّة تسكن إلى مَنْ احسنَ إليها، ولا تحسن المملكة إلّا برَعِيَّتها، فمتى ما لم يكن للسلطانِ رعيَّةٌ حصل السلطان نفسه إذا سلم منهم، وإيَّاك والغفلةَ عن النظرِ في أمورهمْ، وأمرِ مَمْلَكَتِكَ ثم نفسك، وقدِّمْ ما تصلُحُ به آخِرَتُكَ يصلح أمر دنياك، وسبيلك إذا لقيت حرباً أن تكون جازم الرأي في جميع أمورك، واحذرِ الهزيمة فإنّها إذا وقعت بعسكرٍ ليس يشدُّ حزاماً سريعاً، وأكثر الجواسيس لتكن أخبارُ أعدائك معك وقتاً بوقتٍ، واحذر مِنْ حيلةٍ تُعمل عليك، وإذا أمرْتَ بأمرٍ فسلْهُ عنه بعد ذلك، ولا تقصِّر فيه فيلحقك من ذلك نقصانُ الهيبةِ، وإذا أمرتَ أن تكتب لك كتاباً فاحذر ختمه وإنفاذَهُ حتى تراهُ أنت لأنَّ الحيل تقع بالملوك، وأنت أوَّل ملكٍ أُهِّلَ لهذا الأمر، وإيَّاكَ أن تأنس إلى أحدٍ أو تكشف إليه سِرًّا بل يكون خواصُّك ورعيَّتُكَ يأنسون إليك بحسنِ سياستك لهم، واجعل النوم لك بقدر راحةِ جسمكَ ولا تشغل نفسك إلَّا بجدِّ الأشياء، وليكن أمرُكَ كلُّه جِدّاً بلا هزلٍ، وإذا هممت فافعل، وإذا قدرت فالْقِ، وإذا ألقيت فاحذرْ، وإيَّاك والغفلة عن الكيمياء العظمى وسياسةَ أهلها وميل قلوبهم والمسامحة لهم، وهم

الفلاحون، فإنّ الكيمياءَ عمارةُ الأرضِ بالزَّرعِ والنَّباتِ، فإنَّ الرعيةَ بها يسكنون، والجُنْدَ بها يكثرون، وبيوت الأموال بها تعمُرُ، والدولةُ[1] تثبت، فليس سبيلُكَ أنْ تفعل أمراً هذا عقباه، وسبيلك أن تُكرم أصحاب المراتبِ في المذاهب ثم كل إنسانٍ على قدرِ عِلمِه وعقلِهِ.

وأشهر إكرامهم لئلاَّ تجهل الرَّعِيَّةُ حقوق أهل الفرضِ، ومن يطلب العلم فأكرِمه، واعْرِفْ حقَّهُ، وفوِّضْ إليهِ الإحسانَ لتزيدَ هِمَّتُهُ فيه، ويلْطُف عقلُه، ويصفوَ ذهنه، وتقِلَّ همَّتُهُ في أمرْ دنياه ينتفع به إن شاء الله تعالى.

وعجِّلِ العقوبةَ على المفسدين في الأرض بعد أن يصُحَّ عندك جرمُهُمْ وتتَّضِحَ خيانتُهُم، مَنْ قدح في مُلْكِ فاضرِبْ رقَبَتَهُ، واشهِرْهُ ليحذرَ غيرُهُ، ومَنْ سرقَ اقطعْ يده، ومَنْ تلصَّصَ في طريقٍ فاضربْ عنقه واصلُبْهُ ليشتهر ذلك ويأمَن سبيلُكَ، ومَنْ وُجِدَ مع ذكرٍ مثله يفسقُ به فحرِّقْهُ بالنَّار واجبٌ، ومَنْ وُجِدَ مع امرأةٍ يزني بها فاضْرِبْهُ خمسين جلدةً وارجُمِ الإمرأةَ مائةَ حجرٍ بعد إقامةِ البيِّنَةِ الثِّقَةِ على ذلك، واحذرْ أن تسمعَ قول ساعٍ بَلْ إذا صحَّ عندك سعايتُهُ فعجِّلْ عليه بالعقوبةِ واشهرهُ، فزع قلْبُكَ أنْ تستعملَه بالمحالِ، وإيَّاك والغفلة[2] في الحبوسِ في كلِّ شهرٍ لئِلاَّ يكون فيهم مظلومٌ فَمَنْ يستحقُّ التَّخْلية أطلقت سبيلَهُ بعد الإحسانِ إليه، ومن استحقَّ العقوبةَ عجِّلَتْ عليه ومن استحقَّ أن تُمهل إلى وقتٍ ينكشف حالُهُ رددته، واحذر الإعجاب برأيك، والزمِ المشاورة بمن حسُن عقله وطعن في سنِّهِ لكثرةِ ما مَرَّ عليه من التجاربِ، وحصِّلْ آراءَهُمْ فإنْ رأيتَ في أحدهم سداداً وإلاَّ فاعتقد أنتَ من جميعهم رأياً سديداً ترشد، وباللهِ التوفيق.

وقال: الشريفُ مَنْ استعمل الفضائل، وأعظمُ الشرف العدل والعفَّةُ والجود قبل الطلب.

---

(1) أ: ح. ن.: بها.

(2) أ: ح. ن.: عمَّن.

وقـال: حقيقٌ أن يطلب المرءُ الحكمة ويثبتها في نفسـه، ولا يجـزع من المصائب التي تغم الأخيار ولا تأخذ بـالكبر ولا فيمـا بلغ من سرفٍ ولا تـزهو بحالِ الغنى والسلطان وتعدل بين بنيه بقولـهِ وفعله وتكون رعيتـه مما لا عيب فيهـا ودينهُ غيـر مختلفٍ وحجَّتُهُ ممَّـا لا ينقص فما يغيـر الله مَـا بِـهِ إلاّ مَنْ لـه ويعقِبه.

وقـال: لا يستطيـع أحدٌ أن يجـد الخير والحكمـةَ إلاّ أن يُخلِّصَ نفسه في المعادِ، ولا خلاص له منه إلاّ أن تكون له ثـلاثةُ أشيـاءَ: وزيرٌ ووليٌّ وصـديقٌ فوزيرُهُ عقله ووليّهُ عفّتُهُ وصديقُهُ عملُهُ الصالحُ.

وقال[1] لكُلِّ شيءٍ حيلةٌ غيرَ الموتِ، وكل شيءٍ فَانٍ غيـر الإثم، وكل شيءٍ يبيدُ غير العمل الصالح، وكلُّ شيءٍ يطاق تغيُرهُ غير الطباعِ، وكل شيءٍ يُقْـدَرُ على إصلاحه غير الخلقِ السُّوءِ، وكلُّ شيءٍ يُستطاع دفعه غير القضاء.

وقـال: ليْسَ العجب مِمَّنْ امتنعت عنه الشهـواتُ أن يكـون فـاضـلاً وإنّمـا العجب مِمَّنِ الشهواتُ مقرونةٌ به ويكون فاضلاً.

وقال: لا خَيرَ فيمن يستر وجه العفو بمكروهِ التقريعِ.

وقال: لا تُعجل الذنب بالعقوبةِ واجعل بينهما للاعتذار طريقاً.

وقال: زَلَّةُ العالمِ ككسرِ السفينة تغرق وتُغْرِقُ معها خلقاً كثيراً.

وقال: الغنى وطنٌ، والفقر غربةٌ، والطمع رقٌّ، واليأسُ حرِّيَّةٌ.

وقال: إذا كان الملك لا يقدرُ على قهر حواسه وغلبةِ شهواتِهِ، فكيف يقدر على ضبط خاصَّتِهِ، وكيف يقـدر على ضبط أعوانـه؟ وإذا لم يقدر على ضبط أعوانه فكيف يقدر على رعيَّتِهِ، وما بعد عن مملكته؟ فسبيل الملكِ أن يبتدىءَ بسلطانِهِ على نفسهِ ليستقيم سلطانُهُ على غيره.

(1) أ: ح. ن.: وقال: أحمد الأشيـاء عند أهـل السماء والأرض لسـان ناطق وصـادق بالعـدل والحق.

# 7 ـ طاطو هو صاب بن ادريس عليه السلام

ومِنْ آدابِ طاطو هو صاب بن ادريس عليه السلام.

وإليه يُنْسَبُ الحنفاءُ فقيل لهم الصابئون.

قال: مَنْ لَمْ يملكْ عقلَهُ لَمْ يملكْ غضبهُ.

وقال: الملك اللَّبيبُ يبلغ بالرِّفقِ والمُدَّاراةِ ما لا يبلغُهُ بالجفاءِ والصولةِ وخاصةً مع الأخيار، سبيلُ الملك الحازم أن يختبرَ الرجال بأفعالهم لا بما يُشاهِدُ من عظم أجسامهم ولذلك لا يُظهر الخلاف على مَنْ ليس له بهِ طاقةٌ.

وقال: إذا جمعَ الملكُ الأموالَ ولم ينفِقْ منها في مواضعِ الحقوق كان ذلك سبَبَ تضييعها مع تلافِ ملكه.

وقال: النارُ إذا اشتعلتْ بغير ريحٍ ضعف عملُها وأبطأ إحراقُها.

وقال جمعُ المالِ يحتاج إلى الأعوانِ، والأعوانُ يحتاجون إلى المالِ.

وقال: سبيلُ السلطانِ أن يعرف المنقطعينَ إليه ويُنزلَهُمْ بمنازلهم وعقولهم وعلومهم ونُصحتِهم وما يستحق كلُّ امرىءٍ منهم ولا يكثر عطاؤُه وإنعامه عليهم ولا يحصل له في نفوسهم موقع ولا يجدون به سروراً.

وقال: سبيلُ الملكِ أن لا يصطنعَ لِمعروفهِ من عُرِفَ بالكذب والشرِّ تقديراً منه أنّه إذا اصطنعه زال عن طبعه وغيّره، فإن تغيُّرَ الطباعِ ونقلها يبعد عن صاحبه.

وقال صابٌ: لا تأخذوا من الناس جميع ما عندهم لكن ينبغي أن تأخذوا مِمَّن هو من الناس محمودٌ في جميع خصاله جميع ما عنده ومِمَّنْ هو محمودٌ في شيءٍ واحدٍ ذلك الشيءُ فقط، فإنَّ التفاحة ليس يُلتذُّ منها برائحتها فقط بل يُلْتذُّ مع ذلك منها بأكلها، فأمَّا الزهرُ فإنَّما يُلْتَذُّ منه برائحته ومنه ما لا يلتذُّ منه برائحته فقط بل بالنظر إليه مثل وردِ الدِّفْلى. فأمَّا النحلةُ فإنَّما يُلتذُّ منها بثمرتها، وأمَّا شجرةُ الورد فبزهرها بعد أن يُتوقى شوكها، فإذا كان الأمرُ على

ذلك فينبغي أن يأخُذ ممَّنْ هو محمودٌ في الكلام والعقـل جميع مـا عنده مِمَّنْ هو محمودٌ في الكلام، وانظر مع ذلك إلى قـوَّتِكَ هـل أنت كُفْوٌ لأخـذه، فإنّ التقاط العسل عن الزهر يُمْكِنُ النَّحلةَ ولا يُمَكِّنُ الإنسان.

وقال: سبيلُ مَنْ تعلم الحكمـةَ أن يُلَقِّنَهَا للمتعلِّمينَ ويقْـرئها لهم ويُفهمهـا إيَّاهُمْ، فإنَّ الفهم الأخيرَ يُحَلِّلُ رِبَاط الجهلِ القديم.

## 8 ـ أسْقلبيوس النبيُّ الحكيمُ عليه السلاَّم[1]

كان تلميذاً لِهرْمِسْ عليهما السلامُ، وقيل كـان تلميذاً لهـرمسْ المصريّ، وكـان مسكنه أرضَ الشّـاماتِ وذكـر جـالينُـوس أنَّ الله تعـالى أوْحَى إليـهِ لِأنْ أُسَمِّيكَ حكيماً ملكاً اقرب من أنْ أسمِّيكَ إنساناً.

وذكر أبقـراط أنّه ارتفع[2] الهواءُ في عمودٍ من نورٍ.

وحكى أفـلاطون عنـه أنّه تحـاكم إليه رجـلٌ وامرأةٌ في جنينٍ كـان في بطنِ المرأةِ، فقال اسْقَلبيـوس للمرأةِ: يـا ظالمـةُ إنّه كـان زوجُكِ في هيكـل عبدةِ الشمس يدعو لـك بالبقـاءِ والسلامـةِ، وأنتِ قد واقعـك غلامٌ من بني فـلانٍ، وستلدينَ غُلاماً بعد ثلاثٍ[3] مُشَوَّهاً، فولدتْ جنيناً في صدره يدان[4].

ثم قال للرجلِ عقـدت نكاح المـرأة على ما لا ينبغي فحصـدت منها أكثـر مما زرعت.

وخبَّى[5] لَهُ رجلٌ مالاً.

ثم قال: يا نورَ الألبابِ ضاع لي مالٌ فأثْرُهُ لي.

قال: فنهض معه فأخرجهُ.

---

(1) ابن جلجل ص: ١١، القفطي ص: ٨، أصيبعة ص: ٢٩.
(2) أ: ح. ن.: إليَّ.
(3) أ: ح. ن.: أشهر.
(4) وردت قصة المرأة والجنين المشوه عند القفطي أيضاً ص 10.
(5) خبأ (ابن جلجل ص ١١).

ثم قال للرَّجُلِ :ـ إنَّ المالَ يسلبهُ(1).

وقيـلَ إنّه وجَـدَ علم الطِبِّ في مكـانٍ لليـونـانيين بـروميَّـة يعـرف بهيكـلِ الشمس.

وقيل إنّه هـو الذي وضـع هذا الهيكـل ويعرفُ بهيكـل الشمس ويدلُّ على هذا قولُ جالينوس إنّني لما خلَّصني الله تعالى مِنْ مـرضٍ قتَّالٍ حججتُ إلى بيته المسمَّى بهيكل الشمس، وكـان يحرص على العلم وهـو مستنبطٌ للطِّبِّ، وكان معظَّماً عند اليونانيين وكان القومُ يستسقون بقبره.

ويُقـال إنَّـهُ كـان يُسـرِجُ على قبـرِهِ كـلَّ ليلةٍ ألفُ قنـديـلٍ ، وكـانَ الملوكُ والحكماءُ من نسله، وكان لـه في جميع الأرض اثنـا عشر ألفَ تلميـذٍ، وكان يعلِّمُ الطِّبَّ مشافهةً وكان نسلُهُ يتـوارثون الـطب إلى زمنِ ابُقراطِ وكـان يسافـرُ معه إلى البلادِ، فلمَّـا خرجـوا إلى بلاد الهنـد وجاؤوا إلى فـارس خلفه ببـابل ليضبطَ الشرع فيهم، فلمَّا كان في آخِر عمره، اعتلَّ فاجتمع إليـه جماعَـةٌ من الحكماءِ فعادوه فلمَّا رأى اجتماعهم علم أنّ المعابد والهياكل قد خلت منهم.

فقـال: لهم هـذا مـا كنتُ أوصيكم بـه وأنهـاكم عنـه لكن المستعـانُ بـالله عليكم، قد استعملتم الآراء الفاسدةَ لتفرُّوا كـل واحدٍ منكم بشيءٍ ويجعـل له سـوقاً ليكـون له فيـه مرتبـةٌ وأطعتم جهالاً من ملوككم و(2) اختـرتم الدنيـا على الآخرةِ ولِمَ حتى تُسألونَ ما جاء به مَنْ اصطفاهُ الله تعالى واتَّخذه رسولاً إليكم ومرتِّباً لشريعتكم يعني إدريسَ كان أولى وأحمد عاقبةً.

وقال لهم: عهدي ذات ليلةٍ ونحنُ بحضرةِ النبيِّ الأعظمِ أشركنا الله تعالى في صـالح دعـائهِ ونحن على أمـرٍ ما كُنَّـا عليه من العبـادةِ التي يجب علينا إذ دخل غلمانٌ بأطباقِ هدايا حسنةً فردَّها ووضع خدَّهُ على الأرض.

---

(1) أ: ح. ن. : فاسلبه.
ب: يسلبه فسلبه.

(2) أ: ح. ن. : ولو.

وقـال: ربِّ اعْـطوني مـا ليس لي فخـذهم بمـا جنُوا على أنفسهم وعلى غيرهم ولا تجمع لهم شملاً، فاستجيبَتْ دعوته[1].

وقال مَنْ عرف الأيام لم يغفلِ الاستعداد.

وقال إنَّ أحدكم بين نعمةٍ من باريه سبحانـه وبين ذنبٍ من عمله وما اصلح هاتين الحالتينِ إلاّ الحمدُ للنعمِ والاستغفارُ من الذنبِ.

وقال كم دهرٍ ذممتموه فلما صرتم إلى غيره حمـدتموه وكم من أمـرٍ يُغضب أوائلهُ، ويُبكِيَ عند أواخره عليه.

وقال: المُتهجدُ بغير معرفةٍ كحمار الطاحونِ يدور ولا يبرح ولا يدري ما هو فاعلُ.

وقال: فوتُ الحاجة خيرٌ من طلبها إلى غير أهلها اعطاء الفاجر تقويـة على فجـوره. والصنيعة عنـد الكفورِ إضـاعَةٌ للنعمـةِ، وتعليمُ الجـاهـل ازديـادٌ في الجهل ومسألةَ اللَّئيمِ إهانةٌ للعرض.

وقال إني أعجبُ ممن يحتمي من المآكلِ الرديئـةِ مخافـةَ الضَّرر ولا يـدع الذنوب مخافةَ الآخرةِ.

وقال أكثروا من الصمتِ فإنّه سلامةٌ من المقتِ، استعملوا الصدق فإنّه زين المنطق.

وقيل له صف لنا الدنيا فقال لهم: أمس أجَل واليوم عَمَل وغداً أَمَل.

وقـال: المشفقُ عليكم سيِّءُ الـظَّنِّ بكم، والـرازي عليكم كثيـرُ العتب لكم، وذو البغضـاء لكم قليلُ النصيحةِ لكم.

وقال: سبيلُ من له دينٌ ومروءةٌ أن يبـذل لصديقـهِ نفسه ومـاله ولمن يعـرفه طلاقةَ وجهه وحُسْنَ محضرهِ ولعدُوهِ العدل وان يتصاون عن كل حالٍ يعيبُهُ.

---

(1) أ: ح. ن.: من آداب اسقلبيوس.

## 9 ـ الحكيم العظيمُ الرَّباني أنباذقلس[1]

ابن تـاذَر من أهل أفْـرَغَلينَا، وهـو من الكبارِ والعـظماءِ عنـد الجمـاعـةِ من الحكماءِ، دقيقُ النظر في العلومِ الحكميَّـةِ، رقيق الحال في الأعمـالِ، ولما وعى الحكمة من داود ولقمان بالشام عاد إلى يونان فكلَّم بالحكمةِ.

فقال: إنّ الباريَ تعالى لم يزل هُـويَّتَهُ فقط، وهـو العلم المُلَخَّصُ والإرادة المحضة، والجودُ والعزُّ والقدرة والعدل والخيرُ والحقُّ لا إنّ هناك قوىً مسماةً بهذه الأسماءِ بل هي هو وهو هذه كلُّهـا مبدعـةٌ فقط، لا أنّه أبـدع من شيءٍ، ولا أنه كان معـه شيءٌ، فأبـدع البسيطَ الذي هـو أوَّلُ البسائطِ المعقـولةِ أعني العنصر الأول، ثم كثُرتِ الأشياءُ المبسوطةُ من ذلك المبدعِ البسيط الواحـد، ثم كـوَّنَ المركبـاتِ من المبسوطـات، وهـو مبـدع المتضـادات والمتقـابـلات المعقولة، والخيالية والحسيَّةِ.

[وذكر أنَّ المنطق لا يقدر أن يغيِّرهما عند العقل لأنَّ العقلَ أكثر من المنطق لأنّـه بسيطٌ، والمنـطق مـركَّبٌ متحيِّـزٌ؛ والعقـل مُتَّحَـدٌ فليس للمنـطق إذن أن يصفـ الباريَ تعالى إلا صفة واحدةً وذلـك أنّه هـو ولا شيء من هذه العـوالم بسيطٌ ولا مـركَّبٌ إلّا العنصر الأول بسيطٌ من نحـو ذات العقل ليس هـو بسيطاً مـطلقاً أي واحـداً بحتاً، فـلا معلول إلّا وهو مـرَّكَّبٌ تركيبـاً عقليـاً أو حسِّيـاً، فالعنصر في ذاتهِ مركَّبٌ من المحبَّةِ والغلبةِ، وعنهمـا نشأتِ الجـواهرُ البسيـطةُ الروحانيَّـةُ والجسمانيَّـةُ، فصارتِ المحبَّـةُ والغلبةُ صفتينِ أو صـورتين للعنصر مبدأينِ لجميع الموجودات فانطبعتِ الروحانيـاتُ كُلُّها على المحبـةِ الخالصـةِ والجسمـانيـات كلُّهـا على الغلبـةِ والمـركبـاتُ على طبيعتَيّ المحبـةِ والغلبـةِ والازدواجِ والتضادِ وبمقدارهما في المركبـاتِ تعرفُ مقـاديرُ الـروحانيّـاتِ في الجسمانيَّاتِ، ولذلك أشاعت المزدوجـات واختلفتِ المتضادَّاتُ، والائتـلافُ الـذي فيها من الـروحانيَّـاتِ، والإختلافِ والغلبـةُ من الجسمـانيَّـاتِ، وربَّمـا

(1) القفطي، ص: 15 (أبيذقلس)؛ أصيبعة، ص: 61 (بندقليس).

اجتمعا في نفسٍ واحدةٍ بإضافتين مختلفتين][1].

وكان في زمنِ دَاوُدَ، وكان أخذ الحكمةَ عن لقمانَ بالشام.

وقيلَ عن سليمانَ ثم انصرفَ إلى بلاد اليونانيِّينَ فتكلَّم بخلقِهِ العالم حتى هجرهُ بعضهم وطائفةٌ من الباطنيَّةِ تنتمي إلى حكمته ويزعمُ أنَّ لَهُ رموزاً قلَّ ما يوقفُ عليها.

وكان محمَّدُ بنُ عبدِ الله بن مُرَّةَ الجبلي الباطني من أهلِ قرطبة كلفاً بفلسفتِهِ دؤوباً على دراستها، وهو بالجملةِ عظيمُ الشأنِ جليلُ القدرِ، كثيرُ الرياضةِ والتَّألُّهِ والتَقَشُّفِ، تاركاً للدنيا، مقبلاً على الأخرى، ماهراً في معرفةِ النفس والمجرَّداتِ وأحوالها وتراتيبها، وقد رأيْتُ له كتاباً في الفلسفة يدلُّ على ذوقِهِ وقوَّةِ سلوكِهِ وتبزيزهِ في[2] العلمِ الإلٰهي وحكمتِهِ[3][4].

وهو أوَّلُ من ذهب إلى الجمع بين معاني صفاتِ الله تعالى وأنَّها كلَّها تُؤدي إلى شيءٍ واحدٍ وليس ذا معانٍ متميِّزةٍ يختصُّ بهذه الأسماء المختلفة بل هو الواحدُ بالحقيقة الذي لا يتكرَّر أصلاً بخلافِ باقي الأشياءِ الموجودةِ، فإنَّ الوحدانيات العاليةِ[5] للتكثّر، أمّا بأجزائها أو بمعانيها أو بنظائرها فذات الباري سبحانه وتعالى مُنَزَّهَةٌ عن هذا كلِّهِ، وإلى هذا المذهب ذهب عليّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ الله عنه، وأبو الحسن البصريّ وجماعةٌ مِنَ المعتزلةِ وجمهورُ الحكماءِ.

ومِنْ لطائفِ كلماتِهِ قولُهُ: إنّ في طلبِ الفلسفةِ شرفاً وإنَّ مرتبتها لعاليةٌ عظيمةٌ، فينبغي لمن طلبها أن يكون ذهنه صافياً وعقله لطيفاً وهمومه في هذا

---

(1) [—] الفقرة غير موجودة بالنسخة ب.

(2) أ: ح. ن.: وكشفه.

(3) أ: ح. ن.: النبوية ممزوجة بفلسفة.

(4) ح. م.: يلاحظ أن المؤلف ينتقل للحديث عن محمد بن عبد الله بن مرة عند ترجمة أبيذقلس ودون مقدمة للقارىء ولعل الجملة الآتية التي وردت في كتاب القفطي تفسر السبب إذ يقول (ص 16): ومن المشتهرين؛ في الملة الإسلامية بملازمته إلى مذهب ابيذقلس هو محمد بن عبد الله الجبلي من أهل قرطبة. . .

(5) أ: ح. ن.: معرفة.

العـالم قليلةً، وإنَّ في طلبِ الحكمـةِ فضيلةً ومـرتبـةً شـريفـةً وهي في ذاتهـا وحدودها تدلُّ على ما وصفتُ، وذلك أنَّها تُنيرُ العقل بالنورِ العـالي الإلّهي في طلبه إيَّاها وإنَّ الحكمةَ لترغبُ في الرحلةِ عن هـذا العالمِ إلى ذلـك العالم، وتُـزهِدُ العقـل والنفس في هذا العـالمِ فلا مـرتبـةَ أفضـلُ من هـذه المـراتبَ الثلاث.

ومِمَّا نُقِلَ عنه في أمر المعادِ أنّه بقي في هذا العالم على الوجه الـذي عهد بأمر النفوس التي تشبَّثتْ بالطبايع والأرواح التي نطقت بالشبائك حتى تستغيثَ في آخر الأمر إلى النفس الكلِّيـة، فتتضرَّعُ النفس الكليـةُ إلى العقل ويتضـرَّعُ العقـل إلى الباري تعـالى، فيسيح البـاري تعالى على العقـل، ويسيحُ العقـل على النُّفْسِ، وتسيـح النُّفْسِ على هذا العـالم بكلٍّ نـورها فحينئـذٍ تستضيء الأنفُسُ الجـزئيةُ وتشـرق الأرضُ والعالم بنـورها حتى تعَـاينَ الأنفسُ الجزئيـةُ كليَّـاتها فتتخلَّصُ عن الشبكـة وتتصلُ بكليـاتها وتستقـر في عـالمهـا مسـرورةً محبورةً.

وقـال إنَّ العنصر الأول لمـا صوَّر في العقـلِ ما عنـدَهُ من الصُّـوَرِ العقليـةِ الـروحانيـةِ وصوَّرَ العقـل في النفسِ ما استفـاد من العنصـرِ وصـوَّرتِ النفس الكليَّةُ في الطبيعةِ الكليَّةِ ما استفادَتْ من العقـل حصلت قشورٌ في الـطبيعة لا تشبهها ولا شبيهةٌ بـالعقل الـروحانيِّ اللطيف، فلمَّـا نظرَ العقـلُ إليها وأبصَـرَ الأرواحَ واللُّبوبَ في الأجسادِ والقشورِ ساحَ عليها من الصُّورِ الحسنةِ الشَّريفةِ.

وهي صُوَرُ النفوسِ المشاكِلَةِ للصُّوَرِ العقليةِ اللطيفةِ الروحانيَّةِ حتى يُدَبِّرها ويتصرف فيها بـالتَّمييز بين القشـورِ واللُّبوبِ، فيصعـد باللُّبـوبِ إلى عالمهـا، فكانت النفوس الجزئيَّةُ أجزاءً للنفس الكليةِ كأجزاءِ النفس المشرقةِ على منافذ البيت، والـطبيعةُ الكليَّـةُ معـادلـةُ للنفس، وفـرْقٌ بين الجـزءِ وبين المعلولِ، وخـاصَّةُ النفس الكليَّـةِ المحبَّـةُ لأنهـا[1] نـظرتْ إلى العقـلِ، وحُسنِـهِ عشقتـه فطلبتِ الاتحادَ بِهِ وتحرَّكَتْ نحوَهُ.

---

(1) أ: ح. ن.: لمَّا.

وقـال ليسَ يقدرُ أحَـدٌ أنْ يعرفَ النَّفْسَ إلاّ مَنْ كـانت نفسـه طـاهـرةً زكيَّـةً مستوليةً على بدنِهِ فيعرفُ حينئذٍ ما النَّفْسُ ويراها رُؤياً حسناً لأنَّها روحانيَّةٌ غيـر منجَّسة، ويعرفُ أنّهـا جوهـرٌ لا أشرفَ منـهُ ولا أكرَم، بـاقٍ دائمٌ لا يموتُ ولا يفنى.

فأمَّا جُلُّ الناس، فإنَّ نفوسَهُم ناقصةٌ كـأنَّها بـدَنٌ مقطوعُ الأعضـاءِ فينكرونَ شرفَهَا وحسنها[1] وعدَمَ مَوْتِها، وهو خطأٌ لأنَّه لا ينبغي لأحَدٍ أنْ يقـولَ قولاً في شيءٍ قبْلَ أنْ يفْحَصَ عنه ويعرِفَ عِلَّتَهُ وبـاطنَهُ وظـاهرهُ، ثمَّ يقضي عليـه وإذا أراد أنْ يفحَصَ عن شيءٍ فلا يلقي نظره خارجاً على القشرِ الظاهر بل يحرص على أنْ يلقيـه على روحانيَّـة الشيءِ الباطن الـذي هو الجـوهرُ الخـالصُ بعْينه وإلَّا لم ينـل معرفـةَ حقيقةِ ذلـك الشيءِ، فافْهم ذلـك، وهذا كـلامٌ في غـايـةِ الحسن.

وقال: إنَّ من رام أنْ يعرفَ الأشياء من العلوِ أعني من الجوهرِ الأوَّلِ عَسُرَ عليه إدراكُها ومن طلبهَا من أسفل عسـر عليه إدراكُ العلم الأعلى لانتقـالِهِ من جـوهَرٍ كثيفٍ إلى جـوهرٍ في غـايةِ اللطف، ومَنْ طلبهـا من المتـوسِّطِ وعـرف المتوسِّط كُنْهَ المعرفةِ أدرك به علم الطرفينِ وسهُـلَ عليه الـطَّلَبُ، وهذا كـلامٌ عجيبٌ لا يعرفُ قدْرَهُ إلاّ من عرف المتوسط أعْني النَّفَسَ الإنسانيةَ.

وقـال: إنَّ النَّفْسَ جوهـرٌ مبسـوطٌ متحـرِّكٌ بـاقٍ، وليسَ يعني بـالبسطِ هـذا البَسْطَ ولكنْ بسْطَ الـذهنِ والوهم، فـإنَّ ذلـك البسْط روحـانيٌّ، وهـذا البسْطُ جِرْمِيٌّ مُرَكَّبٌ عند البسطِ الأول الوهْمِيِّ والذهنيِّ وإنَّما صَارَ عندنا مبسوطاً لأنَّا لا ندركُ شيئاً من الأوائِلِ اللَّطيفةِ التي هي مـدركةٌ في هـذا العالم هـو ألطفُ من ذلك.

فـإنْ أرَدْتَ أن تعلم خـاصِيَّــةَ المبسـوطِ فتــوَهَّمْ النُّـورَ لا النَّــارَ والضيـاءَ لا الضوءَ ولو لَمْ تكنِ النفسُ مبسوطةً لم تكن نَيِّرَةً ولا كانَ يَتَّصِلُ نُورُ بعضهـا

---

(1) أ: ح. ن.: وبسطها.

ببعْضٍ، وذلك لأن من هذه الجواهِرِ الخمسةِ ثلاثةٌ نَقِيَّةٌ مِنَ القشـورِ، فالثلاثةُ الروحانيةُ المبسوطة[1] يختلطُ بعضها ببعضٍ. وكُلٌّ واحدٍ محيطٌ بالَّذي دُونَهُ.

وأمَّا الجوهران الآخرانِ فهما أُفُقٌ للثلاثـةِ الأفلاكِ بـاطنٌ، فمن هذه الجهـةِ صارت هذه الجواهرُ مبسوطةً لأنَّ النُّور محيطٌ بها، ولأنَّـه لمَّا صـارَ كل جَـوْهَرٍ من هذه الجواهر محيطاً بصاحبِهِ كـإحاطـةِ الفلكِ كان نُـور كلٍّ واحـدٍ من هذه الجواهِرِ مُتَّصلاً بنور صاحبِهِ، يستمِدُّ الذي هو أدنى من صاحبِهِ الذي هو أعلى منه بوصلةٍ واحدةٍ لا فرق بينهما أكثر من أنَّه يصلُ إلى الأوَّلِ قبـل الثاني وإلى الثـاني قبل الثـالث، والوصلةُ بينهمـا غير منقـطعةٍ إلى أنْ يصـلَ إلى الطبيعـةِ فتنقـطعُ، لأن فلك النفس لا يحيطُ بفلكِ الـطبيعـةِ، والـطبيعـةُ محيـطةٌ بفلكِ الهيولى الثانيةِ، والعقلُ يمدُّ النفس بنورِ الهيولى الأُولى فَيُفيِّضُه على الطبيعة.

وقيلَ لأنباذقلس: لِأيِّ شيءٍ قَعَدْتَ عن خدمـةِ الملوك؟ فقال: لعلْمِي بقلَّةِ من يسلمِ منهم.

وقال له تلميذُهُ: أيُّ العُلومِ أشرفُ؟ فقال: ما العامَّةُ فيهِ أزهَدُ.

وقال: كما أنَّ الإناءَ إذا تُرِكَ فيه أكثَرُ مما يسعَهُ خرج منه، كذلك الذِّهْنُ إذا تُـرِكَ فيه أكثـر من المقدارِ الـذي يُمكنَـهُ تحيَّـرَ، وربَّمـا خَـرَجَ بعضُ مـا كـان ضابطَهُ.

وقـال: إذا أُرْسِلْتَ لِتأْتِي بِبَقَـرٍ فَـلا تـأتِ بِتَمْـرٍ فَيُؤكَـلُ تَمْـرُكَ ولا تَسْلَمْ مِنَ العِتابِ.

## 10 ـ خبرُ فيثاغورس الفَيْلَسُوف المتألِّه[2]

أصلُهُ بالرُّومِيَّـةِ: تَثُوَاغـورُسْ، ومعنى تَثْوَ: اللهِ. ومعنى أغـورُسْ: الشَّابُ.

---

(1) أ: ح. ن.: وإثنان كثير القشور.

(2) القفطي، ص: 258، أصيبعة، ص: 61.

ومعناهُ: شابُّ الله، لكنهم يقدِّمونَ المضاف إليه على المضافِ. وكان فيثاغورس بعد أنباذِقِلِسْ بزمانٍ، وأخذَ الحكمةَ من أصحابِ سليمانَ بمصْرَ حين دخلُوا إليها مِنْ بلادِ الشامِ.

وكانَ أخذَ الهندسة قبلهم من المصريِّينَ، ثم دخلَ إلى بلادِ يونانَ، وأظهَرَ الهندسةَ عندهم وعلم الطبيعةِ وعلمَ الدِّينِ، واستخرَجَ بذكائهِ الموسيقى وأوقعها تحتَ النِّسَبِ العدديَّةِ وادَّعى أنَّهُ استفادهُ من مشكاةِ النُّبوَّةِ، ولهُ في نصبِ العالمِ وتركيبِهِ على خواصِّ العددِ ومراتبِهِ أمورٌ عجيبةٌ وأغراضٌ بعيدةٌ.

ويقاربُ أنْباذِقْليس أنَّ فوق عالمِ الطبيعةِ عالماً روحانيّاً نورانِيّاً لا يدركُ العقلُ حسنَهُ وبهاءَهُ، والأنفسُ الزَّكيَّةُ تشتاقُ إليهِ، ومَنْ قوَّمَ نفسَهُ وبَرَّاها مِنَ العُجْبِ والتَّجَبُّرِ والرِّياء والحَسَدِ وغيرِها مِنَ الشَّهواتِ البدنيَّةِ، فقد صار أهْلاً للّحُوقِ به والإطِّلاع على جواهره والانغماسِ في لذَّاتِهِ.

ولهُ تواليفُ شريفةٌ في الحكمةِ والموسيقى وغيرهما، وذكروا أنَّه كان يرى السِّياحَةَ واجْتنابَ مُمَاسَّةِ القاتِلِ والمقتولُ، وأنَّهُ أمَرَ بتقديسِ الحواسِ وبعملِ العَمَلِ بالعدلِ وجميعِ الفضائِلِ والكفِّ عن الخطايَا والبحْثِ عَنِ العَطِيَّةِ الأُنسيَّةِ ليعرفَ طبيعةَ كُلِّ شيءٍ وأَمَرَّ بالتجاربِ والتَّأدُّبِ بشرحِ العلومِ العُلْويَّةِ، ومُجاهدةِ المعاني، وعصمةِ النُّفوسِ، وتعلُّمِ الجهادِ، وإكثارِ الصيامِ، والقُعُودِ على الكراسي، والمواظبةِ على قراءةِ الكُتُبِ، وأنْ يُعَلِّمَ الرجالُ الرِّجالَ وأنْ يُعَلِّمَ النِّساءُ النِّساءَ، وأمَرَ بِجُودَةِ المَنْطِقِ ومواعِظِ الملوكِ.

وكانَ يقولُ ببقاءِ النُّفُوسِ وكَوْنِهَا فيما بَعْدُ في ثوابٍ أو عِقَابٍ على رأيِ الحُكماءِ الإلَهِيِّينَ.

وكان لهُ غَدَانِ أحَدُهُمَا لا يجوعُ معهُ، وكان قد ألزمَ نفسَهُ عادةً موزونةً، فلم يكن مرَّةً صحيحاً ومرَّةً سقيماً، ولا كان مرَّةً وَيَسْمَنُ ومرَّةً يُهْزَلُ، وكانت نفسه لطيفةً جداً، ولم يكن يفرحُ بإفراطٍ ولا يحزنُ بإفراطٍ، ولا رآهُ أحَدٌ قطُّ

ضاحكاً ولا باكياً وكانَ يُقدِّمُ إخْـوانَهُ على نفسِـهِ، وكان أوَّلَ مَنْ قـالَ إنَّ أقوالَ الأخِلاَّءِ مُشَاعَةٌ غيرُ مقسومةٍ.

وكان يرمُزُ حكمتهُ ويُسِـرُّها، فمِنْ رمـزِهِ قولُـهُ: لا تعدَّى في المسـرَّاتِ أي اجْتنِبْ الإفراطَ، ولا تحرِّكِ النَّارَ بالسكِّينِ لأنّها قد حَميتْ منهـا مرَّةً أي اجْتَنِبِ الكـلامَ المُحَرِّض عنـد الغضوبِ المغتـاظِ، ولا تجلس على فقـرٍ أي لا تعش في البـطالةِ، ولا تَمُـرَّ بغياضِ اللّيُـوثِ أيّ لا تقتَـدِ بـآراءِ المـردةِ، ولا تعمـرُ الخطاطيفُ البيوتَ أيّ لا تعتدَّ بأصحابِ الطَّرمدةِ غيرِ المالكينَ لأنفسهِمْ، وأن لا تُلقي الجمـل على حامِله لكن يُعـان على حمله أيْ لا يعقـل أحَـدٌ أعمـال نفسه في الفضائِلِ والطَّاعـاتِ، وأن لا تلبس تماثيـلَ الملائكـةِ على فُصوصِ الخواتم أيْ لا تجهر بديانتكَ في أسرارِ العلوم الإلَهيَّةِ عند الجُهَّالِ.

وذكرَ فَرفـريوس في تـاريخه حكـاياتٍ عجيبـةً ظهرت عن فيثـاغورَّسْ مِمَّـا تكَهَّنَ به، وَمِنْ أخبارِهِ بمُغَيَّباتٍ سُمعتْ منه وشُوهِدتْ.

وكان لفيثاغُورس أَبٌ اسمُهُ مينسارخوس من أهْلِ صُور، وكان له أخَـوانِ، اسم الأكبرِ منهما أويوسطُوسُ والآخَرُ طُورينوس، وكان اسم امِّهِ بُوثـانِسن بنت لياحَقَانوس من سكّانِ سَاقُوسْ.

ولمَّا غلَبَ على صُورَ ثلاثُ قبائل: ليمُون ويمـرُون وَسَقُورونَ فـاسْتَوْطَنُـوهَا وجلا أهلُها منها وجلا والدُ فيثاغورس معه فيمن جـلا، وسكَنَ البحيرةَ وسـافر منها إلى ساموس ملتمساً كسباً، فأقام بها وصـار مُكْرمـاً، ولمَّا سـافر منهـا إلى أنـطاكيا(1) أخـذ فيثاغـورسْ معه ليتفـرَّجَ بها لأنهـا كـانت نـزهـةً جـداً، كثيـرةُ الخصبِ، فذكروا أنَّ فيثاغورس إنَّما عاد إليهـا يسكنها لمـا رأى من طيبها أوَّلَ مـرَّة، ولمَّا حـلا منها منسـارخوس سكن سـامُوس ومعـه أولادُهُ أويـونسـطوس وطُورنيوس وفيثاغُورس فتبنَّى أندَرْومَاخـوس رئيسُ سَامُـوسَ بفَيثَاغُـورس وكفلَهُ لأنَّـهُ كـان أحـدثَ الأخـوةِ وأسلمهُمْ من صغـرِه في تعلُّمِ الآدابِ واللغـةِ

---

(1) أ: ح. ن.: انطاكية.

والموسيقى فلمَّا التحى وجَّهَ به إلى مدينةِ سليطون وأسلمَهُ إلى اكثمايذُوس الحكيم ليعَلِّمَهُ الهندسةَ والمساحَةَ والنجومَ، فلمَّا أحْكَمَ فيثاغُورسْ هاتين الصناعتينِ اشتدَّ حبُّهُ للعلومِ الحكميَّةِ، فسافرَ إلى بلدانٍ شتَّى طلباً لذلك فوردَ على المصريِّينَ والكلدانيِّينَ وغيرهم، ورابطَ الكهنةَ بمصر وتعلَّمَ منهم الحكمةَ، وحَذقَ لُغَةَ المصريينَ بثلاثةِ أصنافٍ من الخَطِّ: خَطِّ العامَّة، وخطِّ الخاصَّةِ، وهو خَطٌّ للكهنةِ المختصرَ، وخطِ الملوكِ. وعندما كان في أراقليا اعْني هِرْقَلَهْ، وكان مُرابطاً لملكها.

ولمَّا صار إلى بابل رابَطَ رُؤساءَ خَلْدانيّينَ(1)، ودرسَ على رارياطا فبصَّرَهُ بما أحَبَّ على الصِدِّيقينَ، وأسْمعهُ سَمَاعَ الكبارِ وعلَّمَهُ أوائلَ الكُلِّ إنَّما هي، فَمِنْ ذلك فضلتْ حكمَةُ فيثاغُورسْ وبِهِ وجَدَ السَّبيلَ إلى هدايَةَ الأُمَمِ ورَدَّهُمْ عن الخطايا الكثيرةِ لكثرةِ ما اقْتَنَى من العلومِ من كُلِّ أُمَّةٍ ومكانٍ وورد على أفارَّاقْوديسْ الحكيم السُّرياني في بدايةِ أمْره في مدينَةٍ اسمُها ديلونَ من سوريَة وخرج عنها فسكن سَلْمُوسْ.

وكان قد عرض له مرضٌ شديدٌ حتَّى أنَّ القمل كان ينتعشُ من جسمِهِ فلمَّا عظُمَ به الأمرُ وسامُوهُ حملهُ تلامذَتِهِ إلى أفاسُوسْ، ولمَّا تزايَد ذلك عليهِ رغِب إلى أهْلِ أفَاسُوس وأقْسَمَ عليهم أن يحوِّلوه من مدينتهِمْ، فأخْرجُوهُ إلى ماعانِيساوَ عُنِيَ تلامذتُهُ بخدمتِهِ حتى مات، ودفنوه وكتبُوا قِصَّتَهُ على قبره.

ورجعَ فيثاغورَّسْ إلى مدينةِ سَاموس، ودَرَّسَ بعده على أرْمُودانطيس الحكيمِ الإلَهي المُتَألِّه المُكنَّى بغَروَقوليو بمدينةِ سَامُوسْ، ولَقِيَ بها أيضاً أرمُودَاماليس الحَكيمِ الإلَهي المُكنَّى افْروِوليم، فرابطَهُ زماناً وكان طرابِه سامُوس فصارَتْ لِفُولُوفراطيس أرَاطرونْ(2)، واشتاق فيثاغُورسْ إلى الاجتماع بالكهنةِ الذين بمصر فَابْتَهَلَ إلى فِولُوفراطيسّ أنْ يكون له على ذلك معيناً

---

(1) أ: ح. ن.: كلدانيين.
(2) أ: ح. ن.: الأطرون.

فكتب إلى أماسيس ملك مِصْرَ كتاباً يُخبره بما تاقَ إليه فيثَاغُورس ويُعلِمُـه أنَّهُ صديقٌ من أصدقائِه ويسألَهُ أن يجودَ عليه بالَّذِي طلب وأَنْ يتحنَّنْ عليه فأحْسَنَ أمَـاسيسُ قبولَـهُ، وكتبَ إلى رؤَسَاءِ الكهنـةِ بما أرادَ، فـوَرَدَ على أهْلِ مـدينـةِ الشمْسِ ، وهي المعـروفةُ في زمـاننا بعينِ شمس، يكتب ملكَهُـم فقبلوهُ قبـولاً كريهاً وأَخِذُوا في امتحانِهِ زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا تقصيراً.

فوجَّهُوا بِهِ إلى كهَنَةِ مَنْفَ كي يُبَالغُوا في امتحـانِهِ فقبلوهُ قبـولاً على كراهَـةٍ واستقصُوا امتحانَهُ فلم يجدوا عليـه نقصاً ولا أصـابُوا لـه عثْرَةً، فبَعَثُـوا به إلى أهْلِ ديوسوكس ليمتحِنُوهُ فلم يجدوا عليه طريقاً ولا إلى ادحاضِهِ سبيلاً لعنايـةِ ملكِهِمْ بـه، فَفَرَضُـوا عليه فـرائضَ صعبةً كيمـا يمتنع من قبـولهـا فيـدْحضـوه ويحرمُوه طَلَبَهُ مُخالفةً لفرائض اليونانيين، فقبلَ ذلك وقام به، فاشتدَّ إعْجابهُم منـه، وفشا بمصـر وَرَعُهُ حتَّى بلغ ذكـرهُ إلى أماسيس، فـأعـطاهُ سُلطانـاً على الضَّحايا للرَّبِّ تعالى وعلى سائر قرابينهم ولم يُعْطِ ذلك لغريبٍ قطٌّ.

ثم مضى فيثَاغُورسْ مِنْ مصر راجعاً إلى بلادِهِ، وبنى له بمدينةِ أبويه منـزلاً للتعليمِ ، فكان أهلُ سَامُوسَ يأتُونَ إليهِ ويأخُذونَ من حكمتِهِ. واعْتزلَ خارجـاً من تلك المـدينةِ أمـطرونَ، فجعَلَهُ مجمعاً خـاصاً لحكمتِـهِ، وكان يُـرابطُ مع قليلٍ من أصحابِهِ أكثرَ أوقاتِهِ.

ولمَّا أتَتْ عليه أَرْبَعُونَ سنةً وتمادتْ طرايةَ فولُـوفراطيسَ وكـان قد استخلفـهُ عليهم حيناً طويلاً واستكْفاهُ ففكَّرَ ورأى أنه لا يحسنُ بـالمرءِ الحكيمِ المكثُ على لـزومِ الطّرايـةِ والسلطان والغشمِ فرحـل إلى انطاكيـا، وسـار منهـا إلى أفْـروطوليـا، ودخلها فـرأى أهْلُها حسن منـظرهِ ومنطقـهِ ونُبْلِهِ، وسعـةَ علمِـهِ، وصحَّةَ سيرتهِ مع كثرةِ يَسَارِهِ وتكامُله في جميع خصـاله، واجتمـاعَ الفضائـلِ كلِّها فيه.

فانْقادَ له أهلُ أفْـرُوطُولِيَـا انقيادَ الـطَّاعَةِ العلميَّـةِ فألـزمهُمْ عصمةَ القـدماء، وهدى نفوسهم ووعظهم بالصالحاتِ وأَمَر الأراكِبَةَ أن يضعـوا للأحـدا...

الآدابِ الحكميَّةِ وتعليمَهُمْ إيَّاها، فكان الرجالُ والنِّساءُ يجتمعونَ إليه ليسمعوا مواعظَهُ وينتفعوا بحكمتِهِ.

فَعَظُمَ مجده وكبر شأنُهُ وصيَّر كثيراً من أهل تلك المدينةِ مَهَرَةً بالعلومِ حتى انتشر خبرُهُ حتى أنَّ عامَّة ملوكِ البربرِ وردُوا إليه ليسمعوا حكمتهُ ويستوعبُوا من علمه، ثم إنَّ فيثَاغُورُسْ جالَ في مدنِ انطاكيا وسِقليَا، وكانَ الجوز والتَّمرُ، وقد غلب عليهم، فصار واسماعته وصَديقَهُ[1] مِنْ أهْلِ قُرُوطونيا وأهل سوراقوسيا وأهل فرافطا والرُّومِ وأهل طافُرومَاسونَ وغير ذلك.

فاستأْصَلَ الفِتنةَ منهم ومن نسلهم إلى أحقابٍ كثيرةٍ، وكان منطقُهُ طارداً لِكُلِّ مُنكر، ولمَّا سمعَ حِكَمَهُ ومواعظَهُ سيماخُوسْ اطرون والي قانطورنيا خرج من ملكهِ وخَلفَ أموالَهُ، بعضها لأخيهِ وبعضها لأهْلِ مدينتهِ.

وذكر أنَّ بابوس الذي كان حبسه من قرلس، وكان ملك[2] قويّاً، كان مِنْ وُلد فيثاغورس وكان لفيثاغورس وهو بأمر قرطونيا بنتٌ بتول، وكانت تُعلِّم عذارى المدينةِ، شرائع الدين وفرائضهُ وسُنَنَهُ من حلاله وحرامه، وأيضاً[3] زوجَته تُعلِّم سائرُ النِّسَاءِ.

ولما توفِّي فيثاغورس عمد دهرطريوس المؤمن إلى منزل الحكيم فجعلهُ هيكلاً لأهلِ قَروطونيا، وذكروا أنَّ فيثاغورس كان على عهد كورس ملك الفرس حدثاً وكان مُلكُهُ ثلاثين سنةً، وملك بعده ابنهُ فابيوس وفيثاغورس في الحياة، وإنَّ فيثاغورس لَبِثَ بسامُوسَّ ستين سَنَةَ، وسافر إلى أنْطاليا، ثم توجَّه منها إلى قروطونيا، فأقامَ بها ثماني سنينَ وإنَّه لمَّا هاجَ عليه بها ذلك الهيج رَحَلَ فيها إلى ماطربوبطيون، فمكثَ بها خمس سنين، وتوفِّي، وكان غذاؤُهُ

---

(1) سماعته وصديقه: «كذا» في «أ» ولعلَّ في ذلك تصحيف من الناسخ. وإخالُ الصواب: (فصار سمَّاعُه وأصدقاءه). (المحقق).

(2) «كذا» في «أ»، والصواب: ملكاً. (المحقق).

(3) أ: ح. ن.: وكانت.

عسلاً شهداً وعشاؤُهُ خبزاً وأحجون ويقول[1] نيَّةً مطبوخةً ومن أضحية كهونته ممَّا كان يُقرِّبُ لله تعالى فلمَّا أنْ رأس على الهياكل وصار رئيسَ الكهنةِ جعل يتغذَّى بالأغذيةِ غير المُجَوِّعَةِ وغير المعطشةِ، وكان إذا ورد عليه واردٌ ليسمع كلامَهُ يكلِّمه على أحَدِ وجهَيْن: إمَّا بالاحتجاجِ الدَّرسيّ وإمَّا بالموعظةِ والمشورَةِ، وكان يعلِّمُهُ شكْلَ درجتينِ.

وحضرهُ سفرٌ إلى بعضِ الأماكنِ فأراد أن يؤنِسَ أصحابه بنفسه قبل فراقهم في بيتِ رجلٍ يقال له دسْلُون[2] فبينَا هم في البيتِ مجتمعونَ إذْ هَجَمَ عليهم رجُلٌ من أهْلِ فرونُوطُونيا اسمُهُ قَلُون، وكان له شَرَفٌ وحَسَبٌ ومالٌ عظيمٌ، وكان يستطيلُ بذلكَ على الناسِ، ويتمرَّدُ عليهم، ويغْتَرُّ بالجُودِ، وكان قد دَخَلَ على فيثَاغُورُس وجعلَ يمدَح نفسه، فزَجَرَهُ بين جلسائه، فأشار إليه باكتسابٍ من خلاص نفسه، فاشتَدَّ غيظُ قَلُونَ عليهِ وجمعَ أخلاَّءَه وقذفَ فيثاغُورسَ عندهُمْ ونَسَبَهُ إلى الكفرِ ووافقهُم على قَتْلِه وأصحابه.

ولمَّا هَجَمَ عليهم قتل منهم أربعينَ إنساناً، وهرب باقيهم، فمنهم من أُدْرِكَ وقُتِلَ ومنهم مَنْ أفل واخْتفى، ودامتِ السِّعَايةُ بهم والطَّلَبُ لهم، وخافُوا على فيثاغُورس القتل فأفْرَدُوا له قوماً واحتالوا له حتى أخْرجُوهُ بالليلِ، وَوَجَّهُوا معه بعضهم حتى أوصلُوه إلى قاوَمُونيا، ومِنْ هناك إلى الوَقَارِسْ.

فانتهتِ البَشَاعَةُ فيه إلى أهْلِ المدينةِ فوَجَّهُوا إليهِ مشايخَ منهم، فقالوا له: أمَّا أنْتَ يا فيثاغُورس فَحكيمٌ فيما نَرى، فأمَّا البشاعَةُ عنك فَسَمِجَةٌ جداً لكنَّا ما نجدُ في نواميسنا ما يُلْزِمُكَ القتل ونحنُ متمسِّكون بشرائعنا فخذْ مِنَّا ضيافتك ونفقةَ طريقكَ وارْتحلْ عن بلدنا بسلامٍ، فرحَلَ منها إلى فارقرطا ففاجأهُ هنالك قومٌ من أهل فاروطونيا فكادُوا أن يحتفوهُ وأصحابَهُ فرحل إلى

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: بقولاً (المحقق).

(2) أ: ح. ن.: مسلون.

مَقْطَابوبطيون وتكاثرتِ الهيوجُ عليه في البـلادِ حتى كان يـذكر ذلِـكَ في أهلِ تلك البلادِ سنينَ كثيرةً.

ثم انحـاز إلى هيكلِ المُسمَّى هيكـلِ المسوسين فَتَحَصَّن فيـه وأصحـابُـه ولبثَ فيه أربعينَ يوماً، فلمْ يتعدَّوا، فضربُوا الهيكل الذي كان فيه بالنَّارِ، فلمَّا أحسَّ أصحابه ذلك عمدوا إليه، فجعلوه في وسطهم، وأحدقوا بـه ليقُوهُ النـارَ بـأجسـادِهِمْ، فعنـدمـا احتـدمتِ النَّـارُ في الهيكـلِ واشتـدَّ لهيبُهـا غُشيَ على الحكيمِ مِنْ لهيبِ حرارتها ومِنَ الجَوَى فسقَطَ ميتاً.

ثم إنَّ تلك الآفَةَ عمَّتْهُمْ أجْمعِينَ فأُحْـرِقُوا كلهم وكـان ذلك سبب مـوتهم. وذكروا أنّه صَنَّفَ مائتينِ وثمانينَ كتاباً، وخلفَ من التلاميذِ خلقاً كثيراً، وكـان نقشُ خاتمهِ: شرٌّ لا يَدُومُ خيرٌ مِنْ خَيْرٍ لا يَـدُومُ؛ أي شَرٌّ يُنْتَـظَرُ زوالُهُ ألَـذُّ مِنْ خيرٍ ينتظرُ زوالُهُ، وعلى منطقتِهِ: الصَّمْتُ سلامَةٌ مِنَ النَّدامةِ.

أمَّـا الغـذاءُ الغيـر[1] المُجَـوِّعِ فكـانَ يتَّخِـذُهُ من بـزرسَقـوينُـونَ، وسمسم وقشرأسبقال مَغَسولٌ جيد حتّى ساملى واسار معـول وأسفودالتـوت العبّ طوال وحمصّ وشَعير، مِنْ كُلِّ واحدٍ جزء بالتحرير كان يسحقُها ويعجنُها بجنسٍ من العسلِ يسمَّى لمِطْيو.

وقال: وأمَّا غيرُ المعطش فكـان يُهيِّئُهُ من بـزر القِثاءِ وزبيبٍ سمينٍ منْـزوعِ العجمِ وزهْر فرينُونَ وبزر طُوخِيًا وبزر لُوفِيا وَانْدرَاجين ونوع مِنَ الخبز يـدعى قيل طامُـوسْ ودقيق أواوليس، وكان يعجنُهـا بعسل جـانون، وكـان يقولُ: إنَّ فـوق عالم الـطبيعةِ عـالماً نـوْرانياً لا يـدركُ العقلُ حسنـهُ وبهاءَهُ، إليـه تشتاقُ الأنفسُ الزَّكيَّةُ وكُلُّ طبقةٍ مِنْ طبقـاتِ العالمِ الجسمـاني بالنِّسبـةِ إلى ما فـوقَهُ كـالثِّقْلِ لـه، وأيّما إنسـانٍ أحْسنَ تقويمَ نفسـهِ من التَّبرُّؤ مِنَ العجبِ والتَّجَبُّـرِ والمُراءاةِ والحسدِ وغيرها من الشَّهْواتِ الجسميَّةِ فقد صارَ مُسْتَـأهِلاً لأن يصيـرَ في أعلى أقسـامها، فيطَّلـع على جميـعِ ما في جـواهـرِ العـالم من الحكمـةِ الإلَهيَّـةِ، ومتى سعِدَ بـذلك فقـدْ نال السُّـرورَ الحَقَّ والعزَّ الحقَّ، وكُـلُّ نفسٍ

(١) «كذا» في «أ» وحقه أن يقول: غير.

كـانتْ شرِّيـرةً دنسَةً فـإنّها تبقى في هـذه الأرض المُحاطَـةِ بـاللَّهَبِ، ويصيـرُ السماءُ لِلأَنْفُسِ الـزَّكِيَّةِ كـالأرضِ، ويصيرُ سمـاؤُهُم سماءً نُـوريَّةً أشْـرَفَ مِنْ هذه، وهناك الحسنُ المحضُ واللَّذَةُ المحضةُ.

وكان فيثَاغورس مِنَ العلماءِ الزُّهَّادِ من مَرْيوس.

وأمَّا كتبُ فيثاغورس فمائتانِ وثمانُـونَ كتاباً، وكانت سَلِمَتْ لكـونها كـانت مخزونة بـأنطاليـا، ويقال كـان عهدُ فيثـاغورس في الـوقت الذي سُبِيَ فيـه بنو إسرائيل إلى بابل في سنةِ سبعٍ وأربعينَ من السَّبي.

وقال فيثاغورس إنّ الباري تعالى واحدٌ لا كـالآحادِ، ولا يـدخلُ في العـددِ ولا يدركُ من جهةِ العقلِ والنَّفسِ والفكرِ العقلي ولا المنـطقِ النفسي بصِفةٍ، فهو فوق الصفاتِ العقليةِ غير مدركٍ من نحو ذاته وإنّما يدركُ بـآثارهِ وصنـائعه وأفعاله، فكلُّ عالمٍ من العوالمِ مدركُهُ بقدرِ الآثار الظاهرةِ فيه، فيصفهُ بذلك القدرِ الذي خَصَّهُ من صنعه، فالموجودات في العالم الرُّوحانيّ خُصَّتْ بـآثاره خـاصَّـةً روحـانيـةً فتنعتـه من حيث تلك الآثـارِ، والمـوجـودات في العـالم الجسماني خُصت بآثـار، خاصَّـة جسمانيـةً وتنعتُهُ من حيث تلك الآثـار، ولا شكَّ أنَّ هدايةَ الحيوان مقـدَّرَةٌ على الآثار التي حيـل عليها، وهـدايةُ الإنسـانِ مقـدَّرَةٌ على الآثار التي فُـطِرَ عليها، وكـلٌّ بصفةٍ من نحـو ذاتـه وتقـدُّسِـهِ عن خصائص صفاتِهِ.

قال: والوَحدةُ تنقسم إلى وحدةٍ غير مستفادةٍ من الغيرِ كوحدةِ الباري تعالى وهي وحدةُ الإحاطةِ بكلِّ شيءٍ، ووحـدةُ الحكم على كلِّ شيءٍ، وهي وحـدةٌ تصدر عنها الآحادُ في الموجوداتِ، والكثرة منها وأيُّ وحدةٍ مستفـادةٍ من الغيرِ كوحدةِ المخلوقاتِ ورُبما قال: الوحدةُ مطلقاً تنقسم إلى: وحدةٍ قبل الدَّهـرِ، ووحـدةٍ مع الـدَّهْرِ، ووحـدةٍ بعد الـدهرِ وقبـل الزمـان، ووحدةٍ مـع الزمـانِ، فـالأوَّلى وحدةُ البـاري تعالى، والثـانيةُ وحـدةُ العقلِ الأوَّلِ، والثـالثةُ وحـدةُ النفس، والرابعةُ وحدةُ العناصرِ والمركَّباتِ، وربما قـال: الوحـدَةُ إمَّا بـالذَّاتِ كوحدةِ الباري تعالى أو بالعَرَضِ كوحدةِ المخلوقات.

## ـ آدابُ فيثاغورس ومَواعظُهُ

قال لما كان بدءُ وجـودنا وخِلْقَتِنَـا مِنَ اللهِ سبحانـه هكذا، ينبغي أنْ تكـون نفوسُنَا منصرفةً إلى الله تعالى.

وقـال: إنَّ أحْبَبْتَ أَنْ تعرفَ الله سبحـانه فـلا تصرف عنـايتك إلى معـرفـة الناس، فإنّه قد يمكنك أن تعرف الله باليسير من الكلم[1].

وقال ليس المتقدِّمُ عند اللهِ سبحانَهُ لسانُ الحكيمِ بالتَّكرمَةِ بل أفعالُهُ.

وقـال: الحِكْمَةُ للهِ تعـالى خاصَّـةً فمحبَّتُها مُتَّصِلَةٌ بمحبَّـةِ اللهِ تعالى، ومَنْ أَحَبَّ الله سبحانه عمل بمحابِهِ، ومَنْ عمل بمحـابِهِ قـرب منه، ومن قَـرُبَ منه نجا وفاز.

وقال: ليس الضَّحايا والهدايا والقرابينُ بكراماتِ اللهِ تعـالى لكنَّ الاعتقادَ الذي يليقُ به هو الذي يكتفي به في تكرمتِهِ.

وقال: الأفعالُ الكثيرةُ في اللهِ سبحانه علامـةُ تقصيرِ الإنسـانِ عن معرفتـهِ، فإذا خطر ببالكَ في كُلِّ وقتٍ شُغِلَ فيه أحدُ أفعالِ الجسم أو النفسِ فرُبَّ اللهِ تعالى المشاهِدُ لجميع الأعمـال والأفكارِ فـإنَّك بسـرعَةٍ تستحي مِمَّنْ لا تفـوتُهُ رؤيةُ شيء، وهذا يكون إذا كان على الله تعالى اعتمادُك.

وقال: أحضَّ بالأشيـاءِ الجليلةِ النفيسةِ بـالفعل لا بـالقول حتى يكـون كما يريدُهُ الله سبحانه منَّا وله خلقنا.

وقال: الإنسانُ الحكيمَ المراقبُ للهِ سبحانَـهُ هو عنـد اللهِ معروفٌ فلهـذا لا يندمُ متى لم يكن معروفاً عند جميع الناسِ.

وقال: ليس في الأرضِ موضعٌ أولى به من النفسِ الطاهرةِ.

---

(1) أ: ح. ن.: العلم.

وقال: ما أنفعَ للإنسانِ أن يتكلَّم بالأشياءِ الجليلةِ النفيسةِ فإنْ لم يمكنه فليستمع قائلها.

وقال: احذرْ أن تركب قبيحاً من الأمر لا في خلوةٍ ولا مع غيرك، وليكنْ استحياؤُكَ من نفسك أكثر من استحيائكَ من كُلِّ أحدٍ.

وقال: ليكُنْ قصدُكَ في المالِ اكتسابهُ من حلالٍ وانفاقه في مثله، وقال إذا سمعت كذباً فهوِّنْ على نفسِكَ الصبرَ عليه.

وقال: روِّ قبل الفعلِ كيما لا تعاب في فعلكَ. وقال: لا ينبغي لك أن تهمل أمر صحَّةِ بدنك، لكن تعنى بالقصد في الطعام والشراب والنكاحِ والرياضة.

وقال: إحذرْ أن تفعل ما يجلبُ عليك التحسُّر.

وقال: لا تكن مِتلافاً بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده، ولا تكن شحيحاً فتخرج عن الحريةِ بل الأفضلُ في الأمور كلها هو القصد فيها.

وقال: كن متيقِّظاً في آرائكَ أيام حياتك فإنَّ شتات الرأي مشاركٌ للموت في الجنس.

وقال: ما لا تفعله احذر أن تخطره ببالك.

وقال: لا تطمع من الشِّرِّير أن يُحْسِنَ إليك لأن تدبير كل إنسانٍ لنفسه، ومنحته لغيره هو بحسب ما يعقد عليه فكره وضميره.

وقال: لسانُ الرجل المتحرص غير المُرتاضِ وصلواتُهُ وضحاياه نجاسةٌ عند الله عزَّ وجلّ.

وقال: معاتبةُ الإنسانِ نفسهُ أنفعُ من عتابِهِ لأصحابِه.

وقال: الزَّادُ الذي يصلح للحياةِ الصالحةِ أنْ لا يُسِيءَ الإنسانُ مصاحبيه.

وقال: لن يمكن بالتغافلِ الوصول إلى الموجودات على الحقيقةِ.

وقال: ظُنَّ بمن كان عديماً للمعرفةِ أنَّ مَديحَهُ وإمساكَه وهجاءَه أهلٌ ان

تضحك منه، فحياةُ مَنْ لا عِلْمَ معه عارٌ.

وقال: وَظُنَّ بمعاضديكَ على الحكمةِ النافعةِ إنَّهم إخوانُكَ.

وقال: الحاكمُ الذي لا يعدلُ في قضائه أهل لكُلِّ رداءَةٍ.

وقال: لا تُدَنِّسْ لسانَكَ بالقذفْ ولا تصغِ بأُذنيْكَ إلى مثل ذلك.

وقال: إجعل عقلكَ المستولي على جميعِ تدبيراتِ حياتك، فرقدةُ العاقِلِ مجانسةٌ للموتِ.

وقال: عسرٌ على الإنسانُ أن يكونَ حرّاً وهو ينصاع للأفعالِ القبيحةِ الجاريةِ مجرى العادةِ.

وقال: ليس ينبغي للإنسان أن يطلب القنية الغاليةَ والأبنية المشيَّدة العاليةَ لأنَّها من بعد موتهِ تبقى على حدود طباعها ويتصرَّفُ غيره فيها، لكن يطلب من القنيةِ ما ينفعه بعد المفارقةِ والتصرفِ فيها.

وقال: مِنَ الأحمدِ للإنسانِ أن يحيا وهو على سريرٍ من خشبٍ وهو حسنُ التوكُّلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ، خيرٌ من أن يكون على سريرٍ من ذهبٍ وهو متشكِّكٌ في اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقال: الحكيمُ إذا خرج على غير الصوابِ فهو سببُ جميعِ الشرور.

وقال: اخترْ أن تكون متحرِّكاً في نفسك لا في جسدك فتكون أرباحُكَ أرباحاً نفسيةً لا جسميَّةً.

وقال: الأشكالُ المزخرفةُ والأمورُ المموَّهة في أقصرِ الأزمانِ تتبهرجُ.

وقال: (عدمُ الفلاح ليس وإنّما يضرُّ فاعليه فحسب، ولكن وبالَّذينَ يتصلَونَ الفاعلينَ له)[1].

---

(1) «كذا» وردت في «أ» العبارات الموضوعة ما بين قوسين.

وقال: اعتقد أنّ أُسَّ مخافةِ اللهِ تعالى الرحمةُ.

وقال: إذا رُمْتَ أذيَّةَ غيركَ فتصورْ أنَّك لا تخلص من أذيَّتِهِ.

وقال: وطِّنْ نفسك على قبـولِ ما يـرِدُ عليك بـالمستقبلِ من الأمـورِ التي تسوءُ وتسرُّ وخاصَّةً التي تسوءُ بورودها في كلِّ يومٍ.

وقال: واجبٌ عليك أن تبعـد من جميع زخـارفِ العالم المضلِّلةِ المكـدِّرةِ للفكرِ.

وقـال: لا تساعـدنَّ عينيك للنَّـوْمِ قبل أن تتصفَّـحَ الأفعال التي فعلتهـا في نهارك فتقف على الموضـع الذي زللت فيـه عمَّا ينبغي إنْ كنت زللت، وعلى ما فعلته ممَّا كان ينبغي أن لا تفعلهُ، وعلى ما كان ينبغي أن تفعلَهُ فلم تفعله، ومتى كنت قد أتيتَ مكروهاً فليُذْعِرنَّكَ، ومتى كنت قد أتيتَ رضاً فليُبهجَنَّكَ، فإنَّ ذلك يُوطِّىءُ لك ما يُقرِّبُكَ إلى الفضيلة الإلَهيَّةِ، أي والـذي ذهب لأنفسِنَا الينبوع ذي الأربعِ من الطبيعةِ التي لا تتغيَّرُ.

وقـال: التمسْتَ فعلاً من الأفعـالِ، فابـدأْ إلى ربِّكَ عـزَّ وجلَّ بـالابتهـالِ فانجح فيه.

وقال: أعطِ من مالك الفضلاء والنـاس الضعفاء، فـالذي لا يعـطي الأخيارَ حاجاتهم لا تتأتَّى له من اللهِ تعالى حاجاته.

وقال: الإنسانُ الذي اختبرته بالتجربةِ فـوجدتـه لا يصلح أنْ يكون صـديقاً وخِلاًّ، احذر أن تجعله لك عدُوّاً.

وقال: لاتَعُدَّ حُرّاً من لا يتمكَّنُ من ضبطِ نفسه.

وقال: اجعلِ اختياركَ للإنسانِ من أفعاله خصوصاً من أقوالـهِ، فإنَّ كثيـراً من النـاس تدبيـراتهم رَديئَةٌ، وأقـاويلهم شديـدةٌ، وأفعالهم خبيثـةٌ، وأقاويلهم جميلةٌ.

وقال: عَلِّمُوا أولاد الفلاسفةِ الأعداد والأشكال، ليعـرفوا من الأعـداد كيف

انحراف الأشكالِ وخروجها من الاستقامةِ، ولأجله كان أفلاطون ينادي لا يدخل في الفلسفة شابٌّ لا يعرف التعاليم الأربعة.

وقال إذا أردْتَ أن يطيب عيشك فارضَ من النّاسِ أن يقولوا إنَّكَ عديم عقلٍ بدلاً من قولهم إنَّكَ عاقلٌ.

وقال: إذا فعلت الخير ثم فارقْتَ هذا البدن كنت سائحاً في الملكوتِ غيرَ عائدٍ إلى الأنسيَّةِ ولا قابلاً للموتِ. وقال ما أحسنَ الإنسان أنْ لا يُخطىءَ، وإن أخطأ فما أكثر انتفاعهُ بأنْ يكون عالِماً بأنَّهُ أخطأ، ويحرصَ في أنْ لا يعاودَ وقال من جرتْ عادته بأذيَّتِكَ لا تستنِم إليه في حكمك.

وقال: الخمر عدوُّ النُّفسِ، رابطٌ ومانعٌ لها عن تصرُّفاتها، مُقَوٍّ للجسمِ، مُنْهِضٌ له، ويجري مجرى إلقاء نارٍ على نارٍ.

وقال: مِنَ الواجبِ على الإنسانِ أن يكون طائعا لسلطانه وجيشهِ، فهذا ليس يكون مطلقاً، لكن إلى الحدِّ الذي يقتضي شروط الحريةِ.

وقال: لا تكْشِفَنَّ أحداً سرق من فاقةٍ، فالسارقُ فاقتُهُ لا هو.

وقال: إذا وعظْتَ مذنباً فبرفقٍ لئلَّا يخرج إلى المكاشفةِ.

وقال: التَّقَلُّبُ في الأمصارِ، ومشاهدةُ الصناعات يزيدُ الرجال أدباً وحكمةً.

وقيل له: أيُّ شيءٍ في غاية المفسدة للإنسان؟ فقال: فضلُ المالِ.

وقال: شرفُ النفس أن تقبَلَ النفسُ النِّعَمَ والمكارِهَ قُبولاً واحداً.

وقال له رجلٌ: من أشقى الناسِ؟ فقال: مَنْ يجمع لِغيرهِ.

قيل لَهُ: مَنْ صديقُكَ؟ فقال: مَنْ لا يغْضَبُ من الحقِّ إذا سمعهُ.

قيل لهُ: أيُّ الناس أولى بالمفاداةِ؟ قال: أنْقَصُهم ذُنوباً.

قيل له: فأيّهُمْ ذلك؟ فقال: أكملهُمْ عقلاً، وأوفرُهُمْ عملاً بالواجب.

وقال: حفظُ ما في يديك أَولَى من التماسِ ما ليْسَ عندك.

وقال: أرْبعةٌ من البرّ: كتمان الفاقةِ والمصيبةِ والوجَعِ، والصَّبْرُ عند الممات.

قال: من منع المال منَ الحمد ورثهُ من لا يحمدُهُ.

وقال: أنْكدُ العيش عيشُ الحسود. وسألهُ إنسان نحيفٌ أن يُقيمَ عنده، فقال: عقلك يُضادُّ من ينفعك، فلا تطمعنْ أنْ أُقيمَ عندك لئلاَّ أمْرَض بمرضك.

وقال: الأصلحُ للإنسان أن يموت من أن يجعل نفسه مظلمةً بالجهل والكسل.

وقال: لا يصُدَّنَّكَ عن الأفعالِ الجميلة سُوء سيرة الإنسان الكافر للنعمةِ.

وقال: أذْكُرْ نفسك، فكل الناس إنّما خُلقوا للذِّكْرِ والفكرةِ الفاضلةِ، والقليلُ منهم يبلغ هذه المرتبة العليا ويتمكَّنُ من الصبرِ عليها.

وقال: النَّفْسُ الطاهرة المُتألِّهةُ لا طريق إلى أن يوافِقها شيءٌ من مواصلةِ الأرضياتِ.

قال: مَنْ جعل جميع زمانهِ مصروفاً في طاعةِ الله سبحانه، فرجاؤُهُ ينبغي دائماً[1] لله ومَع الله عزَّ وجلَّ. فقال افرحْ بمن يعيبُكَ لا بِمَنْ يَزْهُو لك.

وقال: لتفرضْ أن لا تجعل للعداوةِ طريقاً إلى النموِّ. وقال: مَتى أساءَ بكَ انسانٌ قليلاً فلا تُسيءْ به كثيراً.

وقال: إذا أخطأ عليك صديقكَ فسهِّلْ عليك احتمالهُ والاغتفار له.

وقال: احرصْ أن تتَّخذَ الأصدقاءَ بذاتك لا بالأشياء التي تملكها.

وقال: الأخْلقُ بالإنسانِ أنْ لا يفعل ما يريدُ لكن ما ينبغي.

وقال: ينبغي أن تعرف الوقت الذي يحسنُ فيه الكلام والوقت الَّذي يحسن فيه السكوتُ.

---

(1) أ: ح. ن.: ان يكون.

وقال: مَنْ لَمْ تقهَرْ نَفْسُهُ جسدهُ فإنَّما جسدُهُ قبرٌ لنفسِهِ.

وقال: الحرُّ الـذي لا يُضيِّعُ حـرفاً من حـروفِ النَّفْسِ لشهوةٍ من شهـواتِ الطبيعةِ.

وقال: غايةُ الاستواءِ والاعتدال استواءُ الكمِّ مع الكيفِ. وقال: جَرِّدِ العقلَ من الهوى يظهر صدق المعاملةِ.

وقال: إنْ لم تقدِّمْ حسن الظَّنِّ في كلِّ مـا تطالبُ منَ المحمـوداتِ لم تَلْتَذّ بالشَّيْءِ المطلوبِ وإنْ تم كـذلك، يجب على المـرْءِ أن يقدِّمُ سـوءَ الظَّنِّ في المذمومَاتِ.

وقال: بقدر ما تطلُبُ تعلم وبقدرِ ما تعلم تطلب.

وقال ليس من شرائِطِ الحكيم أنْ لا يضجر ولكن يضجر بوزنٍ.

وقيل لهُ: مَنِ الخَيِّرُ؟ فقال: خادِمُ الخيرِ.

وقـال: لَيس الحكيمُ مَنْ حُملَ عليـه بقدر مـا يطيقُ فصبـر واحتملَ، ولكنَّ الحكيمَ مَنْ حُملَ عليه أكثر ممَّا يحتملُ الطبيعة فصبر.

وقالَ: الطبيبُ هو مَنْ لَمْ يدعْ بدنه سقيمـاً ليس من عالـج غيره، يعني من صان نفسَهُ عن القبائحِ وفعَلَ الفضائلَ ليس من وصفَ وثَنى وتركَ نفسَهُ.

وقال: الدُّنيا دُوَل، مرَّةٌ لك ومَرَّةٌ عليكَ، فإذا تولَّيْتَ فأَحسنْ وإذا تَوَلَّوْكَ فَلِنْ.

وكان يقول: إنَّ أكثر الآفاتِ لا يعرضُ للحيواناتِ لعدمِهَـا الكلامَ وتعـرضُ للإنسانِ من قِبَلِ الكلامِ.

وكـان يقول: مَن استـطاعَ أن يمنعَ نفسَـهُ من أربعةِ أشيـاءَ فهو خليقٌ أن لا ينزلُ به المكروهُ كما ينزلُ بغيرهِ: العجلةَ واللّجـاجةَ والعُجْبَ والتَّـواني، فأمَّـا ثمرةُ العجلةِ فالنَّدامةِ، واللَّجاجَةُ ثمرتُها الحيرةُ، وَثمرةُ العُجْبِ البَغْضَةُ، وثمرةُ التَّواني الذِلَّةُ.

ونظر إلى رجلٍ عليه ثيابٌ فاخرةٌ يتكلَّم ويلحنُ في كلامهِ فقال له: إمَّا أن تتكلَّمَ كلاماً يُشبِهُ لباسَكَ أوْ تلبسَ لباساً يُشبه كلامكَ.

وسألهُ ملكُ سَقِلّيَـة أنْ يُقيمَ عندهُ، فقـال لهُ: إنَّ عقلكَ يضـادّ ما ينفعُـكَ، وبَقَاؤُكَ يقلعُ أساسَكَ فلا تَطْمَعَنَّ إذاً في مقامِ فيثاغورس عندكَ، فإنَّ الأطباءَ، لا يضمنونَ أنْ يمرضُوا مع المرْضَى.

وقـال لِتلاميـذه: لا تطلبـوا من الأشيـاءِ مـا يكـون بحسب محبَّتكُمْ، ولكن أحَبُّوا مِنَ الأشياءِ ما هي محبُوبَةٌ في أنْفُسِها.

وقـال لأخيهِ: إنْ أحْبَبْتَ أنْ لا يُخْـطِىءَ ابنُكَ ولا عبـدُكَ فقد طلبْتَ مـا هو خارجٌ عَنِ الطَّبْعِ.

وقال ينبغي لِلْخَيِّرِ أنْ يظهَر بكلامِهِ ما هو مُنْطَوٍ عليه، ويظهَرَ بـأفعالِـهِ صدقُ قولِهِ.

وقالَ لبعضِ تلامِـذَتِهِ ـ وكـان مُعْجباً ـ: إن اردْتَ أن تعـظم محاسنُـكَ في أعْينِ الناس فلا تعظُمَنَّ في عينكَ.

وقيل له: فُلانٌ مسيءٌ بالقول فيكَ، فقـال: حملَهُ على ذلك جهلُهُ بـالقولِ الحسنِ.

وقال: لا تعجبْ مِنَ البلاءِ الشـديدِ إذا نـزل بإنسـانِ كيف يألَمْ لـه، ولكن إعْجَبْ من الصبرِ كيف يحتمله.

وقال: الإنسانُ الحكيم يعنى بنفسه كعناية غيره بجسمِهِ.

وقـال: ألنَّفْسُ بحلُولِها بين الأخيـارِ في اللذَّاتِ والنَّعيمِ وبين الأشـرارِ في الأحزانِ والغمومِ[1].

وقال: اتَّخِذْ آخذي الحق بقبولٍ أصدقاءَ والمُمْتَنعينَ أعْداءً.

(1) أ: ح. ن.: وقال لك أن تلطف بالإنسان. وَلَيْسَ لكَ أن تستكرهه.

وقال: الأخلَقُ بالإنسان. أنْ يفعَلَ ما ينبغي لا ما يشتهي.

وقال اصبرْ على النوائِبِ من غير أنْ يُتَـذَمَّر بـك، اطلبْ مداواتِهـا بقدْرِ مـا تطيقُ.

وقال: إذا سمعتَ مِنْ كلام الناس جَيدَهُ ورديئَهُ فلا تمتعَضَنَّ منه، ولا على نفسك الامتناع من اسْتماعِهِ، فإنْ سمعْتَ كذباً فهَوِّن على نفسك الصبرَ عليه.

وقال: استعملِ الفكر قبل العملِ.

وقال: كما إنَّ المريضَ إذا لم يصدق في صفـةِ دائِهِ للطبيبِ لم يقـدِرْ على عـلاجِهِ، كـذلك المـرْءُ أيضاً إذا لَمْ يصـدُقْ نفسَهُ بمـا لَهُ وعليـه لم تصِـحّ لَـهُ مَوَدَّاتُ العامَّةِ والخاصَّةِ.

وقال: كثْرَةُ العَدُوِّ يُقِلُّ الهُدُوَّ.

وكان فيثاغورس إذا جلس على كُرْسِيِّهِ أوْصاهُمْ بهذه السَّبْعِ وصايا: قـوِّمُوا موازينَكُمْ واعْرِفُـوا أوْزانها، عـدِّلُوا الخـطأَ تصحبكُمْ السَّلامَـةُ، لا تُشعِلُوا النَّار حيث تروْنَ السِّكينَ تقطع، عَدِّلُوا شَهَواتِكُمْ تسْتَدْعُوا الصِّحةَ استعملُوا العـدلَ تَحِطْ بكم المحبَّـةُ، عاملُوا الـزَّمانَ كـالوُلاةِ الـذينَ يُسْتَعْمَلُونَ عليكم ويُعْزَلُـونَ عنكمْ.

ذُكِـرَ المالُ عنـده، ومُدِحَ، فقـال[1]: ومـا حـاجتي إلى مـا يُعْـطيـهِ الحَظُّ، ويحفظُهُ اللُّوْمُ، ويُهْلِكَهُ السَّخاءُ.

وقيل لهُ: ما أصعَبُ الأشياءِ على الإنسان؟

قال: أنْ يعرفَ نفسَهُ ويكتُمَ الأسرارَ.

وقـال: ـ وقـدْ نـظر إلى شيخٍ يُحبُّ النَّـظرُ في العلمِ ويستحِي أن يُـرَى

---

(1) أ: ح. ن.: لا تترفوا أبدانكم فيه أنفسكم فتفقدوها في أوقات الشدائدِ إذا وردتْ عليكُم.

متعَلِّماً ـ يا هذا، لا تستحي[1] أن تكونَ في آخرِ عمركِ أفضلَ منك في أوَّلِهِ.

وقال: أنْكى لعدُوِّكَ أنْ لا تُرِيَهُ أنَّك مُتَّخِذُهُ عدوّاً.

وقال: سبيلُ الملكِ الحازمِ أنْ يتعاهَدَ[2] مُلْكَهُ ورعيتَهُ كتعهُّدِ صاحبِ البستانِ بُستانَهُ.

وقال: سَبيلُ الملكِ أوَّلُ ما يَبْدأُ بِهِ إظْهارُ السُّنَنِ الجاريةِ، وإقامَةُ الأمورِ اللاَّزمةِ للرَّعِيَّةِ، وأخْذُ الحدودِ مِنْ أهْلِهَا بحسب ما يستحقُّ كُلُّ واحدٍ منهُمْ، وأنْ يقهَرَ نفسه عَمَّا تُنازعهُ إليه من الشهواتِ، وإنْ احتاجَ مع أعوانهِ إلى زيادةِ أعْوانٍ فلْيجمَعْ إليهم النَّاصحينَ النَّاصرينَ للدِّيْنِ، اللاَّزمينَ الشَّرائعَ والسُّنَنُ.

وقال: سبيلُ الملكِ أنْ يحذَرَ الإعجابَ والانفرادَ برأْيِهِ، وكَثْرَةَ الصَّيْدِ وانفرادِهِ فيه عن عَسْكَرِهِ، ولْيَحْذَرْ أنْ يسلُكَ طريقاً لا يعرفُها ولا طريقاً فيها ضِيقٌ، ولْيحْذرَ الركُوبَ في ظُلمةِ الليلِ، وإذا سارَ موكِبُهُ فلْيَكُ ثابتاً على دَابتِهِ حسن الرُّكبةِ، طَلِقَ الوجهِ، يَرْمُقُ الناس بعينيْهِ، ويَرُدَّ عليهم السَّلامَ بيدِهِ. مُسْتَبْشِراً بهم، فإنَّ العيون إليه كثيرةٌ منَ الرَّعيَّةِ.

ولا يُدخِلُ إلى نسائِه من النساءِ الخادماتِ لهُنَّ إلاَّ مَنْ مضى مِنْ أعمارِهِنَّ خمسون سنةً وما فوقها، وإنْ احتاج إلى رجلٍ يكون في خدمتهِنَّ فلْيكُنْ طاعناً في السِّنِّ قبيحَ الصورةِ له دِينٌ وأمانةٌ، فإذا نَامَ المَلِكَ واشتغَلَ بشيءٍ مِنْ لَذَّاتِهِ فَلْيُوَكِّلْ على حُرَّاسِ فراشِهِ ثِقاتِه، وأمَرَ بافتقادهِمْ في كُلِّ وقتٍ وإن توانى أحدُهُمْ عن نَوْبَتِهِ عاقَبَهُ وشَهَرَهُ وعزلهُ عن موضعهِ.

وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ أنْ يأكُلَ أو يشربَ من يدِ النِّساءِ اللَّواتِي يعزَّنَّ عليهِ أو غيرهِنَّ مِنْ سائر خواصِّه وَرَعِيَّتِهِ بل يتولَّى ذلك له مَنْ يَثِقُ بعقلِهِ ودينِهِ ومُروءَتِهِ

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: لا تستحِ (بحذف حرف العلة).
(2) «كذا» في «أ»، والصواب: يتعهد (كما يستنتج من سياق الكلام).

ويُحبّ مُلْكَهُ ودوْلَتَهُ، كذلك لا ينامُ على فراشٍ لا يثقُ به، ولا يُلْبِسُهُ ثيابَهُ ولا يُبخِّرهُ إلاّ مَنْ هو بهـذه الصِّفةِ التي سلفتْ ولا يمسـحُ بمنديـلٍ بعد مُجـامعته نساءَهُ إلاّ بعد الثِّقةِ به.

وقال: أصحابُ الشَّهواتِ البدنيَّةِ مملوكون لِلْخَواتين، وأصْحابُ الفضـائِلِ مُوافِقُونَ العقلَ.

وقال: الحَذِرُ في هذا العالمِ من أحْصى عيـوبَهُ، وضِـدُّهُ مَنْ كان مُحصيـاً لفضائلِهِ.

وحضرت امرأتَهُ الوفاةُ في أرْضٍ غُربةٍ فجعل أصحابُهُ يتحَزَّنُونَ على مـوتِهَا في أرْضٍ غُربةٍ.

فقال: يامَعْشَرَ الإخوانِ، ليسَ بين الموتِ في الغُرْبَـةِ والوطنِ فـرقٌ، وذلك أنَّ الطريقَ إلى الآخرةِ واحدٌ من جميع النَّواحي.

وقيل له: ما أحلى الأشياءِ؟ فقال: الذي يشتهي الإنسانُ.

وقال لِحَدَثٍ يتهـاونُ بتعليمه: أيّهـا الحدثُ، إنَّـكَ إنْ لَمْ تَصْبر على تعبِ التعليمِ صبرْتَ على شقاء الجهلِ.

وقال: الرَّجُلُ المحبوبُ عند اللهِ هو الذي لا يدُلُّ غيرَهُ لِأفْكَارِهِ القبيحةِ.

وقال: كلامُ الإستواء هُوَ الطيِّبُ يجوز بقربِهِ إلى اللهِ جلَّ وعلاَ.

وقال: الكلامُ في اللهِ تعالى يجبُ أنْ تتقدَّمُهُ الأعمالُ الـذي[1] يرضـاها الله عزَّ وجلَّ.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: التي. (المحقِّق).

## 11 ـ خبرُ سَقراطيس الزاهِد المثال الحَكيم[1]

وكان سقراط مِنْ تلاميذ فيثَاغُورس وارْسالاوس. ومعنىَ سُقراط باليونـانية: المُعتصِمُ بـالعدلِ. وُلِـدَ في زمن بَهْمَن وسُمَّ في أواخُـر أيَّـامـه، واقتصـر مِنَ الفلسفـةِ على العلومِ الإلَهيَّةِ والأخـلاقِ، وأعْرضَ عن مـلاذِ الدنيـا ورَفَضَها، وانعـزلَ إلى الجبلِ وأقـامَ في غَـارٍ، واشتغـل في الـزُّهْـدِ وريـاضـةِ النَّفْسِ، وخالَفَ اليونانيّينَ في عبادتِهِمْ الأصنـامَ، وقابَـلَ رؤسَاءَهُمْ بـالحججِ والأدلَّـةِ، فثَوَّرَ العالم عليه فاضطروا ملكهم إلى قتله، فقتله بالسُّمِ تفادياً مِنْ شَرِّهم بعد مناظراتٍ جـرت له مـع الملك، محفوظـةٌ، وله وصـايا شـريفةٌ وآدابٌ فـاضلةٌ وحِكَمٌ مشهورةٌ ومذاهبُ في الصِّفاتِ قريبةٌ مِنْ مذاهِبِ فيثَاغورسْ وأنْباذَقْلِسْ، ولهُ في المعادِ آراءٌ ظاهرُها ضعيفٌ، واللهُ أعلَمُ بأسرارِهِ، ومرْموزاتِهِ.

وقال: إنَّ الباري تعالى لم يزلْ هُويَّتَهُ فقط، وهـو جوهـرٌ فقط، وإذا رجعنا إلى حقيقةِ الوصفِ والقولِ فيه وجدنا العقْلَ والمنطقَ متأخِراً عن اكتنـاهِ وصفِهِ وتحقُّقِـهِ وَتَسْمِيَتِهِ وإدراكـهِ لأنَّ الحقائقَ كُلَّهـا من تلقاءِ جـوهرِهِ، فهـو المُـدْرِكُ حقّاً، والواصفُ لكُلِّ شيءٍ وصفاً والمُسَمِّي لكُلِّ موجـودٍ اسماً، فكَيْفَ يقـدِرُ المُسَمَّى أنْ يسميَهُ، ويكف يقدرُ المُحاطُ أنْ يُحيطَ به وصفـاً، فيرجِـعُ فيصفُهُ من جهـةِ آثارِهِ وأفعـالِهِ، وهي أسمـاءٌ وصفـاتٌ، إلاّ أنَّهـا ليست من الأسمـاءِ الواقعةِ على الجوهرِ المُخْبِـرِ عن حقيقته، مثـلُ قولنـا: الباري تعـالى، واضعُ كلِّ شيءٍ وخالقُ أيْ مقدِّرُ كُلِّ شيءٍ، وعزيزُ أي ممتنـعٌ أنْ يُضامَ، وحكيم أيْ مُحْكَمُ الأفعالِ، وكذا سائرُ الصفاتِ.

وقـال: إنَّ علمَهُ وقـدرتهُ وجـودَهُ وحكمتَهُ بـلا نهـايـة، فـلا يبلغ العقـل أن يصفها، ولو وصفها لكانت متناهيةً.

فقيل له: تَـرَى الموجـوداتِ متناهيـةً. فقال: إنَّ تنـاهيها بِحَسَبِ احتمـالِ

---

(1) ابن جلجل، ص: 23، القفطي، ص: 197، أصيبعة، ص: 70.

العوائلِ لا بحسبِ القُدرةِ والجودِ والحكمـةِ لأنَّ المادةَ لا تحتمـلُ صوَراً غيـر متناهيةٍ، فتنـاهَتِ الصور لا مِنْ جهـةِ بُخْلِ الـواهب بل لقصـور المادةِ، وعن هذا اقتضتِ الحكمة أنَّها وإن تناهَتْ ذاتـاً وصوراً وحَيِّـزاً ومكانـاً فغيرُ مُتنـاهيةٍ زماناً، والأشخاصُ إن لم يُتصوَّرْ بقاؤها في ذاتها إلَّا أنها تبقى ببقـاءِ الأنواعِ، ويستبقي النَّـوْعُ بتجدُدِ الأشخـاصِ، فـلا تبلغ القـدرةُ إلى حَـدِّ النهـايـةِ، ولا الحكمةُ تقفُ على غايةٍ.

وزعم أنَّ أخصَّ أوصافِهِ تعالى هو الحيُّ القيُّومُ، لِأَنَّ العلمَ والقدرةَ والجودَ والحكمةَ تندرجُ تحت الحيـاةِ التي هي صفةٌ جـامعةٌ للكُـلِّ؛ والبقاءُ والسَّـرْمَدُ والدَّوامُ وحفظُ النِّظامِ في العالَمِ يندرجُ تحت القيُّـومِ الذي هـو صفةٌ جـامعةٌ للكُلِّ، وهو حيٌّ ناطقٌ مِنْ جوهرِهِ، وهما لنا لا[1] من جوهرنا، ولهذا يتطرَّقُ إلى حياتنا ونُطقنَا العدم والدثور.

وهـو ابن سُفْـرُونسْقِسْ، ومَـوْلِـدُهُ ومَنْشَؤُهُ بـأثينـة، وخلفَ مِنَ الـولـدِ ثـلاثة ذكـورٍ، ولمَّا أُلْـزِمَ التزويـجُ على عَادَتِهِمْ الجـاريةِ في إلْـزامِ الأفـاضِـل بالتَّزويج لِيَبْقى نسْلُهُ بينهم طلب تزويـجَ المرأةِ السَّفيهـةِ التي لم يكن في بلده أسْلَطَ منهـا، ليعتادَ جهلهـا والصَّبْرَ على سـوءِ خُلقها ليقـدِرَ ان يحتمِـلَ جهـل العامَّةِ والخاصَّةِ.

وبلغَ مِنْ تعـظيمهِ الحكمـةَ مبلغاً أضَـرَّ بِمَنْ بعدَهُ مِنْ مُحِبِّي الحكمـةِ، لأنَّهُ كـان مِنْ تعظيمـهِ الحكمةَ رأْيُـهُ أنْ لا يستـودعَ الحكمـةَ الصُّحفَ والقـراطيسَ تنزيهاً لها عن ذلك. ويقول: ألحكمةُ ظاهرةٌ مقدَّسَةٌ غير فاسدَةٍ ولا دنِسَةٍ.

فلا ينبغي لنا أن نستودعها إلّا الأنْفُسَ[2] الحيَّـةَ، ونُنزِّههـا عن جلودِ الميتةِ، ونصـونَهـا عَنِ القلوبِ المُتَمَـرِّدَةِ، فلم يُصَنِّفْ كتـابـاً ولا أملى على أحَـدٍ من تلامذته ما أثبتهُ في قرطاسٍ وإنّما كان يُلَقِّنُهُمْ علمه تلقيناً لا غير.

---

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) أ: ح. ن.: القُدْسية.

وتعلَّم ذلك من أستاذِهِ طَيْمَاوْلُوسْ، فإنّه قال له في صباهُ: لِمَ لا تدعْني أنْ أُدوِّنَ ما أسمَعُ منك من الحكمةِ؟

فقال له: ما أوثقَكَ بجلودِ البهائم[1] وأَزْهَدَكَ في الخواطِرِ الحيَّةِ! هَبْ أنَّ إنساناً لقيكَ في طريقٍ فسألكَ عن شيءٍ من شرف العلم هل كان يحسُنُ أن تُحيلَهُ على الرجوعِ إلى منزلكَ والنَّظرِ في كتبك؟ فإنْ كان لا يحسُنُ فالزمِ الحفظَ، فلزِمَهُ سقراطُ، وكان زاهداً في الدنيا قليل المبالاةِ فيها.

وكان من رسومِ ملوكِ اليونانيين إذا حَارَبُوا أخْرجُوا حكماءَهُمْ معهم في أسفارهم فأَخْرَجَ الملك معه سقْراط في سَفْرَةٍ خرج فيها لبعضِ مُهمَّاتِهِ فكان سقراطُ يأوي في عسكر ذلك الملك الى جُبٍّ مكسورٍ يسكن فيه مِنَ البرْدِ فإذا طلعتِ الشمسُ خرج منه فجلس عليه يستدفي بالشمسِ، ولأجلِ ذلك سُمِّيَ سُقراط الجُبِّ، فمَرَّ به الملكَ يوماً وهو على ذلك الزير فوقفَ عليهِ.

وقال: ما لَنَا لا نراكَ يا سُقْراطُ وما يمنعُكَ مِنَ المصيرِ إلينا.

فقال: الشُّغْلُ أيُّها الملكُ؟ قال: بماذا؟

قال: بِمَا يُقيمُ الحياة. قال تصيرُ إلينا فإنَّ هذا لك عندنا مُعدّاً أبداً. قال: لَوْ علمْتُ أيُّها الملكُ أني أجِدُ ذلك عندك لم ادعْهُ. قال: بلغني أنّكَ تقولُ: إنَّ عبادةَ الأصنامِ ضارةٌ.

قال: لَمْ أقلْ هكذا. فقالَ: فكيْفَ قُلْتَ؟ قال: قُلْتُ: إنَّ عبادة الأصنامِ نافعةٌ للملك ضارةٌ لِسُقْراطَ لأنَّ الملك يُصلح بها رعِيَّتَهُ ويستخرجُ بها خراجَهُ، وسُقْراطُ يعلم أنَّها لا تضرُّهُ ولا تنفعُهُ، لأنَّه مُقِرٌّ بأنَّ لَهُ خالقاً يرزُقُهُ ويُجْزيه بما قَدَّمَ مِنْ شيءٍ وأحْسَنَ.

قال: فهلْ لك من حاجةٍ؟ قال: نَعَمْ، تصرف عنانَ دابتكَ عني، فقد

---

(1) أ: ح. ن.: الميتة.

سترتني جيوشكَ مِنْ ضوءِ الشمسِ. فدعا لهُ الملكُ بكسوةٍ فاخرةٍ من ديباجٍ وغيرهِ وبجوهرٍ ودنانيرَ ليحبُوَهُ بذلك.

فقال له سُقراط: أيُّها الملك وعدْتَ بما يقيمُ الحياةَ، وبذلتَ ما يقيمُ الموتَ ليس لِسُقْراطَ حاجةٌ إلى حجارةِ الأرض وهشيمِ النباتِ ولُعابِ الدُّود، والذي يحتاج إليه سُقراطُ هو معه حيث توجَّه.

وكان سُقْراطُ يرمزُ في كلامهِ مثل ما كان يفعلُ فيثاغورس، فمن كلامه المرموز.

قوله عندما فتَّشتُ عن علَّةِ الحياةِ ألقيتُ الموت، وعندما وجدتُ الموتَ عرفت حينئذٍ ينبغي أن أعيش.

قال: إنَّ الذي يريد أن يحيا حياةً إلَهيَّةً ينبغي أن يُمِيتَ نفسه من جميع الأفعال الحسِّيَّةِ على قدر القوةِ التي مُنِحَها فإنَّه حينئذٍ يتهيَّأ له أن يعيش حياةَ الحق.

وقال: تكلَّمْ بالليلِ حيث لا تكون أعشاش الخفافيش، أي ينبغي أن يكون كلامُكَ عند خلوتك لنفسك وأنْ تجمع فكرك وتمنع نفسك أن تطلع في شيءٍ مِنْ أمورِ الهيولاتِ. وقال: صُدَّ الخمس الكوى لِيُضاءَ مسكنُ العلَّةِ، أيْ غمِّضْ حواسَّك الخمس من الجَوَلانِ فيما لا يجدي تُضيء نفسك.

وقال: إمْلأ الوعاءَ طيباً، أي أوْعِ عقلك بياناً وفهماً وحكمةً. وقال: أفرغ الحوض المثلَّثَ من القلال الفارغةِ، أيْ إرفِضْ عن قلبك جميع الآلامِ العارضةِ في الثلاثة الأجناس من قوى النفس التي هي أصلُ جميع الشَّرِّ. وقال: لا تأكلِ الأسودَ الذيبَ، أي احذر الخطيئة.

وقال: لا تتجاوزنَّ الميزانَ، أيْ لا تتجاوز الحقَّ.

وقال: عند الممات لا تكن نملةً، أي في وقت أمانتكَ لنفسكَ لا تعين ذخائر الحَسَنِ.

وقال: ينبغي أنْ تعلم أنّه ليس زمانٌ من الأزمنةِ يُفقَدُ فيه زمانُ الربيع، أيْ لا مانع لك في كل زمانٍ من اكتساب الفضائل.

وقال أفْحَصْ عن ثلاث سُبُلٍ. فإن لم تجدها فارض أن تنام لها يومَ المستغرق، أيْ افحص عن علم الأجسامِ وعلم ما لا جسم له وعلم الذي وإنْ كان لا جسم له، فهو موجودٌ مع الأجسام، وما اغتاض منها عليك فارض بالإمساكِ عنه قال: ليس التِّسعةُ تأكلُ مِنَ الواحد، أيْ العشرةُ هي عقدٌ من العدد، وهي أكثرُ من تسع، وإنّما تكمل التسع فتكون عشرةً بالواحد، فكذلك الفضائل كالتسعِ تتمُّ وتكمُلُ بخوفِ اللهِ عزَّ وجلَّ ومحبَّتِهِ ومراقبتِهِ.

وقال: اقتنِ بالاثنيّ عشر اثنا عشر، يعني بالإثنيّ عشر عضواً التي يُكتسبُ بها البِرُّ والإثمُ.

وهي: العينانِ والأُذنانِ والمنخران واللسانُ واليدانِ والرِّجلانِ والفرج، وأيضاً بالإثنيَّ عشر شهراً اكتسبْ[1] أنواع الأشياء المحمودة والمُكمِّلةِ للإنسانِ في تدبيره ومعرفته في هذا العالم.

وقال: ازْرَعِ الأسودَ واحْصُدِ الأبيضَ، أيْ ازرعْ بالبكاءِ واحصدْ بالسرور.

وكان أهل دهره لمَّا سألوه عن عبادة الأصنام صدَّهُمْ عنها وأبطلها، ونهى الناس عن عبادتها، وأمرَهُمْ بعبادةِ الإلّه الواحد الصمد الباري الخالق العالم بما فيه، الحكيم القدوس لا الحجر المنحوتِ الذي لا ينطق ولا يسمعُ ولا يحسُّ بشيءٍ من الآلاتِ، وحضَّ الناسَ على البِرِّ وفعلِ الخيرِ، وأمَرهُمْ بالمعروفِ، ونهاهُم عنِ الفواحشِ والمُنكراتِ في بقيَّةٍ من أهل زمانِهِ، ولم يقصدْ استكمالَ صوابِ الرأي لعلمه أنَّهُمْ لا يقبلون ذلك منه.

فلمَّا علمَ الرُّؤساءُ في وقتهِ من الكهنةِ والأراكنةِ ما رامَهُ مِنْ دعوتِهِ وأنَّ رأْيَهُ نفْيُ الأصنامِ وردُّ الناسِ عن عبادتها شَهِدُوا عليه بوجوبِ القتلِ، وكانَ

---

(1) أ: ح. ن.: بها.

الموجبون عليه القتل قُضاةَ أسلس الأحدَ عشر، وسُقيَ السُّمُّ الذي يقال له فَليُون، لأنَّ الملك لمَّا أوْجَبَ عليه القضاةُ القتل ساءَهُ ذلك، ولم يمكنهُ مخالفتهم.

فقال له: اخترْ أيَّ قتلةٍ شئتَ، فقال بالسُّمِّ، فأجابَهُ إلى ذلك والذي أخَّرَ قتلَ سُقْراط شُهوراً بعدما أوْجَبُوهُ عليه، أنَّ المركب الذي يُبْعَثُ كلَّ سنةٍ إلى هيكلِ[1] أولُوقَومُون ويُحمل إليه فيه ما يُحمل، عرض له ما يحبسه لتعذُّرِ الرِّيحِ فأبْطأ شهوراً، وكان مِنْ عاداتهم أنْ لا يُراقَ دمٌ ولا غيرُهُ حتى يرجِعَ المركبُ من الهيكلِ إلى سنس، وكانَ أصحابُهُ يختلفونَ إليه في الحبسِ طولَ تلك المدَّةِ، فدخلوا إليه يوماً.

فقال له أفرِيطُون رجلٌ منهم: إنَّ المركبَ داخلٌ غداً أو بعد غدٍ، وقد اجتهدنا في أنْ ندفع عنك مالاً إلى هؤلاءِ القومِ وتخرجَ سِرّاً فتصير إلى رُوميَّةَ، فتُقيمَ بها حيث لا سبيل لهم إليك.

فقال له سقراط: قدْ تعلمُ أنَّه لا يبلغُ ملكي أربعمائة درهم.

قال لَهُ أفريطون: لَمْ أقُلْ لك هذا القولَ على أنَّك تغرُمُ شيئاً لأنَّا نعلمُ أنَّه ليس في وسعكَ ما سألَ القومُ، ولكن في أموالِنا سعةٌ لذلك وأضعافهِ، وأنفُسُنا طيِّبةٌ لأدائه لنجاتك، وأنْ لا نفْجَعَ بك.

قال لهُ سقراط: يا افريطُون، هذا البلد الذي فُعِلَ بنا فيه ما فُعِلَ هو بلدي وبلد حبسي، وقد نالني فيه ما رأيتَ، ولم يوجب ذلك عليَّ لأمرٍ استحققته بل لمخالفتي الجور ولطعني على الأفعال الجائرة وأهلها من كفرهم بالباري سبحانه، وعبادتهم الأوثانَ من دونهِ، والحال التي أوجبتْ عليَّ القتل هي معي حيث توجَّهْتُ، وإنِّي لا أدَعُ نصرة الحقِّ، والطَّعْنَ على الباطلِ والمبطلينَ حيث كنتُ، وأهلُ روميَّةَ أَبْعَدُ منِّي رحماً من أهل مدينتي، وهذا الأمرُ إذا كان

---

(1) أ: ح. ن.: كان.

باعثه على الحقِّ[1] فحيث توجهتُ فغير مأمونٍ عليَّ هناك مثل الذي أنا فيه.

قال له أفريطون: فتذكُرُ ولدكَ وعيالك وما تخافُ عليهم من الضيعَةِ؟ فقال له: الَّذي يلحقُهُم بروميَّة مِثل ذلك إلاّ أنَّكم ههنا بهم أحرى أن لا يضيعوا معكم.

فإنْ كان اليومُ الثالث، بَكَرَ تلامذتُهُ إليه على العادةِ، وجاءهُمْ السَّجَّانُ ففتح الباب وجاءَ القُضاةُ الأحد عشر فدخلوا إليه وأقاموا مليّاً، ثم خرجوا من عنده وقد أزالوا الحديدِ عن رجليْهِ، وخرج السَّجَّانُ إلى تلامذتِهِ، فدخل بهم إليه فسلَّمُوا عليه وجلسُوا عنده، فنزلَ سقراطُ عن السريرِ وقعد على الأرضِ ثم كشفَ عن ساقيْهِ فمسحَهما وحكَّهما.

وقال: ما أعْجَبَ فعل السياسةِ الإلَهيّةِ حيثُ قربتِ الأضدادُ بعضها من بعضٍ، فإنَّهُ لا يكاد أنْ تكونَ لذَّةٌ إلاّ ويتبعها ألمٌ، ولا ألمٌ إلاّ تبعهُ لذَّةٌ، وصارَ هذا الكلامُ سبباً لدورانِ الكلام بينهم، فسألَهُ سيماوس وقيلون عن شيءٍ من الأفعالِ النفسيَّةِ، وكُثرتْ المذاكرةُ بينهم حتى استوعب الكلامُ في النفس بالقول المتقنِ المستقصى، وهو على ما كان يُعهَدُ عليه في حال سرورهِ وبهجتهِ ومرجِهِ في بعضِ المواضع، والجماعةُ يتعجَّبونَ من صرامته وشدَّةِ استهانتهِ بالموتِ ولمْ يكلّ عن تقصِّي الحقِّ في موضعهِ، ولم يترُكْ شيئاً من أخلاقِهِ ولا مِنْ أحوالِ نفسه التي كانَ عليها في زمانِ أمنِهِ من الموتِ، وهم مِنَ الكمدِ والحزنِ على فراقه على حالٍ عظيمةٍ.

فقال له سيمَاوُسْ: إنَّ التقصِّي في السؤالِ عليك مع هذه الحالِ لثقلاً علينا شديداً وقُبحاً[2] في العِشرةِ، فإنَّ الإمساكَ عن التقصِّي في البحث لحسرةٌ عظيمةٌ جداً مع ما نعلم في الأرض من وجودِ الفاتحِ لما يريدُ.

فقال له سقراط: لا تدعْ عنَّا التقصِّي لشيءٍ أردتَهُ فإنَّ تقصيك لذلك هو

---

(1) أ: ح. ن.: ونصرة الحقِ.

(2) «كذا» في «أ»، والصواب: لثقلٌ... وقبحٌ. (المحقّق).

الذي أسرُّ به، وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال التي هي ضدُّها فرقٌ في الحرص على تقصِّي الحقِّ، فإنَّا وإنْ كنَّا نعدم أصحاباً ورفقاءَ أشرافاً محمودين فاضلين، فإنَّا أيضاً إن كنا معتقدين ومُتيقِّنين الأقاويل التي لم تزل تسمع منَّا بأنْ نصير إلى أقوامٍ أُخَر فاضلين أشرافٍ محمودين، منهم: إيسَلاوس وأيارس وأرفلس وجميع مَن سلف من ذوي الفضائل النفسانيَّةِ.

فلمَّا تصرَّم القول في النفس وبلغوا فيها الغرض الذي أرادوهُ، سألوهُ عن هيئةِ العالم وحركات الأفلاكِ وتركيبِ الاستقصَّاتِ فأجابهم عن جميعه، ثم قصَّ عليهم قصصاً كثيرةً في العلوم الإلَهية والأسرار الربانيَّة، ولما فرغ من ذلك قال: أمّا الآن فقد حضر الوقت الذي ينبغي لنا أن نستحم فيه ونصلِّي ما أمكننا، ولا نكلِّفُ أحداً بحمَّامِ الموتى، فإنَّ الأرْماني[1] قد دعانا ونحن ماضون إلى أراوس، وأمّا أنتم فتنصرفون إلى أهاليكم، ثم نهض فدخل بيتاً فاستحمَّ فيه وصلَّى وأطال اللَّبْثَ، والقوم يتذاكرونَ عظم المصيبة، وأنَّهم يفقدون منه حكيماً عظيماً وأباً عليماً ويبقون بعده كاليتامى، ثم خرج فدعى بولدِهِ ونسائِهِ، وكان له ابنٌ كبيرٌ وابنانِ صغيرانِ، فودَّعهُم ووصَّاهُم.

فقال له افْريطُون: فما الذي تأمرنا أن نفعله في أهلك وولدكَ وغير ذلك في أمْرِكَ؟

قال: لستُ آمُركُمْ بشيءٍ، بل هُوَ الذي لم أزلْ آمُرُكُمْ به قديماً من الاجتهادِ في إصلاحِ أنفسكم، فإذا فعلتم ذلك سررتُمُوني، ثم سكت مليًّا وسكتَ الجماعةُ، فأقبلَ خادمِ الأحد عشرَ قاضياً، فقال: يا سُقراطُ، إنَّكَ جريءٌ مع ما يصيبك، إنَّك تعلم أنّي لستُ علَّةَ موتِكَ، وإنّ عِلَّةَ موتِكَ القضاةُ الأحد عشر، وأنا مأمورٌ بذلك، وإنَّكَ أفضلُ من جميع من صار إلى هذا الموضعِ، فاشربِ الدواءَ بطيبِ نفسٍ، واصبرْ على الاضطرابِ اللازمِ. ثم ذرفت عيناه وانصرف.

---

(1) أ: ح. ن.: الارمامافي.

قال سقراطُ: نفعل، ثم سكت هنيهةً، وقال: لاقْريطُون: مَنِ الرَّجـلُ الذي يأتيني بشُرْبةٍ موتى؟ فدخل ومعه الشربةُ، فتناولهـا منه وشـربها، فلمَّـا رأوهُ قد شربها غلبهم من البكاءِ والأسفِ ما لم يملكـوا أنفسهم معه، فعلت أصـواتهم بالبكاءِ، فأقبلَ عليهم يلومهم ويعظهم.

وقال: إنّما صرفنا النساءَ لئلاّ يَكونَ منهم مثل هذا. فأمْسكوا استحياء منه، وقصداً للطاعةِ لـه، على مضضٍ شديـدٍ من فقده، وأخـذ سقراطُ في المشي والتـردُّدِ هُنَيهَةً، ثم قـال للخادم: قـد ثقُلتْ رجلاي عليَّ، فقـال له: استلقِ، فاستلقى. فجعل ينخسُ قدمَيهِ ويقـول: هل تحسّ بغمـزي لهما؟ فقـال: لا. ثمَّ غمز ساقيه، وجعل يسألُه ساعةً بعد ساعـةٍ، وهو يقـول: لا. فأخـذ يخمد أوّلاً فأوّلاً، ويشتدُّ برده حتى انتهى إلى حَقْوَيْهِ.

قال الخادمُ: إذا انتهى البردُ إلى قلبه، ومضَى.

فقال له افريطُونُ: يا إمَام الحكمةِ ما نرى عقولَنَا إلاّ تبعدُ عن عقلك فتعهد إلينا. فقال: عليكم بما أمرتُكُمْ به أوّلاً. ثم مدَّ يده إلى يد أفريطون، فوضعها على خدِّهِ.

فقـال له: مُـرْني بما تحبُّ، فلم يُجبـه بشيءٍ، ثم شخص ببصـره وقـال: أسلمتُ نفسي إلى قـابض أنْفُس الحكماءِ ومـات، فـأطبقَ أفْـريـطُونَ عينيـه، وشدَّ لحيتَهُ، ولم يكن أفلاطون حاضراً معهم لأنّه كان مريضاً.

وذُكر أنَّ سقراط هلكَ عن اثني عشرَ ألفَ تلميذٍ وتلميذِ تلميذٍ، وكـان رجلاً أبيض أشقر أزرق، جيِّد العظامِ، قبيحَ الوجه، ضيِّقَ مـا بين المنكبين، بطيءَ الحركةِ، سريعَ الجوابِ، شعِثَ اللِّحيةِ، غير طويـل، إذا سئل أطـرق حيناً ثم يجيب بـألفاظ مُتقنـةٍ، كثيرَ التـوحيد، قليـل الأكـلِ والشـرب، كثيـرَ التعبُّـد، شديد[1]، يكثِـرُ ذكر المـوت، قليل الأسفـارِ، مُجيداً لـرياضـة بدنـه، خسيس

---

(1) أ: ح. ن.: التعب.

الملبسِ، مهيباً، حسن المنطقِ، لا يوجد فيه خللٌ، مات بالسُّمِّ، وله مائة سنةٍ، وبضع سنين.

وقيل له: لا بدَّ وأن نزوِّجَكَ؟ فقال: إن كان ولا بُدَّ، فتكون امرأةً قبيحةَ الوجهِ سيِّئةَ الخُلْقِ، فقالوا: لِمَ هذا؟ فقال: أمّا الأول فلئلّا تحُنَّ نفسي إلى جماعها، وأمّا الثاني فِلأُرَوِّضَ نفسي على الاحتماءِ، فقيل له لِمَ تكره الجماعَ وهو لذيذٌ؟

فقال: لأربعِ خصالٍ: الأول هتكُ الأستارِ، والعاقلُ تأبى نفسه ذلك. الثاني ولوجُ الأقذار، والعاقل يأبى ذلك. الثالث نهك القوى، والعاقلُ يشحُّ على قُوَّتِهِ. الرابع تخليف خليف الموتِ، الذي إنْ عاش فَتَنَ، وإنْ مات حَزنَ، والعاقلُ لا يجعلُ نفسه مرتهنةً بشيءٍ. وسقراطُ المذكور هنا هو أبو الفلاسفةِ، حكيمُ الحكماءِ، من عنده، وردتِ الفلسفةُ، وعنه صدرت الحكمةَ، له الأمثالُ السائرةُ والفوائد الغامرة، كلامُهُ في القلوب، كنسيمِ الرياح عند الهبوب، وكالراحَةِ للمكروب.

## آدابُ سقراط الحكيمِ الزَّاهِدِ

قال ليكُنْ أوَّلُ ما تجعل فيه همَّتِكَ ومحافظتكَ أن تعرفَ حقَّ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ عليك في العبادةِ والتُّقَى وأن تجتهد فيما يرضى به ليس بالقرابينِ وحدها ولكن أن تحذِرَ التعدي في أن تُقسِمَ به باطلاً، فإنَّ هذا النَّحوَ إن أحكمته كان علامَةَ غنى وأثراً صالحاً من شيمَةِ الأبرارِ، فارضِ الله سبحانَهُ دهرك، واجتهد في موافقةِ الجماعةِ، فإنَّ العصمةَ بذلك مع العملِ بالشريعةِ.

وقال لتلاميذه، الحكمةُ سُلَّمُ العلوِّ، من عَدِمَها عَدِمَ القُرْبَ من بارئهِ عزَّ وجلَّ.

وقال: باللهِ تعالى وبالإخلاصِ لذلك في الشرائع خلاصُ الحائرين.

وقال: العدلُ أمانُ النفس.

وكـان يقول إذا جلس للتعليم : أنـا زارعُ والدِّراسـةُ ماءُ التـربيـةِ، فمن لـم يكُنْ له مزرعةٌ نقيَّةٌ، وماؤهَا متدفِّقٌ لم ينجع فيها الزرعُ.

وقال: عجباً لِمَنْ عرف فناءَ الدنيا، كيف تلهيه عمَّا ليس فيه فناءٌ[1].

حُكِيَ عنه أنَّه لما أُدْخِلَ على الملك الـذي قتله، قال لـه: يا سقـراطُ أنْتَ الزَّارِيءُ علينا والقائلُ إنَّ اتخاذ الأصنامِ ليس بجيِّدٍ.

قال له سقـراط: أنا القـائِلَ إنَّ اتخـاذَ الأصنامِ ليس بجيِّـدٍ لبعض الناس. فقال له الملك: ولِمَنْ هو جيِّدٌ ولِمنْ هو لَيْسَ بجيِّدٍ؟

قال: ليسَ بجيِّدٍ لِسُقْراطَ، وهو للملكِ جيِّدٌ.

قال: وكيف ذلك؟ قـال: لأنها ليستْ بجيِّـدةٍ للحكيمِ، وجيِّدةٌ للذي ليس بحكيمٍ. قال: وكيف ذاك؟

قال: لأنَّ مَنْ عرف الله تعالى حَقَّ معرفتِهِ وما يرضيه لم يحتج إلى ما يُربطه عن السيِّئاتِ ويُجنبه منها لرَوْمِ الواجبِ من حَقِّ خالقهِ وبارئـه سبحانـه، فأمَّـا مَنْ كان بخلافِ ذلـك فيحتاج إلى مـا يربـطه ويردعُـهُ عن السيئاتِ من خـوفٍ للأصنامِ التي وضعها أرباباً له، فهي تردعُهُ باعتقاده إيَّاها آلِهةً، وهي لا تنفعه لأنها جسد مواتٌ.

وقال: النفسُ الزكيَّةُ تحبُّ الخير وتأمر به، والنفس الرَّديئةُ تحبُّ الشر وتأمر به.

وقال: غرسُ النَّفْسِ الفاضلةِ الانصاف، وثمـرةُ غرسهـا السلامـة، وغرس النفس الرَّذلَةِ الشَّرُّ، وثمرَة غرسها الندامةُ.

---

(1) أ: ح. ن. : وَقيلَ له: لابدَّ أن نزوجك قال وإنْ كان لا بـد فيكون امـرأةً قبيحةَ الـوجه سيئـة الخلقِ. فقـالـوا لم هـذا قـال: أمـا الأول فلئـلا تحن نفسي إلى اجتمـاعهـا. وأمّـا الثـاني فـلأروض نفسي على الاحتمال. قيـل له لِمَ تكره الجماع وهـو لذيـذ قال لأربـع خصالٍ: ١ ـ هتك الأستار والعاقل تأبى نفسه هتك سترها ـ 2 ـ ولوج الاقذار والعاقل لتطق نفسه عن ذلك ـ 3 ـ نهك القوى والعاقـل يشح على قـوته ـ 4 ـ تخليف خلف الموت الذي إن عـاش فتن وإن مات حزن والعاقل لا يجعل نفسه مرتهنة بشيءٍ وقال لئلاّ. . .

وقـال: النَّفْسُ الفاضلةُ تُعـرفُ بحسنِ مسـارعتهـا وقبـولهـا للحقِ. والنفسُ الناقصةُ تعرفُ بمسارعتها إلى الباطلِ.

وقال: إذا وقفتِ النفسُ عمَّا اشتبهَ عليها وقبِلتْ ما اتَّضح لها فهو دليلٌ على ذكائها.

وقـال: نُفوسُ الأخيـارِ نافـرةٌ عن أفعالِ الفُجَّـارِ، ونُفوسُ الأشـرارِ متبـرِّمَـةٌ بأعمالِ الأبرارِ.

وقـال: مُتَّبِعُ الشهـواتِ نـادمٌ في العـاقبـةِ مـذمـومٌ في العـاجلَةِ، ومُخـالِفُ الشهواتِ سالمٌ في العاقبةِ غانمٌ في العاجلةِ محمودٌ مغتبطٌ في الآجلةِ[1].

وقيل لِسُقراط: هل تُغيِّرُ قلبَ العاقل قِلَّةُ المال؟

قال: مَنْ كان كذلك لم يكن عاقلاً.

وقيل: هل يعمل العاقل غير الصوابِ؟ فقال: مـا يعمله برأيِ العقـلِ فهو صوابٌ.

وقال: شخصٌ بغيرِ علمٍ كجسدٍ بغيرِ روحٍ.

وسُئِلتْ امـرأةُ سُقْراطَ: أيُّ شيءٍ رأيتـه منه حسنـاً؟ فقـالت: كـان يـدخـل ويخرج بوجهٍ واحدٍ.

سُئِلَ أيُّ شيءٍ ألذُّ؟ فقال: تعلُّمُ حكمةٍ لم نعرفها.

وسألَه بعضهم، فقال: متى نكملُ في الحكمةِ؟ فقال: إذا لم تفرح بالمدح ولم تحزن بالـذَّمِّ؛ فقال: متى يتهيَّـأُ لي ذلك؟ قـال: إذا حصلت أربع آذانٍ، أُذنان تسمعان الحكمة، وأُذنان تصمَّان عن هذرِ الجهَّالِ.

وقـال: لا ينبغي للأديب أن يُخـاطب من لا أدب له، كـالصاحي لا ينـازع السكران.

وقال: النفسُ الرَّديئةُ تهلك ويهلك معها غيرها.

وقال: النُّفُوسُ أشكالٌ فما تشاكل منها اتفق، وما تضادَّ منها اختلف.

---

(1) أ: ح. ن.: وقال النفس الزكية تسلم ويسلم معها غيرها.

وقال: اتّفاقُ النفوسِ باتفاقِ هممها، واختلافها باختلاف مرادها.

وقال: النفسُ جامعــةٌ لكلِّ شيءٍ، فمن عـرف نفسه عـرف كلَّ شيءٍ، ومَنْ جهل نفسه جهل كلَّ شيءٍ.

وقال: النّفسُ جوهرةٌ لا قيمةَ لها، فمن عرفها صانها إلاّ عمَّا يشاكِلُها، ومَنْ جهلها ابتذلها في غير موضعها.

وقــال: من بخل على نفســه، فهو على غيـره أبخلُ، ومَنْ جـادَ على نفسِهِ فذلك المرجو جودٌ.

وقال: ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه.

وقال: مَنْ لا يُحْسِنُ النَّظر لنفسه أوشَكَ أنْ لا يُحْسنَهُ لغيرهِ.

وقال: مَنْ كان حريصاً على صيانةِ نفسهِ عُرِفَ ذلك مِنْ توقِّيهِ من المداخلِ السَّيِّئَةِ.

وقال: النَّفْسُ عوضٌ من كل شيءٍ، ولا شيء عِوَضٌ من النَّفْسِ، فمُضَيِّعُ نفسَهُ مُضَيِّعٌ لكُلِّ شيءٍ. وحافظُ نفسَهُ حافظَ لكلِّ شيءٍ.

وقال: النفسُ الخيِّرَةُ مُجَرَّبَةٌ بالقليلِ من الأدبِ، والنفسُ الشِّرِّيرَةُ لا ينجـع فيها كثيرٌ من الأدبِ لسوءِ معرفتها.

وقال: لو سكت مَنْ لا يعلم لسقط الاختلافُ.

وقال: سِتَّةٌ لا نفارِقهُمْ: الكآبَةُ، الحَسُودُ، والحَقُودُ، وحديثُ عهـدٍ بغنى، وغنيٌّ يخشى الفقر: وطالبُ رُتبةٍ يقصر قدره عنها، وجليس أهـل الأدبِ وليس منهم.

وقال: مُؤدِّبُ النفسِ الرديئةِ، كرائض الفرسِ الصعب، إن غفل عن عِنانِهِ جمحَ به.

وقال: مَنْ ملكَ سِرَّه خفي على الناس أمَرُهُ.

وقال: لا تكرَهُ سخط من رِضاه الباطلُ.

وقــال: التَّقرُّبُ من النـاسِ مجلبةٌ لقـرينِ السوءِ، والتَّبـاعدُ مجلبـةٌ للعداوةِ

فكُنْ من الناس بين المنقبضِ والمسترسلِ.

وقال: خيرٌ من الخيرِ مَنْ عَمِلَ بهِ، وشرٌّ مِنَ الشَّرِّ من عمل به.

وقالَ: العقولُ مواهِبُ، والعلومُ مكاسبُ.

وقـال: مَنْ ظنَّ أنّـه شيءٌ وليس يحسنَ شيئـاً فليس يستـأهِـلُ شيئاً سـوى التَّوبيخِ.

وقـال: العالِمُ طبيبُ الـدِّينِ، والمالُ داءُ الـدينِ، فإنْ رأيتَ الـطبيبَ يجُـرُّ الداءَ إلى نفسِهِ، فكيف يداوي غيرَهُ؟

وقال: لا تكون كـاملاً حتى يـأمنَكَ عـدُوَّكَ، فكيف بك إذا كنتَ لا يـأمنك صديقك؟.

وقال: اتَّقوا مَنْ تَبْغُضه قلوبكم.

وقـال: لا خيـر في الحيـاةِ إلاّ لأحـدِ رجُلين: نـاطقٍ عـالمٍ أو صـامتٍ واعيِ[1].

وقال: الدنيا سجن لمن زهد فيها، وجنَّةٌ لمن أحبَّها.

وقال: إنّما الدنيا كـطريقٍ فيها شـوكٌ مغطّى بـالتراب يـدوسه من لا يعـرف مسلكه فينخسه ويؤلمه، ويقف عنه من استراب به فيسلم منه.

وقـال: مَنْ مال إلى الـدنيا تعجَّـلَ التعب فيها، وكـان على يقينٍ من فنائـه عنها، ومن زَهِدَ فيها استراح من عنائها وأحبَّهُ أهلها، وآمن خـوف العاقبـة بعد مفارقتها.

وقـال: ما أعقـل من تيقَّن بـالـرحيـل من الـدنيـا، وهـو دائبٌ مجتهـدٌ في عمارتها.

وقال: جدير على العاقل أنْ لا يجدَّ في عمارة شيءٍ يتركه لغيره.

وقيل له: لِمَ تعاشرُ الأحداث وأنتَ شيخٌ كبيرٌ؟ فقال: الـراضةُ إنَّمـا تروضُ مهار الخيل لا مُسِنَّاتها.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: واعٍ. (المحقّق).

ووقف عليه الملك وقال له: ألا تخافني؟ فقال: أخَيِّرٌ أنت أم شُرِّيرٌ؟ فقال: بَلْ خيِّرٌ. فقال: لا أخافُ مِنَ الأخيارِ. وركبَ في سفينةٍ فلمَّا لحج، قال للملاحِ: كَمْ عرضُ ألواح السفينة؟ فقال: إصبعان، فقال: بيننا وبين الموتِ إصبعانِ، رُدَّني إلى الساحل.

وقال لرجلٍ وقد عيَّرهُ بأنَّه من أهل بيتٍ لا شرف لهم، فقال: أهل بيتي عارٌ عليَّ وأنت عارٌ على أهل بيتك. وقصده رجلٌ غنيٌّ من موضعٍ بعيدٍ ليتعلّم منه الحكمةَ، فلما دخل عليه رآهُ ملفوفاً بكساءٍ خلِقَ، فالتفت إلى مَنْ أرشدَهُ إليه، فقال: سقراطُ هذا هو؟ فقال سُقراط: نعمْ سُقْراطُ هذا يكون وإن كان في كساءٍ غير جديدٍ، ولكنك أتعرِفُ أنت؟ فلست من رجالِ الحكمةِ. ودخل عليه آخرُ، فرآهُ يغتسل بالماءِ، فقال: أين موضع سُقراط؟ فقال: في موضعِ كذا، فذهب إلى هناك ينتظره، فلما رجع قال: كُنْتَ سقراطَ ولم تُخبِرَنِي؟ فقال: لأنك سألتني عن موضع سقراط، لا عن سقراط نفسه، والجواب على حسب السؤالِ.

ونظر إلى شيخٍ يُحبُّ النظر في الفلسفة ويستحي، فقال: ياهذا أتستحي أن تصير أفضل مما أنت عليه؟. وعُوتبَ على إدامةِ العزلة، فقال: لو عرفتم نفعها وحلاوتها لاستوحشتم من أنفسكم فكيف من الناسِ[1]؟ استهينوا بالموت ليعزَّ عليكم فراق الحياة.

وقال: «ليس ما مضى من الدنيا إلاّ كما لم يكنْ.

وقال: ليس بين الدنيا والآخرةِ إلاّ حلولُ الموتِ.

وقال، وقد ذُكِرَ عنده موسى عليه السلامُ: معاشِرَ الرَّبانيين[2] لا حاجةَ بنا إلى تهذيب غيرنا لأنَّا مهذَّبُونَ. وقال: الكلامُ فيما لا يُدركُ جهلٌ، والمناظرةُ فيما لا يبلغه الرأيُ خطأٌ.

---

(1) أ: ح. ن.: وقال.

(2) أ: ح. ن.: نحن معاشر اليونانيين.

وقال له رجلٌ وضيع الخلائقِ شريفُ الجنسِ: أما تأنَفُ يا سُقراطُ من خساسَةِ جنسك؟ فأجابهُ: جنسك عندك انتهى وجنسي مني ابتدأ.

وقال: كما أنّه يُستدلُّ بالصواب على الخطإ كذلك لا يعرف المنزلُ الجيِّدُ حتى تنزِل المنزلَ الرَّديءَ ولا يعرف اللَّينَ من لا يعرفُ الخشنَ، والمفروحُ هو المحزون عليه.

وقال: الدنيا كصورةٍ في صحيفةٍ كلَّما نُشر بعضها طُويَ بعضها، وخيرُ الأمورِ أوسَطُها، والصبرُ يعين على كلِّ عملٍ.

وقال: من اسرع يوشِكُ أن يَكثُرَ عثاره.

وقال: مَنِ ابتُلِيَ فصبر كمن عُوفِيَ فشكَرَ.

وقال: إذا لم يكن عقل الرجلِ أغلبَ الأشياء عليه. كان هلاكه في أغلبِ الأشياء عليه.

وقال: مَنْ لا يعرفَ الخيرَ من الشَّرِّ فألْحِقُوهُ بالبهائم.

وقال: خيرُ الإخوانِ من صرف إخوانه من الشَّرِّ إلى الخير، وأقوى الأقوياء من دُفِعَ به الضررُ عن الناس، وأفضل السيرةِ طيبُ المكسبِ وتقديرُ الإنفاقِ.

وكتب إلى ملكٍ زمانِهِ وقد ماتَ ابنهُ: أمَّا بعدُ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ اسمه جعل الدنيا دار بلوى، وجعل الآخرةَ دار عقبى، وجعل بلوى الدنيا لثوابِ الآخرةِ، سَبَباً، وثوابَ الآخرةِ من بلْوَى الدنيا عِوَضاً، فيأخذُ ما يأخذُ بما يُعطيَ ويُبْلي إذا أبْلى ليُجْزِيَ، والسلامُ.

وقال: لا يكونُ الحكيمُ حكيماً حتى يغلبِ شهواتِ الجسمِ.

وقال لتلامذتِهِ: احذرُوا كلَّ الشهواتِ فإنَّ القُلوبَ المتعلِّقةَ بشهواتِ الدنيا عقولُها محجوبةٌ عن اللهِ جلَّ وعزَّ.

وقال: الدُّنيا واعظ لِمَنْ بقي بمن مضى.

وقال: حوادثُ الدنيا هلاك لقومٍ، ووعظ لقومٍ آخرينَ.

وقال: السُّكونُ إلى الدنيا بعد العلم بها نهايةُ العجزِ، والثقةُ بها غايةُ

الغرورِ، وسُوءُ الظَّنِّ بها نفسُ الحزمِ.

وقيل له: ما النَّعيمُ؟ فقال: طيبُ النفسِ. وقيل له: ما الغنى؟ قال: صحَّةُ الجسم.

وقال: إنْ مساعدة الأمورِ للمرءِ تكادُ أن تسلِبه عقله.

وقال: إنَّ القلب الفارغ يبحث عن الأسوأ، واليد الفارغةُ تُنازعُ إلى الآثامِ.

وقال: بطنُ الأرض ميِّتٌ، وظهرها سقيمٌ.

ودفع إليه بعضُ تلامذته بِرّاً فقبِلَهُ منه ثم بكى، فسئِلَ: لِمَ تبكي؟ فقال: لأني أهْلكتُ العشيرةَ بقبُولي الأجْرة.

وقال: كُنْ مع والديك كما تُحبُّ أنْ يكون معك بَنوكَ.

وقال: لا تكثرِ الضحكَ، ولا تستقِلَّ كلمةَ غضبٍ، فإنَّهما شيئانِ من صنيعِ الجهالِ.

وقال: ما استحيْنا مِنْ فعلِهِ ينبغي أن نستحي مِنَ الكلام بهِ.

وقال: كابر شهواتِ الحداثةِ بالقهرِ لها، فإنَّ ذلك أزْينُ ما أنت لابسٌ، وبذلك تنجو من تلوُّنِ الصِّبا، وإنْ أتيتَ فاحشةً سرّاً، وظننت أنَّ ذلك مستورٌ فأيقِنْ أنَّ ذلك لن يخفى عن الناس مع توبيخ النفسِ إيَّاكَ به، فاتَّقِ الله سبحانَهُ، واستحي[1] من الناسِ، واحفظِ الوصيَّةَ، واسمعْ مِنَ الحكماءِ، وتعلَّمْ واخْبِرْ إلى غايةِ الذكْرِ الصالحِ، فما أجمَلَ الشَّهْوَةَ الحسنة، وما أقبح الشهوة السيئة.

وقال: احذرِ النميمةَ وإن كانت كذباً، فإنَّ أكثر الناس لا يعرفون الحقَّ.

وكتب إليه أفلاطون: إنّي أُسائلكَ عن ثلاثةِ أشياءَ، فإنْ أجبتَ عنها تتلمذتُ لك، فكتب إليه سل وباللهِ التوفيقُ. فكتب إليه: أيُّ الناس أَوْلى

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: واستحِ. (المحقِّق).

بالرحمةِ؟ ومتى تضيع أمورُ الناس؟ وبماذا تتلقّى النعمة من اللهِ تعالى؟ فأجابه أولى الناس بالرحمة ثلاثة: البرُّ يكون في السلطان الفاجر فهو ـ الدهر ـ حزينٌ لما يرى ويسمعُ، والعاقلُ في تدبيرِ الجاهلِ فهو ـ الدهر ـ متعبٌ مغموم، والكريم يحتاج إلى اللئيمِ فهو ـ الدهر ـ له خاضعٌ ذليلٌ وتضيع أمورُ الناس إذا كان الرأيُ عند من لا يُقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه وتُتلقّى نعمةُ اللهِ تعالى بكثرةِ شكرهِ، ولزومِ طاعتِهِ، واجتنابِ معصيتِهِ، فأقبلَ أفلاطون إليه فتتلمذ له حتى مات.

وقيل له: وهل شيءٌ أصعبُ من الموتِ؟ فقال الحياةُ أصعبُ، لأنَّ مع الحياة الغمُّ والهمُّ والمرضُ والفقرُ والتَّعَبُ ومع الموتِ الراحةُ من جميع ذلك. وقيل لِسُقْراط: إنَّكَ تستخفُّ بملك مدينتكَ، فقال: إني ملكت الشهوةَ والغضبَ ومُلِّكاهُ، فهو في محلِّ عبدٍ لعبدي.

وقال بعض الملوكِ لسقراط: اعملْ لي كتاباً فيه جُمَلٌ من حكمتكَ أرجعُ إليها، فقال هيهات الحكمةُ أجَلُّ من أن تخدمها إلّا بنفسك.

وحُكِيَ عنه أنَّه قال لا تحرصوا على الغنْيَةِ فيشتدُّ فقْركُمْ واستهينُوا بالموت لأن لا تموتوا، وأميتوا أنفسكم تخلدوا، والزموا العدل تلزمكم النجاةُ، والعدلُ أمانُ النفس.

وقال: الحزنُ للمبتلين حتى يتخلّصوا من البلايا أفضلُ من الفرح لأهلِ السلامةِ. وكان يقول: الإقلالُ للعاقلِ حصنٌ من الرذائلِ وطريقٌ للجاهل إليها.

وكان يقول: راحة الحكماءِ في وجود الحقِّ، وراحةُ السفهاءِ في وجودِ الباطلِ.

وكان يقولُ ضادُّوا الشهواتِ بالغضبِ فإنَّ مَنْ غضبَ على نفسه في تناول المساوىء شُغِلَ عنها، وذلِّلُوا الغضب بالصمتِ.

وكان يقول: ضالّةُ الجاهِلِ غيرُ موجودةٍ وضالّةُ العاقلِ معه حيث ما سلك.

وقال: المعجب بنفسه يرى فيها ما هو أجلُّ منها مع ضعفِ قوتِهِ، فيظهر فرحه.

وقال: مَنِ استعملَ العقلَ قلَّ حزنُهُ، واشتاق إليه كلُّ شيءٍ.

وقال: ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبةَ الطبيبِ للمريض. وقال: اللَّذَةُ حقاقٌ مُرْسَلَةٌ.

وقال: طلبُ الدنيا لا يخلو عن الحزن في حالين: حزنٍ على ما فاته كيف لم ينلْهُ، وحزنٍ على ما ناله كيف يخافُ سلْبَهُ، وإن أمِنَ سلْبهُ أيقن بتركه بعد موته، فهو مغصَّصٌ في جميع أحواله.

وقال لتلميذٍ له: يا بُنَيَّ إقْنَع مِنَ الدنيا بما بلغك قوتك من المأكولِ، واكتفِ بما كسر ظمأكَ من المشروبِ، وارْضَ بما سَتَرَك مِنَ الملبوسِ، واستغْنِ، بما لك من البيوتِ، وكُنْ خادماً لنفسِكَ يهدأْ قلبُكَ، وتستغنِ عن مُداراتِكَ واجعلْ نعليك مركبك، واجْعَلِ الأرضَ مهادكَ، والقمرَ والنجومَ سراجَكَ والعلمَ طلْبتك، والعمل دأبكَ. وتعلَّمَ الحكمةِ شأنَكَ تكن من أفضلِ أهلِ زمانك، وتلحق بمن تقدَّمَ من محمودي إخوانك، وإيَّاكَ والفخَّ المنصوبَ على الأرضِ للرجالِ مِنَ النساءِ فإنَّهُ مفسدٌ للحكمةِ، مُسقِطٌ للرتبة، مورثٌ للنَّعمةِ، مُؤَدٍّ إلى نقص الهمَّةِ.

وقال: طالبُ الدنيا قصير العمر، كثيرُ الفكر.

وقال: طالبُ الدنيا كراكب البحر، إنْ سلِمَ قيل: مخاطِر، وإنْ عطب قيل: مغرور.

وقال: طالبُ الدنيا كناظر السرابِ يحسبُهُ ماءً فيُتعب نفسه في طلبِهِ فإذا جاءَهُ خابَهُ ظنُّهُ[1]، وبقي عطشه، ودامتْ حدَّتُهُ، وخرَّ طول عنائه.

وقال: عمر الانسان في الدنيا مثل الفيء الذي لا حقيقة له يزول من

---

(1) أ: ح. ن.: وفاته أمله.

موضعه إلى غيره فإذا التمسه في موضعه لم يجده شيئاً.

وقال: الإنسانُ في الدنيا معذَّبٌ بجميع أحوالها غير باقٍ عليه ما يصيرُ إليه من امتنانها قليلُ التهنئة بما يجد من ملاذها دائمُ الغُصَصِ بمفارقةِ أحبابهِ فيها.

وقال: حُبُّ الدنيا يُصِمُّ الأسماع عن الحكمةِ ويعمي الأبصار عن نور البصيرةِ. وقال: حُبُّ الدنيا يورثُ الضغائن، ويزرعُ الأحقادَ، ويكمنُ الشرَ، ويمنعُ البِرَّ.

وقال: الدنيا تنصح تاركها، وتغِشُّ طالبها، فنُصحها لتاركها ما تُريه منْ تغيُّرها بأهلها، وغشُّها لطالبها ما تُذيقُه من لذَّةِ ساعتها ثم تعقبه مرارةَ طعمها وسوءَ منقلبها.

وقال: مَنْ أراد أن يستعمل الحقَّ بأكثر مما يستعمله الملك فإيّاهُ وخدمة الملوكِ فإنْ أراد أن يخدم الملوكَ فليستعمل القدْرَ الذي يستعمله الملكُ من الحقِّ ولا يتجاوزُهُ، فإنَّهُ متى تجاوزهُ فلْيَعْلَمْ أنّه قد ناهض الملك.

وكان يقول: القِنْيَةُ مخدومة، ومن خدم غير ذاته فليس بحرٍّ.

وكان يقول: ما الإيمانُ إلاّ ما نصح، ولا العمل إلاّ الابتداءُ بما يُوقَنُ فيه بحسْنِ العاقبةِ.

وقال له رجُلٌ: ما أشدَّ فقركَ يا سقراط! فقال له: لو عرفتَ الفقر لشغلك التَّوجُّعُ لنفسك عن التوجُّع لسُقْراطَ.

وقيل له: ما أقربُ شيءٍ؟ قال: الأجلُ؛ وما أبعدُ شيءٍ؟ قال: الأملُ؛ وما آنسُ شيءٍ؟ قال: الصاحب المواتي؛ وما أوحشُ شيءٍ؟ قال: الموت. وقال: مِنْ أعجبِ العَجَبِ عاقلٌ تأسَّفَ.

وقال: مَنْ أمات نفسه موتاً طبيعياً كان جسمه قبراً، ومَنْ أمات نفسَهُ موتاً إرادياً كان موته الطبيعيُّ حياةً لنفسِهِ أبداً.

وقال: أفْضَلُ من استُشيرَ الزمانُ في كلِّ وقتٍ.

وقال: أحسنُ الناسِ صورةً أَعْمَلُهُمْ بما يوجبه الحقُّ.

وقال: الموتُ حقٌّ واجبٌ وليس يكرهَهُ إلّا مَنْ كَثُرَ جَورُهُ وقلَّ عدله.

وقال: ما أبْيَنَ فضيلَةَ الموتِ إذا كان سبباً للنُقلةِ من عالم الـذلِّ إلى عالم العزِّ، ومِنْ عالَمِ الفناء إلى عالم البقاء، ومن عالم الجهـل إلى عالم العقـل، ومن عالم التعب إلى عالمِ الراحة.

وقـال: لَوْ لم يكن للمـوتِ فضيلةٌ إلّا الراحـة مِمَّنْ لا يُنْصِفُ من أضـدادِكَ ومن أهلِ العدل من أشكالِكَ.

وقال: ما أسْهَـلَ الموتَ على مَنْ أيْقَنَ بمـا بعدَهُ! ومـا أَصْعَبَ الموتَ على مَنْ شكَّ فيما بعدَهُ!

وقال: مَنْ طابتْ حياتُهُ طابتْ مَنِيَّتُهُ.

وقال: الموتُ أمانٌ مِنَ الموتِ وموصلٌ إلى النعيمِ والفوزِ.

وقال: الموتُ خَيْرٌ من المقامِ في دار الهوانِ.

وقال: الموتُ راحةٌ لمَنْ كان عبْدَ شهوَتِـهِ ومملوكَ هواه، لأنَّـهُ كلما طـالتْ حياتُهُ كثُرت سيِّئاتُهُ وأنْبَتَتْ في العالم جناياتُهُ.

وقال: مَنْ كان شرِّيراً فالموتُ سببُ راحة العالمِ من شرِّهِ.

وقال: الموتُ محمودٌ على كُلِّ حالٍ للبِرِّ والفاجِرِ. فأمَّا البـرُّ فيصِلُ إلى مـا قُدِّمَ مِنْ جميل أفعالِهِ ويلتقي مع محمودي أخوانِهِ، وأمَّا الفاجرُ فيسْتَريحُ العالَمُ من فجورِهِ، وثِقَلٍ يزيدُهُ وَوزْرِهِ.

وقال: الموت بُشرى للعاقِلِ، وعظةٌ للجاهِلِ

وقال: الحياةُ تجـورُ في القضاءِ بين الأحيـاءِ، والموتُ يُسـاوي في القضاءِ بين الأمواتِ.

وقال: مَنْ قُتِلَ مظلوماً كان ذلك أماناً له في عاقبتـه، ومَنْ قُتلَ ظـالماً كـان ذلك جديراً له بالخوفِ في عاقبتِهِ.

وقال: ما أقْبَحَ البكاءَ على مَنْ قُتِلَ مظلوماً! وما أحسنهُ على مَنْ قُتِلَ ظالماً! لأنَّ المظلوم يُفْرَحُ له بحسنِ ما يردُ عليه، والظالم يُحزنُ له بسوءِ ما يردُ عليه.

وقال: مَنْ خاف مِنْ شيءٍ عمل ما يؤْمِنُهُ منه، فمَنْ خاف الموتَ فلْيَعْمَلْ ما يرجو به السلامةَ من شَرِّهِ.

وقال: يا بُنَيَّ لا تغالبْ أمراً مقبلاً فإنَّـهُ بعيدٌ أنْ يضعُفَ، واستنـدْ إلى قومٍ مُقبلةٍ جدودُهم، وإيَّاك وأنت مُقبِلٌ أن تخلو بقومٍ مُدْبرين.

وقال إذا أرَدْتَ فعل أمـرٍ من الأمورِ فـانظرْ في عِلَلِهِ التي عنهـا يكونُ، فـإن كنت تنالها فاطلبْهُ بهـا وإنْ لم تنلها، فمُحـالٌ أن تبلغهُ، وكيف تنـال أمراً ليس معك العللُ التي بها يُنالُ. وقال: فَقْدُ السَّعَةِ مع نزاهةِ النفس أعنى من امتهانِ العرضِ لِمَنْ يستكثرُ قليل نيله لك ويستقلُّ ما بذلت له من نفسِكَ.

وقال: لا تَعُدَّنَّ معروفاً[1] نِلْتـهُ نفيساً إذا كـان مع ابتـذالِ نفسِكَ، وأخـلاقِ وجهِكَ، وضِعَةِ قدرِكَ فإنَّ الذي فقدتَ مِنْ عِـزِّ الصيانـةِ أكثرُ من قـدْرِ الفائـدةِ وقيمةُ ما بذلْتَ من مدْرِكَ أعظمُ ما أفدْتَ من قضاءِ وطر نفسك.

وحُكيَ أنّه كان يتعلَّمُ الموسيقى على كِبَرٍ فقيل له: أما تستحي يا شيـخُ أن تتعلَّم على الكِبَرِ؟ فقال أقبحُ من ذلك أنْ أكونَ جاهلاً[2].

ورأى فتىً قد أكل مالَهُ وحصل على أكْلِ الزَّيتونِ مِنَ الشجَرِ يجمعُهُ، فقال له: لو كنت اقتصرتَ على أنْ يكون هذا طعامَكَ لم يكن هذا طعامَكَ.

وقال: إنَّما جُعِلَ للإنسـانِ لسانٌ واحـدٌ وأذنانِ ليكـون ما يسمعـه أكثرَ ممـا يتكلَّمُ به.

وقال: المَلكُ الأعظمُ هو الغالِبُ لشهوتِهِ.

---

(1) أ: ح. ن.: ولاحظاً.

(2) أ: ح. ن.: على الكبر.

وقيل له: أيُّ الأشياءِ أَلَذُّ؟ فقـال: استفادةُ الأدبِ، واستمـاعُ أخبارٍ لم تكنْ سَمِعْت.

وقـالَ: أنْفَسُ ما لـزمهُ الأحـداث الأدبَ وأقـلُّ نفعـه لهم أنَّـه يقـطعهم عن الأشياءِ الرديئة. وقال: أنفعُ ما اقتناهُ الإنسانُ الصديقُ المخلصُ.

وسمع إنسانـاً يقول: السُّكـوتُ أسلَمُ وذلك أنّ الكـلام الكثيرَ قـد يقع فيـه الخطأُ كثيراً، فقال ليس يعرضُ ذلك إلاّ لمنْ يدري ما يتكلَّمُ به، بلْ إنْ تكلَّمَ الجاهلُ قليلاً أو كثيراً فهو خطأٌ.

وقال: نفع السكوتِ أكثرُ من نفعِ الكلامِ، وضـررُ الكلامِ أكثـرُ من ضررِ السكوتِ.

وقال: العاقلُ يعرفُ بكثرةِ صَمْتِهِ، والجاهلُ يعرفُ بكثرة كلامِهِ.

وقـال: الصـامتُ يُنسَبُ إلى الغَيِّ ويسلمُ والمتكلِّمُ يُنسبُ إلى الفضـولِ ويندم.

وقال: لو لم يـربحِ الصـامتُ إلاّ أَلَمَ المجادلـةِ وأَلَمَ المقاولـةِ لكانَ رابحـاً فكيفَ هو مع ذلك يربح حُسْنَ العاقبةِ وراحةَ الأحياءِ به.

وقال: مَنْ لمْ يستعملْ الصمتَ من نفسِهِ وإلاَّ اسْكتَهُ غيرهُ كرهاً، وكان عاراً عليه.

وقـال: مَنْ سكتَ حتى يُستَنْطَقَ كـان الـرِّبْـحُ لمَنْ ينـطِقَ حتى يعيش كـان مكتوباً على بابِ صَوْمَعَتِهِ: سلامي على مَنْ لا أعرفه ولا يعرفني.

فقال: الحكمةُ طِبُّ النفوسِ والحكيمُ العالِمُ مُعالِجُ النفوسِ.

وقال: الكلامُ مملوكٌ ما لَمْ ينطقَ بـه صاحبُـهُ فإذا نَـطقَ به خَـرَج عن ملكه له.

وقال: مَنْ قويَ على الامساكِ عَنِ الكلامِ إلاّ في مـوضعه كـان على الفعل أقوى.

وقال: الكلامُ مفتاح السِرِّ، والسكوتُ مغلاقٌ.

وقال: الصمتُ محمودٌ في أكثرِ المواضع والكلامُ مذمومٌ في أكثرِ المواضع.

وقال: إذا تكلَّمَ المرءُ عُرِفَ تمامُهُ من نقصِهِ وإذا سكتَ شُكك في أمره فلمْ يُقْضَ عليه بنقصٍ ولا بتمامٍ.

وقال: مَنْ علم أنَّ الكلام يتصفح فلْيَتَصَفحْهُ هو على نفسه قبل أن يتصفَّحهُ عليه غيرُه.

وقال لتلميذٍ له: الكلام يُحصى عليك فاحرص أن يكون صواباً، وإلاّ فالإمساك أوْلى بك.

وقال: مَنْ كان الكلامُ لهُ موجعاً كان من الضربِ سالماً. وقال: الصامتُ متصفِّحٌ على غيره والمتكلِّمُ غيره متصفِّحٌ عليه، واستشارهُ رجلٌ في التزويجِ، فقال له: احذرْ أنْ تكونَ كالسمكِ، فالداخِلِ في الشبكةِ يطلب الخروجَ والخارج يطلبُ الدخولَ.

وقال: استهينُوا بالموتِ فإنَّ مرارتَهُ في خوفه. وقيل له: ما الغنيةُ المحمودةُ؟ فقال: ما ينمي على الإنفاق.

وقال: لا تكن عنايتُكَ أنْ تكسب الشيءَ بدون عنايتك بحسنِ استعماله. وقال له رجلٌ ما أغْنَتْ عنك الحكمةُ وأنت لا تبيتَ إلاّ فقيراً؟ فقال: أغْنَتْ عَنِّي ألمَ ما الملك[1].

وقالت له امرأةٌ معروفةٌ بالمجونِ والسَّرفِ على نفسها: يا شيخُ ما أقبحَ وجهكَ! فقال لها: لوْلاَ أنَّكِ من المرايا الصَّديَّةِ لبانَ حسنُ صورتي عندكِ.

وقال: السُّكْرُ إنَّما هو عدَمُ النفسِ عالم العقلْ وهو يتركُ النفس كالهيولى

(1) أ: ح. ن.: مِنِيَ.

التي لا صورةَ لها فتبقى النفسُ لا حِلْيةَ لها فأيُّ شيءٍ أضرُّ من شربِ ما يُجْرِدُ عنِ النفسِ حليتها.

وقال: المتَصَرِّفونَ في الزمان نحو تصرُّفِ الزمانِ لا يستشارونَ لأنَّهم لا يُشيرونَ بالرَّأيِ لأنه لا رأيَ لهم، بل انهم يُشيرونَ بمحضِ الهوى، وإنَّما يُستشارُ مَنْ حصر الزَّمانَ برأيِهِ فلم يُتصرَّفْ معه، ومَنْ لمْ يتصرَّفْ مع الزمانِ، فلَهُ المحبَّةُ المحضةُ العقليَّةُ، ومَنْ تصرَّفَ مع الزمانِ فإنَّما محبَّتُهُ هوائيَّةٌ.

وقال: الرأيُ يُريكَ غايةَ الأمرِ في مبْدئِهِ.

وقال: كِتْمَانُ السِّرِّ واجِبٌ في العقلِ، فمُذيعُهُ لا عقلَ له.

وقال: كِتْمَانُ سِرِّكَ سببُ إصابتِكَ، وكتمانُ سِرِّ غيرِكَ واجبٌ عليك.

وقال: المشكورُ مَنْ كتم سرّاً لَمْ يُسْتَكْتَمْهُ، وأمَّا مَنْ استكْتم سرّاً فذلك واجِبٌ عليه.

وقالَ: اكتمْ سرَّ غيرِكَ كما تُحبُّ أن يكتُمْ سرَّكَ غيرُكَ.

وقال: كتمان السِّرِّ كرمٌ في النفسِ، وسموٌّ في الهمَّةِ.

وقال: إذا ضاقَ صدرُكَ بسرِّكَ فصدْرُ غيرِكَ به أضْيَقُ.

وقيل له: لِمَ صارَ العاقلُ يستشيرُ؟ فقال: العِلَّةُ في ذلك تجريدُ الرأي عنِ الهوى، وإنَّما استشار تخوُّفاً مِنْ شوائبِ الهوى.

وقال: لَوْ عَلِمَ الذي يأكُلُ الحلوَ ويُدْمِنُهُ أنَّ علاجَهُ المرُّ لما داوم عليه.

وقال: الفصلُ بين الحُرِّ والعبدِ أنَّ الحُرَّ يحرسُ الحقَّ أبداً حراسةً جوهريةً، والعبدُ يحرسُ حراسةً عرضيَّةً، وهي حراسةُ المخافةِ.

وقال: مَنْ حسُنَ خُلْقهُ طاب عيشُهُ، ودامتْ سلامتُهُ، وتأكَّدتْ في النُّفُوسِ محبَّتُهُ، ومَنْ ساءَ خلقه تنكدتْ عيشتُهُ ودامتْ بَغْضَتُهُ ونَفَرَتِ النفوسُ منه.

وقال: حُسنُ الخلقِ يغطي غيره من القبائح، وسوءُ الخلقِ يُقَبحُ غيره مِنَ المحاسِنِ.

وقال: رأْسُ الحكمةِ حُسْنُ الخُلقِ.

وقال: حُسْنُ الخُلقِ يؤدِّي إلى السلامةِ، ويُؤْمِنُ من الندامةِ، ويُوجِبُ الألفةِ ويُؤمِنُ مِنَ الفقرِ، ويبعثُ على الجميلِ.

وقال لتلميذٍ له يوماً: أيْ بُنيْ، إيَّاكَ والاغترار بالزمان فإنَّهُ لم يفِ لِمَنْ وعدَهُ قبْلَكَ وكذلك لا يفي لك وعليك بحُسْنِ الخُلُقِ تكن محبوباً مألوفاً.

واعلم يا بُني أنَّكَ إنْ كنت حسن الصورةِ فجمعْتَ إلى حُسْنِ صُوْرَتِكَ حسْنَ خَلْقِكَ فكنت كاملاً، وإنْ كنت قبيح الصورةِ، لم تجمع إلى قبحِ صورتك قبح خُلقكَ بل حُسْنُ خُلقكَ يغطي قبح صورتِكَ.

وأوصى سقراطُ تلاميذَهُ، فقال: عوِّدُوا أنفسكُمْ القنوعَ وتعرَّفُوا الفضل عند الزيادةِ يطبْ لكم العيش ولا تستودعُوا أسراركُمْ غيركم كي تأمَنُوا صرفَ الزمانِ، ولا تستصغروا الأمر الصغير إذا ورد عليكم، وكان قابلاً للنماءِ، رَبُّوا أصدقاءَكُمْ بالمحبَّةِ والفضلِ، ولا تُظهروا لهم المودَّةَ من أنفسكم دفعةً واحدةً.

وقال: النومُ موتُهُ حقيقةٌ، والموتُ نومٌ طويلٌ.

وقال: مَنْ طلبَ أكثر من حاجته شُغِلَ عن منفعته. وقال: القنوعِ إمامُ الكفايةِ، ومَنْ تعاهد نفسه بالمحاسبةِ أُمِنَ منها المُداهنةَ.

وقال: الأمَلُ فروعُ[1] النفسِ الرَّديئةِ التركيب لأجلِ حُبِّ الدنيا، صُمَّتِ الأسماع عن الحكمةِ، وعَمِيَتِ القلوبُ عن نُورِ البصيرةِ.

وقال: إقبلْ عُذْرَ الناسِ تَسْتَمْتِعْ بحديثهم، وأمِتْ ضغائنهُمْ بالبشر بهم.

وقال: الحكمةُ نورُ جوهريُّ الطبعِ، والصَّوابُ فرعُ الرؤيةِ، والفكرِ، والعملُ بالهوى ضِدُّ الحزمِ.

---

(1) «كذا» في «أ»، ولعلَّ الأصوب: نزوع.

وقال: استدمْ الحبَّ مِنْ صديقكَ بحسنِ صحبتِكَ له يَطُلْ مكثه معك.

وقال لتلميذٍ له: لا تركن إلى الزمان فإنَّه سريعُ الخيانةِ لِمَن ركنَ إليه.

وقال: غوائِلُ الأيّامِ كثيرةٌ ولن يحصي أحدٌ عددها.

وقال: الزمانُ يُحذِّرُ عن نفسه، ويُخْبِرُ عن سوءِ غائلتِهِ.

وقال لتلميذٍ له: يا بُنَيَّ لا تَغْتَرَّنَّ بحُسْنِ شبابكَ وصحَّةِ جسمكَ فإنَّ عاقبةَ الصحةِ سقمٌ، وعاقبةَ السُّقم موتٌ، يا بنيّ اعمل في التخلص من آفاتِ الدنيا، وغوائلِ الزمان، فإنَّ مع كل فرحةٍ ترحة، ومع كلِّ صفوٍ كدرٌ ومع كل نعمةٍ نقمةٌ، ومع كل اجتماعٍ تشتيتٌ، ومع كل تواصلٍ انقطاعٌ.

وقال من سرَّهُ الزمانُ في حالهْ، ساءهُ في أخرى، أوشك لمن سرَّهُ الزمان في عدوِّهِ أن يسرَّ عدوَّهُ فيه.

وقال: مَنْ كانتِ الأيامُ به سائرةً فلا شك أن عظامه باليةٌ، ومهجته عن الدنيا راحلةٌ.

وقال رجُلٌ لِسُقْراط: ذكرتُكَ لفلانٍ فلم يعرفْكَ.

فقال: يضرُّه أنْ لا يعرِفَنِي ولا يضُرُّنِي أن لا يعرفني إني لا أُغنى بمعرفةِ خسيسٍ ولا يجهلُ مثلي إلاَّ خسيسٌ.

وقال مُتَّبِعُ الشهواتِ نادمٌ في العاقبةِ مذْمومٌ في العاجلةِ، ومُخالِفُ الشهواتِ سالمٌ في العاقبةِ، محمودٌ في العاجلَةِ.

وقال: مَنْ أنزلَ نفسَهُ منزلتها أمِنَ عليها سوءَ الدوائر.

وقال: النفسُ جوهَرَةٌ لا قيمةَ لها، فَمَنْ عرفها صانها إلاّ عَمَّا يُشاكلُها، ومَنْ جهلَها بذلها في غير موضعها.

وقال: إنْفاقُ النفوس في إنفاقِ هِمَمِها، واختلافها بإنفاقِ مُرادِها.

وقال مَنْ لَمْ يعدِل على نفسه أوشكَ أن لا يعْدِلَ على غيره، ومَن لم

يُحْسِنِ النَّظَرَ لنفسِهِ لَمْ يُحْسِنِ النَّظَرَ لِمَنْ سِوَاهُ.

وقال: العاقِـلُ مَنْ يُقاضي نفسَـهُ بما يُحِبُّ لغيـرِهِ ولا يتقاضى مِنْ غيـرِهِ ما يُحِبُّ بهِ.

وقال: مَنْ ألْهَمَ نفسه حُبَّ الدنيا امتلأ قَلْبُهُ مِنْ ثلاثِ خلالٍ: فَقْـرٍ لا يُدْرَكُ غناه، وأملٍ لا يُدرَكُ منتهاهُ، وشغلٍ لا يدركُ فناهُ.

وقال: مَنِ احتجْتَ أن تستكتمَهُ سرَّكَ فلا تُسِرَّهُ إليه.

وقال: إذا لَمْ تجدْ في الدُّنيا إلاَّ مهمـوماً، فـأنْفَعُ المهمـومينَ مَنْ كان هَمُّـهُ في الأمرِ الباقي.

وقال: إنَّ العاقلَ المُدْبِرَ أرْجَى من الجاهِلِ المقبِل. وقال: إذا كَثُرَ الإمكانُ قَلَّتِ الشهوة في الإنسان.

وسُئِـلَ سقراطُ: لِمَ صـارَ ماءُ البحـرِ مـالحـاً؟ فقـال للسـائـل: إنْ أعْلمتني المنفعة التي تنالك من ذلك أعلمتك السبب فيه.

وقيل له: ما الذي غنمت مِنَ الحكمةِ؟

فقـال: صرتُ كـالقائم على شـاطىء البحرِ أنـظر إلى الجهَّالِ يَتْلَفـون بين أمواجه.

وقال: الدنيا ميراثُ الدول وبقيَّةُ القرونِ وأوعيةُ الفجائع.

وقال: الحُرِّيةُ هي خدمة الإنسان للخيرِ، وانهماكـه فيه، وبقـدرِ خدمتـه له تكون حُرِّيتُهُ، ومَنْ لم يتمسك بالخير فليس بحُرٍّ.

وقال: لا تُسرف في شهواتك فإنَّ لك من الحدثانِ وقـائع، فـارصُدْ مـايأتي به. فمن جوهرِ مَنْ خلا أنت، وفي محلِّ مَنْ مات مُقيمٌ، وإلى العنصـرِ الذي بدأتَ منه تعودُ.

وقال: مَنْ أراد الاتصالَ بالإخوانِ فَلْيَمْتَحِنْ نفسه بخلاف شهـوته، وليعـرفْ

صبره خلاف موافقته فإن كان ذلك سهلاً عليه طابت عشرة أخلائه له وإلاّ فالوحدةُ به أشبهُ.

وقال: النساءُ فخٌّ منصوبٌ للرجالِ فما يقع فيه إلاّ من اغترَّ به.

وقال: لا ضَرَّ أضرُّ مِنَ الجهل، ولا شرَّ أشرُّ مِنَ النساءِ. وقال وقد رأى امرأةً تحملُ ناراً، فقال: حاملُهُ أشَرُّ مِنَ المحمولِ.

ونظر إلى امرأةٍ سقيمةٍ على الفراشِ لا حراكَ لها، فقال: الشَّرُّ بالشَّر يكفُّ. ونظر إلى جنازةِ امرأةٍ وخلْفَها بَواك، فقال: الشر لِفَقْدِ الشَّرِّ يتوجَّعُ.

ونظر إلى صبيَّةٍ تتعلم الكتابةَ فقال: لا يزيدُ الشَّرُّ إلاّ شراً.

وقال: مَنْ أرادَ النجاةَ من مكائِدِ الشيطان، فلا يُطيعنَّ امرأةً، فإنَّ النساءَ سُلَّمٌ منصوبٌ للشيطانِ[1] حمله ألاّ بالصعود عليه.

وقال: العجزُ يعرف بالرجُلِ من ثلاثِ خصالٍ؛ قِلَّةِ اكترائه بمصالحِ نفسِهِ وقلَّةِ مخالفتهِ لما يشتهي وقبوله من امرأتِهِ فيما يعلَمُ وفيما لا يعلمُ.

وقال يوماً لتلاميذه: هل أدلُّكُمْ على النجاةِ من الشرِّ كُلِّهِ؟ قالوا: نعم أيها الحكيم، فَقِدْماً كانت لك الحكمة علينا.

فقال لا يطيعنَّ أحدكم امرأةً بحالٍ لا في ما تعرف ولا فيما تُنْكِرُ فإنَّه يسلم.

فقال بعضهم: فالرجل منّا له الأمُّ الشفيقةُ والأخت الشفيقة، فقال: فيما قلت لكم كفايةُ الشَّرُّ بالشرِّ شبيه.

فقال: من أراد أن يقوى على طلب الحكمة فَلْيَكْففْ من تمليك النساءِ على نفسه.

(1) أ: ح. ن.: ليس.

ونظر إلى امرأةٍ تتعطر، فقال: نارٌ يكثر حطبها حتى يشتدَّ وهجها وينمو ضررها.

وقيل له: ما تقول في النساءِ؟ فقال: هي كشجرةِ الدِّفلى لها رونقٌ وبهاء، فإذا أكله الغرُّ، قتله.

وقيل له[1]: أيجوز لك أن تذمَّ النساء ولولاهنَّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماءِ؟

فقال: المرأةُ مثل النخلة ذات السِّلى ان دخل في ثوب إنسانٍ عقره وحملها الرطب الجنيَّ.

وقيل له: ما بالك تنفر من النساءِ؟

فقال: لِمَا أرى من نفورهن عن الخير وسلوكهن في طرق الشرِّ، وقال: أسير النساءِ غير مفكوكٍ. وقال: من تملكه النساء فهو قتيل الأحياء.

ورأى رجلاً يصيح: النار النار؛ فقال له: ما حالك؟ فقال: امرأةٌ كانت لي آثرتْ عليَّ غيري؛ فقال له: يا هذا كفاك عاراً ان تريد من لا يريدك، فقال: فرَّجت عنِّي وربِّ السماءِ.

ورأى صبيَّةً تتعلم الكتابة، فقال: عقربٌ تزداد سُمًّا على سُمِّها.

وقيل له: أيُّ العلوم ينبغي أن يوجد لها الأحداث؟ فقال: كل الأمور التي يستحي الكبير أن لا يكون علمها.

وقيل له: مُذ كم بدأت بكسب الفضائل؟ فقال: مذ بدأت بتوبيخ نفسي.

وقال: إذا أحسَّ الإنسانُ من نفسه أن لا يلوثه الذَّمُّ في لزوم سبيل الحكمة وسننها فقد صار حكيماً.

وقال له أرسيخالس: إنَّ الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل،

---

(1) أ: ح. ن.: كيف.

فقال: ليس يُكْربُني أن يكون لا يقبل وإنَّما يُكربني أن لا يكون صواباً.

قال: الفاضلُ في الطبقة العليا هـو الذي سعى للفضـائل من تلقـاء نفسه، والفاضل في الطبقة الثانية هو الذي يتحرك لها إذا سمعها من غيره ومن أخطأه الأمران فهو الساقط الدَّني.

وقال: القنية المحمـودةُ هي التي إذا منحها غيـرك كانت بكـاملها عنـدك. وقال: من لا يستحي فلا تُخْطِرْهُ ببالك.

وقـال: لستُ رادّاً ما نفـذ منك من قـولٍ أو فعلٍ وتقـدر على التحرر قبـل ذلك.

وقال: لا يمنعك من فعل الحسنةِ أن ترى من يزدريها.

وقال لتلميذٍ له: أيْ بني، إيَّاك والحسـد على ما لا يبقى وهي زينـة الدنيـا وعليك بالتنـافس فيما يـدوم ويبقى، أيْ بنيَّ جانب الشـر وأهله يألفـك الخير وأهله، أي بُنَيَّ عليـك بصحبةِ العلمـاءِ تكن فاضـلاً بصحبتهم، وكن معـظِّمـاً لأقدارهم يجعلوك موضعاً لأسرارهم، أي بني إن التمادي في الغفلة مع طـول الصحة غُرور.

إن أردت أن لا يصل إليك من أحـدٍ شرٌّ فـلا تعتقد الشـر بقلبك، ولا تـطو عليه سرَّك، أيْ بنيّ قلِّل التفقد لعيوب الناس يقل تفقُّد الناس لعيوبك، قـدِّمِ العقل أمامك في جميع أمورك تَرشُد باتباعك ايَّاه.

وقال: لا يصدَّنك عن الإحسان جحود جاحد النعمة.

وقال: الجاهـل من عثر بحجـرٍ مرَّتين. وقـال له رجـلٌ: ما أقبـح وجهك! فقال: لـم أملك الخِلقة فـألاَمُ عليها، فـأمَّا مـا كان في ملكي فقـد استكملته، وأما أنت فالذي كان في ملكك هَجَّنْتَهُ وقَبَّحْتَهُ.

فقال له: ما الذي في ملكك من التزينِ والتقبيح؟

قال سقراطُ: من التَّزيُّن عمارة الذِّهن بالحكمة، وجلاءُ العقـل في الأدب،

وقمع الغضب بالحلم، وردع الحرص بالقناعةِ، وإماتة الحسد بالزهد، وتبديل المرح بالسكون، ورياضة النفس حتى تصير مطمئنّةً، ومن التقبيح والتهجين[1] تعطيل الذهن من الحكمة، وتوسيخ العقل بضياع الأدبِ، وإضرام الغضب بالانتقام، وإمداد الحرص بالطلب، وتذليلُ النفس بالشهوات البهيميَّة حتى تصير لها تبعاً.

وقال لتلميذٍ له: وطِّئْ نفسك للمصائب فإنَّكَ في دارٍ النازل فيها غير معرّىً من مصائبها، على كل حالٍ استعدَّ للبلاءِ قبل نزوله فإذا نزل كنت مستعداً له بالصبر وإن انصرف عنك كان ذلك بعد استعدادك، أي بُنيّ كنْ ناصحاً لمن استنصحك أميناً لمن إئتمنك تسلم من سوءِ العاقبة في أمرك.

وقال: إفْعلْ ما تحب له أن يُفْعَلَ بك، واكفف عما تحبُّ أن يكفف عنك.

وقال: التجنّي وافدٌ للقطيعة، والبخل من ضيق النفس.

وقال: النفسُ الناطقة جوهرٌ بسيطٌ ذو مسمعٍ قويٍّ يتحرك بها حركةً مفردةً إذا تحرَّك بها نحو ذاته ونحو العقل، وحركاتٍ مختلفةً إذا تحرك بها نحو الحواس الخمس.

وقال: الجود إيثار لذَّةِ عذوبةِ الثناءِ على لذة المال.

وقال: الصبرُ حصن منيع البنيان، والعجلة مفسدةُ المروءةِ وقائدةٌ إلى الندامة، والصدق ثمرة الكرم، والحرص فضول الشهوات، والأماني حبائل الجهل، والعِشْرَةُ الحسنة وقاية من الأسوأ.

وقال: صنع النعمة باصطناع المعروف تأمَنُ زوالها عنك؛ والشكر دينٌ وميراثٌ مأخوذٌ على أهل كلِّ نعمةٍ، فمن أحاط النعمة بالشكرِ أُحيطت له بالمزيد.

---

(1) أ: ح. ن.: بالعلم.

وقال: بالتَّأنِّي تسهل المطالبُ وبلين كنفِ المعاشرةِ تدوم المودَّةُ وبحفظِ الجانب تأمَنُ النفوس، وبسعةِ خُلقِ المرءِ يطيب عيشه، وبكثرةِ الصمت تكون الهيبةُ، وبالعدلِ تجب الجلالة، وبالنَّصفة تكون المواصلةُ، وبالاتصالِ تعظم الأقدارُ، وبالتواضع تتمُّ النعمةُ، وبصالح الأخلاقِ تزكو الأعمال وباحتمالِ المؤنِ يجبُ السُّؤدد، وبالسيرةِ العادلةِ، يقهر المناوىء، وبالحلم عن السفيه يكثر أنصارك عليه، وبالرفق والتودُّدِ يُستحق اسم الكرم، وبالرفق والصِّدق والوقار تلاحظك بالجلالة الأكفاءُ وبنفي العجب تأمن الحسد، وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل.

وقال: لأهل الاعتبار في صُرُوفِ الدَّهْرِ كفايةُ، فكلُّ يومٍ يأتي عليك فيه علمٌ جديدٌ.

وقال: مسالمُ الناس عزيز الجانب وذو الغوائل غير محفوظٍ، والحذر لا ينفع الظالم وإنّما يأمن العدوان المنصف، وحسن البشاشة يبلغ بصاحبها المعالي، والفعل الجميل مراتعهُ نَزِهَةٌ.

وقال البشاشة تكسو أهلها المحبةَ، والفظاظةُ تخلع من صاحبها ثوب القبول.

وقال: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن صبر غنم، ومن لم يحلم ندم، ومن سكت سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم.

وقال: من زرع الشر يحصد الشرَّ، والقليل مع القنوع عِزٌّ، والحرص مع الكثر ذلٌّ، والفكر في العاقبةِ نجاةٌ، وحليف الصدق موفَّقٌ، وقرين الكذب مخذولٌ، ومصاحب العاقل مغتبطٌ، ومصاحبُ الجاهل تعِبٌ، وإذا زللت فارجع، وإذا أسأتَ فاندمْ وإذا ندمتَ فاقلع، وإذا فضلْتَ عليَّ أحدٍ فاكتُم، وإذا منعت فأجْمِلْ.

وقال: من استلذَّ المعروف كان ربحُهُ الحمد، ومن كافى بالشكر فقد أدَّى

الحق، ومن أقرضك الثناء فأوفه الصنيع، ومن بَذَلَك ببرِّه فقد شغلك بشكره.

وقال: كُنْ موفر القدر تبق لك الجلالة على أيِّ حالٍ كنت، وتعاهد نفسك بالحذر في وقت الأنس مع الموالفة لئلّا تخرج من حدود ما يُحتمل وتجوَّزِ العدوّ في التبذُّلِ فتحمد على أكثر مما ظهر منك فيما يُستأنَفُ، ثم يكون منبوذاً.

وقال: بعوارض الآفات تُكدر النعم على المنعمين. وقال: العاقل من اتَّهم رأيَهُ، ولم يثق بكل ما سوَّلت له نفسه، والجاهل لا يعرف تقصيره، ولا يقبل من نصحائه. وقال: لا تعاشر من الناس إلّا من عرف مقدار نفسه، فإنَّ من عرف مقدار نفسه فمُعاشِرُه، معه في طيب عيشٍ، ومن لم يعرف فلا خير في عشرته.

وقال: من قلَّ همُّهُ على ما فاته استراحت نفسه وصفا ذهنه. وقال: من استقصى على خليطه انقطعت أسباب مودَّته، ومن استقصى على نفسه استراح من استقصاءِ غيره عليه.

وقال العاقل من اقتصد في معيشته، وتأدَّب في منطقه، وتربى مع الصالحين من أهل طبقته، ولم يرغب في شيءٍ دنيءٍ إن عرض له.

وقال: لا تستحي[1] أن تقبل الحق ممن أتى به وإن أتى به ذميم المنظر فإنَّ الحق عظيمٌ وصاحبه يُعظم لعظمته[2].

وقال: من أحبَّك لنفسك فلا تُخْلِهِ من فضلك.

وقال: الغني ما ستر صاحبَهُ من الامتهان أكثر من المال الذي يرزقه صاحبه بالهوان.

وقال: أوشك لمن شغل بنفسه أن يرى الرشد في عاقبة أمره.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: لا تستحِ.

(2) أ: ح. ن.: وكان يقول باشر الموت حلوا أمركم بالحكمةِ.

وقال له بعض تلامذته: ما نرى عليك أثر الحزن.

فقال له: لأني لا أملِكُ شيئاً إن عدمتُه أحزنني وإن انكسر الحبُّ لم ينكسر المكان.

ونظر لرجُلٍ منهزمٍ: الهرب من الحرب فضيحةٌ، فقال له: شرٌّ من الفضيحة الموتُ.

فقال له سقراط: الحياة أفضل من الموت إذا كانت النجاة من الموت إلى حياةٍ صالحةٍ، فأمَّا إذا كانت النجاة إلى حياةٍ رديئةٍ فالموت خيرٌ منها وأفضل.

وقال لامرأتِه حين أُخرج من الحبس وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيكِ؟ فقالت فكيف لا أبكي وأنت تُقتل مظلوماً؟ فقال لها: أكُنتي[1] تريدين أن أُقتل بحقٍّ. وقال لتلاميذه من لم يُضمر نفسه في مضمار الرياضاتِ لم يسبق إلى غاية الحيرات لأنَّه لم يبلغ غاية مدى الحكمةِ[2].

وكان يقول حيث يكون الشراب واللهو لا تسكن العفَّةُ والحكمة بل هما منه منتفيان.

وشتم بعض السُّفهاءِ سقراطَ فقال له بعض أصحابه: آذِنْ لي فيه أيُّها الحكيم أكْفِكَ إيَّاهُ، فقال له: ليس بحكيم مَنْ أذن في الشَّرِّ.

وقيل له: إنَّ أهل المدينة يضحكون منك؛ قال: عليَّ أن أُتمِّمَ ضحكهم لي إلى مماتي.

وقيل له: إن فلاناً عدوُّك مات؛ فقال: وددْتُ أنَّكم قلتم تزوَّج، فإنَّ تزويجه شرٌّ له من موته.

ورآه بعض أُمراءِ الملك يأكلُ الحشيش في الصحراء.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: «أكنتِ».

(2) أ: ح. ن.: وكان يقول يا أسرى الموت خلوا أسركم بالحكمة.

فقال لو خدمت ملكنا لما احتجْت إلى هذا؛ فقال: وأنت لو قدرت على أكل الحشيش لم تعبُدْ من هو مثلك لأنَّك أبداً بين حزنٍ وغمٍّ وتعبٍ من الخدمة.

فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: لأنِّي لست أملك ما أحتاجُ إلى الاهتمام به، فإنَّ أكْلَ الحكماءِ بلا نمو، وعبادتهم بلا رِياء، وحياتهم بلا أمنية.

وقال: إذا أردت أن تُشاور أحداً في شيءٍ من أمر نفسك فانظر كيف تدبيرُ ذلك المستشار في أمر نفسه فإنْ كان لم يُصلح لنفسه ولم يكسبها خيراً فأنت أحرى أن لا ينتفع به، فلست آثر عنده من نفسه.

وقال: مَن يُجرِّبْ يزدد علماً، ومن يؤمنْ يزدد يقيناً، ومن يستيقن يزدد جهاداً، ومن يحرض على العمل يزدد قوَّةً، ومن يكسل يزدد فترةً، ومن يتردَّدْ يزدد شكّاً.

بيتٌ لسقراطَ شعرٌ وُزن بالعربية:

إنَّما الدُّنْيا وإنْ رمقتْ
خَطْرَةٌ لا[1] مِن لَحْظِ مُلْتفتِ

وقال: الباري تعالى لا غاية له ولا نهاية، وما ليس له نهايةٌ لا شخص له ولا صورة، والنهايةُ في سائر الموجودات لو تحققت لكانتْ لها صورةٌ واقعةٌ ووضعٌ وترتيبٌ، وما تُحقَّق له صورةٌ ووضعٌ وترتيبٌ صار ساهياً، فالموجودات ليست بلا نهايةٍ، والمبدع الأوَّلُ ليس بذي نهايةٍ، ليس على أنَّه ذاهبٌ في الجهاتِ بلا نهايةٍ كما يتخيله الخيال والوهم بل لا يرتقي إليه الخيالُ والحقُّ لم يصفه بنهايةٍ ولا بغير نهايةٍ، فلا نهايةَ له من جهة العقل إذ لا يحدُّهُ، ولا من جهة الحسِّ إذ لا يحدُّه، فهو ليس له نهايةٌ، فليس له شخصٌ وصورةٌ، فليس له صورةٌ حِسِّيَّةٌ ولا خياليَّةٌ ولا عقليَّةٌ.

ورأى سُقراطَ أنَّ النفوس الإنسانيةَ كانت موجودةً قبلَ الأبدانِ على نحوٍ من

(1) «كذا» في «أ». ويجب حذف (لا) استقامة للوزن والمعنى. ووردت أيضاً في «أبي أصيبعة» بدون لا (ص 79).

أنحاء الوجود إمَّا مُتَّصلةٍ بكُلِّها أو مباينة بذواتها وجِرانها، فاتَّصلت بالأبدانِ استكمالاً، والأبدانِ قوالبُها وآلاتُها، فإذا بطلت رجعت النفوسُ إلى كلِّياتها، ولهذا قال لما خُوِّفَ بالملكِ القاتل له: أنَّ سقراط في جُبّ والملكُ لا يقدرُ إلَّا على كسر الجُبّ، فإذا انكسر رجع الماءُ إلى البحر.

وقال: ينبغي لنا أن نغتم بالحياةِ ونفرح بالموت لأنَّا نحيا لنموتَ ونموتُ لنحيا.

وقال: قلوبُ المغرقين في المعرفة بالحقائق منابرُ الملائكة، وبطون المتلذِّذينَ بالشهواتِ قبور الحيوانات الهالكةِ.

وقال: كما أنَّ جميع الأعراضِ الخارجة التي تظهر في البدنِ تابعةٌ ضرورةً أمراضاً في البدن وأشياءَ خارجةً عن الطبيعة كذلك الكلام الفائض؛ والأفعال الصعبةُ التي تظهر من النفس تابعةٌ ضرورةً أمراضاً إمَّا نفسانيَّةً وإمَّا أشياءَ خارجةً عن الطبيعة ثابتةً في النفس.

وقال: كما أنَّ الذين يستعملون حواسَّ البدن، فقط يمنعهم من الغضب الملك المحسوس إذا وقفوا بين يديه كذلك يجب على من يستعمل الحواسَّ النَّفْسانيَّةَ أن يمنعهُ من الغضبِ الخوفُ من الملكِ المعقولِ الذي هو واقفٌ بين يديه دائماً.

وقال: إحذر حُكْمَ الحكيمِ ولا يغُرَّكَ تماديه، فإنَّ الصَّنْدَلَ مع بردِهِ تلحُّ عليه الرِّياحُ حتى تجمعَ بين أغصانِهِ فيبلغ من قدح بعضها لبعضٍ ما يُوذي منه فتُحْرِقُه.

وذُكر له رجلٌ كثيرُ المالِ فقال: لستُ أغبطُهُ دون أنْ أعلمَ أنَّه أحسن استعمال ماله.

وجُعل لرجلٍ على أن شتم سقراطَ مالاً، فشتمهُ، فقال: إن كان ههنا وجهٌ آخرُ يظُنُّ أن يُنتفع بنا فيه فلا يمتنعُ منه.

ورُفِـع عليه رجُـلٌ في مجلس بعض الـرؤسـاءِ فلمْ يمتغص، فقيـل لـه في ذلك، فقال: هذا الحائطُ الذي قبالتنـا أرفعُ منّـا أجمعين، ولا أرى أحداً منّـا يُمغِصُّه ذلك، وإنَّما أغضبُ أن ترتفع همَّتُهُ على هِمَّتي، فأمَّا إذا كـانت همَّتي أرفع فمجلسي الأرفعُ، ومجلسه الأدنى.

وقـال: إحذر العتب كمن تعـرف ضرره فـإنْ وقعت فيه فـلا تكـلَّ فيـه عن الخروج منه بجهدكَ.

وقال: لَوْلا أنَّ في قولي: لا اعلم أخباراً أني أعلم، لقلت: لا أعلم.

ورآه إنسانٌ وهو في كساءٍ لا يوازيه خلقٍ.

فقال: أهذا سقراط واضع نواميس أثيس؟ وجعل يتعجَّب منه، فقال: هـذا سقراطُ ليس عليه الناموس الحقّ كساءً جديداً.

وكان يقول لتلامذتِهِ: إسْتهينوا بالموت، وليهن عليكم خائفو الموتِ.

وأوصى سقراطُ عند موته بتسعةِ أشياءَ، فقال: خُذُوا طبائعكم بالقنـوعِ من بدء معرفتهـا، فإنَّكم تعـرفون الشُّكـر عند الـزيادة ويـطيبُ عيشكم ولا تستمِحْ سـوى قلبك فـإنَّ الزمـان لا يُؤمن أن يتصرَّف عليـك بالحـاشيةِ الجـائـرةِ كمـا يتصرفُ عليك بالحاشية العادلة، ولا تستصغرِ الأمـر وهو صغيـرٌ إذا ورد عليك وهو قابـلٌ للزيادةِ، وربِّ صـديقَكَ بـالمحبَّةِ كمـا تُربِّي الصغيـرَ، ولا تظهـر له المحبَّةَ دفعةً واحدةً فإنَّه متى رأى منك تغيُّراً أعقبكَ بـالعداوةِ، وتجنَّبِ الحـردَ فـأنَّهُ يُضيـعُ[1] المروءَةَ ويهتـكَ السِّتْـر والشـرفَ والفضيلة. واستعملوا المحبَّـةَ وارفضـوا المعاملة بـوزن القصـاص تسلم أنفسكم من الأشـرار، وتقـرَّبُـوا من الأخيارِ، ولا تبكِّت أحداً بما تفعل مثلَهُ وإلَّا فاجتنب الفعل الـذي تُبكِّتُ غيرك به. وقال: من الحكمةِ أن يعرفَ نفسه لأيِّ شيءٍ تصلُحَ.

(1) أ: ح. ن.: جميع زايد الأعراض الجارحة التي تظهر في البدن.

## 12 ـ خبر أفلاطون الحكيم الإلٓهي وآدابُهُ(1)

هـو أفلاطُنُ بن رَّاسُـطُن بن أَرَسْطوفليس، من أثينيـة، وهو آخـر الحكمـاءِ المقـدَّمين الأسـاطين، وهـو معـروفٌ بـالتـوحيـدِ والحكمـةِ، تَلْمَـذَ لسقـراطَ وطيماوَسْ وغريب أثينية وغريب الناطس، ولما مات سقراط قام مقامه وجلس على كرسيه، وضمَّ إليه العلومَ الطبيعيَّةَ والرياضيَّةَ.

وحكى عنه تلامذتُه أرسطُو وطيماوس وباومرسطوس أن للعالم مبـدعاً أزليـاً واجبـاً لذاتـه عالمـاً بجميع المعلومـاتِ على نعت الأسبابِ الكُلِّيَّـةِ. كـان في الأزل، ولم يكن في الوجود رسمٌ ولا طللٌ ولا مثالٌ عند الباري تعالى، وربَّما يُعَبَّرُ عنه بالهيولى أو بالعنصر.

ولعلَّه يُشير إلى صور المعلوماتِ في علمه، فأبدعَ العقل الأوَّل، وبتوسـطه النفس الكليَّة المنبعثةَ عن العقل انبعاث الصورة عن المرآةِ وبتوسُّطها العنصر والهيولى الموضـوعه للصُـوَّرِ الحسيَّةِ غيـر ذلك العنصـر، وأدرج الزمـانَ أعني الدهر في المبادىء، وأثبت لكلِّ موجودٍ مثالاً في العالم الحسِّي مـوجوداً غيـر مُشَخَّصٍ في العـالم العقلي، فالمبـادىء الأولى بسائط، والمثُـلُ مبسـوطـاتٌ والأشخاص مركَّباتٌ، فالإنسانُ المحسوس جزءٌ للإنسـان المبسوط المعقـول، وكذا كلُّ نوعٍ من الحيوان والنباتِ والمعادن والموجودات في هذا العالم آثـار المـوجودات في ذلـك العالم. وكـلُّ أثرٍ لا بُـدَّ له من مؤثِّـرٍ يشابهـهُ نـوعـاً من المشابهةِ.

والعقـلُ الإنساني لمـا كـان من ذلـك العـالمِ أدرك مِنَ المحسـوسِ مثـالاً مُنتَزَعاً من المـادةِ، معقولاً لا يُـطابق بالمثـالِ الذي في عـالم العقل بكليَّتِـهِ، ويُطابق الموجودَ الذي في عالم الحسِّ بجزئيَّتِـهِ، ولولا ذلـك لما كـان يدركـه

---

(1) أفلاطون: الفهرس، ص: 603؛ وابن جلجل، ص: 23؛ والقفـطي، ص: 17؛ وأصيبعة، ص: 41.

العقل مطابقـاً فلم يكن مدركـاً لشيءٍ يوافق إدراكـه حقيقة المـدرك وإنّما تبقى الصور الحسيةُ إذا كانت لها صورٌ عقليةٌ ترجو اللحـوق بها، ويخـاف التخلف عنها، وإذا شاهدنا بالحسِّ جميع المحسوسات وهي محدودةٌ محصورةٌ بالزمان والمكان وهي مُثلٌ عقليةٌ.

وأرسطو يخالف أفلاطُن بهذا المعنى العقلي الكلِّي إلاّ انّـه يقول إنّـه معنى في العقل موجودٌ في الذهنِ لا يوجد في الخـارج عنه إذا الشخص الـواحد لا ينطبق على زيدٍ وعمـروٍ، وهو في نفسـه واحدٌ وأفـلاطن يقول: ذلـك المعنى الذي في العقل لا بُـدَّ وأن يكون لـه شيءٌ يطابقـه في الخارج، فينـطبق عليه وذلك هو المثـالُ العقليّ، وهو جـوهرٌ إذ تصـوُّرٌ وجوده لا في مـوضوع، وهـو مقـدَّمٌ على الأشخاص الجـزئيَّةِ بتقـدُّمِ العقل على الحسِّ، وهـو تقـدُّمٌ عقليٌّ وشـرفي معاً، وتلك المثـل مبادىء المـوجودات الحسيَّـةِ، منها بـدأت وإليهـا تعود، ويتفرَّعُ على ذلـك أنَّ النفوسَ الإنسـانيَّةَ كـانت موجـودةً قبل الأبـدان، نحواً من أنحاء الوجود العقلي وهو بهما يرى الصور المجردةُ.

وخالفهُ أرسطو ويقالُ إنّه شارك سقـراط في الأخذ عن فيثـاغُورَسْ، إلاّ انّـه لم يظهر ويشتهر بالحكمـةِ إلاّ بعد مـوت سقراط، واحتـوى على جميع فنـون الفلسفة.

وصنَّف كتبـاً كثيرةً مشهـورةً في ضروب الحكمـةِ. وذهب فيهـا إلى الـرمـزِ والإغـلاقِ، وخرَّجَ جمـاعـةً من التـلاميـذ، وكـان يعلِّمُ وهـو مـاشٍ، فسمُّـوا بالمشائين. وفوَّضَ التعليم إلى ذوي البراعة في آخر عمره من أصحابه وتخلَّى عن النـاس واشتغل بعبـادة ربه عـزَّ وجلَّ. ومن كتبـه كتاب فـاذن[1] في النفس وطَيْمـاوسَ الروحـاني في عالم النفس والعقـل والربـوبيـة، وكتـاب طَيْمـاوسَ الطبيعي في ترتيب عالم الطبيعة.

ومعنى أفـلاطُن وتفسيـرُه في لغتهم: العميمُ الـواسـع. وكـان اسمُ أبيـه

(1) أ: ح. ن.: ماذن.

أرَسْطُن. وكان أبواهُ من أشرفِ اليونانيين من ولْدِأَسقليوَسْ جميعاً، وكانت أمَّهُ خاصةً من نسلِ أسيرُلُونَ صاحبِ الشَّرائعِ، وكان قد أخذ أول أمره في تعلُّمِ الشعر واللغةِ وبلغ في ذلك مبلغاً عظيماً إلى أن حضر يوماً سقراطيس وهو يثبت صناعة الشعر، فأعجبه ما سمع منه، وزهد فيما كان عنده منه، ولزم سقراط. وسمع منه خمس سنين، ثم مات سقراط.

وبلغهُ أن بمصر قوماً من أصحاب فيثاغورسْ فسار إليهم حتى أخذ عنهم، وكان يميل في الحكمةِ قبل أن يصحب سقراط إلى رأي أبرقليطُوس، فلما صحب سقراط زهد في مذهب أبرقليطوس، وكان يصحبه في الأشياءِ المحرَّمة، وكان يتَّبع فيثاغورس في الإشياءِ المعقولة، وكان يتَّبعُ سقراطيس في أمور التدبير.

ثم رجع أفلاطون من مصر إلى أثينية، وكان نصب فيها بيتَي حكمة، وعلَّم الناس فيها، ثم سار إلى أسقليا فجرت له قصَّةٌ مع ديوسوس المتغلب، وكان بها، وأبلى منه بأشياءَ صعبةٍ تخلص منه وعاد إلى أثينية، فسار فيهم أحسن سيرة، وفعل الجميل وألانَ للضعفاءِ وألزموه أن يتولَّى تدبير أُمورهم فامتنع لأنه وجدهم على تدبيرٍ غير التدبير الذي يراه صواباً، وقد اعتادُوهُ، وتمكَّن من نفوسهم فعلم أنَّه لا يمكنه نقلهم عنه وأنَّه لو رام نقلهم عمَّا وجدهم عليه لكان يهلك كما هلك أستاذه بسقراط، على أن سقراط لم يكن رام استكمال صواب التدبير، وبلغ من العمر إحدى وثمانين سنةً، وكان حسن الأخلاق، كريم الأفعالِ، كثيرَ الإحسانِ إلى كل ذي قرابةٍ منه، وإلى الغرباء، مُتأيداً حليماً صبوراً.

وكان له تلاميذٌ كثيرةٌ وتولَّى التدريس بعده رجلان بأثينية في الموضع المعروف بأفاذِيميَا وَكَسَانُوامَراطيسَ والآخر بلوفين منْ عمل أثينية أيضاً وهو أرسطُوطَالِسْ، وكان يُلْغز حكمته ويسترها، ويتكلَّم بها ملغوزةً حتى لا يظهر مقصده إلاّ لذوي الحكمةِ.

وكان درسه وتعليمه على طيماوس وسقراطيس وعنهما آخذ أكثر رأيه.

وصنَّفَ كتباً كثيرةً منها ما بلغنا اسمه ستَّةٌ وخمسون كتاباً. ومنها كتبٌ كبارٌ يكون فيها عدَّةُ مقالاتٍ، وكتبه يتصل بعضها ببعضٍ أربعةً أربعةً، يجمعها عرضٌ واحدٌ ويخصُّ كل واحدٍ منها عرضٌ خاصٌ يشتمل عليه ذلك العرضُ العام، وسُمِّي كل واحدٍ منهما رابوعاً، وكلُّ رابوع منها يتصلُ بالرابوع الذي قبله. وكان رجلاً أسمر اللون، معتدل القامة، حسن الصورة، تامَّ التخاطيط، حسنَ اللحيةِ، قليل شعر العارضين، ساكناً خافضاً، أشهل العينين، برَّاقٌ بياضُهما، في ذقنه الأسفلِ خالٌ أسودُ، تامٌّ الباع، لطيفُ الكلمة، يُحبُّ الجلوس في الصحاري والوحدةِ، وكان يستدلُّ في الحال الأكثرِ على موضعه بصوتِ بكائه، وكان يُسمع منه على نحو ميلين في الفيافي والصَّحاري والبراري أعاد الله تعالى من بركته ودعائه.

## آداب أفلاطن[1]

وهو الإلَهي الذي سلَّم له السَّبق كل من كان بعده وإذا شئت أن تشهده في هذه القلةِ العليَّةِ[2] والمكانة الرفيعة فانظر إلى آثاره في أرسْطو فإنه الذي ألَّف الصناعة بأجزائها وتصفَّحها من حضيضها إلى عليائها، واجتنى ثمرة كلٍّ من غرسها من أوليائها، والقول فيها طويلٌ والثناءُ عليهما موصولٌ، والذي بلغنا من أسماءِ كتبِهِ ستَّةٌ وخمسونَ كتاباً، وفيها كتبٌ كبارٌ.

وقال: الحمقُ نوعانِ: الجنون والثاني عدم العلم.

وقال: لا تسألْ شِرِّيراً حاجةً فإنَّه بحسب شرارته في مذهبه، كذلك شرارته في عطيَّتِهِ.

وقال: إذا خطرت لك فكرةٌ في شيءٍ تريده وتشتهيه فاجعله من بالك

(1) أ: ح. ن.: وحكمه ومواعظه.
(2) أ: ح. ن.: في بعده العلية الفلسفة.

كالمعارض فإنْ تهيَّأ لك نلته بأسهل الأمور وإن فاتك تضطرُّ النفس إليه.

ووصَّى أفلاطن الناس فقال: أيُّها الناس اسمعوا كلامي واشكروا الله على نِعَمِه عليكم، واعلموا أنَّ الله سبحانه قد ساوى بين خَلْقِه في مواهب النعم، وبذلها لهم كافةً، فافهموا واعتبروا القول بالصِّحةِ، أسبغَ اللهُ النعم للعامَّةِ أجمعينَ، ولا تُنال الصِّحةُ بالمراتبِ، ولا يفقدها أهلُ الضعف لضعفهم، هذه نعمةٌ تفوقُ جميعَ ما افتخر به أهلُ السِّعَةِ، وكذلك الحاسَّةُ هي للناس أجمعين، وفيها ما أوجب عليكم الشكر في ليلكم ونهاركم على مواهبه، وعلى ما صرف عنكم من الآفاتِ، فاصرفوا فكركم عن المشاحنة فيما لا حاجة بكم إليه، واعلموا أنَّ ما كان في الفطرة فهو السُّنَة الطبيعيَّةُ، وفيه لكم منافع وغنًى، والطبيعةُ قد أعدَّت لكم ما يصلح شأنكم في دنياكم وآخرتكم، فما الذي يدعوكم إلى أن تجمعوا أو تكدُّوا فيما تولِّدَ بينكم البغضاءَ والعداوةَ حقّاً.

أقول لكم: لو علمتم ما في هذه التي يتنافسون عليها لعلمتم أنَّكم زاهدون فيما رغبتم فيه، ادفعوا الشَّهواتِ فإنَّها ضِدُّ الفكر، ولا تطلبوا ما لا حاجةَ بكم إليه، خذوا فيما يصلح أمركم، ما غنا الذهب والفضة في الفطرةِ، وما خاصيَّتهما التي يمدحهما بها محبوبهما، قد أعدَّ اللهُ لكم ما يحامي عنكم وهو الحكمة والتقوى.

يا قوم، التقوى رأسُ النجاح، وهو مفتاح الفضائل، إيَّاكُم والجور فإنَّه أداةُ العطب وشقةُ البلاءِ، إيَّاكُم والفجور فإن نشوءَه يُهلك الأمم وهو من الخواصِّ الدنيئة، فأمَّا الذي تطلبونه فخذوه لتعرف حجتكم في مطالبتكم الغنى أو الفقر، وإنْ كنتم تطلبون الغنى فالحجَّةُ عليكم، وإن طلبتم الفقر فالزموا ما أقول لكم.

أتنكرون الذي له ما يحتاج إليه، والذي لا يقنع بما لَه فهو مكدورٌ في طلب غيره، فإذا صح لنا أن الطبيعةَ قد أعدَّتْ ما يحتاج إليه فواجبٌ عليكم

أن تلزمُوا ما أنعم الله سبحانه عليكم، يا طالبي الذهب والفضة لأنفسكم تريدون جمعها أم لأنفسهما، فإذا جمعتموهما، فإن كنتم راغبين فيهما، فما الذي يحملكم على أن تبتاعوا بهما المحقرات، أما تعتبرون وتعلمون أنَّهما لا رغبةَ فيهما؛ دعوا الذهب والفضة؛ لا تجمعهما وتشقى بهما؛ وعليكم بالحكمةِ فإنها ضياءُ النفوس، وبها تظهر فضائلهما وجميع أخلاقهما؛ إلزمُوا العلم فإنَّه من خاصَّةِ الصورةِ التي هي بدءُ الخلقة.

ولا تطلبوا الإسراف في الأكل والشُّرْبِ فإنها من شكل الهيولى التي هي أوضَعُ من الصورة وهو الذي يتمُّ بفعالِ الصورة، فتشبَّهُوا بالصورةِ لأنَّها المحرِّكةُ بالقوة التي أنشأ فيها الخالق تعالى، ولا تميلوا إلى الهيولى الذي أنْشأهُ الخالقُ تعالى وتمَّمَهُ بالصورةِ وحرَّكه بتحريك القوَّةِ لها حقاً. أقول لكم إنَّ اميرس الشاعر مصيبٌ في حكمته وقوله إنَّ الهيولى مثال الأنثى والصورة مثال الذكر؛ أصْلِحوا لأنْفُسِكُم يصلح لكم إخْوَتَكُمْ، إن تقبلوا قولي تَرْشَدُوا وإن تغفلُوهَا لم تُضيعُوا عزَّ أنفسكم، ولا يبالي ضرَرَ ذلك غيرُكُم، الزموا طريق أسلافكم، فَارِقُوا الدُّنيا وانتم غير مجروحين بشهواتها، قدموا الحكمةَ على جميع المرغوبِ فيه.

إعنَوْا بقوامِ البدنِ فإنَّهُ آلةُ النفس، أُطلبوا فضائل النفس تصحّ لكم قواكُم، لا تمدحوا المذمُومَ ولا تذُمُّوا الممدوح، تعاونوا على البِرِّ وارفعوا عنكم البغضاءَ، لا تأنَسُوا بما يفارقكُم ولا ترغبوا فيما تفقدُوهُ قريباً، واطلبوا الفضائلَ التي اتفقَ الناس على أنَّها رغبةٌ؛ ارفضوا المذموماتِ لانقباضِ الناس أجمعينَ عنها؛ اعتبروا بمن مضى من خيارکم وملوككم وارمُوا الغَرَضَ الذي قصدوا إليه؛ الحقُّ واضحٌ، والصَّوابُ بيِّنٌ، والتُّقى معروفٌ والأنفةُ ظاهرةٌ والمروءَةُ مكشوفةٌ، والعدْلُ فضيلةٌ محمودةٌ؛ ما أَبْيَنَ وَسْمَةَ المذمومات وما أظهر المصيباتِ!.

أخبرُكُمْ حقّاً أني أجدُ من السُّرورِ بتقضِّي الذهب والفضة ما لم أجدهُ من اللّذَةِ في مزيد مالي منهما بل كانتِ الغُمُومُ متزايدةً واردةً للانقطاع بالاهتمام

بذلك، وأنا أتزيَّدُ من سرور الحكمةِ ومثالها، على أنَّ الذهب والفضَّةَ وما أشبههُما لا فضيلة في شيءٍ منهما لأنَّا نجدُ قوماً يبتاعون بالذهب الكثير القليلَ مِنَ العظامِ التي هي العاجُ، وقوماً يستبدلون به النحاس وما دونه من الزجاج وغيره. ولو كان الذهبُ فضيلةً في نفسه لكان في كلِّ المواضع مرغوباً فيه؛ كما انَّ الحكمةَ في جميع الأقطارِ ممدوحَةٌ، والجهل مذمُومٌ في جميع الآفاقِ وعند كلِّ الناس. انظروا لأنفسكم وحاموا عن مراتبكم تزيَّنُوا بالعدلِ والبَسُوا العفَّة تفلحوا وتحمدوا أُمُورَكُم.

وقال للملك: فِكْرُ يوم لنفسك أنفعُ من خراج سنةٍ لمُلْكِكَ. وقال لأرسطو: لا تُشنِّع على أحدٍ ولتكنْ سيرتُكَ مع الناس كلِّهم بالتواضُعِ.

وقال: من علم أنّه يموتُ فليس ينبغي له أن يغتمَّ لأمرٍ صعبٍ يعرضُ له لأنَّه لا يمكن أن يتوهَّمَ الحيُّ أمراً هو أصعبُ عليه من الموت.

وقال أفلاطُون: العادةُ على كلِّ شيءٍ سلطانٌ.

وقال: سوءُ الخُلقِ يُفْسدُ العمل كما يُفْسِدُ الصبرُ العسل.

وقال: من لم يواسِ الأخوانَ عند دولته خذلوه عند آفته.

ورأى رجلاً ورِثَ عن أبيه ضياعاً فأتْلفها، فقال الأرضونَ تبلغُ الرجال وهذا الفتى يبلغُ الأرضين.

وقال: الذي يُعَلِّمُ الناس الخير ولا يعمله بمنزلةِ مَن بيده سراجٌ يضيءُ لغيرهِ.

وقال: ليس الملِكُ من مَلَكَ العبيدَ، ولكن مَنْ ملكَ الأحرارَ، وما الغنيُّ من جمع المال بل من دثر المال.

وسأله رجل: بمَ نِلْتَ ما وصلتَ إليه من العلم؟ فقال له بأنِّي أفنيتُ زيتاً في سراجي بأكثر من الشرابِ الذي شربتَهُ أنتَ. وشتمَهُ إنسانٌ، فقال له: شأنُكَ والشَّر كأنَّك لا تُحْسِنُ خيراً.

وقـال: ينبغي إذا عوتبَ واحـدٌ من الأحداثِ أن يتـركَ له مـوضع الجحـودِ لدينه وإلاّ حمله ذلك على المكابرةِ.

وسئل: مَنْ أحقُّ الناسِ أن يؤتَمنَ على تدبير المـدينةِ؟ فقـال: مَنْ كان في تدبير نفسه حسن المذهبِ.

وسُئـل: من أتقنُ الناس في أمـورِ الحكمةِ؟ فقـال: افهمُهم لرأْيـهِ وأرغبهم في المشهورة[1] وأوقَفُهُم عند الشبهة حتى يمكنه طريقُ النظر والامتحان.

وفي النواميس صرَّحَ بأنَّ للعالم بدواً عليّاً وليس لـه بدو زمـاني. وقيل لـه: مَنْ أجهلُ الناس في فعله؟ فقال: أعجبهم برأيـه، وأتبعُهم بتدبيـره دُونَ رأْيِ غيره، وترْك مخالفته أمْرَهُ، والمتفخِّمُ في الأمورِ بحسنِ ظنِّهِ.

وقال: الحرُّ النَّفسِ الحكيمَ هو سيدٌ لناموسِ الطبيعةِ.

وقيل له: مَنْ سلِمَ من سائر العيـوب وقبيحِ الأفعـال؟ فقال من جعـلَ عقله أميرهُ وحذرهُ وزيرَهُ والمواعِظَ زمـامَه والصبـر قائـدَهُ والاعتصام بـالتَوقِّي ظهيـرَهُ وخوف الباريء تعالى خشْيَتَهُ وذِكْرَ الموتِ أنيسهُ.

وقيل له: مَنْ أضيعَ[2] لنفسهِ وأوضعُهم لقَدْره؟

قال: مَنْ تواضعَ لمن لا يكرمُهُ وقبل مدح من لا يعرفه.

وقـال: البهيميُون والجهـالِ يقضُـونَ على الحسنِ والقبيـح بقـدرِ مـا تنـالُ حواسهم الظاهرةُ وإنَّما ترى الحواسُّ حُسْنَ الأعضاءِ، فأمَّـا حسنُ الصورة فـلا تراها إلا الحواسُّ الباطنةُ.

وقـال: مَنْ طالب الحكمـة من طـريق طلبهـا أدركهـا وإنَّمـا يخـطيء أكثـرُ الطالبين لأنَّهم يطلبوها[3] من غير طريقها، فإذا لم يدركها من تلك الـطريق لم

---

(1) «كذا» في «أ»، ولعلّ الصواب: المشورة.
(2) أ: ح. ن.: الناس.
(3) «كذا» في «أ»، والصواب: يطلبونها.

يطلبها من طريق آخر لم يكذب بصورتها فيحمله جهله على أن يجهل، وذلك أنه من جَهِلَ صورةَ الحكمةِ جَهِلَ ذاتهُ، ومن جَهِلَ ذاته كان أجهَلَ الجاهلين.

وقال: الدُّنيا لا شيءٍ في صورةِ شيءٍ.

وقال لأرسطو: لا تقبلِ المدحَ بما ليس فيكَ.

وقيل له: أَلَكَ من يخدُمُكَ؟ فقال: الذين تخدمونهم هُمْ يخدمُوني.

وقال: مَنْ عرف صورةَ الجهل كان عالماً، وإنَّما الجاهلُ مَنْ جهلَ صورة الجهلِ.

وقال: الغضبُ عزٌّ يستقبله شرٌّ.

وقال: إذا أردتَ أن تدومَ لك اللذَّةُ فلا تستوفي[1] في المُلِذّ أبداً بل دعْ فيه فَضْلَةً تدُمْ لك اللّذَّةُ.

وقال: ينبغي للملكِ أنْ يضع الرئاسةَ في الحليم العليم، لأنَّ الحليمَ وقورٌ صبورٌ، والشجاعةُ قلقةٌ ضجرةٌ، فإذا كانت الرئاسةُ لأهل الحلم عدلوا بوقارهم وحسْن صبرهم قلقَ أهل الشجاعةِ وضجرهم، وإذا كانت لأهلِ الشجاعةِ فحيثُ أقلقُوا أهْلَ الحلم بقلقهم وأضجروا أهل العلم بضجرهم لأن الحليم لا يقلقُ إلاّ مِنَ الجُهّالِ.

وقال: إيَّاك في وقتِ الحربِ أنْ تستعمل النَّجْدَةَ وتدعَ العقلَ، فإنَّ للعقلِ مواقفَ قد تتِمُّ بلا حاجةٍ إلى النجدة ولا نرى للنَّجدَةِ غنىً من العقلِ.

وقال: قولٌ بلا عملٍ كمدٍّ يُغرقُ ولا ينفعُ.

وقال: الشَّرابُ يكشِفُ سِرَّ المتصنِّع.

وقال: سُوءُ الخُلقِ من استعمالِ سُوءِ الظَّنِّ لأنَّ من استعمل سوءَ الظَّنِّ فَسَدَ عيشُهُ وساءَ خُلْقُه.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: فلا تستوفِ.

وقال: لا ينبغي للمرءِ أنْ يستعمل سوءَ الظَّنِّ إلاَّ عند انقطاع الرأيِ، فإنْ لم يقدر على الرأيِ وأخطائه فليستعمل سوءَ الظَّنِّ.

وقال: لا تلتذَّ بشيءٍ في العالم حتى تصلح بين الحس والعقل لئلاَّ يُفْسِدَ أحدهما على الآخرِ، فإذا أصلحت بينهما رأيْتَ الحسن حسناً والقبيح قبيحاً.

وقال: لا تمدح الشيءَ أكثرَ مِنْ قدْره لأنَّ بعد قليلٍ يبين عن ذاتِهِ وعن جهلِكَ، فلا يكونُ حينئذٍ مدحاً للشيءِ بل تنقيصاً لنفسكَ.

وقال: متى يضجَرُ العاقِل؟ قال: إذا حملْتَهُ على مجاورَةِ جاهلٍ.

وقال: إذا رأيتَ العقلَ تامّاً فالشَّهوةُ هناك مريضةٌ ضعيفةٌ.

وقال: إذا قوي الوالي في عملِهِ حوَّلَ مامَلكهُ على حسبِ ما في طبعهِ من الخيرِ والشَّرِّ.

وقال: دُنو الهِمَّةِ وضِعَةُ القدرِ من ضعف الرؤيةِ وسوءِ الإختيارِ.

وقال: أقبحُ ما يكونُ الصدقُ في السِّعايـة، والضِّيقُ في الصدورِ، والبخـلُ على مَنْ عجزَ عن المسألةِ، والسَّطْوةُ على مَنْ يؤمَنْ شرُّهُ.

وقال: إنَّ حياةَ النَّفسِ وقِوامَهَا بأعمالِها المحصنة لها من الآفاتِ حتى لا يدنوَ منها شيءٌ يُميتُها فيكون ذلك قتلاً للنَّفسِ فإنَّها ان لم يقتلها ذلك لم يقدرْ أحدٌ على قتلها لأنَّها عاليةٌ على الجَسَدِ، مرتفعةٌ عنه، وممتنعةٌ بلُطفها من أن ينظُرَ إليها الموتُ الناظر إلى الجسدِ فهو لا يراها وهي تراه بفضلِ لطفِها عليه.

وقال: فيما أملاهُ على أرْسطاطاليس: أعرفِ الله سبحانَهُ وحقَّهُ وأدِمْ عنايتكَ بالعلمِ الصالحِ أكثر من عنايتكَ بغذائِكَ يوماً بعد يومٍ لا تسلِ الله سبحانه ما لا يدومُ لك نفعُهُ أبداً فإنَّ كلَّ المواهب منه، بل يجبُ أن تسألَهُ النعمة الباقيةَ معك أبداً. وكُن مُتيقظاً أبداً فإنَّ عِلَلَ الشُّرورِ كثيرةٌ، لا تهوَ ما لا ينبغي لك

أن تفعله. لا ينبغي لك أن تهوى حياةً[1] فقط بل موتاً صالحاً ولا تعتد الحياةَ والموتَ صالحَيْن إلاّ أن تكتسب بهما أمراً لا يتمُّ حتى تحاسبَ نفسك على ثلاثِ خصالٍ: هل أخطأتَ في يومِكَ؟ وما اكتسبتَ فيهِ من البر؟ وما كان ينبغي لك أن تعمله فيه من الخيرِ فقصَّرْت عنه؟ تذكَّرْ ما كنت وإلى أيِّ شيءٍ مصيرُكَ. الشَّقيُّ من لم يذكر دائماً عاقبتَهُ فيرجعَ عن بلسه. لا تجعلنَّ قِنيَتَكَ مِنَ الخارجاتِ عنك إلى الأصل، لا تضطرَّنَّ أن تفعل الحقَّ إلى مُستحقه أن ينالك إيَّاهُ بل ابْدأْهُ بِهِ.

وقال[2]: الحكيم التَّامُّ مَنْ فرحِ بشيءٍ من هذا العالمِ أو جزعَ بشيءٍ من مصائبِهِ فاغتمَّ لهُ. أدِمْ ذكرَ الموتِ والاعتداد للموت تعرف خساسة عقلِ المرءِ بكثرةِ كلامهِ فيما لا يعنيه وإخبارِهِ بما لا يُسْأَلُ عنه ولا يزاد منه. فكِّرْ مراراً ثم تكلَّمْ وافعلْ فإنَّ الأشياءَ مُتغيرةٌ. لا تسرعِ الغضب فيتسلَّط عليك بالعادةِ. لاتُؤَخر إنالةَ المحتاجِ إلى غدٍ فإنَّكَ لا تدري ما يحدث في غدٍ عن المبتلى إنْ لم يكن سوءُ عمله أرداهُ. لا تحبُ القنية الحسنةَ فتُضطَّرَّ إلى البُعْدِ من محبَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ. لا تكن حكيماً بالقولِ فقط بل كُنْ حكيماً بالعمل فإنَّ الحكمة التي تكون بالعملِ تنفعُكَ في العالمِ الباقي وليسَ الشَّرفُ عند الله تعالى الحكمة بالقولِ بل الحكمةُ بالأعمالِ الصالحةِ.

إنَّك وإن تعبْتَ في البِرِّ فإنَّ التَّعب يزولُ والبِرُّ تبقى لك وإن الْتَذْذْتَ بالإثْمِ فإنَّ اللذة تزولُ والإثْمُ باقٍ عليك.

اذكُرِ اليوم الذي يهتُفُ بك فلا تسمع، والذي يصمِتُ فيه اللسانُ الحديدَ ويبطلُ فيه الفكر، وتظلِمُ فيه العينانِ، وتنصَبُّ رطوبتُهما في الترابِ، وتبطِل نفسك من بدنِكَ، ولا يمكنك أن تشم رائحةِ جيفَةِ بدنكَ، ويبطلُ حِسُّكَ فلا تشعر بالدُّود الذي يمصُّ الصَّديدَ، واذكُر أنك ذاهبُ إلى المكانِ الذي لا

---

(1) أ: ح. ن.: صالحة.
(2) أ: ح. ن.: ليس.

تعرفُ فيه صديقاً ولا عَدُوّاً والمكانِ الـذي يستوي فيـه المولى والعبـدُ، واذكرِ الميزانَ العدل واجمعِ الأدبَ والارتياضَ[1] فإنَّكَ لا تدري متى الرحلة.

وقال: إنَّهُ ليس شيءٌ في عطايا اللهِ تعـالى خيرٌ من الحكمـةِ كافٍ بـالخيرِ. واصْفَـحْ عن الشَّرِّ تُحفظْ في كـلِّ وقتٍ، وتُذكَّـرْ وافهم واعقِـلْ ولا تتَّكِـلْ على شيءٍ مِن أمـور هذا العـالم الحائلةِ الـزائلةِ. لا تُضادّ واحـدةً من الخيراتِ ولا تَعْنَ بواحدةٍ من السيِّئاتِ البتَّةَ مِنْ أجـلِ القِنَيةِ الحسنـةِ. لا ينبغي أن تترُكَ مـا هـو أفضلُ منهـا من أجل شـرورِ الزَّمـانِ الزائـلِ. لا ينبغي أن نتـرُكَ السـرور الـدائم. أحِبَّ الحكمةَ وانْصفِ الحكمـاءَ وأطِـعْ السلطانَ ولا تمتنِـعْ في وقتٍ من الأوقاتِ من الأدب الحسنِ.

لا تفعلنَّ شيئاً في غير وقتِهِ فإذا فعلتَهُ في وقته فـافعلْ بفهم. لا تقـولَنَّ قولاً لا ينتفَعُ به، وإذا قلْتَ قولاً نافعاً فتحرَّر واحتفظ. لا ينبغي لك أن تختالَ عنـد الغني ولا تستجـدي عند المصـائبِ. لا تسفُهْ على أحَـدٍ ولتكنْ سيرتُـكَ مـع النَّاسِ كُلِّهِمْ بالتواضع، ولا تستخفَّ بأحَدٍ لتواضُعِهِ، لتكُنْ مساعدتُكَ على ما لا يُزْري بكَ ولا ينقُصُ من بِرِّكَ ما غدرت نفسُكَ في فعله. لا تَلُم أخاكَ على مثلِهِ. جانبِ المرء وتمسَّـك بالشـاني. لا ينبغي لكَ أنْ تقبـلَ المدحَ بمـا ليس فيـكَ. لا تفعلنَّ ما تُـذَمُّ على فعلهِ، لا تغتمَّ بشيءٍ لم تفعله واحتمـلِ التَّعبَ في وُجُوهِ البِرِّ. ينبغي لك أنْ تفعلَ الواجبَ منْ غير أن تُحَثَّ عليه وتمتنعَ ممَّـا لا تحب من غير أن يُمتنَعَ عنه.

وقال: ينبغي للعاقلِ أن يكونَ رقيبـاً على نفسهِ فيستعـظم خطأهُ ويستصغِـر صوابَهُ.

وقال: لا تنظُر إلى أحدٍ بالموضعِ الذي يزيِّنُهُ فيه زمانه. وانظر إليهِ بقيمتِـهِ بالحقيقةِ فإنَّها مكانهُ الطبيعي.

---

(1) أ: ح. ن.: وآداب الانتهاض.

وقال: السائرُ تحت الممكن ضعيفُ الهدايةِ والسكينةِ، والمُطالَبُ بالممتنعِ أعمى البصيرةِ ناقصُ التمييزِ، والسَّالِكُ مع الواجب، أمينُ مِنَ السَّرَفِ، عـزيزُ الجانب ساكنُ القلب لا نلقاهُ مسرَّةٌ ما يضرُّه ولا يدهمهُ ما لم يعتدَّ له.

وقال: الغضبُ والشَّهْوَةُ وكـل خُلْقٍ من أخلاقِ النَّفْسِ فلهُ مقـدارٌ يصلح له به حال الشخصِ الذي يكون فيـهِ، فإن زاد فيـه على ذلك أخـرجَهُ إلى الشَّـرِّ لأنَّ الغضبَ شبهُ الملح الذي يُطرحُ في الأطعمةِ فإن كان بقدرٍ صالـحٍ أصلَح الطعامَ وإلاَّ أفسَدَهُ وكذلك سائرُ القُوى.

وقال: ليس ينبغي أن يمتحنَ الأديبُ بكَثْرَةِ العمل بل بأنْ يوجـدَ مُعرىً عَنِ الشَّرِّ.

وقال أرسْطُو: قصدتُ أفلاطُن[1] فقيل إنَّهُ في المقـابرِ، فجئتُـهُ وقد عبَّـأ من العظامِ تلاًّ عن يمينهِ وآخرَ عن يسارهِ، وهو يُقبِـلَ ويدبـرُ، ويضحكُ ويعبِسُ، فوقفتُ ساعةً ولم يعرِفْ، ثم نظر إليَّ، فسألتُهُ.

قـال: فأمَّـا ضحكي فلاغتـرارهم بـالـدُّنيـا، وعبـوسي للفكـرِ في تـركيبهـا وانحِلالها.

وجلس يـوماً حـولهُ التـلامذةُ سـوى أرسـطو، فقـال: لَـوْ وجـدت مَستمِعـاً لتكلَّمْتُ، فقيل: حولَكَ ألفُ تلميذٍ.

فقال: أريدُ واحداً كألفٍ.

وقال: إذا رأيتَ الميتَ فَسَلْ نفسَكَ: هل هو مُساوٍ لـك في الطبيعـةِ أمْ لا؟ فإنْ كان مُساوياً لك فكُنْ ذاكراً لتلك الحالِ دآيماً.

وقال: لا تكُنْ مِمَّنْ يُسرعُ إلى الغضب فتتسلَّطُ عليكَ عاداتُ السفهاءِ.

وقال: كُنْ في كل وقتٍ تُعِدُّ زاداً كما يُعِدُّ مَنْ يرتحلُ ليلتَهُ تلك.

---

(1) أ: ح. ن.: يوماً.

وقال: لا تفرح بالبطالة.

وقال: مَنْ يكرهِ الذلَّ والعار[1] ينبغي له أن يجتهدَ في التنويه باسمِهِ.

وقال: لا ينبغي للأديب، أن يخاطِبَ غير الأديب إلّا برفقٍ، كما لا ينبغي للصَّاحي أن يخاطبَ السَّكرانَ إلّا بمداراةٍ.

وقال: أسْعد الأحرارِ وأحقُّهم بالتفضيلِ مَنْ خرج عن سلطان عادته، وزال عن طاعة غضبه، ونزل بدون منزلتـه في قلوبِ الناس، ولم تشغله مـوارده عن مصادره.

وقال: محبتُكَ للشَّيء سترٌ بينكَ وبين مساوئِهِ وبُغْضُـكَ له سترٌ بينك وبين محاسنهِ.

وقال: مَنْ رأيتَهُ يقتني شيئاً دون ما ينفع فلا تعدهُ لله خائفاً.

وقال: إذا طابق الكلامُ نِيَّةَ المتكلِّمِ حرَّكَ نيَّةَ السامع، وإنْ خالفها لم يحسُنْ موقعُه مِمَّنْ يريدُ به.

وقال: إذا قويَتْ نفسُ الإنسانِ انقطع إلى الرَّأي، وإذا ضعفت انقطع إلى البحث.

وقال: أحْسَنُ ما في الأنفةِ التَّرفُّعُ عن معايب النَّاسِ، وتركِ الخضوع لما زاد على الكفايةِ.

وقال: انبساطُكَ عورةٌ من عوراتكَ فلا تبذلـه إلّا لِمَنْ توكَّلَ عليه، وحقيقٌ بـه. وقال: من تعلَّم العلم لفضيلَتِهِ لم يُوحشـهُ كسادُهُ، ومَمَنْ تعلَّمَـهُ لِجَدْواهُ انصرفَ عنه بانصرافِ الحظِّ. وقـال: الحلمُ لا يُنسبُ إلّا لمن قـدِرَ على السطوةِ، والزُّهْدُ لا يُنسَبُ إلّا إلى من ترك بعض القدرةِ.

وقـال: لا تَغْتَرَّنَّ بِمَنْ يميـلُ إليكَ حتى تعـرفَ عِلَّتَـهُ فـإن كـان لشيءٍ مِنْ

---

(1) أ: ح. ن.: ليس.

صفاتكَ الذاتيَّةَ لك فارْجُ ثباتَهُ، وإنْ كان لصفةٍ عارضةٍ فلا تحفل به، فإنَّ ذلك الميل يُقيمُ بمقامِهِ وينصرفُ بانصرافه.

وقال: إنَّما صار التقليدُ واجباً في العالم لأنَّ الضعفَ فيه، قائمٌ في الناس. وقال: احفظِ الناموسَ يحفظْكَ.

وكان أفلاطُن يجلِسُ فيُسْتَدعَى منه الكلامُ، فيقول حتى يحضرَ الناسُ، فإذا جاءَ أرسْطوطالِس قال: تكلمُوا فقد حضر الناس.

وقال: أكبَرُ الفخر أنْ لا تفتخر.

وقال: مَنْ عدل قلَّ غمُّه واشتاقَ إليه كل شيءٍ.

وقال: إذا صادقْتَ رجلًا وجَبَ أنْ تكون صديقَ صديقِهِ، وليس يجبُ عليك أن تكونَ عدُوَّ عَدُوِّهِ، والمشورَةُ تُريك طبع المستشار.

وقال: سُئل أفلاطون عند موته عن الدنيا فقال: خرجتُ إليها مضطّراً، وعشْتُ فيها مُتحيِّراً، وها أنا أخرجُ منها كارهاً، ولم أعلمْ فيها إلاّ أنني لا أعلمُ.

وقال: ينبغي أن تتعلَّمَ وتستفيدَ وتسمعَ ولا تحتشِمَ ولوْ بلغْتَ غايةَ الشيخوخَةِ، وكان المعلِّمُ لك حدث السِّنِّ، فإنَّ الجهل أقبحُ من التعليمِ.

وقال: تعلُّم الفضيلَةِ الإنسانيَّةِ هي الفضيلةُ الفايدةُ المرْبِحَة(1).

وقال: مَنْ عَدِمَ الفهم عن الباري لم يجزْ أنْ تستفهمه موعظةَ حكيم.

وقال: مِنْ فوائدِ الحكمةِ أن يعلم الحكيمُ علمًا يقيناً أنَّه نجا بمنزلةِ من كُسِرَ به في البحر، كيف تتلاطم به الأمواجُ، فيعظُمُ سرورهُ بخلاصه، وتعظُمُ شفقتُهُ ورحمتُهُ لِمَنْ بقي من النَّاسِ في الشُّرورِ مُتردِّداً.

---

(1) أ: ح. ن.: من هنا إلى قوله: علم إصابة الحق، متعلق بكلام أرسطو وإنما وقع للسهو من الناسخ. ولم يكتب في موضعه فينبغي أن يكتب في أول كلام أرسطو.

وقيل له: مَنْ أنفعُ الناس علماً؟ فقال: مَن رغبَ فيما لا يفنى من العلمِ وإذا كسلتُمْ فضمِّنوا مجالِسَكُمُ الحديثَ تنشطُوا. . .

## 13 ـ خبر أرسطاطاليس بن نيقوماخوس الحكيم[1]

معنى أرُستا: حسنٌ، ومعنى تا: الذي، ومعنى ليس: تقول، فيكون معنى الاسم: حسنٌ الذي تقول. ويكون بالّرومي: ارشدادالاليس، فعُرِّبَ فقيل: أرسطاطاليس. وهو المقدَّمُ المشهور والمعلِّمُ الأول، والحكيم المطلق، عند اليونانيين. وإنَّما سُمِّي المعلِّم الأول لأنّه واضعٌ للتعاليم المنطقية، ومُخْرِجُها من القوة إلى الفعل، وحكمه حكم واضع النحو والعروض، فإنَّ نسبة المنطقِ إلى المعاني التي في الذهن نسبةُ النحو إلى الكلام والعروضِ إلى الشعر.

وهو واضعٌ لا بمعنى أنه لم تكن المعاني مقوَّمةً بالمنطق قبله، فقوَّمها هو، بل معناه أنه جرَّدَ آلةً عن المادة فقوَّمها تقريباً إلى أذهانِ المتعلِّمين، حتى تكون كالميزان عندهم يرجعونَ إليهِ عندَ اشتباهِ الصَّوابِ بالخطأ، والحقِّ بالباطلِ إلاّ أنّه أجملَ القول إجمالَ المُمهّدينَ، وفصَّلَهُ المتأخِرونَ تفصيلَ الشارحينَ، وله حقُّ السَّبْقِ وفضيلةُ التَّمهيدِ، وكتبهُ في المنطقيَّاتِ والطبيعيَّاتِ والإلَهيَّاتِ والخِلافيَّات معروفةٌ ولها شروحٌ كثيرةٌ كشرح بافرسطس وفرفريوسْ والإسكندر الإفرواسي وباسليوس وغير ذلك، وأكثرُ من جاء بعد المعلِّم الأوَّلِ سلك طريقتَهُ، ورأى رأيَهُ كالمقلِّدين له، وليس الأمرُ على ما ظنُّوه، فإنَّ أرسطو وأكثر أتباعه أخطأوا في مسائل كثيرةٍ من المهمَّاتِ الحكميَّةِ والمضائق الفلسفيةِ يطلبُ تحقيق ذلك من كتبنا.

وذكر أنَّ واجب الوجودِ هو المحرِّكُ الأوَّل، وأنَّ الجوهر يقال على ثلاثةِ أضربٍ: إثنانِ طبيعيَّانِ وواحدٌ غير متحرِّكٍ، فإنَّ كلّ متحركٍ لا بُدَّ له من

(1) ابن جلجل، ص: 25؛ والقفطي، ص: 27؛ أصيبعة، ص: 86.

محرِّكٍ، فإنْ كان المحرِّكُ متحرِّكاً تسلسل إلى غير النهاية، فلا يتحصَّلُ، فلا بدَّ من استناد التحرُّكِ في الأخيرِ إلى محرِّكٍ غير متحركٍ. ومعنى أرسطو في لغتهم: الكاملُ الفاضلُ، ومعنى نيقُوماخس: المجاهدُ القاهرُ، وكان أبوه ماهراً في علم الطِّبِّ.

فوُلِدَ له أرَسْطاطَاليس في مدينةٍ تسمى أسطاعين من البلاد المسماة مقدونيا حلفيد من أعمالِ تراكس، وكان اسم أمِّهِ أقسْطَيا، وكان أبوه طبيب أفنطس والدْ فيلبس، والد الإسكندر، وكان يرجعُ بنسبه إلى أسقليوس، وهو النسب الفاضلُ في اليونانيين، وأصل أُمِّه يرجع في النَّسبِ إلى أسقليوس؛ ولما بلغ ثماني سنين حمله أبوه إلى بلادِ أثينية، وهي المعروفة ببلاد الحكماء، وأقام في قُوفيس منها، فضمَّهُ أبوه إلى البلغاءِ والشعراءِ والنحويِّين، وأقام متعلِّماً منهم تسع سنين، وكان اسم هذا العلم عندهم المحيط، أعني علم اللسان لحاجة جميع الناس إليه، لأنَّه الأداةُ والمراقي إلى كلِّ حكمةٍ وفضيلةٍ والبيان التي تحصَّل به كُلّ علمٍ.

وإن قوماً من الحكماءِ أزْروا بعلم البلغاءِ واللغويين والنحويين، وعنَّفوا المتشاغلين به منهم فَيْثَاغورس وامنغورس، وزعموا أنه لا يحتاج إلى علمهم في شيءٍ من الحكمةِ لأنَّ النَّحويين معلمو الصبيان، والشعراء أصحابُ أباطيلَ وكذبٍ، والبلغاءُ أصحاب تمحل ومحاباة ومراء، فلما بلغ أرسطاطاليس ذلك أدركتهُ الحفيظة لهم، فناضل من النَّحويين والبلغاء والشعراء فاحتج عنهم.

وقال: إنَّه لا بُدَّ ولا غنى للحكمة من علمهم لأنَّ المنطق أداةٌ لعلمهم.

وقال: إنَّ فضلَ الناس على البهائم بالمنطقِ، فأحقُّهم بالألسنةِ أبلغهم في منطقه وأوصلهم إلى عبارة ذلك بذات نفسه، وأوضعهم لمنطقهِ في موضعه وأحسنهم اختياراً لأوجزه وأعربِهِ، ولأنَّ الحكمةَ أشرفُ الأشياءِ، فينبغي أن تكون العبارةُ عنها بأحكم المنطقِ وأفصحِ اللغةِ وأوجز اللّفظ ليكون أبعد عن الزَّللِ والدخل وسماجة المنطق وقبح اللكنة والعيِّ، فإنَّ ذلك يُذهب نور

الحكمة، ويقطع من الأداءِ، ويقصر عن الحاجة ويلبس على المستمع، ويُفسد المعاني ويورثُ الشبهة.

فلمَّا استكمل علم الشعراء والنحويين والبلغاءِ واستوعبه، قصد إلى العلوم الأخلاقيَّة والسياسية والتعليمية والطبيعية والإلّهية، وانقطع إلى أفلاطون وصار تلميذاً له ومتعلِّماً له يومئذٍ سبع عشرة سنةً، وذلك في موضعٍ يسمى أفاديميا من أثينية بلد الحكماءِ، وأقامَ متعلِّماً من أفلاطون عشرين سنة، وكان يتعلَّمُ العلم من أفلاطون بالسماع من فيه، ولم يكن يكله إلى تعليم كساقوفراطيس تلميذه كما كان يفعل بغيره لجلالته في نفسه.

ولمَّا غاب أفلاطون إلى سقليا الغيبة الثانية استخلف أرسطُوطاليس على دار التعليم بالمدينة المسماةِ أفاديميا، فلمَّا هلك أفلاطون خرج أرسطاطاليس إلى موضعٍ بأثينية يسمَّى لوفيون، فاتخذ هناك داراً لتعليم الحكمةِ المنسوبةِ إلى المشَّائين، وكان من رأيِ أفلاطون الرياضة للبدن بالسَّعي المعتدل لتحليل الفضول عنه كرياضةِ النفس بالحكمةِ ليجمع الحليات في رياضة النفس والبدن، وتقدَّم في ذلك إلى أرسطاطاليس وكساقوفراطيس.

وكانا يُعلِّمانِ التلاميذ الحكمة وكلهم مشاةٌ ولُقِّبا ومن تبعهما بالمشائين، وبقي كساقوفراطيس بأفاديميا ليعلِّم بها علم أفلاطون فكان جميع حكمةِ أرسطُوطاليس وما وضع من كتبِ المنطق وغيره من الحكمة في الموضع الذي انتقل إليه الذي يسمى لوفيون واستودعها هناك وكانت حِكمته وكتبه تسمى في ذلك الحين: علم إصابةِ الحقِّ وسماعه.

ولما توفي أفلاطون، سار أرسطوطاليس إلى أرْميس الخادم للوالي پاولسس، ولما مات الخادم رجع إلى أثيس فأرسل إليه فيلبس، فصار إليه الى ماقدونيا، فلبث بها يعلِّمُ الحكمة إلى أن سار إلى الاسكندر إلى بلاد آسيا، واستخلف أرسطاطاليس في ماقدونيا.

فاستأنس ورجع إلى بلاد أثيس فأقام في لوقين عشر سنين يُعلِّم، وقام عليه

رجلٌ من المتكهِّنين اسمه أوْ مـاذَن وشنعَ عليـه بالـطَّعن في مذهبـه، وأنَّـه لا يسجد للأصنام التي كانت تُعْبَدُ في ذلك الـدهر، ولا يُعـظمها بسبب الحسـد لهُ، وضغنٍ كان في نفسه عليه.

فلمَّا أحَسَّ بذلك شخَصَ عن أثينية إلى بلاده، وهي حلفيد خوفاً أن يفعلوا بـه كما فعلوا بسقـراط الزاهـد، وأتى هذا المـوضع الـذي ذكرنـاه لينـظر إلى مـدحره أورنفـوس التي تأسـوه وحدرهـا، وأن يضع في ذلـك كتابـاً، فـأدْركـهُ الموت هناك، فتوفي بها ودُفن بها وكان له حينئذٍ ثمانٍ وستّونَ سنةً، ولما مات فيلبس وملَكَ الإسكندرُ بعده وشخص عن ماقدونية لمحاربة الأمم. وجاز بلاد آسيا صارَّ أرسطاطاليس إلى التبتُّل والتخلي عن الاتصال بأمور الملوكِ.

وأقبل على العناية بمصالح الناس وَرِفْدِ الضُّعفاءِ وتزويج اليتامى والأيامى، ورِفْدِ الملتمسين للعلم والتأديب من كان، وأي نوعٍ من العِلْم والأدب طلبوا، والصـدقاتِ على الفقـراءِ وإقامـةِ المصـالـح في المـدن، وجـدَّد بنـاءَ مـدينـةِ إصْطَاغَرًا.

وكـان هو الـذي وضع سُنن إصْـطَاغَرًا عنـدهم، وكان جليـل القَدْر عـظيم الشأن عندهم، وكانت له من الملوكِ كراماتٌ عظيمةٌ ومنزلةٌ رفيعةٌ، ونقل أهـل إصْطَاغَرًا عظامه بعد ما بليت وجمعوها وصيَّروها في إناءٍ من نحاسٍ، ودفنوها في الموضع الذي يعرف بالأرسطاطـاليسي مجمعاً لهم يجتمعـون فيه للتشـاور في جلائل الأمورِ وما يحزنهم، ويستريحون إلى قبره، ويسكنـون في عظامـه، وإذا صعب عليهم شيءٌ من أمورِ الحكمةِ أتوا ذلك الموضع وجلسـوا عليه ثم ينـاظرو[1] فيمـا بينهم حتى يستنبطِوا مـا أشكل عليهم، ويصـح لهم مـا شجـر بينهم.

وكانوا يرون أن مجيئهم إلى ذلك الموضع الذي فيه عظامه يذكي عقولَهم، ويُصحِّحُ فكرهُم، ويُلطِّف أذهانهم، وأيضاً تعـظيماً لـه بعد مـوته وأسفـاً على

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: يناظرون.

فـراقِهِ، وكـان كثيـرَ التـلاميـذِ من الملوك وأبنـاءِ الملوكِ[1] منهم بـاوْفـرَسـطِسْ وأوديمُوس وألكسندروس الملك وأمونيوس وأسخيليوس وغيرهم من الأفاضلِ المشهورين بالعلم المُبَرَّزينَ في الحكمة المعروفينَ بشرفِ النسب.

وقـام بعـده مقـامـه في تعليم حكمتـه التي وضعهـا وصنّفهـا وجلس على كُرسيِّه، وورِثَ مرتبته ابن خالتِهِ باوفرسـطس، ومعه رجـلانِ يُعينانـه على ذلك ويؤازرانـه يسمى أحـدهمـا أوديمـوس والآخـرُ اسحـوارس، وصنَّفـوا كتبـاً في المنـطق والحكمةِ وخلّف مـالاً كثيراً وعبيـداً وإماءً كثيـراً، وغير ذلـك، وجعل وصيَّـة أنطسـطرس وجماعـة معه من أصحـابه يعينـونه وخـرَّهُ باوْفـرسْطِس في المشاركة في الوصيَّةِ والتدبير معهم أن شغل ذلك عليهم.

وصنَّف كتباً كثيرةً نحو مائة كتابٍ وذكروا أنَّهُ صنَّف غير هذه المائةِ كتباً أُخَرَ منها ما وقعنا عليه، وهي الآن موجودة بأيدي النَّاسِ نحو عشرين كتاباً، ثمانية هي الكتب المنطقية، وثمانيةٌ هي الكتب الطبيعية، وكتـاب الأخلاق، وكتـاب السياسةِ المدنية، وكتابٌ كبيرٌ فيما بعد الطبيعيات ويُعرف بشاولوخَا، ومعنـاه: القولُ الإلٰهي، وكتاب الحيلِ الهندسية، ومنها رسـائل وعهـود ومنها مـا انتهى إلينـا أسماؤهـا، ولم نقف عليها وهي عـددٌ كبيرٌ، وعـدَّ له أفـلاطـون على مـا أظهـره من الحكمةِ وصنَّفـه من الكتب معتذراً، أمّـا أبنـاءُ الحكمـةِ[2] وورثتهـا فينبغي أن يمنحوها، وأمّـا أعداؤهـا والزاهـدون فيها فلنْ يصلوا إليهـا لجهلهم بما فيها ورغبتهم عنها، ونفارِهم منها لعسرها عليهم.

وقـد حصَّنتُ هذه الحكمـةَ مع إبـاحتي إيَّاها تحصيناً منيعـاً لئـلا يسـورَهـا السفهاءُ، ولا يصل إليها الجهلاء، ولا يتناولها الأشقياءُ، ونظمتها نظمـاً لا يعبأ به الحكماء ولا ينتفع به الجحدة الكذبةُ؛ وكان ليِّنَ الجـانب، كثيرَ التـواضع، حسن اللقاءِ للصغير والكبير والقوي والضعيف.

---

(1) أ: ح. ن.: وغيرهم.

(2) أ: ح. ن.: فأجابه.

وأمَّا قيامه بأمورِ أصدقائه فلا يوصف، ويدلُّ على ذلك ما ذكره أصحابُ السِّيَرِ واتِّفاقُهم. وكان أرسطوطاليس أبيض اجلح قليلاً، حسن القامةِ، عظيم العظام، صغير العينين، كثُّ اللحيةِ، أشْهل العينين، أقنى، صغير الفم، عريضَ الصدرِ، يُسرِعُ في مشيته إذا خلا، ويبطئُ إذا كان مع أصحابه، ناظراً في الكتبِ دائماً لا يهن، ويقفُ عند كل كلمةٍ، ويُطيلُ الإطراقَ عند السؤال، قليلَ الجواب، ينتقل في أوقاتِ النهار في الفيافي والأنهار، محبٌّ لاستماعِ الألحانِ، والاجتماع بأهل الرياضات وأصحاب الجدل، منصفٌ من نفسه إذا خُصمَ، معترفٌ بمواضع الإصابةِ والخطأ، معتدلٌ في الملابس والمآكلِ والمشارب والمناكِحِ والحركات، بيده آلةُ النجوم والصناعات.

ونُقل عن ارسْطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة أن مبادىء الأشياء هي العناصر الأربعةُ، ونُقل عن بعضهم أنَّ المبدأ الأوَّل هو ظلمةٌ وهاوية، وفسروهما بفضلٍ وخلىً وعمايةٍ غير متناهية، وأثبت قومٌ من النصارى تلك الظلمة الخارجة[1]، وخالف أرسطُو أستاذهُ أفلاطُنْ في قوله: إنَّ من الناسِ من يكون طبعه مهيَّأً لشيءٍ لا يتعدَّاهُ، فإنَّه زعم أنَّ الطبع إذا كان سليماً صلُحَ لكلِّ شيءٍ، وكان أفلاطُن يعتقد أنَّ النفوسَ الإنسانيَّة أنواعٌ منها، كلُّ نوعٍ لشيءٍ لا يتعدَّاهُ؛ وأرسطو يعتقد أن النفوس الإنسانيَّة نوعٌ واحدٌ، وإذا تهيَّأ كلٌّ ذلك النوع.

وذكر أرسطو أنَّ كل ما كان بسيطاً، كان فعله بسيطاً، ففِعلُ الله تعالى واحدٌ بسيطٌ.

## آداب ارسطاطاليس الحكيم

قال: ليس الأمرُ بالخير بأسعد من المطيع له، ولا المعلم بأسعد منَ المعلِّمِ له، ولا الناصح بأولى من المنصُوحِ.

---

(1) أ: ح. ن.: وسموها الظلمة.

وقـال: ليس شيءُ أصلحَ للنَّاسِ من أولي الأمـر إذا صلحوا ولا أفسـد لهم ولأنفسهم إذا فسدوا، فالوالي من الرعيَّةِ بمنزلةِ الرأس من الجسـد والروح من البدن الذي لا حياةَ له إلاّ به.

وقال: احْذر الحرص فأمَّا ما هـو مصلحك ومصلحٌ على يـديكَ فـالزهـد. وقال: إن الزهد باليقينِ، واليقينَ بالصبر، والصبر بالفكر، فإذا فكَّـرت بالـدنيا لـم تجدها أهلاً لأن تكرمها بهوان الآخرةِ، لأنَّ الدنيا دار بلاءٍ ومنزلُ بليَّةٍ.

وقال: إذا أردْتَ الغنى فاطلبه بالقنـاعةِ، فـإنَّهُ مَن لـم يكن لـه قناعـةٌ فليس المال مغنيه وإن كثر.

وقـال: لا تضُنَّ على الناس بمـا ترغبُ فيـه، ولا تأتي[1] إليهم مـا تكره أن يؤتى إليكَ، وقاتل هواكَ وانصـر رعيَّتَكَ واكفف شهـوتك، واحلُلِ الحقـدَ من فؤادِكَ، وطهِّره من الحسد واقبض إليكَ أملَكَ فإن بسط الأمـل مقساة للقلب، ومشغلةٌ عن المعاد، وليكن ما تستعين به على إطفاء الغضب علمك بأنَّ الزلل لا يخلو منه أحدٌ وبه وقع صاحبك.

وقال: إحذرِ الشَّهـواتِ وليكن ما تستعين بـه على كفِّها عنـك علمك بـأنَّها مذهلةٌ لعقلك مُهجنةٌ لرأيكَ، شائنةٌ لعـرضكَ، شـاغلةٌ لك عن جميـع أمركَ، لأنَّها لعبٌ، فإذا حضر اللَّعِبُ غاب الجسد ولا يقومنَّ الدينُ، ولا تصلح الدنيا إلاّ بالجدِّ، فإنْ نازعتك نفسك إلى الشهواتِ واللَّهْوِ فـإنَّها قـد ترغب بـك إلى شرِّ منزلِهِ.

وقال: لا يبطل لك عمرٌ في غيـر نفعٍ، ولا تضيِّـعْ لك مـالاً في غير حقٍّ، ولا تصرف لك قـوةً في غير عنـاءٍ، ولا تعدل لـك رأياً في غيـر رشدٍ، فعليـك بـالحفظ لما أتيت من ذلـك؛ والجدُّ فيـه وخاصـة في العمر الـذي كـل شيءٍ مستفـادٌ سواه، وإن كـان لا بدَّ من اشتغـال نفسـك بلذَّةٍ، فلتكن في محـادثـةِ

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: لا تأتِ.

العلماءِ ودرسِ كتبِ الحكمةِ. وقال: العدلُ ميزان اللهِ عزَّ وجلَّ في أرضه يُؤخَذُ به الضعيفُ من القوي والمحقُّ من المبطلِ، فمن أزال ميزانَ اللهِ عمَّا وضعه بين عبادهِ فقد جهل أعظم الجهالةِ واغترَّ باللهِ تعالى أشدَّ اغترارٍ.

وقال: ليس طلبي للعلم طمعاً في بلوغِ أقاصيه ولا الاستيلاء عليه ولكن التماساً لِما لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل خلافه.

وقال: مَنْ لمْ يكن حكيماً لم يزل سقيماً.

وقال: السخاءَ بذل ما تحتاجُ إليه عند الحاجةِ، وأن يوصل ذلك إلى مستحقِّهِ بقدر الطاقة، فمن جاوز هذا فقد أفْرطَ وخرج عن حَدِّ السخاء إلى التبذير.

وقال: الحكمةُ رأس التدبير وصلاح النفس ومرآةُ العقل، وبها تُذلُّ المكروهاتِ وتُعزُّ المحبوباتِ، ما أحسن رأيَ من حقَّق في طلبها.

وقال: اطلب القنيةَ التي لا تزول، والحياة التي لا تتغيَّرُ، والملك الذي لا يزول، والبقاءَ الذي لا يضمحلُّ.

وقال: أَصْلِحْ نفسك لنفسِكَ يكن الناس تبعاً لك؛ كن رؤوفاً رحيماً، ولا تكن رأفتك ورحمتك فساداً، لمن يستحقُّ العقوبةَ ويصلحه الأدبُ، خُذْ نفسك بإثباتِ السُّنَّةِ فإنَّ فيها كمال التُّقى. وقال: مَنْ أراد أن ينظر إلى صورةِ نفسه فليجعلِ الحكمةَ مرآةً.

وقال أرسطو: النفسُ ليست في البدنِ بل البدنُ في النفس لأنَّها أوسعُ منه وأبسط.

وقال عند موتِهِ: ابنوا لي بيتاً مثمَّناً واكتبوا على كُلِّ ثمنٍ منه كلمةً من هذه الكلمات: العالم بستانٌ سياجه الدولة، الدولة سلطانٌ تؤيِّدُهُ الشريعةُ، الشريعةُ سياسةٌ يسوسُها الملك، الملك راعٍ يعضُدُهُ الجيش، الجيش أعوانٌ يكفلهم المال، المال رزقٌ تجمعه الرعيَّة، الرَّعيَّةُ عبيدٌ يستعبدهم العدلُ،

العدلُ مألوفٌ به قِوامُ العالم، وهذا كلام عالي[1].

وكتب إلى الإسكندرِ: أمَّا بعدُ، فإنَّ الدنيا دولٌ، فما كان منها لك أتاكَ على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوَّتِكَ والسلامُ.

وقال: حرام[2] على الأيَّام أن يكون لها بعدي مثلي، إنِّي عَدَلْتُ طباعي، يعني بحكمتي، ودللت على كثيرٍ من الحكمةِ بقليلٍ من الآلةَ، ووضعتُ العلمَ الجمَّ بقلَّةٍ شغلٍ قلبِ المقتصدِ في الحفظ. ومات للإسكندر ابنٌ فدخل عليه أرسطو وقال: خوفُ ما لا مردَّ له خلقٌ من لا عقل له.

وقال: صَيِّرْ دُنياكَ وقايةً لآخرتِكَ، ولا تصيِّرْ آخرتك وقايةً لِدُنياك، فسُرَّ أهلَ التقى المشهورين بالزهد، وقدِّم مجلس من كان مشهوراً بالورعِ، واقضِ حوائج العامَّة بهم.

وقال: اطلبوا الدُّنيا لتصلحوا بها الآخرة، ولا تطلبوها لتصلح هي، فما أقلَّ اللبْثَ فيها! وما أسرع الانتقالَ عنها! فقد أصبحتُ فيها غير راغبٍ، ومنها على وجلٍ، وأنا أسأل الخالق أن يسلّمني من الدنيا وأن يسلِّم أهلها مني.

وقال: من جعل الأجلَ أمامهُ أصلحَ نفسه؛ لن يسودَ من يتبعُ العيوبَ الباطِنَةَ من إخوانه؛ ومن تجبَّر على الناس أحب الناس ذلَّتَهُ؛ أيُّ ملكٍ نازعَ السوقَةَ هُتِكَ سرُّهُ[3]؛ من أسرف في حُبِّ الدنيا ماتَ فقيراً؛ مَن قنع مات غنيّاً؛ من أسرف في الشراب فهو من السفلِ؛ بذلُ الوجهِ إلى النَّاس هو الموتُ الأصغر.

وقال: اختصار الكلام طيُّ المعاني.

وقال: مَن لم يقدر على فعلِ فضيلةٍ فلْتَكُنْ همَّتُهُ تركَ رذيلةٍ.

وقيل له: ما أخفُّ ما حملَهُ الإنسان؟ قال: السكوتُ.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: عالٍ.

(2) أ: ح. ن.: حرام.

(3) أ: ح. ن.: من أفرط في اللّوم أحبَّ الناس موته.

وقـال: أيُّها الأشهـادُ بالعقـولِ، تفاضُـل الناسِ لا بـالأصولِ؛ وعيتُ عن أفـلاطون الحكيم: الحكمـةُ رأسُ العلومِ والآدابِ وتلقيـحِ الأفهـامِ ونتـائـج الأذهانِ، وبالفكر الثاقب يدرك الرأيُ العارب.

وقـال: ووعيتُ عنـه: وبـالتَّـأنّي تسهـل المـطالبُ، وبلينِ الكلمـةِ تـدركُ المحبَّـةُ، وتـدومُ المـودَّةُ وبسِعَـةِ الأخـلاقِ يـطيبُ العيشُ، ويكمـلُ السـرورُ، وبحسنِ الصمتِ جـلالـةُ الهيبـةِ، وبـإصـابـةِ المنـطقِ يعـظُمُ القـدر، ويـرتقي الشرفُ، وبالإنصـافِ يجب التواصـل، وبالتـواضعِ تكثـر المحبَّةُ، وبـالعفاف تزكو الأعمالُ، وبالإفضـالِ يكون السُّؤْدُد، وبـالعدلِ يُقهـر العدوُّ، وبـالحلمِ يكثـرُ الأنصارُ، وبـالرِّفقِ تُستخـدَمُ القلوب، وبالإيثـار يُستوجبُ اسم الجـودِ، وبـالإنعامِ يُستـوجبُ اسمُ الكرمِ، وبـالوفـاءِ تدوم الاخـبَّـاءُ، وبالصـدقِ يـدومُ الفضلُ، وبحسن الاعتبار تُضرب الأمثال، لا أدري نصف العلمِ؛ السرعةُ في الجـواب تورثَ العثـار؛ الريـاضةُ تستحـدُّ القريحَـةَ؛ مُقاسـاةُ الأحمقِ عـذاب الـروح؛ من عرفَ نفسـه لم يوضـع بين الناس؛ من زاد علمـه على عقله كان علمـه وبالاً عليـه؛ من وجدَ بـرْدَ اليقين أغناهُ عن المنـازعةِ في السؤالِ، ومن عدم ذلك كان مغموراً بالجهلِ.

وقال: إذا كانت الحكمةُ هي خيرَ الدنيا وثـوابها هـو خيرَ الآخـرةِ فأحقُّ مـا وجَّهتَ إليه همَّتَكَ الحكمةُ.

وكـانت لأرسطو ضيعـةُ نفيسةٌ، فـدفعها إلى مَنْ يقـومُ بها، فقـال له بعض الناس: لِمَ تفعلُ ذلك ولِمَ لا تتعاهد ضيعتك؟

فقال: إنّي لم أقتنِ ضيعتي بتعاهدي للضياع، وإنَّما اقْتَنيتُها بتعاهُدي أدبَ نفسي، وبذلك أرجو أن أملكَ ضياعاً كثيرةً.

وقال للإسكندر: الجمالُ مَضَرَّةٌ لصاحبه ومنفعةٌ للناظر إليـه[1]، غير منتفـعٍ بالحكمةِ قلبٌ مرتبطٌ بطلب المعيشةِ.

(1) أ: ح. ن.: وقال.

وقال لبعض تلاميذه: أي بُنيّ، لا تعاشِرْ من الناس إلاَّ من عرفَ قدر نفسه، فإنَّ من عرف قدر نفسه فمعاشره في طيبِ العيشِ. ومن لم يعرف قدر نفسه فلا خير في عشرته.

وقال له رجلٌ: بلغني انك اغتبتني[1]، فقال: ما بلغ من قدرك عندي أن أدعَ لك خُلَّةً من ثلاثٍ، فقال: وما هُنَّ؟

قال: إمَّا علمٌ أُعمِلُ فكري فيه، وإمَّا لذَّةٌ أعلِّلُ بها نفسي، وإمَّا إقبالٌ على عملٍ صالحٍ. ورأى تافهاً يكثرُ الأكلَ، فقال: يا هذا ليس زيادةُ القوَّةِ بكثرةِ الأكلِ، ولكنْ بكثرةِ ما يقبلُ البدن.

وقال له رجل: ما البلاغةُ؟ فقال: إقْلالٌ في إيجازٍ وصوابٌ في سرعةِ جوابٍ.

وقال: رضى الناس غايةٌ لا تدركُ، فلا تكرَهْ سخط من رضاهُ الجورِ؛ وأعاد على تلميذٍ له مسألةً، فقال: فهمتَ؟ فقال التلميذُ: نعم!، فقال: لا أرى أثر الفهم عليك، والدليل على الفهمِ السرورُ.

وقال: كنتُ أشربُ فلا أروى، فلما عرفتُ الله رُويتُ من غير شربٍ.

وقال أبرخس لأرسطاطاليس: يا إمام الحكمةِ، ما ينبغي لطالب الحكمةِ أن يتعلَّم أولاً: فقال: أما إذا كانت النفس هي معدن الحكمةِ فأوَّلُ ما ينبغي لطالبها أن يطلب علم النفس بقوة نفسها، قال: فما قوة نفسها؟ قال: القوَّةُ السائلةُ لي منك عن نفسها.

قال: وكيف يسألُ الشيء عن نفسه غيره؟

قال: كسؤالِ المريض للطبيب عن دائه وسؤالِ الأعمى من حوله عن لونه.

---

(1) أ: ح. ن.: ارتبتني.

قـال: وكيف تعمى النفسُ عن نفسهـا وهي أُم الحكمـةِ؟ قـال: إذا غـابت الحكمةُ عن النفس عميتْ عن نفسها وغيرها كما يعمى البصرُ عن نفسـه وعن غيره، إذا غاب عنه المصباح.

وقال: عجبت لمن قال فيه أحدٌ خيـراً وليس فيه خيـر كيف يفرحُ، وعجبت لمن قيـل فيه شـر وليس فيه كيف يغضبُ، وأعجب من ذلـك من أحبَّ نفسـه على اليقين وأبغض غيره على الشَّكِ.

وقال: دفع الشَّرِّ بالشَّرّ حيلة ودفعه بالخير فضيلة.

وقال: استغناؤك عن الشيءِ أحسن من استغنائك به.

وقال: السعادة الإلّهية ههنا محتاجةٌ إلى الخيراتِ الخارجة من الإنسان لأنَّه يعسر على الإنسان أن يفعل الأفعالَ الجميلةَ بلا مادةٍ، مثل جودةِ العيش وكثرةُ الاخـوان، ولهذا المعنى احتـاجتِ الحكمـةُ إلى المملكـةِ في إظهـارِ شـرفهـا وفضلها.

وقال: مَنْ خدم العدل وَعَبَدَ الله عـزَّ وجلَّ، وفعـل فعله بالفضيلة، وكـانت حالهُ جيِّـدةً حسنةً، وهـو أن يكون مُحِبّـاً لله تعالى جـدّاً، ومن أحبَّ الله محبَّةً إلّهيَّـةً وأحَبَّ العقل والفضـائل الممجَّـدة أكرمـه الله تبـارك وتعـالى وتعـاهـده وأحسن إليه.

وقال: اعلموا أنَّ اللئـام اصبرُ أجسـاماً والكـرامُ أصبرُ نفـوساً وليس الصَّبـرُ الممدوحُ أن يكون جلد الرجُلِ وقاحاً على الضـرب أو تكون رجلُهُ قـويةً على المشْيِ أو يده قويَّةً على العمل، فإنَّ هذا من صفـاتِ الدواب، ولكن يكـون للنفسِ غلوبـاً وللأمـورِ محتملاً، وفي الصبـرِ جميلاً وللجـزمِ مؤثراً والهـوينـا تاركاً، وبالمشقَّةِ التي يرجو عاقبتها مستحقاً، وعلى مجاهدة الأمور والشهـواتِ الهوائية مواظباً.

وقال: الجاهل كالغريقِ، فانصحْهُ بالبُعْدِ منه ولا تقاربه، فـإن نجا ربحتَ،

وإن هلك لم يحزنكَ، ولم يجد بك إلى هلاكِهِ، واحذرْ أن يسمع كلامك.

وقال: قِلَّةُ العلمِ والتمييز علةُ الرّداءَةِ، وكلُّ من له رداءةٌ فلا معرفةَ له بما ينبغي أن يفعل وبما ينبغي أن يهرب منه، وبمثل هذا الخطأ كثر الظلمة والأشرار والمعاندون للحقِ.

وقال أبو النصر الفارابي: ما فَرَّطَ ارسطاطاليس في وضع المنطق ولقد محض النصيحة وانفرد فيه بكمالِ الفضيلةِ وبان مِنْ جلالةِ قدره وجزالةِ رأيه فيه على ما ذلَّتْ له الرِّقابُ وخضع له أُولُوا الألبابِ وأقرتِ الألسنُ له بالعجز على لطيفِ ما أتى ودقيق ما أدَّى وبديع ما ألَّفَ وغريبِ ما صنَّفَ حتى صار في الناس علماً وعليهم حكيماً.

وقال أبو سليمان السجري: لَوْ لَمْ يكن لأرسطو إلّا قوله في وصف الإنسانِ وذكر حاله وما يدل عليه وعلى غايته وبدنه وكيف يصلُحُ الإنسانَ وهو يسرُّهُ ما يضرُّهُ لكان كافياً. . وقال: نصحك من أسخطك بالحقِّ وغشَّكَ من أرضاكَ بالباطلِ، وكانت كتبه وحكمته تُسَمَّى: علم إصابةِ الحقِ.

وقال لا ينبغي أن تأخذ نفسك بالعلوم قبل أن تنفي عنها العيوبَ وتُعَوِّدَها الفضائل، فإن لم تفعل هذا لم تنتفِعَ بشيءٍ من العلمِ.

وقال: الحمقُ الإغراقُ في المدحِ والذّمِ.

## 14 ـ خبرُ انكساغورسَ الملَطي وآدابُهُ

وهو من الملَطيّين المعروف عندهم بالحكمةِ والخير. قال: إنَّ الباري تعالى أَزَلِيٌّ، لا أوَّلَ له ولا آخر، هو مبدأُ الأشياءِ، ولا بدء له ولا يشبهُهُ هوته، وهو مبدعٌ، فقد كانت صورتُهُ في علمه الأوَّلِ، والصُّوَرُ عنده بلا نهايةٍ، فالصوَرُ أزليَّةٌ، ولا يتكثّر ذاته بتكثُّر المعلوماتِ، ولا يتغيَّرْ بتغيرها، أَبْدَع بوحدانيته صورةَ العنصر، ثمَّ صورةَ العقلِ، قريب العنصر في العقل،

ألوانُ الصور على قدرِ ما فيهـا من طبقاتِ الأنـوارِ، وأصنافِ الآثـارِ، وصارت تلك الطبقاتُ صوراً كثيـرةً دفعـةً واحـدةً، كمـا تحـدث الصـورةُ في المـرآةِ الصقيلةِ بـلا زمانٍ ولا تـرتيبِ بعضٍ على بعضٍ، غير أنَّ الهيـولى لا يحتملُ القبول، فقلَّتْ أنوارُ الصور في الهيولى.

وكان يقول: إنَّ نسبةَ هذا العالم إلى ذلك العـالمِ نسبَةَ النقـل والقِشْرِ إلى اللبِ، والقشر بريءٌ منه، وإنَّما ثبات هذا العـالمِ بما فيـه من قليل نـور ذلك العـالم وإلاَّ لم يُثبت طـرفـةَ عينٍ، ويبقى ثبـاتـه إلى أن يصغي العقـل جـرمـهُ الممتزجَ به، وتُصَفِّي النفسُ جُزءهَا المختلطَ، فـإذا صفي الجزءانِ عنـه ورث أجزاءَ هذا العالمِ وبقيَتْ الأنفسُ الدَّنِسَةُ في مبدأ الـظلمةِ. رأيُ انكسـاغورس الملطي كـرأي بالس وخَـالَفَهُ في المبـدأ الأول، فإنَّ مبـدأَ الموجـوداتِ عنـده متشابهَةُ الأجـزاءِ وهي أجزاءٌ لـطيفةٌ لا يـدركها الحسُّ ولا ينـالها العقـل، منها يتكـوَّنُ العالمُ العلويُّ والسُّفْلِيُّ إذِ المـركباتُ مسـوقةٌ بـالبسـائطِ والمختلفـاتُ بالمتشابهاتِ، فإن المركَّبات تركَّبُ من العناصر المتشابهةِ، والحيوانُ والنَّبـاتُ يغتذي من الأجزاءِ المتشابهةِ وغيرها، فتصير متشابهـةً في المعدةِ وتجـري في البـدن، وتصيرُ أجـزاءً مختلفـةً، ووافق الحكمـاءُ في أنَّ المبـدأَ الأوَّلَ العقـلُ الفعالُ، وخالفهم في أنَّ الباري تعالى ساكنٌ غير متحرِّكٍ.

وقال: إنَّ أصلَ الأشياءِ جسمٌ واحدٌ هو موضعُ الكلِّ لا نهاية لـه، ولم يُبيِّن أنّـه من العناصـرِ أو من غيرهـا، قال ومنـه يخرج جميـع الأجسـامِ و الأنـواعِ وأصناف القوى، وهو أوَّلَ من قال بـالكُمُونِ والـظُهورِ، وكـان بعد انقسمـانس الملطي وقـد ملأ أرسـطو كتبه من أقـواله وآرائـه ومذاهبـه والرَّد عليـه فيمـا لم يوافقْهُ. وكان يأخذُ نفسه بالتقشُّفِ، ويسومها الشدائد من مقاساةِ البرد والجليد والثلجُ عرياناً حافياً على كبرِهِ وضعفـهِ، فقيل لـه في ذلك، فقـال: لأنَّ نفسي سريعةُ المرح، فأخشى أن تشرد، وأخافُ أن تجمـحَ بي فتورطني في أهـوائها المذمومة فما لي لا أجعلهـا تحتي دون أن أكون تحتهـا، ولِمَ لا أحملها على الشـدائد دون أنْ تحملني على الفـواحش. وكان في مـدينتـهِ هَـرْجٌ واختـلاطٌ

ببعض الحوادثِ، والفيلسوفُ ساكن مارٌّ، فقيل له: ألا تتحرَّكُ لهذا الأمرِ؟ فقال: لو رأيتُم مثل هذا في النومِ أكنتمْ تتحرَّكُونَ له في اليقظةِ، فكذلك لا يُقْلِقني هذا الأمرُ لأنّ أمور هذا العالم كلها كالحلم، وصحةُ الرأيِ كاليقظةِ.

وقال: اللسانُ قد يحلف كاذباً والعقلُ لا يحلف إلاّ صادقاً فاجهد أنْ يتطابقا جميعاً.

ويُقال: إن امرأتَهُ خاصمته ومكَثَتْ زماناً تُسمعه المكاره وهو ساكتٌ محتملٌ، فاغتاظتْ منه غيظاً شديداً، وكانت تغسلُ ثياباً، فقامت وصبَّتْ على رأسه غُسالة الثياب، وكان في يده كتابٌ يطالعُ فيه، فوضع الكتابَ من يده، ثم رفع رأسَهُ إليها وقال لها: أرْعَدْتِيِ وأبرقتيِ ثم امطرتيِ[1]، ولم يزد على ذلك.

ومرَّ على رجلٍ عريضٍ عبيلٍ فشتمهُ وأفحَشَ، فأعرضَ عنه، فقيل له: لِمَ لا تمتغضْ من كلامه؟ فقال: لأني لا أتوقَّعُ أن أسمع من الغراب هديل الحمامِ، ولا من الكُركيّ تغريدَ القُمريّ.

وكان إذا مدحه الأشرارُ يفزعُ، وقال: لعلي فعلتُ شراً.

## 15 ـ ثاوفرسْطُسْ تلميذ الحكيم أرسْطاطاليس[2]

وخليفته على كرسيِّ الحكمةَ بعد وفاته، وأعانه على ذلك أوديموس وانحولوس، وكانا أيضاً من تلامذةِ أرسطو الكبار، وله التصانيف الكثيرةُ والشروح لكتُبِ أرَسْطاطاليس، وممَّا يدلُّ على فضله وقوَّتِهِ قوله: الإلَهيةُ لا تتحركُ، وهي مع قلَّةِ لفظها غزيرةُ المعنى كثيرةُ الفايدةِ.

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: أرعدتِ وأبرقتِ ثمَّ أمطرتِ.

(2) ثاوفرسطس، الفهرست، ص: 308 ـ 309، والبيهقي ص: ، والقفطي، ص: 109، أصيبعة 106.

وقال: الأديبُ مَنْ روى محاسن الناس وستر المساوىءَ. وقال: العقلاءُ من خباةِ الأموالِ ينالون من جمعها برفقٍ ما لا ينالون من جمعها بالصولةِ فإنَّ العظة تُنَالُ من الدّمِ بغير أذىً ولا سماعِ صوتٍ ما لا تنالُهُ البعوضةُ بحراشفها وهَوْل صوتها.

وقال وقد رأى شاباً طويلَ الصمتِ: إن كان سكوتكَ لقلّةِ أدبكَ فأنت أديبٌ، وإن كُنْتَ أديباً فقد أسأتَ الأدب إذا سكتَّ.

وقال أيضاً: النفسُ تقدرُ على الطيرانِ والحلولِ على جميع ما تُريدُ بالأجنحةِ الحقيقيةِ التي لها، وهي تنظر إلى ما تريدُ.

وقال: متى طرحَتِ النفسُ الثقلَ عنها مِنَ الفكرِ في هذا العالمِ الذي يعوقها عن حركاتها إلى الشيءِ الفاضلِ باشرتِ الحكمةَ بأيسرِ كلفةٍ وأهونِ سعْي وصارتْ كالسِّراجِ الذي هو مضيءٌ في نفسهِ ومضيءٌ لغيره، والجاهلُ إذا لزمها صار عالماً والفقيرُ إذا اتبعها صار غنيّاً.

وقال: المال غنى البدنِ والحكمةُ غِنى النفسِ وطلبُ غِنى النفس أوْلَى لأنها[1] غنِيَتْ بقيت، وغِنَى النفسِ ممدودٌ، وغنيَ البدَنِ محدودٌ.

ولمَّا حضرتْهُ الوفاةُ أقبَل على لومِ الطبيعةِ بما معناهُ أنّ بنيانَ البدنِ لا أصلَ له بل بنيانُ النفسِ والاعتناءُ بها.

## 16 ـ أواديمُوس

كان من تلامذةِ أرَسْطو والمدرِّسين لعلمه وحكمتِهِ والمصَنِّفين للكتبِ على قوَّةِ كلامهِ ونمط تأليفهِ، وقال: لا تسِرَّ إلى الجاهل شيئاً فإنَّه لا يطيقُ كتمانَه ولا يُطيقُ كتمان السِّرِّ إلاّ الحكيمُ.

وقال: كما أنَّ السهم إذا أصابَ حجراً نبا عنه، كذلك الكلمة السوءُ إذا

---

(1) أ: ح. ن.: إذا.

رُمي بها الرجل الصالح لم ينجع فيه ورجع العيبُ إلى الرَّامي.

وقال: كما أنَّ الموت رديء لمن كانت الحياةُ له جيدةً كذلك هو جيِّدٌ لمن كانت الحياةُ لـه رديئةً، فليس المـوتُ رديئاً مـطلقاً بـل جيِّدٌ في الإضـافة إلى شيءٍ يكون جيِّداً ورديئاً.

وسئل عن قدر انتفاعِ الإنسان بالحكمةِ فقـال: إذا حوى الإنسـان الحكمة واشتمـل عليها كـان مثلُه مثل الـواصل في البحـر إلى مقصده، فهـو ينظر إلى غيره مكروباً بالأمواج المحدقـةِ به والـرياح المختـرقةِ عليـه وهو مـطمئنٌ وادعٌ حزنه.

وقيل له: ما المحال؟ قال: مالا صورة له في النفس.

## 17 ـ أسْخيلُوس

كـان من أصحاب أرسـطو وكبار تـلامـذتـه وجـاريـاً مجـرى ثـاوفـرسـطس وأوديموس فيما ذكرنا من شأنهما، وكان الإسكندر يعظمه ويرفعُهُ على نظرائه.

وقيل له: هـل لا اتخذت زوجـةً؟ فقال: أنـا في السعي في إصلاح نفسي والحيلةُ في مصالح جسدي في مُؤنٍ وجهلٍ وهمومٍ وعمومٍ لا قـوام لي بها، فكيف أضمُّ إليها مثلها.

وقيل له: نراك تُدمنُ القراءَةَ والكتابة، فقال: لأعلم أنِّي جاهلٌ محتـاجٌ إلى العلم. وقال في الإسكندر: كـان جامعـاً للشدَّةِ والحكمـةِ، وكان سـلاحُهُ في محاربةِ أعدائه الحكمةَ.

وسفَّـهَ عليه بعضُ السفهـاءِ، فلم يلتفتْ وقال: إنْ كـان كاذبـاً فأولى أن لا أغضب لأنَّ الأمر ليس على ما قال وإنْ كان صادقاً فما يغضبني[1].

---

(1) أ: ح. ن.: ينبغي أن.

وحبسهُ الإسكندر، فلما دخل السجن دخل السجَّانُ يُفتش، ما معه من المال؟ فقال: ما أجهلك ما جئت هنا للتجارة، ولا للَّهوِ، فما بلغ من جهلي أن احمل معي المال إلى هنا لتأخذَهُ.

فقال له: اجلسْ، لا خلَّصكَ اللهُ تعالى: فبلغَ الخبرُ الإسكندر فضحكَ وخلَّى سبيلَهُ. وقال: صحَّةُ الأرواحِ في الحكماءِ الصالحين فأمَّا صحة الأجسادِ فلا أُبالي بها.

## 18 ـ ديمقْراطِيس[1]

كان هو وأبقراط الطبيب في زمنٍ واحدٍ أيام بَهْمَنْ بِنْ إسفَنْديارِ بن ساسب؛ وله مقالاتٌ وآراءٌ قد ذكرها الحكماءُ عنه في الكتبِ، وهو من قدماء الفلاسفةِ، وقيل له: لا تنظر، فغمضَ عينيهِ؛ وقيل له: لا تسمَعْ، فشدَّ أُذنيه؛ وقيل له: لا تتكلَّمْ، فوضع يده على شفتيه.

وقيل له: لا تعلم، فقال: لا أقدرُ على ذلك. وكان أرسطو يؤثر قوله على قول أستاذه أفلاطُنْ ولم ينصف في ذلك.

وقال: إنَّ الجمال الظاهر يشبَهُ به المصوِّرون بالأصباغِ، والجمال الباطن لا يشبَّهُ به إلاَّ من هو له بالحقيقةِ وهو مخترعُه ومُنشئهُ.

وقال: ينبغي أن تأخُذ في العلوم بعد أن تنفيَ عن نفسك العيوبَ، وأجْودها الفضائل، وإلاّ لم تنتفع بشيءٍ من العلوم.

وقال: مَنْ أعطى أخاهُ المال فقد أعطاهُ خزانته ومن أعطاه علمه ونصحه فقد وهب له نفسه.

وقال: لا ينبغي أنَّ بُعد النفع الذي فيه الضَّررُ العظيم نفعٌ ولا الضررُ الذي فيه النفعُ العظيمُ ضررٌ ولا الحياة التي تحمدُ حياةٌ.

(1) ابن جلجل، ص: 33؛ والقفطي، ص: 181.

وقال: قتل مَنْ قنع بالاسم كمن قنع من الطعام بالرائحة.

وقال: يجب أن يُطَهَّرَ القلب عن المكر والخديعةِ كما يطهَّرُ البقل من أنواع الخبث.

وقال: مَنْ وطىء عقبَيك باليوم وطئك غداً.

وقال له نقَّاشٌ غير حاذقٍ: جَصِّصْ بيتَكَ بأثينية لأُصَوِّرهُ، فقال له: بل أُنَقِّيْهِ أَوَّلاً لأجصِّصهُ بعد ذلك.

## 19 ـ قابس السُقْراطي

كان من الحكماءِ المتقدِّمينَ، وهو من أصحابِ أفلاطُنْ، ولم نجد له غير لغزٍ موضوعٍ في أمْر هذا العالم وما يجري فيه من البحثِ والحثِّ على تركِ الدنيا والتَّهاوُنِ بها وما يجب على الإنسانِ من إسقاطِ الفكر في[1] الشهواتِ وطلبِ السعادةِ التَّامَةِ والنَّجاةِ من الشرورِ التي في عالم الحسِّ.

## 20 ـ أبرقلس[2]

هو الذي ألَّفَ في قدم العالم كتاباً أورد فيه الأدلَّةِ على قدمِهِ، وخالف القدماء في ذلك، ووافقهُ أرسْطُو على ذلك، وتبعهُما كلُّ من جاء بعدهما، وهو مخالفٌ للظاهرِ من أقوالِ الحكماءِ وبعضِ المتعصبين. أبرقِلس مَهَّدَ عُذرهُ، وقال: إنَّه كان يُناطقُ الناس بنِطقٍ، روحانيٍّ بسيطٍ وآخر جسمانيٍّ مُركَّبْ، فكان القومُ الذين يناطقونَهُ جسمانيين، وإنَّما دعا إلى ما ذكَرَهُ من الأدلَّةِ على القدمِ. مُقَاوَمَتُهُمْ، فخرج بذلك من طريق الحكمةِ والفلسفة إذْ من الواجبِ على الحكيم أن يُظهِرَ العلمَ على طرقٍ كثيرةٍ متصرفٍ فيها كل

(1) أ: ح. ن.: طلب.
(2) القفطي، ص: 89.

ناظرٍ بحسب نظرهِ ويستفيدُ منها بحسبِ فكرهِ واستعداده فلا يجدُ على قولـه متباعاً ولا طعناً.

فإنَّ أبرقلِسْ لمَّا كان يقول بدهرِ هذا العالم وإنَّهُ باقٍ لا يدثـر، وضع كتبـاً[1] في هذا المعنى، فطالعه من لم يعرفْ طريقتَهُ، ففهموا منه جسمانيَّةَ قوله دون روحانيَّتِهِ فنقصوه على مذهب الدهريَّةِ، وفي هذا الكتـاب يقولُ: لمـا اتصلتِ العوالمُ بعضها ببعضٍ وحديث القوى الـواصلةِ فيها، وحـديثُ المركَّبـاتِ من العناصر حديث قُشُور، واستنبطتْ لبوبٌ كالقشورِ دائرةٌ، واللّبوبُ قـائمةٌ دائمـةٌ لا يجوزُ الفسادُ عليها لأنَّها بسيطةٌ وجيِّدةُ القوى.

فانقسم العالم إلى عالمين: عالمِ الصفوَةِ واللبِّ وعالمِ الكدورةِ والقشرِ، فاتصل بعضه ببعضٍ، وكان آخرُ هذا العالم من بدءِ ذلـك العالم، فمنْ وجـه ليس بينهمـا فرق، فلم يـدثُر هـذا العالم لاتصـاله بمـا يدثُـرُ، ومن وجهٍ تـدثُرُ المقشورُ وتزول الكدورةُ، وكيف لا تدثُرُ القشور؟ وممَّـا لم تزل القشـور باقيـةً كـانت اللبوبُ خـافيةً، ولأنَّ هـذا العالم مـركَّبٌ والعالي بسيطٌ، وكـلُّ مـركَّبٍ ينحلُّ إلى البسيطِ الذي تركَّبَ منه، وكلُّ بسيطٍ دائم.

والـذي نُقل عن أبـرقلسْ هو المنقـول عن مثلِهِ والذي أضـاف إليـه القـول الأوَّل، إما أنَّه لم يقف على مرامه للعلَّةِ المـذكورةِ أو لأنَّـه كان محسـوداً عند أهل زمانه، لأنَّه بسيطُ الفكر، واسعُ النَّظر سائر القوى، وكان أولئك أصحـاب أوهامٍ وخيالاتٍ.

فإنَّه يقول في موضعٍ من كتابه: أنَّ الأوائلَ منها تكوَّنَتِ العوالمُ وهي باقيـةٌ لا تدثُرُ، وهي لازمـةُ الدَّهْـرِ، ماسكـةٌ له، إلاَّ أنهـا من أوَّلٍ واحدٍ لا يـوصَفُ بصفةٍ، ولا يدرك بنعْتٍ لأنَّ صورَ الأشياءِ كلِّها منه وهو الجوهر الممدُّ للطبـاعِ الحيـاة والبقاءَ، فـإذا اضمحلَّ قشـور هذا العـالم وذهب دنسُـهُ وصـار بسيطـاً

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: كتاباً (كما يستنتج من سياق الكلام).

روحانياً بقي بما فيه من الجواهرِ الصافيةِ النُّورانيَّةِ الرُّوحانيَّـةِ كالعـوالمِ العلويةِ التي لا نهاية لها وكان واحداً منها.

## 21 ـ أرْسَطيسْ

كـان رجـلاً معـروفـاً في بلده بـالحكمـةِ والفلسفـةِ وهـو في حُسْنِ حـالٍ، وخفضٍ من العيش، وكثـرةٍ في المال، فعثـر بـه الـدَّهْـرُ وغـدرت بـه الأيَّـام فتعثَّـرتْ حالُـهُ، وتشتَّتَتْ أسبـابُـهُ، فعـزَمَ على التغـرُّبِ إلى حيث لا يُعـرف، فركِبَ البحر، فـانكسَرَ المـركَبُ ورُمِيَ إلى الساحـلِ، فصوَّر شكـلاً هندسياً على الأرض.

وقيـل: بلْ رأى شكـلاً هندسيـاً مُصَوَّراً في بنـاءٍ هناك فقـويتْ نفسه بـذلك لكونه قد وقع إلى قـومٍ حكماءَ لا إلى أغنـامٍ لا عقول لهم، فـدخلَ المـدينةَ وخالطَ أهلها فعادتْ حالُهُ إلى أَحْسَنِ ممَّا كانت عليه لأنَّهم عرفوا مـا عنده من الفضلِ فأكرمُوهُ وأجلُّوهُ واختلفوا إليه، فعادتْ أسبابه، ثم أنَّهُ رأى قوماً يركبون البحـر إلى مدينتـهِ، فسألـوهُ أن يكتب شيئاً إلى أهله، فقـال: هـذا، ليكن مـا تكسبونَهُ وتقتنونَهُ شيئاً ما إذا كُسِرَ بكُمُ المركبُ وغرقتم، شيخٌ معكم.

## 22 ـ فِواطرخس [1]

عمل ثوراً من طين وقرَّبهُ في اليوم الذي كان أهلُ بلده يقـرِّبون لأِصنـامهِمْ فعاتبوهُ فأجابَ بأنَّ ذبحَ الحَيِّ المتنفِسِ لأجلِ ما ليسَ بحيٍ قبيحٌ.

## 23 ـ سَفيداسُ [2]

جعـل على نفسِهِ أنْ لا يتكلَّمَ، فـاتَّصَلَ خبـرُهُ بمـادربـانُـوس الملكِ فـأمـر

(1) الفهرست، ص: 314؛ فلوطرخس؛ أصيبعة، ص: 425؛ أفلوطرخس.
(2) ألفهرست، ص: 419؛ سقدس.

بـإحضارِهِ، وجهـد به الجهـد أن يُكَلِّمَهُ فلم يفعـل، فـأمَـرَ بقتلِهِ، وتقـدَّمَ إلى السَّيَـافِ في السِّـرِّ إنْ تكلَّم إذا هـززتَ عليـه السَّيف[1] فـاقتلْهُ وإن ثبتَ على صمتـهِ فرُدَّهُ إليَّ، فمضى بـه وهـزَّ عليـه السَّيْفَ فلم ينـطُقْ بحـرفٍ فـردَّهُ إلى الملكِ، فأكْرمَهُ وعظَّمَهُ وسألـهُ عن مسائـلَ، فأجـابَهُ عنهـا في كتابٍ ودامَ على صمتِهِ.

## 24 ـ ثامُسْطِيُوسَ

معناهُ: المُؤْمِنُ باللهِ، مُفَسِّرُ كتبِ الحكيـم أرَسْطَاطَـاليس بأحْسَنِ مـا يكون وبأبلغِ ما يمكن مع الإستقصاءِ التامِ؛ كان وزيـراً وكاتبـاً لضايس الملك على ما ذكرنـاهُ فيما مضى، وإنَّمـا اعتمد الحكمـاءُ على شرحـه لكتبِ أرسطو لأنَّـهُ أهدى القوم إلى إشاراته ورموزه على رأْي أرسطو، إلاّ أنّـه اختار رأْي من زعم أنَّ المبـادىء ثلاثـةٌ: الهيولى والصـورةُ والعدمُ، والفـرقُ بين العدمِ الخـاص كعدم صورةِ السَّفينةِ عن الحديـدِ، والعدمُ المـطلَقُ ظاهـرٌ، وزعم أنَّ الأفلاكَ حصلت من العناصرِ الأربعـةِ لا أنَّ العناصـرَ حصلت من الأفلاكِ ففيهـا ناريَّـةٌ كما أنَّ الغالبَ على المركَّباتِ السُّفليةِ هو الأرضيةُ؛ والكواكب نيـراتٌ مشتعلةٌ حصلتْ بتـراكيبها على وجـهٍ لا يتطرَّقُ إليهـا الانحلالُ لأنَّهـا لا تقبـلُ التكـوُّنَ والفساد والتغيُّرَ والإستحالةَ، وإلاَّ فالطِّباعُ واحدةٌ والفرقُ يرجعُ إلى ما ذكـرناهُ. ونُقِلَ عن أرسطو وتلامذته أنَّ في جميع العالم طبيعةً واحدةً عامَّـةً، وكلَّ نـوعٍ من النَّباتِ والحيوان له طبيعةٌ خاصَّةٌ تُدَبرهُ تدبيراً طبيعياً.

## 25 ـ الإسكندر الأفروديسي[2]

من مـدينة أفـرودِمَانسـاس المفسِّرُ لجميـع كتبِ أرسطاطـاليس على غـايـةِ الإمكـانِ، والإسكندر كـان في زمن جـالينـوس، وكـان بينَـهُ وبينَ جـالينـوس

---

(1) أ: ح. ن.: وروعة.

(2) الفهرست، ص: 313؛ القفطي، ص: 54؛ أصيبعة، ص: 106.

مناظراتٌ، وكان كثيراً يبعث به ويسميه رأْسَ البغلِ لعظمِ دماغه، وثامسطوس والإسكندرُ من تلامذة كتبِ الحكيم أرسطو.

وقال الإسكندر: إذا أردْتَ أن تعرف ما عند صاحبكَ فحدِّثه في أثناءِ الحديث بالمحالِ، فإن أنْكرهُ فهو عاقلٌ، وإلاّ فهو أحمق، وجميعُ المشّائين يُعَظِّمونَهُ، وأبو علي بن سينا يُفَخِّمُهُ ويُثْنِي عليه وكذلك ثامسطوس يمدحه الشيخُ ويبالغ في شكره، ويقول أيضاً في حقهما في بعض كلامه: وقد صَنَّفنا كتاباً سمَّيناه بالإنصافِ قسمنا العلماءَ فيه قسمين مشرقِّيين ومغربيِّينْ، وجعلتُ المشرقيِّين يعارضونَ المغربيِّينَ حتى إذا أحَقَّ الكداد تقدَّمتُ بالإنصافِ، فقد كان يشتمل هذا الكتاب على قريبٍ من ثمانيةٍ وعشرين ألفِ مسألةٍ.

ثم يقولُ بعد كلامٍ قريبٍ، وقد كان يشتملُ على ضعف تلخيص البغداديةِ، وتقصيرهم وجهلهم، والآن فلا يمكنني بعد ذهابه أن أُعيده ولكن اشتغلُ بمثل الإسكندر وثامسطيوس ويحيى النَّحوى وأمثالهم.

ثم نقولُ بعده: وأمَّا أبو نصرٍ الفارابي فيجبُ أن نُعظِّم فيه الاعتقادَ، ولا نجري مع القوم في ميدانٍ فيكادُ يكون أفضَلَ من سلفَ من السَّلَفِ. والإسكندرِ من كبارِ العلماءَ رأياً وعلماً، ومقالته أرْصَنْ، وكلامهُ امتنُ، وافقَ أرسطو في جميع آرائه وزاد عليه في الإحتجاجِ على أنَّ الباري تعالى عالمٌ بالأشياءِ كلها: كلياتها وجزئياتها على نسقٍ واحدٍ بما كان ويكونُ، ولا يتغيرُ علمهُ بتغيُّرِ المعلومِ ولا يتكثَّرُ بكثرةٍ.

وقال: كل كوكَبٍ ذُو نفسٍ وطبعٍ وحركةٍ من جهةِ نفسه وطبعه ولا يقبل التحريكَ من غيره أصلاً بل يتحرَّكُ بطبعه واختياره، ولا تختلف حركاتُهُ لأنَّها دوريَّةٌ.

وقال: لما كان الفلكُ محيطاً بما دونَهُ، والزمانُ جارياً عليه، لأنّ الزَّمانَ عاد للحركاتِ، ولما لم يَحُطْ بالفلكِ شيءٌ آخرُ، ولم يكن الزمانُ جارياً عليه، لم يجُزْ فسادُ الفلكِ، ولا تكوُّنُهُ فيكون قديماً أزلياً.

وقال: إنَّ النفس لا تفعلُ إلاّ بمشاركةِ البدنِ حتى التصوُّرُ بالعقلِ فإنَّهُ مشتركٌ بينهما وأشار بهذا إلى أنَّ النفس لا تبقى بعد مفارقتها لها قوة أصلاً حتى القُوَّةُ العقليَّةُ، وخالف في هذا أستاذَهُ أرسطو، فإنَّه قال: الذي يبقى مع النفس من جميع ما لها من القوى هي القوةُ العقليةُ فقط، ولذَّاتُها في ذلك العالمِ مقصورةٌ على اللَّذاتِ العقليةِ فقط، إذ لا قُوَّةَ لها دون ذلك فتحسُّ وتلتذُ بها، والمتأخِّرونَ يثبتون بقاءها على هيئاتٍ ملكيةٍ هنالك.

## 26 ـ الشيخُ اليونانيُ

المشهور صاحب الحِكَم الكثيرة والمواعظِ النفيسة، كان معاصراً لديوجانس الكلبيّ، وهو تلميذهُ أيضاً ومِمَّنْ أخذ الحكمةَ عنه.

قال الشيخُ اليوناني: النفس جوهرٌ شريفٌ كريمٌ يشبه دائرةً قد دارت على مركزها غير أنه لا يعدلها، ومركزها هو العقلُ، والعقلُ دائرةٌ استدارت على مركزه، وهو الخير الأوَّلُ، لكن دائرةُ النفسِ متحركةٌ ودائرةُ العقل ساكنةٌ شبيهةٌ بمركزها، ودائرةُ النفسِ تتحركُ على مركزها، وهو العقل، ودائرةُ العقلِ تتحركُ بالاشتياقِ إلى مركزها، ودائرةُ النفسِ في حركتها ميلٌ لأنها تشتاقُ إلى العقل والحيز الأوَّلِ.

فأمَّا دائرةُ هذا العالم فإنَّها تدور حول النفس وإليها تشتاقُ، والحركةُ الدائمةُ شوقاً إلى النفس كشوقِ النفس إلى العقل والعقل إلى الباري تعالى، ودائرةُ هذا العالم جرمٌ يشتاق إلى ما يخرج عنه ليصير إليه ويعانقه، فكذلك يتحرَّكُ الجرمُ الأقصى الشريفُ حركةً مستديرةً لأنّه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح إليها ويسكن عندها.

وقال: ليس للباري تعالى صورةٌ ولا حليةٌ مثل صورةِ الأشياء العاليةِ أو الصورِ التي في العالم السُّفلي، ولا قوَّةَ مثل قواها، وهو فوق كلِّ صورةٍ وحليةٍ وقُوَّةٍ، وكذلك العقل والنفس اللذان هما شعاعا ذاتهِ فتتَّحِدُ الأشياءُ التي لا

صورة ولا حلية ولا شكل لها اتِّحاداً عقلياً معنوياً.

وقال الشيخُ اليوناني: الغائب المطلوب في طيِّ الشاهد الحاضر.

وقال أبو سليمان السِّجري: معناه أنَّ كل ما هو عندنا بالحس بيِّناً فهو لنا بالعقل هناك، إلاَّ أنّ الذي لنا ظلٌّ ذلك، ولأنَّ من شأنِ الظل أنَّهُ كما يريك السيء الذي هو ظلُّهُ مرَّةً فاضلاً على ما هو عليه ومرَّةً فاضلاً عمَّا هو به ومرَّةً على قدره عرض الخيال والتَّوهم، وصار أمراً حَيِّزاً للنفس فينبغي أن يكون عِناساً يطلب البقاءَ الأبديَّ؛ والوجودُ السَّرمديُّ أتمُّ واظهرُ، فبالحقِّ ما كان الغائب في ثني الشاهد، ويتصفح هذا الشاهد يصُحُّ ذلك الغائبُ.

وقال: المبدعُ الحقُّ ليس شيئاً من الأشياءِ، وهو جميع الأشياءِ؛ لأنّ الأشياء منه، وقد صدق الأوائل الأفاضل في قولهم: مالك الأشياءِ هو الأشياءُ كلها إذْ هو علَّةُ كونها، فإنَّه فقط، وعلَّةُ شوقها إليه، وهو خلافُ الأشياءِ كلِّها، وإذا كان العقلُ واحداً من الأشياء فليس منه عقل ولا صورةٌ ولا حليةٌ، أبدعَ الأشياءَ، فإنَّهُ يعلمها ويحفظها ويُدبِّرها لا بصفةٍ من الصِّفاتِ، وإنَّما وصفناهُ بالفضائلِ لأنَّه عِلَّتها، وأنه الذي جعلها في الصورةِ فهو مبدعها، وإنَّما تفاضلتِ الجواهرُ العقليةُ لإختلاف قبولها من النُورِ الأوَّلِ فصارت كذلك ذات مراتب شيءٍ فاختلفتِ الأشياءُ بالمراتبِ والفصولِ لا بالأماكن كالحواسِ، والبارىء تعالى غير متناةٍ لا كأنَّهُ جُثَّةٌ بسيطةٌ وإنَّما عظُمَ جوهرُهُ بالقوَّةِ والقدرةِ لا بالكميةِ، فلا صُورَةَ له ولا شكل.

## 27 ـ زرادشت

قال الفاضل: إنّي كنت رجلاً من أهلِ أذربيحان حيثُ الشمس زائلةٌ عن المناكب والبخارات متكاثفةٌ والثلجُ متهافِتٌ، غير أنَّ أبي كان يأتي أرضَ الممترخينَ بحرَّان فلمَّا ولدتُ ونشأتُ حملني معه إلى حرَّان، فصحبتُ بها أوْلوسَ الحكيمَ المتخلِّيَ من الدنيا، فورثته الحكمةَ وتلقح منه مزاجي كيف تدبرُ أجسامُ الفلك أجسامَ مركزِ الفلكِ الذي نحن عليه يعني الأرضَ، فلمَّا

بلغتُ دور زحلٍ الأوسطِ دخلَ النُّورُ خلدي، وذلك أنَّ طالعي كان الدَّلْوَ وزُحَلَ، وإليه اقتدرتْ نفسي على مُناجاةِ النُّورِ الخالصِ، فإنَّ الجسمَ منحصرٌ للناظرينَ، والنفسُ منبسطةٌ إلى حيث لا يبلغهُ عددُ العادِّينَ، ولم أنلْ ما نِلْتُ بحيلةٍ ولكن اجتمع لي زُحَلُ والقمرُ ببيتِ الدَّلْو فاتصل المشتري بزُحَلٍ من بيتِ عطاردَ ولأنَّ عطاردَ والشمس وقعا منّي بموضعٍ نالني من الناس الأذى، وأحْرقتْ مواضع من بدني بالنَّارِ عند رجوعي إلى أذربيجان لطلبهم مني المال وكتب الحكمةِ.

فإني أتيتُ أهلَ أذربيجانَ، وكُنتُ فيهم معروفَ البيت والوالدينِ، فحسدتني الأشرافُ على العلم والمنزلةِ، وأغرتِ الملوكَ بقتلي وقالوا عنده علم النُّبُوَّةِ فنهيتها فلم ينتهِ.

فعند ذلك دخلتُ الجبلَ المظلم المغمَّمٍ بالثلج ذا الغيطةِ المظلمةِ المطعمةِ والكهف المديدِ فأرْسلتُ إليهم أنَّ النور بعث في خلدي، وأنكم ستعذبونَ بالثلج فلقد أتتْهُمُ الثلوجُ حتى ما تتراجع الأنفسُ إلى الصُّدورِ، فعند ذلك انجذَبْتُ إلى المشرقِ، فأتيتُ رُستمَ سيدَ أحرار داورّانْ شهر، فعرضتُ عليه الدِّينَ فقال: إنَّ أعظم ملوك المشرقِ وأحكمها نستاسفُ، وهو ممَّنْ لا يضلُّ رأيَهُ ولا يخطىءُ تدبيرُهُ، فإنَّهُ إن أجابك أجبناكَ.

قال: ثم سألني رستم عن أمْرِ ابنه ولم يكن أهلُ المشرق يعرفون قبلي شيئاً من علم الفلكِ وما فيه، فأخذْتُ مقياساً كان معي من حرَّانَ ورثْتُهُ عن الرأسِ الحكيمِ، فقال: ماهذا؟ فقلت: بهِ تنجذِبُ النفسُ إلى النورِ الأعلى. فوجدتُ الطالِعَ واهياً وصاحبَهُ واهياً والشمسَ واهيةً، فقلت له: يُسَمَّى[1] بعد موتكَ ثم يقتل وزرادشت بِنْ زورشْت الذي ظهر في زمانٍ نستاسِفْ الملك.

وكان أبوهُ من أذربيجان، وأمُّهُ دعدد من الرَّيِّ. وزعم الزَّرادشتيةُ أنَّ لهم أنبياءَ وملوكاً أوَّلُهم كبومرثْ، وهو أوَّلُ من ملك الأرض وكان مقامُهُ باصطخر

(1) أ: ح. ن.: يسبى.

وبعده أو شهيح بنْ نوارَك، ونزل أرضَ الهند، وكان له دعوةٌ، ثم بعدهُ طَمْهورَثْ، وظهرتِ الصَّابئةُ في أَوَّلِ سنةٍ من ملكِهِ، وبعده أخوه جَمُّ الملكِ، وبعده أنبياءٌ وملوكٌ كمنوجهرٍ، ونزل بابل، فظهر موسى في زمانه حتى انتهى الملكُ إلى نستَاسف، فدعاهُ زرادُشْت، فأطاعَهُ بعد أن حَبَسَهُ، وأخْرجَهُ من الحبسِ لما أخرج قوائم فرَسٍ. نسْتاسِفُ من بطنِهِ، وكان دينُهُ عبادَةَ اللهِ عزَّ وجلَّ والكُفر بالشيطانِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيَ عن المنكر واجتناب الخبائث.

وقال: النورُ والظلمةُ أصلانِ يتضادان، وكذلك يزدان وأهْرَمَنْ، وهما مبدأ موجوداتِ العالم، وحصل التركيبُ من امتزاجهما، وحدثتِ الصُّوَرُ من التراكيبِ المختلفةِ، والبارىء تعالى خالقُ النور والظلمةِ ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له، ولا ضِدّ ولا نِدّ، ولا يجوز أن يُنسبَ إليه وجودُ الظلمةِ، والخيرُ والشَّرُّ إنَّما حصلا من امتزاجِ النور والظلمةِ، ولوْ لم يمتزجا لم يوجَدِ العالَمُ، وهما يتفاوتانِ ويتعاليان إلى أنْ يغلِبَ النُورُ الظلمةَ، والخيرُ الشَّرَّ، ثم يتخلَّصُ الخيرُ إلى عالمِهِ، وينْحَطُّ الشَّرُّ إلى عالمِهِ وهو سببُ الخلاصِ، فالمزاجُ وهو تعلُّقُ النفس بالبدن جعلوهُ مبدأً والخلاصُ معاداً، وكلامُ المجوسي يدور على الامتزاجِ والخلاصِ، ورأى زرادُشت الملائكة والباري تعالى رسالة مسائل.

## 28 ـ أخبار ديوجانس النَّاسِك الكلبي[1]

وكان يأخُذُ نفسه بالتَّقَشُّفِ ولا يقتني شيئاً البتَّةَ، ولا يأوي إلى منزلٍ، فليس له إلّا ما يواري عورتَه، يأكُلُ قُوتَ يومٍ بيومٍ إن وجده ليلًا أو نهاراً عند ملكٍ أو زبَّالٍ، ومرَّ بخبَّازٍ يَخْبِزُ فأخذ من خُبْزِهِ، فأكَلَ أيَّاماً، فقال له الخبَّازُ: قد أكلتَ أمس، فقال[2]: وآكُل اليوم أيضاً لأنَّكَ تخبزُلي كلَّ يومٍ وهو صاحبُ

(1) القفطي، ص: 181.
(2) أ: ح. ن.: وأجوع في كلّ يوم.

الشيخِ اليوناني وأستاذُهُ الذي ظهرتِ الحكمةُ منه في كتبِهِ المعروفةِ به، فمن أرادَ قراءتَهَا فعَلَيْه بتلك الكتبِ، فإنّها موجودةٌ. وأصحابُهُ الكلبيون لأنّهم كانوا يرونَ اطِّراحَ الرسوم مثل التزوجِ والبناء والتجارةِ والاقتناءِ، وكانوا يُحبُّونَ إخوانهم وأقاربهُمْ فقط، ومن ذهب مذهبهم أو أحْسَنَ إليهم، ويُبغضونَ سائرَ الناس وهي أخلاقُ الكلابِ.

وقيل له: لِمَ لا تبني بيتاً؟ فقال لهم: لو علمتُمْ بيتي وكِبَرَهُ لأيقنتُمْ أنَّ بيوتكم وبيوت العالم لا تسعه، يعني أنه الأرضَ كلَّها والسماءَ سقفُهُ[1].

وقال: أيُّها الناس اجتمعوا، ففعلوا، فقال: إنَّمَا أدْعُو الناس لا أنتم. كان ديُوجانِس حكيم أهْلِ زمانِهِ، وكان زاهداً مُتَخَلِّياً لامسكَنَ له ولا مأوى له إلاّ حيثُ أجَنَّه الليل، وكان لا يمتنعُ مِنَ الطعامِ إذا جاعَ عند مَن وجده غير محتشمٍ ليلاً كان ذلك أو نهاراً. وكان يُحبُّهُ الناس كلهم بالحقِّ، وكان يُقَدِّمُهُمْ على نفسه، ويرفعها عمَّا تَنْحَطُّ إليه الملوك والسُّوَقةُ، وقنع بثوْبينِ من الصُّوفِ فلم تزل حالُهُ تلك إلى أن فارق الدنيا. وبعثه أهلُ أثينيةَ إلى الإسكندر برسالةٍ فقصَّها عليه، فقال له: ما الذي يُرضيهم عَنِّي؟ قال لا أحْسِبُ يرضيهم عنك إلاّ موتُكَ.

ومرَّ به الملك فوجده جالساً في مشرقةٍ، فوقف عليه وقال له: سل حاجتك، فقال: حاجتي إليك التَّنَحِّي حتى تقع الشمس عليَّ. وكان من أهْلِ أفولونيا، وكان من المتكلِّمين على الطبائع، وكان يُنسَبُ إلى أنكسما ندروْس، وسُمِّيَ بالكلبي لأنَّه كان يُحبُّهُ الناس بالحقِّ ولا يحشم أحداً.

وقيل له: لِمَ سُمِّيتَ الكلبي؟ فقال: لأنّي أبَصْبِصُ للأخيارِ وأهِرُّ على الأشرار. ووقف الإسكندر عليه يوماً، فلم يلتفت إليه، فقال: ياديـاجنس، ما هذا التهاون اتراك غَنِيٌّ عَنِّي؟ فقال: وأيُّ حاجةٍ تكون لي إلى عبدِ عبدي؟ فقال له الإسكندرُ: وَمَنْ عبدُ عبدكَ؟ فقال: أنْتَ. قال: وكيف ذلك؟ قال له:

---

(1) أ: ح. ن.: بيتهُ.

لأنني ملكتُ الشهوةَ فقهرتُها واستعبدتُها، وملكتْكَ[1] الشهوةُ وقهرتْكَ واستعبدتْكَ، فأنت عبدٌ لمن استعبدتُهُ أنا. فقال له الإسكندرُ: لو إستمحتنا لأعنَّاك على دنياكَ، فقال له: كيف أستميحُكَ وأنا اغنى منك؟ قال له: وكيف صرتَ كذلك؟ قال: لأنني بالقليل الذي عندي أشدُّ اكتفاءً منك بالكثيرِ الذي عندك. قال: فمَنْ يدفنُكَ إذا مُتَّ؟ قال: مَنْ لا يجد بُدّاً من تنحيةِ الجيفةِ من قربِهِ.

وهذا الإسكندرُ ملكٌ كان في زمان ديوجانس وليس هو ذو القرنين، تلميذ أرسطو، وكان مع فضله وحكمتِهِ يُهزؤ به ويضحك منه، وكان ديوجانس مع كونه حكيماً فاضلاً مُتقنِّعاً لا يقتني شيئاً، ولا يأوي إلى منزلٍ، وكان مِنْ قدريَّةِ الفلاسفةِ لما يوجدُ في اندراج كلامِهِ من الميل إلى القدر، فإنَّهُ كان يقول: إنَّ الله تعالى ليس علَّة للشرورِ بل هو علَّةٌ للخيراتِ والفضائلِ والجودِ، فالعقلُ والجودُ جعلهما بين خلقهِ، فمن كسبها وتمسَّكَ بها نالها لأنَّهُ لا يدركَ الخيراتَ إلّا بها.

ورأى غلاماً معه سراجٌ فقال له: مِنْ أين تجيءُ هذه النارُ؟ فقال له: إن أخبرتني إلى أين تذهب أخبرتك من أين تجيءُ فأفحمه بعد أن لم يكن يقوى عليه أحَدٌ. وقدَّمَ إليه رجلٌ طعاماً ما، وقال له: استكثرْ منه، فقال له: عليك بتقديمِ الأكلِ وعلينا باستعمالِ العدلِ. وعاتبتْهُ امرأةٌ بقبحِ الوجه ودمامته، فقال: منظرُ الرجال بعد المخبر، ومخبر النساء بعد المنظر، فخجلت و[2].

## آدابُ ديوجانس النَّاسِكِ الكلبي

معناه باليونانية: يا مجنون. ويُقال بالروميَّةِ: دي جانوس يعني: يامجنونُ، وعُرِّبَ، فقيل: ديوجانِس.

---

(1) أ: ح. ن.: أنت.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل. ولعلّها: وتأسفت (المحقّق).

وقال: لَيْس من كفَّ عن الشَّرِّ بخيرٍ لكن من عمل الخير.

ورأى شاباً قبيحَ الوجه حسن الأدبِ فقال له: جمعَتْ فضائلُ نفسك محاسنَ وجهك.

وسُئِلَ عن وقت الأكلِ، فقال: لمن يمكنه إذا جاع ولمن ليس يمكنه إذا وجد.

وقيل له: ما الأصدقاءُ؟ فقال: نفسٌ واحدةٌ في أجسادٍ متفرِّقةٍ.

ورأى رجلاً يخطب امرأةً فقال: راحةٌ قليلةٌ تجلُبُ عناءً كثيراً.

وقيل له: لِمَ تبغضُ الناس كلَّهُم؟ فقال: نعم أبغض أشرارهم لسيرتهم الرَّديئةِ وأبغِضُ أخيارهم إذ لا يعظون أشرارهم.

وقيل له: فلانٌ يذكرك بكلِّ شرٍّ فقال: لأنه لا يهتدي إلى الخير.

وقيل له: إنَّ الملك لا يحبُّكَ، فقال: لأنَّ الملك لا يحبُّ من هو أكبر منه.

ورأى شُرطياً يحدُّ لصّاً، فقال: واعجباً لصُّ العلانيةِ يُؤدبُ لصَّ السرِّ.

وقيل له: كيف الذي بينك وبين ريطين[1]؟ فقال مختلفٌ جداً لأنّني بحكمتي صرتُ أحمقَ وهو بحُمقهِ صار حكيماً. فقال ريطين: صدق أدْركتُ بحُمقِ ما صنعه بحكمتهِ.

ورأى امرأةً جميلةً فقال: خيرٌ قليلٌ وشرٌّ كثيرٌ.

وقال للإسكندر ملك وقته: أيُّها الملك لا تفتخر بجمالك وحُسْنِ ثوبك وفراهة مركبك، ولكن إحرص أن يكون فخرك إظهار ما في طبعك من الخير والجود.

---

(1) أ: ح. ن.: ربطس.

وقال: إذا أنكرتَ شيئاً على غيرك فـاحذر أن يكـون مثله فيك فـإنَّهُ[1] أقبـحُ من عارٍ يرجع إلى المُعَيِّرِ به[2]. له: لم تـأكل في السـوقِ؟ فقال: في السـوق جُعْتُ.

ورأى رجـلاً يدعـو ويسأل الله أن يـرزقه الحكمـةَ، فقال: لَـو اجتهدْت في التعليم رُزِقْتها.

وقيل له: أَلَك بَيْتٌ تسْتريح فيه؟ فقال: نعم إنَّما يحتاجُ إلى البيت لِيُستراحَ فيه وحيث ما استرحتُ فهو بيتٌ لي. وقال: كلُّ شيءٍ يحبُّ فضله خـلا فضل الكلام فتوقَّه فإنَّه غير محبوبٍ.

وقال لزيْنون الشاعر: أقصر في مديحكَ، فإنَّ مديـح الرجـل بما ليس فيـه هجاءُ له.

ودخـل عليه الإسكنـدرُ وهو نـائمٌ فركله بـرجله وقـال لـه: قُمْ فقـد فتحت مـدينتك، فقـال له: إنَّ فتـح المدن لا ينكـر للملوكِ ولكنَّ الركْـلَ من صنيـع الحمير.

وكان في أيامِهِ رجلٌ مُصَوِّرٌ فترك التصـويرَ وصـار طبيباً، فقـال له: أحسنتَ إنّك لما رأيتَ خطأالتصوير ظاهراً للعين وخطأ الـطِّبِّ يواريـه الترابُ تـركتَ التصويرَ ودخلتَ في الطب.

ورأى رجلاً شريراً حسن الوجه، فقال: نعم البيتُ وبئسَ الساكنُ.

ورأى حدثاً لا أدب له وهو جالسٌ على حجرٍ فقال: حجرٌ على حجرٍ.

ورأى رجلين قديمي الصحبةِ فسأل عنهما فقيل له: هما صديقانِ، فقال مـا بال أحدهما غنياً والآخر فقيراً؟ وكان يُعيرُ الناس بزهـدهم في الحكمةِ والأدبِ

---

(1) أ: ح. ن.: لا شيء.
(2) أ: ح. ن.: وقيل.

والتعليمِ. وصعد يوماً[1]. . . يوماً: أنا أرخى وأغنى من ملك الفرس لأنَّ القليل يقنعني والكثير لا يقنعه ولا أهتمُّ بأحدٍ وهو يهتمّ بعالمٍ.

وحُكيَ أنَّ ماقندرس رآهُ يوماً على شاطىء النهر يغسلُ بقولاً ويأكل منها، فقال له: هذا طعامك؟ فقال لهُ لو أمكنك أنت أيضاً أن يكون هذا طعامك لم تأتِ باب ديونوس المتغلِّب.

وحبس له صديقٌ فدخل على الإسكندر، فقال: أيُّها الملك إن كان فلانٌ مُسيئاً فهب لي ذنبه وإنْ كان بريئاً فكن أنت الذي يُخلي سبيلهُ.

وقيل له لِمَ جعلت خاتمك في يمينكَ؟ فقال: لأعرِفَ الفضوليين ومن لا يعنيه شأنه.

وقيل له ما الغنى؟ فقال: الكفُّ عن الشهواتِ.

وسئل عن العشق فقال: مرضُ نفسٍ فارغةٍ لا هِمَّة لها.

ومرض فعاده اخوانه فقالوا له: لا تجزع فإنَّه أمرُ اللهِ سبحانه؛ فقال: إذن ذلك أشدُّ له.

وسئل: ما الكرم؟ فقال: النَّزاهةُ عن المساوىء.

ورأى شيخاً قد خضب، فقال له: إذا أخفيت شيبكَ أتقدر أن تُخفي هرمك؟

وسُئِلَ: كيف ينبغي للإنسان أن لا يغضب؟ فقال: ليكن ذاكراً في كل وقتٍ أن ليس يجب أن يخدم وأن يطاع وأن يحتمل وأن يصبر عليه، بل أن يُطيعَ ويخدم ويصبرَ، فإنَّه إذا فعل ذلك قلَّ غضبه.

وقال لتلامذته توقّوا فضل الكلام ففضلُ كلِّ شيءٍ خيرٌ من فضله.

---

(1) أ: ح. ن.: على مكانٍ عالٍ وصاح: أيها الناس اجتمعوا فسار إليه الناس واجتمعوا، فقال لهم: لم أناديكم وإنما ناديت الناس وقال:

وقال: من أراد أن يكون مذهبهُ جيداً فلتكن طريقتُهُ أكثر الخلق[1].

وقال له رجلٌ: ألا تُحدِّثنا؟ قال: لا، قال: لِمَ؟ قال: لأنَّكم تجلُّونَ عن دقيقي وأدقُّ عن جليلكم.

ورأى رجلاً سميناً مشرقَ اللونِ فقال: أيها الرجلُ إنَّ عليك ثوباً من نسجِ أضراسِكَ.

وقيل له: احذر أن تدخُلَ المدينة فقد اجتمع القوم لضربك، فقال: عندها يعرف مقدار حلمي.

وقيل له: ما الفضلُ بينك وبين الملكِ؟ فقال: هو عبد الشهوةِ وأنا مولاها. ونظر إلى صبي يزيِّنُ نفسه فقال: إن زيَّنتها للرجال فأنْت مخطئٌ وإن زيَّنتها للنساءِ فأنت هالك. وارتاض بالخيل في خلوةٍ فاشتاق الجماع فأنفَذَ إلى بعض النساء ليغشاها لضرورةٍ، فولع بقضيبه فأنزل، فلما جاءته المرأة التفت إليها وقال: حصل لنا طريقةٌ نستغني بها عنك، واللهُ أعلم بصحة هذا الخبر العجيبُ.

وبعث إليه الإسكندرُ وطلبه، فأنفذ إليه: أنَّ المانع الذي منعك عن المصير إلينا هو الذي منعنا. ومرِضَ في خانٍ فعادهُ أصحابه فقالوا له: مَنْ يدفنك؟ فقال لا أرى أحقَّ من صاحب الخانِ.

وسُئِلَ: ما الذي تحبُّ من الطعام؟ فقال: الذي بغضتم ورفضتم من الحكمةِ اغتنيت به، وما طرحته من الجهل احتويتم عليه.

ومرَّ بجماعةٍ فوثب عليه بعضهم يركله برجله فقال له تلامذته: نَرْكُلهُ نحن أيضاً، فقال لهم: تشبَّهوا بالحمير لا تشبَّهُوا به.

وقيل له: هلاَّ اتخذتَ بيتاً؟ فقال: لو عرفتم بيتي لعلمتُمْ أنَّ بيوت العالم فيه.

---

(1) أ: ح. ن.: على طريقه.

وقيل له: فلانٌ يحكي عنك كلَّ شرٍّ، فقال: لأنَّه لا يهتدي إلى الخيرِ.
ورأى عجوزةً تتزيَّنُ فقال: إنْ كنت تهيأتِ للأحياء فأنتِ مخادعةٌ، وإن كنتِ تهيَّأتِ للأموات فبادري.

ورآهُ بعض الحكماءِ يأكل في السوق فقال: تأكل في السوق أيها الحكيمُ فقال: آكلُ حيث أجوع.

وقال له مستهزىءُ: ما تأكل من الطعام؟ قال: كلَّ ما نفيتموه، قال: ولم ذلك؟ قال: لأنكم تأكلون ما نفيته أنا.

ودخل إلى الإسكندر وعنده شاعرٌ يمدح، فأخرج خبزاً كان معه وأقبل يأكل، فقيل له: أيُّ شيءٍ تعمل؟ فقال: ما هو أنفع من استماع الكذبِ.

وأمر الملك لجماعةٍ بأواني فضَّةٍ وله بمثل ذلك، فأبى أن يأخذها فذكر ذلك للإسكندر، فقال: الكلب إذا ضربه صاحبه اتَّبعه؛ فقال: أيها الملك إذا جوَّعتهُ لوَّح له غيرك برغيفٍ فاتَّبعه.

وقال: إذا كنت تفعل الجميلَ لتحمدَ فليس أنت أفضلُ ممَّنْ يفعل الشَّر يريدُ بذلك أن يُحمد عليه، فإنَّ كثيراً من النَّاسِ يفعلون ذلك ليحمدوا عليه.

وقال: لا تتكلَّمْ بين أحد من الناس دون أن تسمع كلامه وتقيس ما في نفسك من العلومِ إلى ما في نفسه، فإن وجدتَ الفضل له فأمسك وحصِّلْ فائدتك منه وألَّا فانطلق بما تشاءُ.

وقال لتلاميذه: مَنْ جمع لكم مع المحبَّةِ رأياً فأجمعوا له مع المحبَّةِ طاعةً.

وقيل له لم لا تباشر الحرب بنفسك فقال: إنَّما لي نفسي، فإذا ضيَّعتها فعلى أيِّ شيءٍ أبقى؟

وقيل له: من أملك الناس لنفسه؟ فقال: من لم تصرعه شهوته.

وقيل له: إن فلاناً[1] أعرض عنك، فقال: ما أشبه إقباله بإدباره! وعُوتب على ترك النساءِ فقال: وجدتُ مكايدةَ الغلمةِ أيسر عليَّ من الاحتيال لمصلحة العيال.

وعاب قومٌ من المترفين عيش ديوجانس فقال: لو أَرَدْتُ أن أعيش عيشكم قدرت، ولو أردتم أن تعيشوا عيشي لم تقدروا.

وقال لرجلٍ قد شتمه: لست أغالبك بأمر الغالب فيه أنذل الفريقين، بل بما في إنائك نطقت وكل إناءٍ ينضح بما فيه.

وقيل له: إنّ فلاناً يشتمك في غيبتك، فقال: لو ضربني وأنا غائب ماباليتُ.

وقال: لا مالَ أوفرُ من عقلٍ، ولا فقر أشدُّ من جهلٍ، ولا قرينَ خيرٌ من حُسنِ الخلق، ولا ظهير أوثقُ من مشاورةٍ، ولا فائدةَ خيرٌ من التوفيقِ ولا ميراثَ خيرٌ من أدبٍ.

وقال: المرضُ حبس البدن والغمُّ حبس الروح.

وسبَّه[2] رجلٌ شريفُ النسبِ بضِعَةِ أمه فقال له: أنا شرفي مني ابتدأ وأنت شرفُك إليك انتهى.

وحضر مع قومٍ فأطال الصَّمْتَ، فقيل له: لم لا تخوضُ معنا؟ فقال: الحظُّ للمرءِ في أُذنيهِ والحظُّ لغيره في لسانه.

وسمع ديوجانس رجلاً يذكره بسوءٍ، فقال: ما علم سبحانه منّا أكثر مما تقول. وقيل له: إنّ فلاناً يريد أن يهلكك، فقال: إن فعل ما تقول كان عليه أضرّ.

---

(1) أ: ح. ن.: المقبلُ على شأنه فقال إذن يعادي أهل زمانِه وقيل لَهُ إن فُلاناً...

(2) أ: ح. ن.: وعيَّره.

وشتمه رجلٌ فأمسك عنه، فقيلَ له في ذلك، فقال: كفاهُ مسبَّةً أنَّه شتم من لم يشتمه.

وقال له رجلٌ: بماذا أُغِمُّ عدوي؟ فقال: بأن تكون على غايةِ الفضيلة.

وقال: إذا أردتَ أن تعظُمَ محاسنك في أعينِ الناس فلا تعظُمَنَّ في نفسك.

وقال: المرأةُ أذىً لا بدَّ منه.

وقال: الذي يفعل الخير في نفسه يجب أن يفعله بكلِّ واحدٍ وبين يديِّ كلِّ انسانٍ وبين يديِّ المادح والذَّامِ له.

وقال: اما كثيرُ من الناس يريدون بالعيش أن يأكلوا، وأنا أريدُ بالأكلِ أن أعيش، وأريدُ بالعيشِ أن أعيش عيشاً عقلياً.

وسُئِلَ متى يعرفُ الرجل أصدقاءَهُ؟ قال: عند الشدائد لأنَّ كل واحدٍ عند الرجاء صديقٌ.

وشتمه رجلٌ فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: إن كان صادقاً فلا ينبغي لي أن أحْرَدَ وإن كان كاذباً فبالحري أن لا أغضب إنْ لم أكُن على ما قال.

وسمع رجلاً مهذاراً فقال له: أنصفْ أُذنيك فإنَّما جُعلت لك أذنان ولسانٌ واحدٌ لتستمع أكثر مما تتكلم.

وسأل الإسكندر جُلساءه: بأيِّ شيءٍ يُكتسبُ الصوابُ؟ فقال له ديوجانس: بأفْعالِ الخيراتِ، وإنَّك أيُّها الملك لتقدر أن تكتسب في يومٍ واحدٍ ما لا تكتسبه الرَّعيَّةُ في دهرها.

ومرَّ بعشَّارٍ فقال له: أمعك شيءٌ؟ فقال: نعم، ووضع مخلاته ففتَّشها، فلم يجد فيها شيئاً، فقال له: أيْن ما قلت؟ فكشف عن صدره، وقال له: هو هاهنا حيثُ لا تقدرُ عليه ولا تراه.

ورأى غلاماً حسن الوجه يتعلَّمُ الحكمـة. فقال: أحسنتَ إذا قـرنت بمحبَّةِ حسن وجهك محبَّة حسن نفسك.

## 29 ـ أخبار أبقراط الحكيم[1]

كـان هو وديمقـراطيس في زمن بهمن بن إسفنـدِيـار بن كستـاسِب، وكـان اليونانيون يومئذٍ ملوك طوائف لا يجمعهم ملكٌ واحدٌ وكان، لبسه السَّوادَ، وهو شعاره وجعله علماً للطِّبِّ، وكان قبل الإسكنـدر بنحوٍ من مـائة سنـةٍ، بمدينـة قبـروها، وهي مـدينةُ حمص من أرضِ الشَّـاماتِ على مـا قيل، والأصـحُّ أن «قو» مدينةٌ وجزيرةٌ من جزائر بحر الروم، وكان مُتألِّهاً نـاسكاً يعـالج حسبَـةً لِلهِ تعالى.

وكان أبقراط الطبيب ابن رَافيلَسْ[2] تِلْميذاً لِأَسْقَليوسْ الثاني الطبيب، وكان من نسـل أسقليـوس الأول، وكـان أسقليـوس الأوَّلُ قـد عهـد إلى بنيـه أن لا تُعَلِّمُـوا صنـاعـة الـطِّبِّ الغـربـاء، وكـان الملوك يختـارون للملك من نسـل أسقليـوس، وكانت بـداية صنـاعة الـطِّبِّ منه، وعلَّمهـا بنيه، وحـذَّرَ أن تعلَّم الغرباءُ شيئاً منها، وأمرهم بأمرين أحدهما أن يسكنوا من أرض اليونانيين وسط المعمورِ منها في ثلاث جزائر إحداهنَّ تسمى رودس والأخرى أقيدس والثالثة قُو.

وكان أبقراط من جزيرة «قـو» وألاخر، واختـار أن لا نُخرج صنـاعة الـطِّبِّ منهم إلى غيرهم، بل يتعلَّمها الأبناءُ من الآباءِ كي يبقى شرفهـا ثابتـاً، وكانت المواضع التي يتعلَّم فيها الطب الثلاثة الجزائر المـذكورة، وبـاد التعليمُ الذي كان بمدينة رُودسْ بسرعة لأنَّه لم يبق لآبائه وارثٌ، وانقطع الذي كان بمدينـةِ

---

(1) الفهـرست، ص: 346؛ بقـراط بن ابـرافليس؛ وابـن جلجـل، ص: 216؛ القفـطي، ص: 90؛ أصيبعة، ص: 43.

(2) أ: ح. ن.: وهو.

قَيْدَس لأن الوارثين له كانوا يقرأ[1] يسيراً، وبقي الذي كان بمدينةِ «قُو» وثبت لثباتِ الوارثين له، وكان رأيُ أسقليوس الأول في الطب التجربة، ولم يزل الطبُّ والقول فيه بالتجربة جارياً كذلك ألفاً وأربعمائة وست عشرة سنة إلى أن[2] فينُوس الطبيب فنظر في ذلك فإذا التجربةُ وحدها عنده خطأ، فضمَّ إليها القياس، قال: التجربةُ بلا قياس خطرٌ ولم يزلْ الأمر كذلك سبع مائة وخمس عشرة سنةً إلى أن ظهر رماسدس الطبيب فرذَلَ التجربة، وقال: هي خطأٌ واتخذ القياس وحده وخلف من التلاميذ ثلاثة وهم باساليس وأقرن وديوقيس، فوقعت بينهم المنازعات، فصاروا ثلاث فرقٍ فقال «أقْرن» بالتجربة وحدها؛ وقال ديُوقيس بالقياس وحده، وادَّعى باساليس الحيل، وادَّعى أنّ الطب إنَّما هو حيلةٌ، ولم يزل[3] ذلك لديهم سبع مائةٍ وخمس وثلاثون سنةً.

ثم ظهر أفلاطون الطبيب فتأمَّل أقوالهم ونظر في آرائهم واتضح له أن التجربةَ وحدها خطرٌ وكذلك القياسُ فانتحل الرأيين جميعاً وأحْرق كتب باساليس جميعاً وكتب أصحابه التي في الجبل والذي[4] صنَّفها لمن انتحل رأياً واحداً من التجربة أو القياس وترك الكتب القديمةَ التي فيها الرأيانِ جميعاً. ومات وبقيَ الأمرُ في تلاميذه على ما قرَّرهُ معهم، وهم ستَّةٌ: ميراواس وأفردَهُ لتدبير الأبدانِ، وفوراس وأفردهُ للفصد والكيِّ وباقرون وأفرده لعمل الجراحات، وسرخْس وأفرده لعلاج العين، وقياميقُورس وأفردَهُ لجبر العظامِ المكسورةِ وإظهار المخلوعةِ.

ثم ظهر اسقليوس الثاني بعد ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرين سنةً، ونظر في الآراء فصوَّب رأي أفلاطون واعتمد عليه، وماتَ وخلَّفَ ثلاثة تلاميذ: أبقراط وقلقارس ووارحيس، فمات قُلقارس بعد شهورٍ ولحقهُ وارحيس وبقي أبقراط،

---

(1) «كذا» في «أ»، ولعلّ الصواب: يقرؤون.
(2) أ: ح. ن.: ظهر.
(3) أ: ح. ن.: كذلك.
(4) «كذا» في «أ»، والصواب: والتي.

وحيد دهره، وكامل الفضائل وقويت صناعةُ التجربةِ والقياس بقُوَّتِهِ.

ولما رأى أبقراط صناعةَ الطِّبِّ قد قربتْ إلى الذهـاب بسبب قلَّةِ الأجناسِ الثلاثةِ الذين قدمنا ذكرهم الذين من وَلَدِ أسقلبيوس الأول برودس وأقيـدس وقُو حتى أنه لم يبقَ إلاّ الثلاثة بقُو التي أحياها أبقراط، ونظر في أقاويل قراباته من أهلِ الجزائر الثلاثة فوجد كثيراً منهم قد أحدث في الطِّبِّ آراءً كاذبةً تزيـدُ في كـلِّ زمـانٍ، فخـاف أن ينمَّى الفسـاد فيضيـع مـا خلفـه جـدهـم أسقلبيوس، فَتَنْـدرس صناعـةُ الطب فـرأى إثباتهـا في الكتب بأقـاويل غـامضةٍ وأومى إلى ولديه بالس ودارفن أن يعلِّماها لمن استحقها من القـرابات والغـرباء لأنَّـه نظر فرأى أن الغريب إذا كان مستحقاً فهو أوْلى من القريب غير المستحقِّ فرأى أن يذيعها في سائر الأرض لئلاّ تبيد، ففعلا ذلك وخـاصةً بـاساليس فثبت شـرفُ الطب بذلك الزمان الطويل إلى اليوم، وجعل الغرباء المتعلمين للطب[1] كُتباً، بل كان كل واحدٍ من آلِ أسقلبيوس يلقِّنه إلى مَنْ يعلِّمه إيَّاهُ تلقيناً ومعه تذاكير بالغاتٌ يعـرفها هـو فقط لئلاّ تخـرج هذه الصنـاعةُ الشـريفةُ إلى سـائر النـاس فتذهب محاسنها ويكثرُ الغلط فيها.

فلما مات أبقراط خلف إبنه باساليس ودارفن وابنته مالانـا إرسا، ومن أولاد الأولاد بقراط بن باساليس وبقراط بن دارفن وخلف من التلاميذِ الغـرباءِ خلقـاً كثيراً وأنقذ بِهمْن أردشير ملكَ الفرس إلى فيـلاطُس ملك جزيـرة «قُو» فـطلب منـه توجيـه أبقراط إليـه وأمرَ لِبُقْـراط بمائـةِ قنـطارٍ من ذهبٍ، والقنـطار مـائـةٌ وعشـرون رطلاً، والـرطلُ تسعـون مثقالاً، فكـان الجميـع ألفَ ألفٍ وثمـانينَ مثقالاً من الذهب.

وكـان اليونـانيون ملكهم يـومئذٍ لـطوائف ملوك ولم يجمعهم ملك واحـدٌ، وكـان بعضهم يؤدِّي الإتاوةَ إلى ملك الفـرس[2]، وعرفـه أنّه لا يـأمنُ أن يكون

---

(1) أ: ح. ن.: كأولاده بما عقد في رقابهم من الإيمان ولم يكن في الطب...

(2) أ: ح. ن.: فتقدم فيلاطس ملك جزيرة بقراط بالتوجه إلى ملك الفرس.

تأخّره عنه سبباً لهلاكه وهلاك أهل بلده لأنَّه لا طاقة له بمقاومةِ ملك الفرس، وأمرهُ بالمسير إليه ليعالجه، ويعالج الفرس من ما وقع فيهم فلما أجابه إلى علاج أعداءِ اليونانيين توقف عن ذلك فتكرَّر السؤالُ والطلبُ، فردَّ أمرهُ في ذلك إلى أهلِ بلده، فاشتدَّ ذلك عليهم، فضنُّوا به أن يخرج من بلادهم وامتنعوا أن يمكِّنُوهُ من الخروج، وقالوا نبيد[1] عن آخرنا ولا نمكِّن أبقراط أن يخرج من بلادنا فاعتذر إلى الملك بما كان من امتناعهم وكتب رسوله إليهم بما كان من أمهر أهلِ بلده فأمسكَ عن طلبه، وقيل إنَّه هو الذي امتنع، وقال: لا أبيعُ الفضيلة بالمال[2].

وقيلَ إنَّهُ دار جميع بلاد يونان حتى وضع لهم كتاباً في الأهوية والبلدان، وكان تخوم أبقراط في سنةٍ ست وأربعين ومائةٌ لِبَخْتَنَصَّر، وصنَّفَ كتباً[3] في الطب، والذي انتهى إلينا منها نحو ثلاثين كتاباً، وأكثر هذه الثلاثين موجودةٌ اليوم. والذي يدرس من كتبه لمن يقرأُ صناعة الطب في هذا الزمان إذا كان درسه على أصلٍ صحيحٍ وترتيبٍ جيدٍ واثني عشر كتاباً الذي صنّفها جالينوس.

وكان أبقراط رَبَعاً، أبيض، حسن الصورة، أشهل العينين، غليظَ العظام، ذا عصبٍ، معتدلَ اللِّحيةِ، منحني الظهر، عظيم الهامة، بطيء الحركة، إذا التفت التفت بكُلِّيتِهِ، كثير الإطراق، مُصيبَ القول، متأنياً في كلامه، يكرِّرُ على السامع منه بين يديه إذا جلس، إن كُلِّمَ أجابَ، وإن سكت عنه سأل، وإن جلس كان نظره إلى الأرض، معه مداعبة، كثير الصومِ، قليل الأكل، بيده أبداً إمَّا مِرْوَدٌ وإمَّا مَبْضَعٌ. مات وله خمسٌ وتسعون سنة عاش منها صبياً ومتعلِّماً ست عشرة سنةً وعالماً تسعاً وستين[4] سنةً وكان قبل اشتغاله بالطب

(1) أ: ح. ن.: نقتل.
(2) أ: ح. ن.: ولا أداوي عدو اليونانيين.
(3) أ: ح. ن.: كثيرة.
(4) أ: ح. ن.: وسبعين.

ملكاً ترك الملك وتزهَّد فيه، وكان لا يأخذ الأجرة إلّا من الأغنياءِ دون الفقـراءِ وكان أخذه طوقاً أو إكليلاً أو سواراً من الذهب.

وقـال: أمَّا العقلاءُ فَيُسْقَوْنَ الخمـر والجهَّال الحـريقَ. وقال: كـلُّ بـدنٍ لا يدخله الشرابُ يسرع إليه الخراب.

## آدابُ أبُقْراط الحكيم

قال: ألآمن مع الفقـر خير من الغنيّ مـع الخوفِ. وقـال لتلامـذته: ليكن أكبـرُ همَّتكم محبَّتكم للناس، وتفقَّـدوا معرفـةَ أحوالهم واصـطنـاع المعـروف إليهم.

وقيل له: لِم صار البدن أشدَّ ما يكون التهاباً يوم شـرب الدواءِ فقـال: لأنَّ البيت أشدُّ ما يكون تغيُّراً يوم كنسه.

وقـال: كـونـوا من المسيء المـدغـل، أخـوف من المكـاشف لأنَّ العلل الظاهرة أهونُ مداواةً من الباطنةِ.

وقال ثلاثة أشياءَ تورث الهزال: شربُ الماء على الريق(1)، والنومُ على غير وطاءٍ، والكلامُ برفع الصوت.

وقال: الجسد يعالجُ على خمسة أضربٍ: ما في الرأس بالغرغرةِ، وما في المعـدةِ بالقيءِ، ومـا في البدنِ بـالإسهالِ، ومـا بين الجلد بالعـرقِ، وما في العمق وداخل العروق بإرسال الدم.

وقال: الأبدانُ إذا لم تكن نقيَّةً كلما غدوتها ازدادت رداءَةً، وكذلك النفسُ العليلةُ الرديئةُ بالقياس إلى أغذيتها أعني الحكمةَ.

وقـال: أربعةُ تهـدم البدن: دخـول الحمـام على الشِبَـع، والجمـاع على

---

(1) أ: ح. ن.: كثيرة.

الشبعِ ، وأكل القديد الجاف، وشرب الماء على الريق.

وقال: إنّ المحبَّةَ قد تقع بين العـاقلين من باب تشـاكلهما في العقـل، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشاكلهما في الحمقِ لأنَّ العقل يجري على ترتيب فيجوزُ أن يتَّفق فيه إثنـان على طريق واحـدٍ، والحمق لا يجري على تـرتيبٍ، فلا يجوز أن يقع به اتفاق بين اثنين.

وقال: ليس معي من فضلة العلم إلاّ علمي بأنّي لستُ بعالمٍ.

وقال: اقنعوا بـالقوتِ وانفـوا عنكم الحاجـة ليكون لكم قُـرْبى إلى اللهِ عزَّ وجـلَّ، لأنَّ الله سبحانـه غير محتـاجٍ إلى شيءٍ فكلَّما احتجتم أكثـر كنتم منه أبعد، واهربوا من الشرور وذَرُوا المآثِمَ واطلبوا من الخيراتِ الغاياتِ.

وقال: ينبغي للمرءِ أن يكون في دنياهُ كـالمدعُـو إلى وليمةٍ إذا أتَتْـهُ الكأسُ تناولها، وإذا جازتْهُ لم يـرصدهـا، ولم يقصد لـطلبها، كـذلك يفعـل بالمـالِ والأهلِ والولدِ.

وسئلَ عن أشياءَ قبيحةٍ، فسكت عنها، فقيل له: لِمَ لا تُجيبُ عنها؟ فقال: جوابها السكوتُ عنها.

وقـال: الدنيـا غير بـاقيةٍ فـإذا أمْكَنَ الخيـر فـاصنعـوه، وإذا عـدمتم ذلـك فحمدوا[1] وادَّخروا من الذكرِ أحسنهُ.

وكان يقول: العلم روحٌ، والعمل بدنٌ؛ والعلم أصلٌ والعمل فرعٌ؛ والعلم والدٌ والعمل مولودٌ؛ وكان العمل لمكان العلم ولم يكن العلم لمكان العمل.

وكان يقول: العمل خادم العلم والعلم غايةٌ.

وقال: إعطاءُ المريضِ بعض ما يشتهيه أنفع من أخذه بكلِّ ما لا يشتهيه.

وقال: العلمُ كثيرٌ، والعمر قصيرٌ فخذ من العلم ما بلغك قليله إلى الكثير.

---

(1) «كذا» في «أ»، ولعلَّ الصواب: فاحمدوا.

وقال عند وفاته: خُذُوا جامع العلم مني: من كثر نومه، ولانت طبيعته، ونديت جلدته طال عمره؛ والإقلال من الضَّارِ خيرٌ من الإكثار من النافع.

وقال: لو خُلِقَ الإنسانُ من طبيعةٍ واحدةٍ لم يمرض لعدم الضدِّ. وقال لعليلٍ: أنا وأنت والعلةُ ثلاثة فإن اعتنتني بالقبول غلبنا العلَّةَ لأنَّ الإثنين يغلبان الواحد.

وحكايته مع ابن الملكِ العاشق لزوجة أبيه وجسٍّ نبضه مشهورةٌ. قال: العشق طمعٌ يتولد في القلب وتُجمعُ فيه موادُّ من الحرص، فكُلَّما قويَ ازداد اللجاجُ وشدَّةُ القلق وكثرةُ السهر فحينئذٍ يحترق الدم ويستحيل سوداءَ، وتلتهبُ الصفراءُ وتنقلب إلى السوداءِ؛ ومن طغيان السوداءِ فسادُ الفكر ونقصانُ العقل ورجاءُ ما لا يكون وتمنِّي ما لا يتمُّ حتى يؤدِّي إلى الجنونِ، فربَّما قتل العاشق نفسه أو مات غمّاً وقد يصلُ إلى معشوقهِ فيموتُ فرحاً.

## 30ـ أخبار أوميرس الشاعر وشيء من حكمه وآدابه

وكان أقدمَ شعراء اليونانيين وأرفعهم منزلةً عندهم، وكان يجري عندَهم مجرى امرىء القيس في شعراء العرب، وكان زمانُه بعد زمانِ موسى، عليه السلام، بنحوِ خمسمائة وستين سنةً، وله حِكَمٌ كثيرةٌ، وقصائد حسنةٌ جليلةٌ، وجميع شعرائهم الذين أتوا بعده على مثاله احتذوا، ومنه أخذوا وتعلَّموا، وهو القدوةُ عندهم، وأُسر وأُتى به المقسم ليُباع، فسأله بعضُ من أراد ابتياعه، فقال له: مِنْ أين أنت؟ فقال: من أبي وأُمِّي، فقال له: أترى أن أشتريك؟ فقال بعد لم تشتريني، أمشيرٌ في مالك جعلتني، فاشتراه بعضُهم، فقال له: لأيِّ شيءٍ تصلح؟ فقال: للحرية. وأقام في الرِّقِّ مُدَّةً وعتق بعد ذلك، وعاش عمراً طويلاً، وكان معتدل القامةِ، حسن الصورةِ، أسمر اللون، عظيم الهامةِ، ضيِّقَ ما بين المنكبينِ، سريع المشيةِ، كثير التلفُّتِ، بوجهه آثارُ

---

((1)) القفطي، ص: 47.

جدري، هذَّاراً مولعاً بالسَّبِّ لمن تقدَّمه، مزَّاحاً مداخلاً للرؤساء، مات وله مائة وثمانون سنةً.

ومن القدماءِ الكبار الذين يحترمُهُم أفلاطون وأرسطو[1] من العلماء العظماءِ في إعلاء المراتب وكان أرسطو لا يفارقُ متكأةَ ديوانه ويستدلُّ هو ومن تقدمه وتأخَّر عنه بشعره لما كان يجمعه من الحذق في قول الشِّعر مع إتقانٍ للمعرفةِ ومتانةِ الحكمة وجودة الرأي فمن بديع قوله الأخير في كثرة الرؤساءِ.

وقيل له متى تمسكُ عن مديحِ فلانٍ فقال إذا أمسكَ هو عن إحسانه وقيل له تكذب في شعرك فقال يُرادُ بالشِّعر الكلام الحسن وأمَّا الصدقُ فعند الأنبياءِ وهو أول من أبدعَ[2] الشِّعر في يونان بعد موسى عليه السلامُ بتسعمائةٍ وإحدى وخمسينَ سنةً وظهر ثاليس الملطي بعدهُ بقريبٍ من أربعمائةِ سنةٍ.

## آداب أوميرس الشاعر

قال: العاقل من عقل عن الذَّمِ لسانه، والمشورةُ راحةٌ لك وتعبُ على غيرك والعتاب حياةُ المودَّةِ هبْ ما أنكرتَ لما عرفت وقارنْ أهل الخيرِ تكن منهم وباينْ أهل الشَّرِ تبُن عنهم ومن أكثر من شيءٍ عُرفَ به.

وقال: الكريمُ هو الذي فكرهُ أبداً نحو الواجب وإذا رأى الواجبَ فعلهُ من قبل ورود الملَّةِ التي توالتهُ[3].

وقال: افضلُ الدُّنيا حسنُ اللقاء[4].

وقال: طولُ الحدَّةِ تميتُ الحيل والحيلُ فوائد الفكر والوجهُ ينبيء عن الضمير.

---

(1) أ: ح. ن.: وغيرهما.
(2) أ: ح. ن.: بسبعمائة.
(3) أ: ح. ن.: توهنه.
(4) أ: ح. ن.: الدها.

وقال: عادةُ الصمتِ تورثُ العِيّ.

وقال: اللجاجةُ تسلبُ الرأيَ والخفَّةُ تسلبُ البهاء. وقال: اللحظُ أدلُّ على الضميرِ من اللفظ.

وقال: العجبُ ممَّنْ يمكنهُ الإقتداءُ باللهِ سبحانه فيعدل إلى الاقتداء بالبهائم يعني العدل.

وقال: لا ينبغي لك أن تفعل ما إذا عيَّركَ به إنسانٌ غيركَ غضبتَ لأنَّك إذا فعلْتَ ذلك كنتَ أنت الشَّاتمُ لنفسك.

وقال: إنَّ رجلاً من الحكماءِ كُسِرَ به المركبُ في البحر فوقع إلى ساحل جزيرةٍ فعمل شكلاً هندسياً على الأرض فرآهُ قومٌ فمضوا به إلى ملك تلك الجزيرة فأنعم عليه فكتبَ إلى سائر البلدانِ: أيُّها الناس إقْتنوا ما إذا كسر بكم المركب في البحر سار معكم وإذا صلحتُم بقي معكم وهي العلوم الصحيحةُ والأعمالُ الصَّالحةُ.

وقال لابنه: أقهر شهوتك فإنَّ الفقير من الحظ إليها.

وقال: إحلم تسد ولا تعجَبْ فتمتهن. وقال: الإنسانُ الخيِّرُ أفضلُ مَن جميعِ ما على الأرض من الحيوان، والإنسانُ الشِّرِّيرُ أخسُّ وأوضع من جميع ما على الأرض من الحيوانِ. وقال: الحكمةُ هي أن تُدرِكَ صورةَ العلم بالعمل.

وسُئل عن مراتبِ الرِّجالِ فقال: هم ثلاثةٌ موسومٌ بخيرٍ، وموسومٌ بشرٍّ، وغافلٌ لا يعرفُ بخيرٍ ولا شرٍّ.

وقال: الدنيا دار تجارةٍ فالويلُ لِمَنْ تزوَّد منها للخسارةِ.

وقال: كثرةُ المُفاوضةِ تُمْحِقُ القدر. وقال: صونُ النَّفسِ بعد بذلتها مُروءة.

وقال: إفراطُ مقدمةِ الجراْةِ قوةُ نفس من ظفر بالحدّ العد؛ وآلةُ الرئاسةِ سعة الصَّدْرِ.

وقال: الدنيا دارٌ مَنْ نال مراتبها لم يفرح ومن فقد الرِّئاسة منها كان حقيراً

وقال: مَنْ يعلم أنَّ الحياةَ لنا مستعبِدَةٌ، والموت معتقٌ آثرَ الموت على الحياةِ، وهذا كلامٌ نفيسٌ وهو خلاصةُ الفلسفةِ وثمرةُ الحكمةِ.

لأنكَ إذا علمت حكم هذه الحياة وشأنها وجميع ما هو علاقةٌ عليها علمْتَ أنَّها قيد وأنَّ صاحبها مسجونٌ وأنَّ الفكاك من هذه القيود والراحة من هذا السجن إنَّما هو بالموتِ الذي هو التحولُ من حالٍ إلى حالٍ ومن مكانٍ إلى مكانٍ، وإنَّما استبشعَ هذا الاسم من لا دربةَ له بالفلسفة ولا خبرةَ له بالحكمةِ، وإنَّما يُعرفُ ما يرى ويسمع دون ما يُستبان، ويعقل لا جرم إذا ذُكر له الموتُ حال وجزع وانتفض وفزِعَ، ولو كان للحمارِ مثل عقله لكان هذا العارضُ فيه أقوى، ولكان به أولى، ولولا نقص اللسان لما حط نفسه إلى حال الحمارِ فيما لو لحقَهُ لكان مِثله، ومتى ارتفع هذا النقصُ رفع نفسه إلى حرمٍ علوي شريفٍ مُسْتنيرٍ باقٍ دائمٍ، وتطاول إليه وتشبَّه به واحدٌ يهديه، وامتطى لما يكون مُبلغاً له إلى محله ومُشرفاً به على حاله، ولن يزول هذا النَّقْصُ إلاّ عن واحدٍ بعد واحدٍ في دهرٍ بعد دهرٍ، فلا تعجبنَّ من إنكار من يُنكر قولنا في التهاون بالموت فله شركاءُ ومعه قرناءُ، وإنَّما كلامي مع أهل العقل واليقظةِ والخير والجدِّ والعزمِ فأمَّا من قد ألهاهُ العزُ والمالُ والنعمُ والجاهُ والذهبُ والفضَّةُ والعقارُ والضيعةُ والسريَّةُ والغزل والصبابةُ والنظر والتحيُّلُ والمدحُ واللعبُ فإنَّهُ عما نقوله ونسطِّره أعمى أصمُّ ميتٌ مدَّعى حياً وغائبٌ مُدَّعٍ حاضراً، ومرجومٌ يُحسب مغبوطاً.

وقال: العقلُ نحوان: الطبيعي والتجاري، وهما في التعاون بمنزلةِ الماءِ والأرضِ للنبات والأثمارِ، ومن لم يحسنُ تدبيرَ هذين النحوين من عقل الطبيعة، والتجربة واستعمالها والإستعانةِ بهما في أُمُوره لم يكمل في العلم

والأدبِ والحكمةِ والعمل الصالح، وكما أنَّ النار تذيبُ الصامت بخاصةٍ وتمكنُ من العمل فيه[1]، وكذا العقل يخلِّصُ الأمورَ ويُفضِّلها، ومن لم يكن له هذان النحوانِ من العقل فيه موضعٌ فإنَّ خيرَ أموره قصر العمر.

وقال: إنَّ بهرام واقع الزُّهرةَ فتولدت منهما طبيعةُ هذا العالم.

وقال: الزُّهرة علَّةُ التوحُّدِ والاجتماع، وبهرامُ علَّةُ التفرُّقِ، والتوحُّدِ ضد التفرُّقِ، وكذلك[2] صارت الطبيعةُ ضداً يركبُ وينقصُ ويُوحِّدُ ويُفَرِّقُ؛ هذه مقطَّعاتُ شعره ارفع عن عمرك ما يحزنك؛ إنَّ أمور العالم[3] تعلِّمك؛ كلُّ ربحٍ يكونُ من ظلمٍ فهو جالبُ مضرَّة؛ كلما يمتاز في وقته يفرحُ به؛ إنْ أحسنْتَ الصبر على الأعراض كنتَ سعيداً؛ من أُحْسِنَ إليه فلم يذكر كان غير الشكورِ؛ إنَّ الزمان يبيِّنُ الحقَّ وينشرُهُ؛ من لم يهتم بمعاشه لم تحسن أخلاقه[4].

إنَّ العقل من احتمل المصائب احتمالاً شديداً فهو رجلٌ؛ إنَّ الله تعالى ينتقِمُ من الأشرارِ؛ كثيراً ما يدخلُ الضررُ على الناس، بتركهم المشورةَ؛ لا تعذِلْ أحداً قبل أن تفحصَ عن أمره؛ لا تدعِ الأشياءَ الظاهرة وتطلب ما ليس بظاهرٍ؛ إنَّ الأدب يُؤنسُ كل شيءٍ.

إهربْ من مشورةِ الرجل الشِّرِّير؛ إذا أنالتك مضرَّة فإنَّك كنت أهلها؛ قد تعلمُ مذهب الرجلِ من كلامه. الرجلُ العادلُ ليس هو الذي لا يظلم بل الذي يقوى على أنْ يظلم فلا يفعلُ. إنَّ معرفةِ الأمورِ الحسِّيةِ بشيءٍ فاضلٍ؛ لا ينالُ الناسُ شيئاً من المكروهِ بغير سببٍ. إنَّ الذي يهربُ من القتال فيرجع فيقاتلُ لرجلٍ؛ الرَّجُلُ الخيِّرُ لا يُبْغِضُ الخير أبداً. محبُّو المال ليست لهم

(1) أ: ح. ن.: وتخلصه.
(2) أ: ح. ن.: لذلك.
(3) أ: ح. ن.: العلم.
(4) أ: ح. ن.: بدا كنز خير عظيم.

حرية؛ الرجل الشَّقِيُّ يعيشُ بـالمنى؛ إنَّ القول الحسن دعـا الغضبَ؛ كلُّ من حَسُنَتْ حاله أحبَّهُ الأصدقاءُ وبالعكس تهرَّبَ الأصدقاءُ منه. الرجاءُ غالبٌ على الفراغ من الناس. إنَّ العمـرَ هو الـذي يعمُرُ صـاحبه بـالفرحِ. جميعُ الناس تدنيهم معرفتهم بأنفسهم كما يدنيهُم إليه؛ من استعملَ العدل في عمره تكونُ آخرته آخرةً صالحةً.

كن رزيناً واتخذ الأصدقاء بالرِّزانةِ. عُمر محتاجٌ إلى عمر غيره ليس بعمرٍ. إنَّ المرأةُ تُقصِّرُ عمر الرجال. إن لم يكن لك امرأةٌ عشت عمراً صالحاً. زينـةُ كلِّ امرأةٍ سكوتها. بالمرأةِ الصالحة يسلم المنزلُ. الضحك في غيـر وقته ابن عم البكـاءِ. الأرضُ تلِدُ كـل شيءٍ يستـردُّه الشيـخُ الفـاسق في غـايـة ردائـه البحث. مَنْ تزوَّجَ فانَّه سيندم. المرأةُ العادلةُ هي سلامةُ العمر. وجـودُ المرأة الخيِّرةِ ليس هو بسهلٍ. تدفن المرأة خيرٌ من أن تتـزوَّجَ بها. المـرأة مطبـوعةٌ على الإفـراط في النفقةِ. تـزوج بالمـرأةِ لا بجهـازهـا. إنَّ النـاس يتـزوَّجـون بالجهازِ لا بالنساءِ. الطبيعة لا تطلق الرئاسةَ للنساءِ. إذا أردت التزويـج فانـظر إلى الجيـرانِ والأصحاب. المـرأةُ لا تشيـرُ بشيءٍ فيـه صـلاحُ البتـةَ. الأحمقُ يضحـك وإن لم يكن شيء يضحك منـه. المرأة تتملَّقُ فتـأخـذ منـك شيئـاً. المخطىء في الشيءِ مرَّتين ليس بحكيمٍ. إذا سقطت شجرةٌ احتـطب كل من أراد. الأشرار تجزع من الحكيم. ينبغي أن تكون المحبَّةُ صادقةً لا بالكلام.

وقـال: إذا أعطيتَ صـاحب البحث قليـلاً أخـذتَ منـه كثيـراً. إذا عـدلتَ أعانك الله تعـالى. الرأيُ من الجنـان جنانٌ. إنَّ المـرأة مولاة من تـزوج بها. أطلبِ الشـرفَ والفضيلةَ واهربْ من الـذَّمِ والرذيلةِ. الانسـان أقـدرُ الحيـوان على الحيلة. إذا كـان مـذهبـك العـدل استعملت السُّنَّـةَ. إنَّ البحث عسـر الـوجودِ. إهـرب من الـرجـلِ الفـاسقِ في جميـع عمـرك. السكـوتُ يـوجبُ الإقرار. ليس شيء أرخى من الملوك وإن كان خيرهم. النِّعمةُ عينٌ تـرى كلَّ شيءٍ. الخير يكثرُ في الناس من استعمالِ التعب.

إنَّ الحكماءَ يفكرونَ في الأمورِ بالليل. إصبرْ على الحـزن والمضرَّةِ صبـراً

شديداً. انتقم من الأعداءِ نقمةً لا تضرُّكَ. كن حسن الجرأةِ ولا تكن متهوِّراً. أعِدَّ أبداً ما يُحتاج إليه لوقتِ كبرك. إن الجوع والفقر يقطعان العشق. العشق مع الشبعِ لا مع الجوع. الرَّجُلُ الخيِّرُ محبٌّ قلَّ ما يجدُ الأمانةَ في النساءِ. الرجاءُ غلب على كثيرٍ من الناس[1]. من يرى رأياً رديئاً ويفعلُ فعلاً حسناً. إذا لم تُصدق الأعداء لم تنلك مضرَّةٌ. إنَّ الله تعالى سميعٌ لدعاءِ الحقِّ. إن كانت لنا أموالٌ صارت لنا أصدقاءُ. من صاحب السكوتَ يُستهان به. عبد المنزل هو ربُّ المنزلِ وحده. من الناس من يبغِضُ المحسن إليه. إذا كنت ميتاً فلا تذهب مذهب من لا يموت. إن كنت ميتاً فاعمل عمل من يموت. الصالح من الناس حسن الظنِ عند الشدائد. وجودُ الحكمةِ لا يكون إلّا بعقلٍ. لن يكسب الإنسان الحسنةَ إلّا بالتعبِ. يحسن عيشك إن قهرت غضبك. إنَّ ذوي الألبابِ يختارون الموت على الحياةِ الرديئة. إنَّ غيرةَ الرجلِ تفسد المنزل. إذا تزوَّجت فاطلبِ المرأةَ التي تعينُكَ على الأمور. إنَّ الحياة اللذيذة لا تتهيّأ للفاجر الشره. من حاول إفساد امرأةٍ مزوجةٍ فهو خارجٌ من الحريةِ.

إن البطن إذا شبع قليلاً، وأكثر الهرب من الخلق الرَّديء، ومِنَ الريح القبيح أمَّا أن لا يتزوج أو يتزوج فيصونها الزمان على أخلاق الناس، أمَّا أن لا يلعب بالرَّدى ويحتمل ما يأتي البحثُ. السكوت أمثلُ من القول بما لا ينبغي. إنّ الحمق يجلب السوءَ على الناس. إن الطبيعةَ كونت جميع الأشياءِ بإرادةِ الرَّبِّ سبحانه. المادة آله من لا يفعل شيئاً من الشَّرِّ فهو الإلّهيُّ، يريدُ بالإلّهي الشريف كالملائكةِ الوالدين آلهةٌ كبارٌ عند من يعقل. الحسد غالبٌ على أكثر طباع النساءِ. أحسنْ على من يقدرُ على منفعتك. مساعدة الأشرار على فعلهم كُفْرٌ باللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(1) أ: ح. ن.: ومن الناس.

# 31 ـ أخبار سولون واضع شرائع أثيس

كـذا خلف سُـولـون بن اكسكـا سـطِيـدِس الحكيم كُتُبـاً كثيـرةً فيهـا علمُ الصالحاتِ ممتلئةً من المواعظِ، وهو جَدُّ أفـلاطون لأمِّـه، وكان من أهـل أثينا من مدينةِ الحكماءِ في الزمان الذي انتقـل المُلك إليها. وهـو واضع الشـرائع لهم التي نقض بها نواميس دارقون المارق، ولم ينقض النواميس التي جاءتهم من قـويليكَس، ووضع كتـاباً فيـه الأشعـارُ المنشـطةُ إلى منـاحـرة الحـروب، يحرِّضهم به على قتال الأعداء لحاجةٍ كانت إلى ذلك.

وكـان سولـونُ أحد الحكمـاءِ السبعة الـذين كانـوا في وقتٍ واحـدٍ، وهم: ثاليس وسولون وبيطاقوس وباريناندروس وجيلون وقيلاولوس وبيلُس.

وأنكر قومٌ على بيطاقوس وبـاريانـدروس، وجعلوا مكانهمـا أنسيمانيـدوس الأقريطي وأباريس الأسفوني، وقيـل إنَّهم تسعة، وأضـافوا إليهم أنـاخارسيس الذي من سقونيا وموسى الـذي من حيفا، وإنمـا حسبوا سبعـةً فأسقـطوا منهم الاثنين لما أذكُرهُ. وهو أنَّ أحداثاً وقفوا بصيَّادٍ فدفعوا إليه منقوشاً ليلقيَ شبكتَه في المـاء[1] فأصعـد طربنـوداً من ذهبٍ فاز مـع الصيـاد عليـه، ومنعهم إيّـاه، واحتـجَّ عليهم بـأنَّـه، إنمـا بـاعهم سمكـةً، ولم يبعهم طـربنـوداً من ذهبٍ، واحتجُّـوا عليه أنـه شـرط على نفسـه أن مـا يـطلع لهم بختهم، فلمـا طـالتِ المشاجرة اتفقوا على أن يأتوا إلى الله عزَّ وجلَّ، فلما أمـرهُم انقدوه، فـأوحى إليهم أن ينـطلقـوا إلى أحـد الحكمـاءِ السبعـة، ويقبلوا حكمـهُ فيـه، فـأتـوا بالطربنود بدءاً إلى ثاليس فوجَّه به إلى بيلُس الحكيم.

وأخبـرَ بأن قـال هو أحكمُ منِّي، فبعثـه بيلُس إلى الحكيم الثالث، فـأرسله الثالث إلى الرابع فلم يزل كلٌّ واحدٍ يـرسله إلى الآخر حتى جـاز على السبعة الحكماءِ، فردَّهُ السابع إلى ثاليس، فأجاب بأن يُجعـل في هيكل الله تعـالى،

(1) أ: ح. ن.: فما أصعدنّه في بختهم كان لهم، فأخذه منهم وطرح شبكته في الماء.

فجعلوه في هيكـل قولـون الذي بـداليس، فصارت سـابقةُ الـطربنـودِ للسبعـة الحكماءِ الذين مرَّ على أيديهم، فأمَّا الآخـران اللذان لم يتفقا معهم في هـذا المعنى فأفردوا بفضيلة ثاليس.

وذُكِـرَ عن سولـون أنه كـان ليِّناً، لـطيف الكلام، حتى كسـاه أهـل ابيـاس المفرج، وسار إلى مصر، ولبثَ بها حيناً، وسمع فيها من الكهنةِ حكمـاً كثيرةً جـدّاً، وتعلَّم منهم أشياءَ غـامضةً، وكـان يقول: لا يـزال المرءُ متعلِّمـاً أبداً، وتـوفِّيَ بأرض غُـزية هـارباً في ولايـة لَسِينطُواطـوس[1]، وكان أبيض، أشقـر، أزرق العينين، أقنى الأنف، مستـطيـلَ اللِّحيـةِ، خفيفَ العـارضين، خميصَ البطنِ، منحنيَ الأكتافِ، حلو المنطق، قويَّ اللسان، على ذراعه الأيمن خالٌ كبيرٌ، مات وعمره سبعٌ وثمـانون سنـةً، وكان نقش خـاتمِهِ على مـا حكاه أبـو الموفق: من ودَّك لشيءٍ زال بزواله.

## آداب سولون

قيل له: كم عمرك؟ فقال: الوقتُ الذي أنا فيه. وفي روايـةٍ أنه قـال: ليلةٌ واحدةٌ. وكان من سُننـه أن لا يباشـر أجسادُ الأحـرارِ أجساد الإمـاء مخافـة أن يكـون الأولادُ هُجناً؛ ومن سننـه: إذا فرضـوا للفارس أن يتفقـدوا وقـاره على فرسه، ويستعمل في الحرب من ثلاثين سنةً إلى ستين، ثم بعـده يستعمل في الحرس؛ وإذا أذنب الرجـل رُفع إلى السلطان فثبتت ذنـوبه في الشهـر والسنة واليوم الذي يُذنب فيه، ثم إذا رُفع عليه شيءٌ بعد ذلك نُظر في ذنوبه ومناقبه، فـإن فضلت مناقبـه على ذنوبـه خُلِّيَ عنه، فـإن نقصت عنه يقتـل. وقال: إذا أردْتَ أن تعرف الخراءَ فاعرفه فيمن يُطيعُك ويعْصيك.

وقال: ليكن صديقكَ من خالفك في الهوى وأطاعك على الرأي.

وقال: عظِّموا ولاتكم واحذروهم ليحذركم من تكون عليهم فيطيعونكم.

---

(1) أ: ح. ن.: وكان جدّاً لأفلاطون الحكيم من جهة أمِّه.

وقال: يستعملُ الكِـذْبُ عند الضـرورة كما يستعمـل الدواءُ. وسـأله رجـلٌ ليشير عليه بالزواج أم لا، فقال: أيُّهما فعلت ندمتَ.

وقال: من أرادَ أن يكون حكيماً فليعرفْ كيف الصناعةُ الفكرية حتى يعرف صواب طريق الفكرة ومذهب سلوكها إلى علم الأمور، فـإذا عُرف ذلـك أبصر من أين تثبت الأمورُ ومن أين لا تثبت فإذا وصل إلى هذه المـرتبة حصلت لـه صناعة[1] الصناعات العلمية حتى يستجمع عنده الأوائل ويعرفها، ثم هو يقوى بالفكرةِ، ويستنبط بما ظهر ما خفيَ، وعنده صوابُ طريقـة السلوك بالتفكيـر، فغـاية الحكيم معـرفةُ صنـاعةِ الصنـاعـات كمـا ذكـرنـا، وينبغي للنـاظـر في الصناعات التي تقدَّمتِ الحكماءُ في نظمها ورسمها أن يكونَ نظره فيها بحذقِ طـريقـة القيـاس المصيب، لا بمعـرفـة تلك الأشيـاءِ لأنفسهـا فـاعـرف هـذه الطريقة.

وقال: العالِمُ مصنوعٌ على أن يمُدَّ بعضُه بعضاً ويستمـدُّ بعضه من بعضٍ، والغايةُ المطلوبة في ذلك البقاءُ الدائم.

وقـال: ليس بين الخـالق والمخلوقِ فصـلٌ بـالـزمـان إنمــا هـو في العلَّةِ والمعلول، وعلَّةُ سبب الموتِ في العالم بقاءُ الكلِّ.

وقال: كلُّ علمٍ آمَنَـك من خوفٍ مكـروهٍ فهو كنـزٌ من الكنوز. وقـال: كلُّ صانعٍ ينفي عن نفسه بالعلل العقليـة فهو المستحقُّ لنسبـة تلك الصناعـة إليه ولكل صناعةٍ صانعٌ فيلسوف.

وقال: في العواقب يُستفاد علم التجارب.

وقال: من صنع خيراً فلْيَتَجَنَّبْ خلافه وإلاّ دُعيَ شرِّيراً.

وقال: فعل الجـاهل في خـطابه أن يَـذُمَّ[2] نفسه، وفعـل الأديبِ أن لا يذُمَّ نفسه ولا غيره.

---

(1) أ: ح. ن.: فهو في علمه بصواب طريقته الفكرية يحتاج في النظر في أوائل الصناعات.

(2) أ: ح. ن.: غيره وفعل طالب الأدب أن يذم.

وسُئِلَ: أيُّما أحمد في الصبي: الحياءُ أم الخوف؟ فقال: الحياءُ لأنّ الحياء يدلُّ على عقلٍ والخوفُ يدلُّ على لومٍ.

وقال لابنه: إذا أردْتَ أمراً فلا يجمع به هواك، واستشر فإنَّ الرأي يصدق والمشورة ترشد.

وسُئِلَ: ما أصعبُ الأشياءِ على الإنسان؟ فقال أن يعرف نفسه ويكتم سرَّهُ، وفي نسخةٍ أخرى أن يعرف عيب نفسه وأن يُمسك عمَّا لا ينبغي له أن يتكلَّم به. وكان له نواميسُ حسنةٌ وسننٌ شريفةٌ، منها أن الحكيمَ لا يشرب إلّا دونَ السكر، وإذا مات الملك لا يخرج في السوقِ، ويُترك ثلاثة أيامٍ، وإذا تولّى الملك كذلك إلّا أنهم يشتغلون باللذات فرحاً به.

وقال: أصعب الأشياء أن تعرف نفسك، وتكتم سرَّك، وتمسك عمَّا لا ينبغي أن يُتكلَّم فيه، وطالب ثأر الدنيا جاهلٌ، لأنه لانهاية له.

وقال: الذي هو أحدُّ من السيف لسانُ الرجل الفصيح.

وقال: أنفع الأمورِ وأقرُّها لأعينهم القناعة والرضى، وأشقُّها عليهم وأمضُّها الشدَّة والسخط، فإن أفضل ما يصيبه الإنسانُ السرور الذي هو ثمرةُ كلِّ فائدةٍ تصل إليه، وإنما يكون نيلُ السرور[1] بالقناعةِ والسخط ولا السرور والحزن.

وقال: أحسنُ ما عوشر به الملوك البشاشةُ وتخفيفُ المونةِ وقلَّةُ الخلاف.

وقال: المالك للشيء هو المسلَّطُ عليه، فمن أراد أن يكون حُرّاً فلا يهوى ما ليس له وليهرب منه وإلّا صار له عبداً.

وقال: لا يضبطنَّ الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة.

وقال لبعض تلامذته: دعِ المزاح فإنَّه لُقاح الضغائن.

وقال: ليس فضائل الرجلِ ما ادَّعاها لنفسه لكن ما نسبها الناس إليه من أفعاله التي تظهر لهم منه.

---

(1) أ: ح. ن.: والخير والرضا وكان الحزن بالشرّ والسخط ولا تجتمع القناعة.

وسُئِلَ عن الجواد فقال: من جادَ بماله وصان نفسه عن مال غيره.

وقال: ليس بِحُرٍّ الغافلُ عن صديقه لأنَّه إن كان فاضلاً فاتتهُ صحبته وإن كان سفيهاً حمى جانبه من السفهاءِ وارتاضَ باحتماله.

وسُئِلَ لم لا تذكر في سُنَّتِكَ عقوبة من قتل أباهُ؟ فقال لم أظنَّ هذا شيئاً يكون.

وسُئِلَ كيف تُتَّخذ الأصدقاءُ؟ فقال: أن يكرموا إذا حضروا ويحسن ذكرهم إذا غابوا.

وقال: النفس الفاضلةُ ترتفع عن الحزن والفرح لأنَّ الفرح إنَّما يعرض إذا نظرت إلى محاسنِ شيءٍ دون مساوئه، والحزنُ بأن ترى مساوىء شيءٍ دون محاسنهِ، والنفس الفاضلةُ تتأمَّلُ كليِّة الشيءِ فتتساوى فضائلُه ورذائلُهُ في هذا العالم، فلا تغلب عليها إحدى هاتين الحالتين.

وقال: الذي يطلب شيئاً ليس له نهايةٌ جاهلٌ، والله تبارك وتعالى ليس له نهاية؛ وأُصيب بابنه فجعل يبكي، فقال له رجلٌ: وما ينفعُ البكاءُ؟ فقال: فمن هذا أبكي. وكان لا يستحلُّ أن يدَّخر أكثر من قوتِ يومٍ واحدٍ.

وقيل له: إن الملك يُبغضك، فقال: وأيُّ ملكٍ يحبُّ ملكاً هو أغنى منه.

## 32 ـ أخبار زينون الأكبر

ابن طالو طاغُورس، وكان من أهل الفاطيس، وتمييز كلام الأصغر عن كلام الأكبر متعذِّر، وكان له من التلاميذ أسادرقلس بن قوما سدووس بن كباطيس، وكان أنباذوقلس مُتوليّاً لدرس زينون بعده، وكان[1] زينون مدَّعي رأي السبعة الذين يسمُّون ماعاريقي، وكان زينون كامل الأدب، شديدَ الحماية، وخلَّف كتاباً واحداً في علم الطبيعة، وكان عارضَ مارماندس في

(1) أ: ح. ن.: بعده وكان.

كـلامه وقـوله مـوافقاً لـرأي زينـون وغـرضِـهِ، وكـان مـذهبهمـا مـذهب نـوع الغوامض، وكان لاوفينوس[1] السُّوفسطائي تلميذاً لزينون الحكيم، واجتمع هو وبـرلعليمـطس المـظلم وأنبـاذوقلُس وثـاليس وفـرغـورس[2] وسقـراطيس وذي مقـراطيس على عهد زينـون الحكيم، وكان في عهـده ديـاغـورليس المـارق، وكـان مقيماً بمـدينة أطيقي، فلمـا تمادى في النفـاق والكفر والتعـطيـل طلبـه السلطان والحكمـاءُ ورؤسـاءُ أطيقي ليقتلوه، وبـذل السلطانُ وهـو يضـاربُ الأركـون، وأمر فنـوديَ في الناس؛ مَن قـدر على دُيوغـورليس ليس الذي من سيلون فقتله فجائزتـه بدرَةٌ، فبلغـهُ ذلك، فـرحل إلى أرض أحيـانا إلى مـدينةٍ اسمها بالين فسكنها.

وحدثت حروب بين أهل أطيقي وأهل الأموسا، وطالت، فاشتغلوا بالحرب عنه، تُوفِّي بعد ذلك أربعاً وخمسين سنة.

وأُصيب له بعد موته كتابٌ مكتوبٌ بلغـة أهل أفـريقيا مملوءاً مبـاحث[3] في الأمور الإلّهية، وكان زينون شديد العصبية عظيم الأنفة لأهل خاصته، وكان له أصدقاء وأُخوان بمدينة سورْواقوسا، اعتـدى عليهم بالُـوحوش الأطيقي فـأزمع على حتفهم، فبلغ ذلك زينون، وانتهى إليه قِصَّتُهم فأنْجدهم بفرسـانٍ وبنفسه وبسلاحٍ كثير، وتوجَّه إليهم وهم غافلون، فبلغ خبره إلى بـالُوحُـوشَ، فجمع جنده، وسار إلى محشوده، فهجم عليه حتى أخذه، فأمر به أن يعـذب عذاب من خـالف السلطان، فأبـدى من نفسه الشجـاعة والصبـر، وجعل بـالوحـوش يتهدَّده ويتواعده بأشدِّ إن هو لم يُطعهُ وطاع أصحابه، فقال له: اعلم يا هـذا، أنـه لا طاعـة لشيءٍ من المكـاره أن يضـطرني إلى العمـل بشيءٍ من القبـائـح وأصبرُ وأتجلَّدُ ولا ينل[4] بأصحابي، ونقول عنهم ما يُجْـدِيهِ السبيـلُ إلى قتلهم

(1) أ: ح. ن.: لارفسوس.
(2) أ: ح. ن.: وطوبرقليطس.
(3) أ: ح. ن.: مفاحش.
(4) أ: ح. ن.: أحد من أخواني بسوء إنما أراد بالوحوش أن يستطرد ليعجّل بأصحابه.

لأنَّ أهل سورواقوسا لما هاجوا على بالوحوش وقوَّاهم زينون بالرجال والسلاح طلبه وأخذه لأنَّه توهَّم عليـه طلب الرئـاسة، فلمَّـا ألحَّ عليـه عضَّ زينون على لسانه فقطعه ومضغه ورمى به إلى بـالوحـوش مؤنساً لـه ممَّا سـأله من النقـول على أصحـابه، فبسط العـذاب عليه إلى أن مـات، ولم يُقـرَّ بـأنَّ أحـداً كـان شـريكاً لـه ولا معيناً لـه على إعطاء السـلاح، وطلب الحرب، وقـال مرتجـزاً بشعره وهو يُعذَّبُ: ما أحوج الفضيلة في أمورٍ كثيرةٍ إلى معونة سعادة البحث.

وكان زينون رجلاً معتدل القامة، أخنسَ الأنفِ، حسنَ الصورةِ، على خدِّهِ خالٌ، أدعج العينين، عظيم الهامة، معتدل اللحيـة، سريـع الالتفاتِ، رافعـاً رأسـه إلى السماءِ، كثيـر الكلام، ذا أدبٍ كثيـرٍ، حلو النـطق، رزين العقـل، بـطيء الحركـة، إذا مشى لا يُلحقُ[1] يوجـد بيده عصـا تُثنى كصورة المقصِّ، مفصصٌ بعاجٍ وزمردٍ، مات وله ثمانٍ وسبعون سنة.

## آداب زينون

ما ترك قول أرسطو لنا سبيلاً إلى منتفعٍ به هنـا، ولا تنعَّم بلذَّةٍ، ولا يرغبُ في بقائه ما فصل جوابه على الموتِ على حرابنـا وإن كنا لـه غيرَ حـذرين إلاّ كفصـل ما أصـل من نفسه ونفسنـا عنهـا من قـربـانهـا من الحـرص والشهـوة والغضب كما بقي حدث لنا من الجرأة على الموت حدث له.

وقال: الموت راحةٌ، ونظر إلى إنسانٍ قد صرفَ همَّته إلى صنعته فقال له: إن لم تهلك الصنعة أهلكت عنه.

وحُكي عنه أنَّه قـال لتلاميـذه: إن ذهب منكم شيءٌ فلا تقـولوا ذهب منّـا، ولكن قولوا رددناه، لأنه لـو كان لكم لكنتم مـالكيه منـذ كنتم بل متِّعـوا به إذا كان عندكم، والإنسان الساكن في الدار إذا نزل فيها فهي له بيت، وإذا خرج منها فهو غريب منها.

---

(1) أ: ح. ن.: بسرعته.

وقال لتلميذ له: أكثر من الإخوان فإنهم شفاءٌ للنفوس.

وقيل له: ما النوم؟ قال: راحةٌ من التعب وملائمٌ للموت.

وقال: لا ينبغي للرجل أن يتزوَّجَ إمرأةً حسنةً، فإنّه يكثر عُشاقها وتزهو على زوجها.

وقال: النوم موت قصيرٌ والموت نومٌ طويلٌ.

وقال له بعض الملوك: عِظني، فتناول شربةَ ماءٍ وقال: لو مُنِعَتْ هذه، وعظُمَ عطشُكَ، بماذا كنت تشتري فقال بنصفِ[1] مُلكي. قال فما الفخر في مُلْكٍ لا يساوي شربةَ ماءٍ.

وقال محبَّةُ المال بدءُ الشرور، وذلك أنَّ سائر الشَّر معلَّقٌ بمحبَّةِ المال.

وجاءَهُ رجلٌ فأعلمه أنَّ ابنهُ قد توفي ولم يكن له ابنٌ غيره. فقال: لَمْ تذهبُ عليَّ إنَّما أنا ولدتُ ولداً ميتاً لا غير ميتٍ.

وقال: لا تَخفْ موت البدن ولكن خف موت النفس. فقيل له: لِمَ قلت ذلك والنفس لا تموتُ. فقال: إذا انتقلتِ النفس الناطقةُ من حدِّ النطق إلى الحدِّ البهميِّ، وإن كان جوهراً لا يبطل فإنَّها قد ماتت من العيش العقليِّ.

ورأى فتىً على شاطىء النهر مهموماً محزوناً على الدنيا، فقال له: لو كنت في غاية الغنى، وأنت راكبٌ في البحر وسط اللجَّةِ، وقد أشرفت أنت ومالك على الغرق، هل كانت غايتُكَ إلّا النجاة بنفسك؟ فقال له الفتى: نعم، قال: وكذلك لو كنت ملكاً، وقد أحاط بك عدوٌ، ومن يريدُ قتلك، هل كانت غايتك إلّا النجاةُ؟ قال: نعم، قال زينون: فأنت الملكُ وأنت الذي نجوتَ من البحرِ، فاقنعْ بما أنت عليه وتعزَّ. قال: فتعزى ذلك الفتى بما سمع من قوله ووعظه[1].

---

(1) أ: ح. ن.: قال لو شربتها وعسر خروجها بماذا كنت تشتري فقال بنصف ملكي.

# 33 ـ أخبار الإسكندر ذي القرنين

هـو ابنُ فيلبس الملك ابن افطس الملك، وكـان ملك فيلبس سبع سنين، وكان سبب قتله أنَّ رجلاً من عـظماءِ أصحـابه يُقـالُ له فلوس عشق امـرأته أم الإسكنـدر فراسلهـا واستمالهـا فامتنعت عليـه فعمل على أن يقتُـل فيلبس(٢)، فأرسل فيلبس عسكراً مع رجلٍ من أصحابه لمحاربةِ سريطيون بن فيلاطوس، لأنّه كان قد عصاه وبعث عسكراً آخر مع ابنه الاسكندر إلى مدينـة سفراقـوس لمحاربةِ أهلها لعصيانهم أيضاً فلما رأى قلوس تفـرُّق عسكر فيلبس عنـه طمع فيه وأزمع على قتله، فجمـع من وافقه على غـرضه من الـرجال، ووثب على فيلبس، فضـربه ضـربات كثيـرةً بالسَّيف، ومنعـه النـاس عنـه، فسقط فيلبس وقيِّد، وهاج أهل البلد وجيشه وافتتن البلد.

ووصل الاسكندر في ذلك الوقت، فسمـع الجلبة، فسـأل عن حال النـاس فأخبره بحال أبيه، فدخل مسرعاً، فوجد أبـاه مشرفـاً على التَّلف، ووجد أمَّـه أسيـرةً في قيد قُلوس، فهمَّ أن يضـربه بسيفـه، وخشيَ على أمِّه لتشبُّثـه بهـا، فقـالت له: لله تعـالى اقتله ولا تتوقف بسببي، فضربه الاسكنـدر بسيفـه حتى قـارب التَّلف، ثم تركـه صريعـاً، ومضى إلى أبيه وبـه رمقٌ، فقال لـه قمْ أيُّها الملك، فخـذِ السيف واقتل عـدوَّكَ، وخذ ثـأرك بيـدك، فقـام فيلبس، فقتـل قلوس، ثم مات فدفنه الاسكندر وملِكَ بعده.

وكـان فيلبس يؤدِّي إلى دارا بن داراب ملك الفـرس من البيض المعمــول بالذهب في كلِّ سنةٍ عدداً معلوماً، ووزناً مقدَّراً إتاوةً يحملها إليه ويستكفُّ بها أذاه، وكان قد أسلم ابنه الاسكندر إلى ارسطاطاليس، ووصاه بتعليمه وتأديبه، فعلَّمهُ وثقَّفهُ[1] فكان غلاماً له همَّةٌ وذكاءٌ وعقلٌ ونفسٌ شريفة.

فلما حضرت فيلبس الوفاةُ أحضر ابنه الإسكندر، وجدَّد لـه البيعة، وتقـدَّم

(1) أ: ح. ن.: وأدَّبه.

بعقد الاكليل على رأسه، وأجلسه مجلس الملك، ودخل عليه القوَّادُ والجنود، فسلَّموا عليه سلام الملوك، ثم دعا أرسطاطاليس وسأله أن يعهد إلى ابنه عهداً بحضرته داعياً له إلى مصلحته، وعزَّ للملك عن فراق الدنيا، فأجابه إلى ذلك وكتب له العهد الذي أوَّله: ليس الآمرُ بالخير بأسعدَ من المطيع ولا المتعلم بأسعدَ من المعلِّم، وهو عهد موجودٌ في أيدي الناس، واشتدت عليه، ثم قضى نحبه.

فقام الاسكندر في الناس، فقال أيها الناس إنَّ ملككم قد مات وليس لي عليكم ولايةٌ ولا إمارة، وإنَّما أنا رجلٌ منكم أرضى بما رضيتم، أدخل فيما دخلتم، لا أخالفكم في شيء من أموركم، فقد عرفتم ذلك منِّي في حياة والدي وإني آمركم بتقوى الله عزَّ وجلَّ والتمسُّكِ بالطاعة ولزوم الجماعة[1]، فملكُكُمْ أطوعكم لربِّه تعالى، وأرفقكُمْ بالعامة، وأعناكم بأموركم، فقد عرفتم ذلك مني، وأرحمكم لمساكينكم، ويبذلُ نفسه في صلاحكم، ولا تشغله الشهواتُ عنكم، وتأمنون شرَّه وترجون خيره، ويباشرُ قتال عدوِّكم؛ وهي خطبة طويلة.

ولما سمعوا قوله تعجَّبوا منه ومن رأيه ونظره فيما تنظر فيه الملوكُ قبله، فقالوا له: قد سمعنا قولك، وقبلنا مشورتك ونصحك لعامَّتنا، وقد ولَّيناك أمرنا، فعش الدهر علينا ملكاً مسلَّطاً، لا نرى أحداً من أهل الدنيا أحقَّ بالملك منك.

ثم قاموا إليه فبايعوه ووضعوا التاج على رأسه، ودعوا له بالبركة، فقال لهم الاسكندر: قد سمعت ثناءكم عليَّ وسروركم بتمليككم إيَّاي عليكم، وأنا أسأل الذي وهبنا منكم المحبَّة وأثبت في قلوبكم[1].

ثم كتب إلى عمَّال مملكته وصاحب كل ناحية: من ذي القرنين

(1) أ: ح. ن.: طاعتي أن يلهمني العمل بطاعته ولا تشغلني بشيء من شهوات الدنيا وزينتها عن صلاحكم.

الماقدوني، إلى فلانٍ بن فلانٍ: الله تعـالى ربِّي وربُّكُمْ، وخالقي وخـالقكم، وخـالق ما نـرى من السموات والأرض والنجـوم والجبال والبحـار، وقذف في قلبي معرفته، وأسكنه خشيته، وألهمني حكمته، ودلَّني على عبادته، واستحقَّ ذلك عندي بما أبتدىء به وتصييره إياي من البشر الذين يتخيَّرُ منهم النجبـاءَ، ويصـطفي منهم الأصفياء، فله الحمـد على ما تقـدَّم إليَّ من إحسانـه وحسن صنعه، وإليه أرغب في تمامه.

وقد علمتُم ما كان عليه آباؤنا وآباؤكم من عبادة الأوثان دون الله عزَّ وجـلَّ، وإنَّها لا تنفع ولا تضرُّ ولا تسمع، ولا تبصر، وإنه ينبغي لمن عـرف وعقل أن يستحيي لنفسه من عبادة وثنٍ أو صـورةٍ يتَّخذهـا، فانتهـوا وارجعوا إلى معـرفة ربِّكم تعالى، واعبدوه ووحِّدوه فإنَّه أولى وأحقُّ بذلك من هذه الحجارة.

وهي خطبةٌ طـويلةٌ، وكتب إلى جنده يعـرِّفهم بسيرتـه ومقصده، وينهضهـم إلى قتال عدوِّهم، وإلى الدعاء إلى التوحيد والعدل، فمن خالفه وخالفهم في ذلك حاربوه.

ونفذت كتبُهُ إليهم، فتحرَّكَ أهلُ مملكته فاجتمعوا إليه مستعـدِّين فأمـر لهم بالأرزاق، ورتَّب الرجال، فرأوا من جـزالة رأيـه وسموِّ همَّتـه وسماحـة نفسه، وتركه الاختصاص بالأموال دونهم شيئاً لم يـروْهُ من غيره مـع تواضعـه وحسن خلقه وقربه من المساكين والضعفاءِ، ورحمته لهم، وشدَّة غضبه في بـاب الله تعالى، وعظيم هيبته، فتقرَّر في نفوس الناس أن سيكون منه أمرٌ عظيمٌ، فلمـا ملك وقوي واستقامت له الأمور، بعث إليه دارا يُطالبـه بأداءِ مـا جرى الـرسمُ بأدائه من الإتاوة.

فكتب إليه الاسكندر إنِّي قد ذبحت تلك الدجـاجة التي كـانت تبيض ذلك البيض، وكان اليونانيون في الحين الذي ملك فيه الإسكنـدر طوائف كثيـرة لا يجمعهم ملكٌ واحدٌ، فجعل الإسكندرُ يعرِّف ملوك قـومه حتى جمعهم وملك عليهم، وهو أوَّلُ من جمع اليـونانيين على ملكٍ واحـدٍ، ثم نازعتـه نفسه إلى

غـزو ملوك المغرب جميعـاً، فغزاهم وظفـر بهم، وملك المغرب بـأسره[1] ثم سار إلى الشام، وسار منها إلى أرمينية.

وبلغ دارا خبرُهُ، وكتب إليه: من دارا الملك إلى أهـلِ طبرس، أمَّـا بعدُ، فقد بلغني خروج هذا اللص المارِدِ في من جمع من اللصوص بين أظهُركم، فخـذوا أصحابـه، فاقـذفـوا بـأسلحتهم ودوابهم في البحـر وأتـوا إليَّ بـاللِّصِّ رئيسهم، فإن ذلك يعجزكم لجلدكم وحزمكم وكيدكم، وإنما هذا غلامٌ روميٌّ حقيرٌ، فما عذركم عندي إن أخَّرتم ذلك؟

ثم إن ذا القـرنين خـرج حتى نـزل[2] نهـر أسـطوخـوس، فبلغ ذلـك دارا، فكتب إليه: من دارا ملك الملوك، ملك الدنيـا الذي يضيء مـع الشمس إلى ذي القــرنين اللص، أمـا بعــد، فقــد علمت أن ملك السمــاءِ جعلني ملك الأرض، وأعـطاني الرفعـة والتصرف والعـزَّ والكثرةَ والقـوة، وقـد بلغني أنـك جمعت لصوصاً، وأخذت نهر اسـطوخوس لتفسـدَ في أرضي، وعقدت التـاج وملَّكْتَ نفسك، وهذا لعمري من سفه الروم معروف، فارجع إذا نظرت[3] إلى كتـابي هذا غيـر مُؤاخذٍ بسفهـك، فإنَّـكَ غلامٌ حقيـرٌ ليس مثلي جازاك، وابقَ على نفسـك وبلادك، وإلاّ فلست أوَّل مشؤومٍ على بـلاده، وقد بعثتُ إليـك تابوتاً مملوءاً ذهباً لتعلـم كيف كثـرته عنـدنا، وقـوَّتُنا بـه على من نريـد، ولـكن لتعلم أنـك عندي عـدلها وعـدل سمسم، لتعلم أن عندي عُـدَدٌ كثيرةٌ[4] وقـوة لأنك صبيٌّ.

ووجَّـه بـالكتـاب مـع رسله، فلمَّـا وقف عليـه الاسكنـدرُ أمـر بهم فكُتِّفـوا وجُـرِّدوا، ودعا بـالسيفِ كأنّـه يريـد قتلهم، فقالـوا: يـا سيـدنـا من رأيـتَ من

---

(1) ثمَّ سار إلى مصر وبنى الإسكندرية في السنة السابعة من ملكه على البحر الأخضر وسمَّـاها باسمه.

(2) حرج نزل حتى: «كذا» في «أ»، والصواب: ما أثبتناه.

(3) أ: ح. ن.: الروم.

(4) عُدَدٌ كثيراً: «كذا» في «أ» والصواب: عُدَداً كثيرةً.

الملوكِ قتل الرُّسلَ، هذا لم يفعله أحدٌ قبلك، فقال لهم الإسكندرُ: إن صاحبكم يزعم أنّي لصٌّ، ولستُ ملكاً، وأنا أفعل بكم فعل اللصوص، فلا تلوموني ولوموا صاحبكم الذي عرضكم لي وأنا لصٌّ، فقالوا له: يا سيِّدنا إنَّ صاحبنا لم يعرفك، ونحن قد رأيناك، وعرفنا ما أنت عليه في نفسك وفضلك وكرمك، فاردُد علينا نفوسنا، وامننْ علينا، فإنَّا نخبرُ دارا بما رأيْنا، ونكون من شهودك، فقال: أما إذا[1] فإنّي قريب عند الخضوع بعيدٌ عند التعزُّز، فحلَّ وثاقهم ودعا لهم بالطعام فأكلوا.

وكتب إلى دارا: من ذي القرنين بن فيلبس الملك إلى الذي يزعُمُ أنه ملك الملوك، وأن جنود السماءِ هائنةٌ، وأنه إلّهٌ وضوءُ الدنيا، دارا بن دارا، أمَّا بعد، فكيف يحسن ممَّن كان يضيء لأهل الدنيا كإضاءةِ الشمس أن يهابَ إنساناً حقيراً ضعيفاً عبداً مثل ذي القرنين، فلا تظنَّكَ يا هذا إلّهاً، ولكنك إنسانٌ مُشرَفٌ أملى لك فطغيتَ، ولا ترى أن الله تعالى يُولي الملك والغلبةَ من يشاءُ، وإنسانٌ ضعيفٌ طاغٍ تسمَّى باسم الإلّه الذي لا يموت، ولكن حقَّ له أن يغضب على من تسمَّى باسمه وتسلَّطَ على عبده، وكيف يكون إلّهاً من يموتُ ويبلى ويذهبُ سلطانه، وينزل دُنياه لغيره، ولكنَّك الذي من ضعفك، وأنَّك لا تطيقُ مناولةَ ذي القوَّة والبأسِ والنجدةِ، وأنا سائرٌ إليك لقتالك ولأفيك بمثل من يلقى به الملك الذي كُتب عليه الموت، لأني إنسانُ الموتُ في عنقي، وأجلي آتٍ، ولا أرجو النصر إلّا من إلّهي الذي خلقني، عليه توكَّلْتُ وإيَّاه أعبُدُ بكثرة ما أوتيت من الذَّهبِ يظهرني عليك، فقد أعلمتني في كتابك بكثرة ما أُوتيت من الذهب والفضةِ والكنوز ما بنا إليه حاجة، فلا يخلفني عن طلبه حيث كان، وبعثتَ إليَّ بدرَّةٍ وكوَّةٍ[2] وتابوت ذهبٍ؛ فأمَّا الدُّرَّةُ فإنّي سَوْطٌ بعثني الله عليكم لأُذيقكم بأسهُ، وأكونَ لكم ملكاً ومؤدِّباً وإماماً؛ وأمَّا الكثرةُ فإنّي أرجو أن يجمع الله لي ملك الأرض باجتماع الكثرة

(1) أ: ح. ن.: خضعتم وسألتم فإني مجيبكم ومشفقكم لتعلموا عطفي ورحمتي.
(2) أ: ح. ن.: كثرة.

في يدي؛ وأمَّا التابوتُ فإنَّه طائرٌ عجيبٌ ورسوخٌ في نصرِ الله إيَّـاي عليك لأنَّ التـابوت خـزانةٌ من خـزانتك مملوءَةٌ ذهبـاً، فهذه عـلامـةُ تحـوُّلِ خـزانـةٍ من خزائنك إليَّ، وأمَّا السمسم فعددٌ كثيـرٌ، ولكنه ليِّن المجسَّـة، مأكـولٌ، ليست فيه كراهةٌ ولا زكاية، وقد بعثتُ إليك من خردلٍ بقفيزٍ فذُقْ طعمـه واعلم أنَّك علوتَ في نفسك، وسطوت في سلطانك، فظننت أنَّك أرعبتنا بمـا ذكرت من غِرَّتك، وأرجو أن يُضعفك اللهُ تعـالى[1] وأن يظهـرني بثقتي به، وتـوكُّلي عليه والسلام.

وختم كتابه، ودفعه إلى الرُّسل، وأمر لهم بالذهب الذي كان دارا بعث بـه إليه.

فقدم عليه رسُلُهُ؛ وقد واقع ذو القرنين خليفه دارا بأذربيجان فهزمه، فقـدم على دارا مهزوماً، وأمر الإسكندر بقتلى فارس فدفنها.

ثم ارتحـل إلى الجبل فـافتتـح بـه مـدائن كثيـرةً، وفـرض لبعض أهلهـا، فاتَّبعوه، وارتحل إلى جبل طواس، ثم إلى مدينة فيلا ثم إلى مدينة قوم ايليون ثم مضى إلى ماقدونيا، وكان رجـوعه لأجـل وجعِ أمِّـه، فوجـدها قـد برأت، فسكنت نفسه لذلك، وارتحل إلى يَدَلا فغلقوا الأبواب، فأمر بإحراقها بـالنار، فنـادوه: ياذا القـرنين، إنّـا لم نغلقهـا لقتـالـك، ولكن خفنـا أن يبلغ دارا أنـا فتحناها لك فيها فيهلكنا، فقال لهـم: افتحوها فإني غيرُ داخلهـا حتى ينصرني الله عزَّ وجلَّ على دارا فلا تخافوا، فقد علمتم وفـائي بعهدي وصنعي إلى من دخل في طاعتي، ففتحوا له الأبواب، وأخرجـوا الطعـام والعلوفات، وارتحـل منها إلى اسطيدوس وقطيداء، وهما على البحيرة المنتنةِ، ثم ارتحـل منها إلى فيدطُوس ثم ارتحل إلى ألنَّاس.

ثم رحل حتى أتى دارا، وكانت لهم وقعـةٌ عظيمـة التحموا فيهـا من طلوع الشمس إلى انتصاف النهار، وسالتِ الدمـاءُ سيل الأوديـة، واشتغل أصحـاب

---

(1) أ: ح. ن.: ويضعك بقدر ما رفعت من نفسك حتى يتسامع بك أهل الأرض.

دارا بالغنائم، وثبت الماقدونيين على حالهم، فلما نـظروا إلى جهاتـه ورؤساءِ أصحابه وخيار أعوانه قد بـادوا وأكثر من بقي جـريحٌ أو مشغـول بنهب تخفَّف في خاصته هارباً، واحتوى ذو القرنين على ما خلف، وأسر خلقاً كثيراً هارباً، فكان فيمن أُسِرَ ابنه[1] وابنته وامرأتُهُ، وسار دارا هارباً حتى وقع على نهـرٍ كبيرٍ قـد صار أعـلاه جليداً، فعبـر عليه واتبعـه أصحابـه، فانخسف بهم الجليـدُ، فغـرق أكثرهم، وسلم دارا، ومضى حتى دخـل بيت الهند عـائذاً بهـا من ذي القرنين، ثم دبَّر رأيَهُ وأمره، فقـال: ما هي أقـربُ إلى النجاة من الـدخول في أمان الإسكندر، فإنَّه كريم المقدرة، وافي العهـد، فكتب إليه كتـاباً يستعـطفه ويتذلَّلُ له ويسألـه ان يرحمـه، ويبعث إليه بـابنه وابنتـه وصاحبتـه، ووعده أن يعطيه مافي كنوز فارس وخزائن آبائه، فلما قرأ الاسكندر كتابه نهض بأصحابه نحوه، وبلغ دارا اقبال الاسكنـدر إليه، فخـرج هاربـاً فيمن بقي من أصحابـه إلى ملك الهند[2]، ولحقه الإسكندر.

فلمَّا تراءى الجمعـان والتقوا وثب بـدارا صاحبـاه ووزيراهُ ليقتـلاه ليُحصِّلا بذلك الحرمةَ عند الإسكندر، فعاتبهما دارا، وذكّرهما جميلهُ وإحسانه إليهما، وأن لا يسفكا دمه لغيرهما، فـإن ذا القرنين ملكٌ، وإن تقـرَّبتما إليـه بقتلي لم تسلما لأنَّ الملوك تأخذُ بثأر الملوك، فضرباه بسيفيهمـا حتى وقع عن فـرسه، وأدركه ذو القرنين قبـل أن يقضي فنزل عليـه ووضع رأسـه في حجره، ونفض التراب عن وجهه، ووضع يده على صدره، ثم قال وعيناه تدمعـان: يادارا قُمْ من مصـرعك وكن ملكـاً على أرضـك، وإلَهي يـا ملك لأُمكِّننَّـكَ ولأُملِّكَنَّـكَ ولأَرُدَّنَّ عليك ما أخذتُ منك، ولأعيننَّـكَ على عدوِّكَ، وإنِّي لنـادمٌ منك لأني طعمتُ من طعـامك أيـامَ حياتـك، كأنّي رسـولٌ، فقُمْ غير مؤاخـذٍ منـك بمـا سلف، ولا تجزع عند حلول البلاءِ من غيرهم فـإنَّ أهل النعمـة والبلاءِ أصبـرُ على البلاءِ من غيرهم، وأعلمني من فعل هذا بـك لأنتقم لك منـه، فقال دارا

---

(1) أ: ح. ن.: وأمّه.

(2) أ: ح. ن.: فور.

وعيناه تدمعان، وقد وضع يد ذي القرنين على وجهه وهو يقبّلها[1]: ياذا القرنين لا تتكبَّر ولا تتجبَّرْ ولا ترفعنَّ نفسك فوق قدرتك، ولا تركَنَنَّ إلى الدنيا، فقد رأيتَ ما أصابني، ولك فيَّ عِبْرَةٌ أنت مكتفٍ بها، فاحذر مصرعي، وتوقَّ ما صيَّرني إليه المقدارُ، واحفظني في أمِّي فصيِّرْها أُمَّك في المنزلةِ، وامرأتي فصيِّرْها بمنزلةِ أختك، وقد زوَّجْتُكَ ابنتي رُوشَنَك، ثم وضع يده على فيه فمات، فأمر الإسكندر بدارا فغُسِلَ بالمسك والعنبر وكُفِّنَ بالثياب المنسوجةِ بالذَّهب.

ونادى المنادي في الروم والفرس، فاجتمعوا مشتملين بالسلاح، فكتبهم كتائب، وصفَّهم صفوفاً، ثم أَمَرَ بعشرة ألف رجُلٍ متسلِّحة أن يمشوا أمام سريره، قد استلوا سيوفهم، وعشرة ألفٍ خلفه[2] عن شماله، ومشى ذو القرنين في مقدِّمِ سريره، ومعه عظماءُ الروم وفارس وساداتها، وسارتِ الكتائب والصفوف، ومشتِ الرجال على مراتبها، حتى انتهوا إلى حضرته، فجلس الإسكندرُ عندها، وأمر بدفنه فدفنوه، وأمر بالقبض على قاتلي دارا فأُخذا وصُلبا عند قبره، فلما رأى ذلك رجالُ الفرس ازدادوا له محبَّةً، فأمر جنوده أجمعين أن يمرّوا بين المصلوبين رجلاً رجلاً، ثم بعث إلى روشنك أعلمها ما كان من وصيَّة أبيها ومسألته له أن يتزوَّجها، وعرض عليها ذلك، فأجابته، فأمر لها بمالٍ فجُهِّزَتْ وحُمِلَتْ إليه، ثم خلف على فارس أخا دارا وصيَّرَهُ مكان أخيه، وملك على مملكة فارس تسعين ملكاً، وهم ملوكُ الطوائف.

وأحرق كُتُبَ دين المجوسية، وعمد إلى كتب النجوم والطِّبِّ والفلسفة، فنقلها إلى اللسان اليوناني، وأنفذ إلى بلاده، وأحرق أصولها، وهدم بيوت النيران، وبنى مدينةً بالمشرق، ونقل إليها الناس من البلدان بأهاليهم

---

(1) أ: ح. ن.: ويقول.
(2) أ: ح. ن.: كذلك وعشرة آلاف من يمينه وعشرة آلاف عن شماله.

فـأسكنهم إيَّاهـا، وسمَّاهـا مرجـالوس، وهي مـدينة مـرو، وبنى مدُنـاً كثيراً. ووصل إلى الاسكندر في مسيرهِ لمحاربة ملوك الأمم كتاب أُمِّـه روقيا فقـرأه، فإذا فيه:

من روقيا أمِّ الإسكندر الضعيف المتألِّه(1) الـذي بقوَّة البـاريء تعالى يقـوى وبقـدرته قهـر وبعـزِّتـه استعلى، يـابُنيّ، لا تـودع العجـب قلبـك فـإنَّ ذلـك مُرديك، ولا تدع للعظمةِ فيك مطمعاً فـإنَّ ذلك يضعُـك، يابُنيَّ، ذلِّـلْ نفسك واعلم أنَّك عن قليلٍ تتحوَّل عمَّا أنت عليه، يابُنَيَّ، إيّـاك والشحَّ فـإنَّه يُـزري بك، يابُنَيّ، انظر الكنوز التي جمعتهـا والأموال التي حـويتها، فعجِّـل حملها عليَّ مع رجلٍ مفردٍ على فرسٍ جوادٍ.

فلمَّـا ورد عليه كتـابُ أمِّه جمـع من كان معـه من الحكمـاءِ، فسـألهم عن معنى ما كتبت إليه، فلم يجد ذلك عندهم ولا عرفوا ما أرادت، فدعا مُكاتبهُ، وقـال: أتعلمُ في كل مـا جمعناه، فـاحصِ عدَّتـه، واكتُبْ ببلاغـةٍ، وبيِّن فيـه المواضع التي أودعنـاه ثم ختمه، وحمـل رجلاً على فـرسٍ جوادٍ، وقـال له: إمضِ بهـذا الكتاب إلى أُمِّي؛ ثم قـال: إنما سـألتني أن أبعث إليهـا بعلم مـا اجتمع عندي من المال والمواضع التي أودعته فيها.

ثم ارتحـل إلى فـور ملك الهنـد، فسـار شهـراً في أرضٍ مجهـولـةٍ وعـرةٍ وحالٍ، وكتب إليه: من ذي القرنين ملك ملوك الدنيا إلى فور صاحب الهند، أمـا بعدُ، فـإن إلّهي الله الذي لا إلّـه إلاّ هـو الـذي أيَّـدني بنصـره، وأعـزَّني بالفتح، وعلاني بالقهر للأعداء؛ ومكَّن لي في البلاد، وبعثني نقمـةً على من كفر به وجحده، فإني أدعـوك إلى إلّهي وإلّهك وخـالقي وخالقـك وخالق كـلِّ شيءٍ، وربِّ كلِّ شيءٍ أن تعبده ولا تعبد غيره، فإنَّه قد استحقَّ ذلك منـك بما قد ملَّكك بـه على أهل نـاحيتك، وفضَّلك على نـظرائك من الملوك، واقبـل نصيحتي وابعث إليَّ بالأصنام التي تعبد وأدِّ اليّ الخراج تسلم مني وإلا فـاني

(1) أ: ح. ن.: إلى ابنها الإسكندر.

أقسم بآلهي لأطأنَّ أرضك، ولأهتكنَّ حرمتك، ولأُخرِّبنَّ بلادك، ولأجعلنك حديثاً، وقد رأيتَ ما صنع إلَهي بدارا، وكيف أعانني عليه، فلا تعدل بالعافية شيئاً واغتنمها.

فأجابه بجواب فيه جفاءٌ وغلظ، فزحف إليه الإسكندرُ، وقد أعدَّ ملك الهند الفيلةَ والسِّباع الضارية على القتال، فرأى الإسكندر من ذلك ما هاله، وليس يدري كيف وجه المحاربة، وسألَ أصحابهُ فلم يجد لذلك حيلةً عندهم، ففكَّرَ مليّاً؛ ثم أَمَر بجمع الصُّنَّاع الذي[1] معه، فصنعوا له أربعةً وعشرين ألف تمثال على صورة الفيَلَة على بكرات بحديد مجوَّفة، وملأها حطباً وفحماً، وصفَّها صفوفاً، وألبسها السِّلاح، وأضرم في داخلها النيران، وزحف فور إلى الإسكندر بالرجال والفيَلة والسِّباع، فبادرت الفيلةُ إلى تلك التماثيل يظنونها أناساً فلوت خراطيمها عليها فالتهبتِ النار فيها فأحرقتها، وكذلك السباع فولَّت جميعاً على الإدبار فطحنتْ جنود فور وقتلتهم.

وحمل ذو القرنين وأصحابُهُ بعقب ذلك، وقاتلهم إلى الليل، فلم يزالوا كذلك عشرين يوماً حتى تفانوا، وكثُر ذهاب أصحاب ذي القرنين، فخاف وأشفق، ونادى: يافور ليس ينبغي للملك أن يورد جُنْده موارد الهلكة وهو يقدرُ على دفعها، وقد نرى فناء أصحابنا، فما يدعونا إلى هذا؟ فقال: نقتتلُ أنا وأنتَ فمن قتل صاحبه غلب على مملكته.

فأعجب ذلك فور لأنَّه كان عظيم الخلقةِ، وكان ذو القرنين حقيراً، فمشيا جميعاً والصُّفوف قائمة، واستلاَّ سيفيهما، وأقبل فور مبتدراً، فلما قرُب من ذي القرنين سمع في عسكره صيحةً راعبةً، فالتفتَ لينظر ما هي، فاغتنمها الإسكندر فضربه على كتفه بسيفه، فصرعه ووقع عليه، فلمَّا رأى جنود فور هلكته أقبلوا على القتال تأسُّفاً وحزناً وحَنَقاً بأشدِّ ما يقدرون عليه، فناداهُمْ ذو القرنين: على ماذا تقاتلون وقد قتلتُ ملككم؟ فقالوا: لا نزال نقاتلك حتى

---

(1) «كذا» في «أ»، والصواب: الذين.

نرد مورده، ولا نلقي بأيدينا إليك تحكُمُ فينا بالقتل، ولكن نموتُ كراماً؛ فقال لهم الإسكندرُ: من وضع السلاح فهو آمِنٌ، فوضعوا السلاح، فكفَّ عن القتال.

ودخلوا في سلمه فأحسنَ إليهم، وأمر بجسد فور فطُيِّبَ وكُفِّنَ وفُعِلَ به ما يفعلُ بالملوك من الكرامةِ، وأخذ أموالهُ وما كان في أرضه من ذلك، ومن السلاح، وقيل إنهما لمَّا التقيا قال له الإسكندر: أتستعينُ عليَّ وأنا أضعف منك؟ فغضب فور، وقال: بمن؟ فقال له: بالفارس الذي خلفك؛ فالتفت فور، فزرقه بمزراق، فذبحه، فصالحوه، ثم خرج عليه ابنُه، فقتلهُ محاربةً، ثم سار إلى البرهماتيين لما بلغه من علمهم، وجمعهم. فلمَّا بلغهم مجيئه أنفذوا إليه جماعةً من علمائهم، وكتبوا: من البرهماتيين البشر إلى ذي القرنين، إن كنت إنَّما أتيتَ لقتالنا فليس عندنا ما تقاتلنا عليه، فارجع فإنَّا مساكين، وليس لنا إلَّا الحكمة(1) فارغب إلى الله تعالى ولا دُنيا نعطيكها.

فلمَّا قرأ كتابهم، أمر أصحابه بالوقوف، وسار إليهم في عصبةٍ يسيرةٍ، فلمَّا دنا منهم رأى قوماً عُراةً مساكنهم المطالُ والمغاورُ، وأبناؤهم ونساؤهم يجتنون البقل، فساءلهم، ومرَّتْ بينه وبينهم محاورات ومسائل كثيرة من الحكمةِ، ثم قال: سائلوني لعامَّتِكُمْ؛ فقالوا: نسألُكَ الخلود لا نريدُ غيره؛ فقال: كيف يقدر على الخلودِ لغيره من لا يقدرُ عليه لنفسه زيادة ساعةٍ في عمره. هٰذا لا يملكه أحدٌ؛ فقالوا له: إذا كنت تعلم هذا، فما تريد من قتال هذا الخلق وإبادتهم وجمع كنوز الأرض وأنت مفارقها؟ فقال لهم: لم أفعل هذا من قبل نفسي، ولكن ربي بعثني لإظهار دينه وقتل من كفر به، أما تعلمون أن أمواج البحر لا تتحرَّكُ حتى تحرِّكها الريحُ، فكذلك أنا لو لم يبعثني ربِّي لم أبرحْ من موضعي ولكنِّي مطيعٌ لربِّي عزَّ وجلَّ منفّذاً أمرهُ حتى يأتيني أجلي وأفارق الدنيا عرياناً كما دخلتها، ثم انصرف عنهم.

---

(1) أ: ح. ن.: بلا أموال الحكمة ما ينال بالقتال فإن كانت الحكمة طلبك من قبلنا..

وقيل إنَّه صالح أهل الهند على الخراجِ في كلِّ سنةٍ، وحمل كأس البد إليه، وأخرج الشيخ الحكيم إليه، فأعطوه ذلك، وكان الكأسُ من خشبٍ يجذبُ الماءَ كجذْب المغناطيس الحديد، فإذا وُضع في مفازة لا ماءَ بها جذب الماءَ كجذبِ المغناطيس الحديد حتى يمتلىء فلا يحتاجُ صاحبها إلى استصحاب الماء في المفاوزِ والصحاري، والبد صنمٌ تعبدُهُ الهند تزعمُ أنه إنما مُلِيءَ الكأس من أجل عبادتهم له.

وكتب إلى معلِّمه أرسطاطاليس يخبره بعجائب ما رأى في بلاد الهند، ويستطلع رأيه فيما يفعله من سياسة أمرِهِ وتدبيره للبلاد والأمم.

ثم توجَّه إلى الصين، ومضت بينه وبين ملكها مكاتبات ومراسلات كثيرة استقرَّ آخرها على أن أنفذ إليه ملك الصين يخبرُه بطاعته وإذعانه إلى قوله، وبعث إليه بتاجٍ وقال: أنتَ أحقُّ مني، وأنفذ إليه من هدايا الصين من الذَّهبِ والفضَّةِ والجواهر والمسكِ والعودِ والسيوف والسروج وغير ذلك شيئاً عظيماً.

ثمَّ قدم وفدُ الصين عليه، فوصَّاهُم ووعظهم، وأمرهم بلزومِ السُّنَنِ الواجبةِ العادلةِ، وكتبَ لهم عهداً أبقاه في أيديهم يعملون عليه في سيرتهم وانصرف عنهم، ودوَّخ بلاد الشرق كله، التُّرك وغيرهم، وبنى المُدُن فيها، وبنى السَّدَّ، وملك الملوك وولَّاهُمْ من قبله؛ وجعل عليهم الإتاوةَ يؤدِّي كلُّ واحدٍ على ما يحتمل حاله في كلِّ سنة وعمل العجائب؛ وتوجَّه منصرفاً إلى المغربِ، وذكروا أنه كان فيما نظر المنجِّمون فيه من نهايةِ انقضاءِ مُلكِ الإسكندر أن آية ذلك أن يموت على أرضٍ من حديدٍ تحت سماءٍ من ذهبٍ، فبينما هو يسيرُ ذات يومٍ إذا رعف رُعافاً عظيماً، فأهدَّه الضعف حتى مال عن فرسه، فنزل بعض قوَّاده، فنزع درعه وفرشها له وظلَّله من الشمس بتُرسٍ من ذهبٍ.

فلما رأى ذلك قال: هذا أوان منيَّتي، فدعا بكاتبه، وقال: خفِّف على

بعض مـا نزل بي بكتـابٍ أوجِّهه إلى أمِّي، فـإذا فرغت منـه فاقـرأْهُ عليَّ قبـل موتي فإنِّي أظن عن قليل سينزل بي، وكان الكتاب المعروف الذي أوَّلـه: من العبد بن العبد الإسكندر رفيق أهل الأرض بجسده قليلاً، ومجاور أهل الآخرة بـروحه طـويلاً إلى أُمِّـه روقيا الصفيَّـة الحبيبـة التي لم يتمتَّـعْ بقـربهـا في دار القرب، وهي مجاورتُهُ غداً في دار البعدِ.. إلى آخر الكتاب.

وكان بدء مرضه بقومس، واشتدَّ بشهرزور ومات بروسقاد، وكـان قد وصَّى إلى جثتـه[1] ويجعل في تـابوت من ذهبٍ، ويُحمـل إلى الاسكندريـة فيُـوارى هناك، ففعل ذلك، وحُمل على مناكبِ العظماءِ والحكماءِ والأشرافِ والملوكِ والوزراء والأمراء وسائر طبقـات الناس، ويلقبـه[2] ذو القرابـة من أهله الأخصُّ فالأخصُّ، ثم قام زعيمُ القومِ، فقال: هـذا يومٌ عـظمت العبرة فيـه، وكشِفَ للملك عنه، وأقبل من شـرِّه ما كـان مدّبـراً وأدْبَرَ من خيـره ما كـان مقبلاً فمن كان باكياً على ملكٍ فلْيَبْكِ، ومن كان متعجِّباً فليتعجَّبْ.

ثم أقبـل على الحكماءِ فقـال ليقُلْ كـلُّ امرىءٍ منكم قـولاً يكون للخـاصَّةِ معـزِّياً وللعـامَّةِ واعـظاً، ففعل ذلـك، فقال ميـلاطـوس: خـرجنـا إلى الـدنيـا جاهلين، وأقمنا فيها غافلين، وفارقناها كارهين.

وقال زينون الأصغر: يا عظيم الشَّان ما كنت إلاّ ظلَّ سحـابٍ اضمحلَّ إلى أطلٍ فما يُحسُّ لملكك أثر، ولا يُعرف له خبر.

وقال افلاطون الثاني: أيُّها الساعي المغتصبُ، جمعتَ ماخذلـك، وتولَّيت ما تولَّى عنك، فلزمتك أوزارُهُ، وعاد على غيرك مهنؤه وثمارُه.

وقـال فوطُس: ألا تتعجَّبـون ممَّنْ لم يعـظنـا اختيـاراً حتى وعـظنـا بنفسـه اضطراراً.

---

(1) أ: ح. ن.: تكفن.
(2) «كذا» في «أ»، ولعلَّ الصواب: تلقَّاه.

وقال مطرر: قد كُنّا بالأمس نقدر على الاستماع ولا نقدرُ على القول، واليوم نقدرُ على القول فهل تقدرُ على الاستماع.

وقال ثاون: انظروا إلى حلم النَّائم كيف انقضى وإلى ظلِّ الغمام كيف انجلى. وقال ثيوس: قد أمات هذا الشخص كثيراً لئلاَّ يموت، فمات، فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت؟.

وقال حكيمٌ: طوى الأرضَ العريضةَ فلم يقنع حتى طُوِيَ منها في ذراعين.

وقال آخرُ: ما سافر الإسكندرُ سفراً بلا أعوان وآلةٍ وعُدَّةٍ غير سفره هذا.

وقال آخر: ما أدعنا فيما فارقتَ واغفلنا عمَّا عانيت.

وقال آخر: يؤذينا بكلامه كما أذانا بسكوته. وقال آخر: من شدة حرصه على الارتفاع انحطَّ كلُّهُ.

وقال آخر: الآن تضطربُ الأقاليمُ لأنَّ مُسكنها قد سكن.

وحُمِلَ تابوتُهُ إلى الاسكندرية، فلمَّا قرُب من البلد أمرت أُمُّه أن يتلقوه بأحسن هيئة، ففعلوا ذلك، فلما أُدخل التابوتُ عليها قالت: العجبُ يابنيَّ لمن بلغت السماءَ حكمته، وأقطار الأرض ملكُهُ، ودانت له الملوكُ عنوةً، كيف هو اليوم نائم لا يستيقظ، وساكتٌ لا يتكلَّمُ؛ فمن ذا يبلغ الإسكندر عنِّي فيعظم حِبَّاؤه مني وتجودُ منزلتُهُ عندي، فإنَّه قد وعظني فاتعَّظتُ، عزَّاني فتعزَّيتُ وصبرتُ، ولولا أني لاحقةٌ به ما فعلتُ، فعليك السلام يا بنيَّ حيّاً وهالكاً، فنعم الحيُّ كنت ونعم الهالك أنتَ.

وحضرها الحكماءُ ونطقوا بالحكمةِ والموعظة كما نقل مَنْ سلفَ، ثم أمرَتْ بالتابوت، فدفن بالإسكندرية، ثم صنعتْ طعاماً كما أمرها الإسكندر في كتابه، وأحضرتْ له النِّساءَ، فلمَّا وُضع الطعامُ بين يديها أقسمت عليهنَّ أن لا يأكل من طعامها امرأةٌ دخل بيتها الحزنُ وأصابتها مصيبة.

فلما سمعنَ ذلك أمسكْنَ عنه وقلنَ: كلُّنا دخل بيوتنا الحزنُ؛ فقالت

روقيا: مالي أرى النِّساءَ حيارى؟ إني أظنُّ أنَّ البلاءَ والحزن قد دخل عليهنَّ أجمعين مثلما دخل عليَّ، قد ولَّتِ الدنيا عنِّي، وهدَّ الوهنُ ركني، وأذعنْتُ لحلولِ الزوال، والدَّوام لباريء الكُلِّ الحيِّ الذي لا يموتُ ولا يزولُ ولا يفنى، وكلُّ مُرْضعةٍ فللموتِ تُربِّي وللفناءِ تغذِّي، وإلى الثكل تصير، فما العِوَضُ من فراق الحبيب وثمرةِ القلب ومُنى النفس، ما أرى في الدنيا وطناً ولا مقرّاً بعد هلاكه ألا إني أهيمُ مع الوحوش إلى أن يكرِمَني الباريء باللّحوقِ بدار الحبيب.

وملك وله تسعَةَ عشر[1] سنةً، وكان مدَّةُ ملكه سبعة عشر[2] سنة وكسراً، منها تسع سنين محاربٌ، وثماني سنين مطمئن بغير حربٍ، وغلب اثنتين وعشرين أمَّة، وثلاث عشرة عشيرةً من عشائره، ويُقالُ إنَّه في ذهابه من المغرب إلى المشرق طاف الدنيا في سنتين، ولم يلبَثْ بعد غلبهِ لدارا غير ستِّ سنين وكسرٍ، وكانت عدَّةُ جيوشهِ ثلاثمائة ألفٍ وعشرين ألفاً المقاتلة سوى الاتباع، وكان الاسكندرُ أشقر، أنمش، أزرق، لطيف الخلقة، مات وله ستٌّ وثلاثون سنةً.

وكان لا يشبهُ أباه ولا أُمَّهُ في الصورة، وكانت عيناه مختلفتين، إحداهما شديدة الزُّرقةِ[3]، والأخرى إلى أسفل، وكانت أسنانه دقيقةً حادَّةَ الرُّؤوسِ، وكان وجهُهُ كوجه الماءِ الأسدِ، وكان شجاعاً جريئاً على الحروب، منذ صباه، وأوصاه والده أن يستمع كلام معلِّمه، فقال: إنّي لم آتِ ههنا لأسمع لكن لأفعل.

وقيل له بمَ نلتَ هذه المملكة العظيمة على حداثةِ سنِّكَ؟ فقال: باستمالةِ الناس، أمَّا الأعداءُ فبتصييرهم أصدقاء، وتعاهُدِ الأصدقاء بالإحسان إليهم.

---

(1) و (2) «كذا» في «أ»، والصواب: تسع عشرة سنة ـ سبع عشرة سنة.
(3) أ: ح. ن.: والأخرى تميل إلى السواد وإحداها تنظر إلى فوق.

وقال ما أقبح بالإنسان أن يقول ما لا يفعلُ وما أحسن الفعل ابتداءً قبْلَ القول.

وقال: إنْ تفعل ما لا تقول أحسن من أن تقول ما لا تفعل.

وقال: أحسِنْ إن أحببتَ أن يُحسنَ إليك.

وسأل حكيماً: بماذا يصلح الملك؟ فقال: بطاعةِ الرَّعيةِ وعدل السلطان.

وقصد قوماً لمحاربتهم، فحاربه النِّساءُ، فكفَّ عن محاربتهنَّ، وقال: هذا جيشٌ إن غلبناه، لم يكن لنا فيه فخرٌ، وإن غلبنا كانت الفضيحة آخر الدَّهر علينا.

وقال لوزيرٍ له أقام معه مدّةً فلم ينهه عن مجتنبٍ: لا حاجةَ لي في خدمتك، فقال: ولم؟ قال: لأني إنسان، والإنسانُ لا يفقدُ أخطاءَ فإن كنت لم تقفْ منّي على خطإٍ فأنت جاهلٌ، وإنْ كنت وقفتَ فسترته فأنت غاشٌ.

ومرَّ على قومٍ يشربون فتوهَّموه مزاحاً كان يألفُهُمْ، فصبُّوا عليه[1] فلمَّا تبيَّن لهم أنَّه الاسكندر جزعوا جزعاً شديداً، فقال: لا تجزعوا فإنَّكم ما فعلتم هذا بي وإنَّما فعلتموه بصاحبكم.

وقال: قتلت أرضاً خابرتها، وقتلتْ أرضٌ جاهلها.

وقال: ما نلتُ في مُلكي شيئاً أحبَّ إليَّ من أنّي قدرتُ على المكافأةِ بالإساءة فلم أفعل.

ودخل على الإسكندر فقيرٌ فقال: مُرْ لي بعشرة آلاف دينارٍ؛ فقال: ليس هذا قدرُك؛ فقال: فقدرُكَ أيُّها الملك، فأمر له بها.

وقال: لولا العلم ما قامتِ الدُّنيا ولا استقامت المملكةُ.

ولمَّا أيقن بالموتِ دعا بكاتبه، وأملى عليه كتاباً غير الأوَّلِ: الله الكافي من عند الإسكندر المستولي على أقطار الأرض بالأمرِ، وهو اليوم رهينها إلى

---

(1) أ: ح. ن.: ماء.

روقيا أمَّه الرحيمة الحبيبة التي لم يتمتَّعْ بالقرب منها، السلام عليك، الطيِّبُ الزاكي، إن سبيلي يا أمِّي سبيل من قد مضى من الأوَّلين، وأنتِ ومن يتخلَّفُ بعدي بالأثر، وإنّما مثلنا في هذه الدنيا كاليوم الذي يتبعه ما يتبعه، فلا تأسفي على الدنيا، فإنها غارةٌ لأهلها، والعبرةُ في ذلك ما قد عرفتِ من الملك، فليس حيث لم يجد سبيلاً إلى المقام معك ولا تخلقي[1]، فتذرَّعي الصبر، وانفي الجزعَ من قلبك، وتأسَّيْ بالمصائب، فإنَّ كلَّ أحدٍ يُصيبُهُ مصيبةٌ، فاستعيني به على أمركِ إلى أن تمضي لشأنِكِ، فإنَّ الذي أصيرُ إليه خيرٌ مما كنتُ فيه وأروحُ، فأحسني إليَّ وإلى نفسك بقبولِ العزاءِ، والسلام على من اتبع الهدى. وأمرَ بختم الكتابين وانفاذهما إلى أمِّه سِرّاً.

ويُروى أن ملك الصين أجاب الإسكندر بألطفِ جوابٍ، وأنفذَ رسولاً وخادماً وجاريةً وطعامَ يومٍ ودستِ ثيابٍ[2]، فتحيَّرَ الإسكندرُ، وقال[3]: هذا هديَّة مثلي لمثلي، فجمع الفلاسفةَ، فسألهم، فقال له واحدٌ: إنه يرى أنه لو ملكْتَ الأرض وكفاك جارية تطؤها وثوبٌ تلبسُ وخادمٌ يخدمك، وطعامٌ تأكله، فما الحاجةُ إلى ما تصنع؟ فقال: لقد وعظني بعظةٍ كافيةٍ، وتركه.

وكان يقول عند موتهِ ببابل: ربِّ أنلني رضاك، فكلُّ ملكٍ باطلٌ سواك، حتى قضى، فأودعَ في تابوتٍ من ذهبٍ حتى لا يمسّ جلدَهُ الترابُ، إجلالاً له، وستَر الوزيرُ موتهُ وقاد الجيوشَ والخزائنَ حتى انتهى به إلى الإسكندرية، وأخرج التابوتَ فوضعَهُ في البلاطِ لتمامِ اثنتين وثلاثين سنة عاشها في الدُّنيا، مَلِك منها اثنتي عشَر سنة.

وقيل: إنَّ بعضَ عبيده سمَّه فقتله، وأظهر للوجود والحاضر موتَهُ، وقال: كلُّ واحد من الحكماء يرثيه، أشار بذلك الوزير.

---

(1) أ: ح. ن.: عليَّ.
(2) أ: ح. ن.: فتحير.
(3) أ: ح. ن.: ليس.

وقيل: لِمَ لا تكثِّرُ الكنوز؟ فقال: أصحابي هم الكنوز، فأكثرُها فيهم ولا أكثرها في البيوت.

وقال لرجلٍ تسمّى الإسكندر، وكان كثيراً ما ينهزم[1]: إمَّا أنْ تُغيِّر اسمك أو تنتقل عن فعلكَ، ووُجِدَ في عضده صحيفة فيها: قلَّة الاسترسال إلى الدنيا أسْلم، والاتكالُ على القدرِ أروحُ، عند حسن الظنِّ تقع العبرُ، ولا ينفع لما هو واقعٌ التوقِّي.

وسأله رجلان من أصحابه أن يقضي بينهما، فقال: الحكم يرضي أحدكما ويسخط الآخر، فاستعملا الحقَّ يرضيكما جميعاً.

وحكى يوماً فلم يسأله أحد فقال: لا أعدُّ اليوم من عمري.

وقال الإسكندرُ لجلسائه: ينبغي للرجل أن يستحي أن يأتي قبيحاً في منزله من أهله وفي غيره ممَّن يلقاه وحيث يأمنُ فمن نفسه، وإلاّ فمن الله، ويشاور[2].

فقال: إن رسول أرسطو قدم على الإسكندر، فمكثَ طويلاً لا يتكلَّمُ، فقال له الإسكندرُ: إمَّا أن تقول فأسمعُ، وإمَّا أن أقول فتنصتُ، فقال: التخييرُ لك أيُّها الملك، فقال له: ما فعل الحكيمُ؟ فقال: أيها الملك جد في الجهاد ولقد كان حذراً مستعدّاً، قال: ما بلغ جدُّه؟ قال: عينه لا تسكن ولا تطرفُ، ولسانه لا ينفر، الدنيا عنده كالقيح والدم. قال: كيف عمل في الرَّعيَّةِ بعدي؟ قال: أنار القلوبَ المظلمة في الصدور الخربة، وكثَّر فيها الحكمةَ، وأمات فيها الجهالةَ.

قال: فما لباسُه الباطن؟ قال: الفكرُ الطويل والتعجُّبُ الدائم.

---

(1) أ: ح. ن.: فقال له.

(2) أ: ح. ن.: الحكماء في أن يسجد له كالإله فنهاهم وقال لا سجود لغير بارىء الكلّ ويحق له السجود على من كساه بهجة الفضائل.

قال: بِمَ ذاك؟ قال: من أهل الدُّنيا كيف اغترُّوا بها، ومن أهل التجربةِ كيف وثقوا بها.

قال: فمن أيِّهم كان أكثر تعجُّباً؟ قال: من مصروعها كيف عاودها، ومن مسلوبها كيف راجعها، ومِنَ الذي مات أبوه كيف رجاه البقاءَ، ومن باقيها كيف فرح بما ليس بدائم، ومن فقيرها كيف حزن على فوْت ما يشقى به الغنيُّ.

قال: فمن أيِّهما كان أشدَّ تعجُباً؟ قال: من جميعها سواء، وذلك أنَّ هذا فرح بما ليس له، وهذا حزنَ على قوتِ ما يشقى به الغنيُّ كيف لم ينلهُ، فأحبَّ أن يثقلَ ظهره وهو خفيفُ الظهر، وأحبَّ أن يكثر همُّهُ وهو قليلُ الهمِّ والغمِّ، وأراد أن يكون في تعبٍ ونصبٍ وهو مستريحٌ، وإنَّما يكفيه من الدنيا ما يسدُّ جوعهُ ويذهب ظمأه ويسترُ جسمه.

قال: أهو في دوام المُلْكِ للمُلك أظهرُ سروراً أمْ في زواله؟ قال: بل في دوامه.

قال: ولم ذلك والدنيا ليست من شأنه؟ قال: للقدرة على إظهار الحكمةِ في سلطانه والاستمعان من إفاضةِ العلمِ وإشاعته، وتقريب الحكماءِ والعلماءِ، وأخْذ الرعيَّة، بالأدب العائد بالخير ودرك الأجر في تبصير أهل الجهالة، وحمل الناس على الهدى والسِّيرة الفاضلةِ والقوَّةِ على رفض الدُّنيا[1] ورفض غلبتها عند تكاثُرها وتواتُرها، فإنَّ الدنيا لم تغلبه في نفسه، ولم تورِّطْه في فجاجها، ولم تمدَّه بحلاوتها وأنواع خِدعها وزخارفها المهوية وأسباب غرورها التي يسرعُ إليها أهلُ الجهالةِ الذين لا يفكرون في عواقب[2]. . له ازداد منها نفوراً.

قال: كيف كانت هيبتُه للموتِ وخوفه على الوقوف على محاسب النفوسِ

---

(1) أ: ح. ن.: ورفض الشهوات وترك الملذات عند القدرة عليها والتمكُّن منها والامتناع عنها.

(2) أ: ح. ن.: الأمور فقهر الدُّنيا ولم تقهرْه وضبطها ولم تضبطه ولكنها كلَّما لمعت.

وديَّانِها؟ قال: كان إلى الموت مشتاقاً ولما بعده مرتجياً.

قال: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنَّه افتدى نفسه بالدنيا، وفكَّ رهنهُ بالبرِّ، وباع نفسهُ بالآخرة، فسعى الحكيمُ لآخرته، فاشترى النعيم الباقي بالنعيم المنقضي، وصار الموتُ عنده نجاةً من الحبس لا يسلبُه الموتُ شيئاً ممَّا قدَّم من الخير وتزوَّدَ من الحساب.

قال: فما أغلبُ طباعه عليه؟ قال: الرحمةُ لكلِّ أحدٍ، والكفُّ عن الأذى لكلِّ أحدٍ، والاحسانُ إلى كُلِّ أحدٍ، والتوقيرُ لأهلِ العلم والحكمةِ، وبذلُ فوائد الخير للمستفيدين، وشكرهم على تعلُّمِ الحكمةِ والاستفادةِ.

قال: كيف تركْتَ أهل البلاد؟ قال: استلَّ الجهلُ سيفه وأفلتَ من إساره وعزَّ بعد ذُلِّهِ، ودهماؤهم على العلماءِ والحكماءِ والصالحين فأذلُّوهم وهجروهم، فانقطعتْ مُرادُ العقول، وضمرتِ النفوسُ، ودخل الحزنُ عليها، مقتدرون فنحن مقتدرون من أيدي الجهَّالِ منتشرون في عيشٍ كدرٍ، فبكى عند ذلك الإسكندر، وقال: ضاربنا وجهلنا في طلبِ هذه الدنيا الغرَّارةِ، وصابر العلماءُ[1]... زهدوا فيه، وزهدوا فيما رغبنا فيه، وأعقبهُم فعلُهم سروراً، وأعقبنا فيما زهدوا فيه وزهدوا فيما فعلنا حزناً طويلاً، فأصبحنا نرثي لأنفسنا، ونغبطُهُمْ ونبكي لأنفسنا ونفرح لهم، فالويلُ والثُّبور لِمَنْ سكنت منه الدنيا، وجمع ما جمع فيها، ولم يدرك الآخرة.

وقال أيضاً: من أراد هذا العلمَ فليستأنف لنفسه خلقاً آخر يعني يجب أن لا يتبع المحسوسات والأمورَ المعتادة.

وقال: نظرُ النفس هو العلاج للنفس، هو العنايةُ للنفس وردعُ النفس[2] هو العلاج للنفس، وعشقُ النفس للنفس هو المرض للنفس.

وقيل: أيُّ شيءٍ أصعبُ عملاً؟ فقال: السُّكوتُ.

---

(1) أ: ح. ن.: وجهدوا في رفضها، وأبوا أن يقبلوها ولمَّا نرفضها ورغبنا فيما..

(2) أ: ح. ن.: للنفس.

وسُئل عن الأشياء التي بها يصيرُ فيلسوفاً، فقال: ثلاثة: فقر وطبيعة وعناية.

وقال: الإنسان مضطرٌّ في صورة مختار.

وسأله الإسكندر أن يصير معه إلى بلاد آسيا، فقال: لا أحبُّ أن ألزمَ نفسي العبوديَّة وأنا حرٌّ.

ولمَّا عزم على حرب دارا أتاه المعلِّم زائراً ومودِّعاً وقد كان غاب عنه مُدَّةً فأراد أن يُجزل له العطاء، فسأل الخازن عن ما في بيت المال، فقال: خمسمائة ألف دينار، فقال: تدفع إليه الجميع فإني عليَّ محاربة هذا الرَّجل فإن غُلِبْنَا[1] ففي مالِ دارا ما يفي بحاجتنا.

وقيل: إنّه كان يحاور الإسكندر في كلِّ يومٍ ويقسمُه أربعة أقسام: الأول يناظرهُ في العدل، والقسم الثاني يناظرهُ في الحكم، والثالث في الشجاعة، والرابع في العفَّة.

ولمَّا عزم على الخروج إلى أقاصي الأرض عرض عليه الخروج معه ثانياً، فقال: نحُلَ جسمي، وضعُفتْ عن الحركةِ، فلا تزعجني، قال: فأوصني بشيء يرفع قدري ويحبِّبْني إلى رعيَّتي، فقال: تعلَّم العلم واعمل به، واستنبط ما يحلو بفكرة السامعين ويعذُبُ على ألسنة الذاكرين، تنقادُ لك الرَّعيةُ من غير حربٍ.

وقال: النفس ليست في البدن، بل البدنُ في النفس لأنَّها أوسع منه، وأبسطُ قطعةً من الرسالة الذهبية. ولمَّا دخل الإسكندرُ بلاد الهند ورأى بيت الذهب استحسنه فكتب إلى أرسطو يخبرهُ بذلك فأجابه أرسطو: أمَّا بعد فإنِّي رأيتُ الفلسفة على طول الرُّؤيَة وإجالة الفكرة، أيها الملِك، أمراً شريفاً متعالياً صاحباً بالآلهة قد يزيد فضلُها ظهوراً يرقُبها إلى النظر في جميع

---

(1) أ: ح. ن.: فهو أحقّ إذْ كان معلمنا وإن غلَبْنا.

الخلائق وإجهادها في دَرْكِ حقائقها، وإنها لم تخبر عن هذا الأمر لعظمه وارتفاعه عند ملوك جميع الصناعات عنه، ولم يرَ لنفسها بأنَّها ليست أهلاً لهذه الفضيلة بل رأت معرفة الحقّ كلّه مشاكلة لها جميلةً بها.

ولمّا لم توصل إلى البلد السمائي وبلوغ ما هناك بمحاورة الأرض وما عليها بالجند الحافي النَّعل كما هم قوم اللوذانيين الذين حادتْ عقولُهُمْ، لكن النفس بمخالفة الفلسفة والنهوض بما نقدت بعقلها ولَجَتْ لنفسها طريقاً سارت فيه غير شاقٍ ولا مجترٍّ، ثم عمدت إلى ما يتباينُ ويتفرَّقُ من الأشياءِ فجمعته في فكرتها، فخزنته هناك، فتسهَّلت عليها معرفة الأمور كلِّها إذْ تتأمَّل بعين لطفها الأمور الإلّهية، وتنهى عنها الناس جوداً منها بعطاياها الكريمة، واقتداراً على الأفعال الجميلة، فكذلك كلٌّ من اجتهد في تعبِ بلدٍ أو نهرٍ أو جسرٍ به جبلٌ كما فعلَهُ القدماءِ من الخراب، مورهون[1] ووصف الأرض لم يكن أهلاً أن يتعجب[2] منه، وفخامة أمره في نفسه بما أدرك من الفطن الصغيرة التي نزلت عنده بمنزلة العظائم أعشى أبصارهم عن الفضائل المشهورة، أعني أجزاء العالَمِ، فلو أحاطوا تعليمَهُ لانقطعَ تعجُّبهم ممَّا سواه، وكان صغيراً لا خطر له إذا قيس بشربِ هذا، وأمَّا نحن فمثبتون جوهر كلِّ شيءٍ وحركته، وأنا أسألك أن تشارك هذا العلم الذي ينزلُ الفلسفةَ منزلَتها ويرفعُها عن منزلةِ الصنعة لنهجٍ يمسك من مواهبها النفيسة وأقسامها المغبوطة. وكان يوصي أصحابه: جودوا على أقربائكم وأكرموا إخوانكم، وأحسنوا إلى المنقطعين إليكم.

وكان ينادي على باب الإسكندر في كلِّ يوم ثلاثة أصوات، يا معشرَ الناس، التمسُّك بطاعة الله عزَّ وجلَّ أحسنُ من الوقوف على المعصية وأسلم، فاحذروا، فإنَّ الطاعة تجدي، والمعصيةَ تُردي.

كتبتْ أمُّ الإسكندر إليه: احذر طبيبك من السمِّ، فدعاهُ وأمَره أن يأتيه

---

(1) «كذا» في «أ» كلمة غير واضحة.

(2) أ: ح. ن. : منه بل أنيرهم لنقص رؤيته.

بشربةٍ من الـدواءِ، فتناولهـا من يده اليمنى ورفـع إليه الكتـاب بيده اليسـرى، وقال: إقرأه لتعرف كيف يفنى بك.

ودخل على الإسكندر رجلٌ فقيرٌ في أصحاب الحوائج، فاستحسن منطِقَهُ، وكان رث الكسوة، فقال له الاسكنـدر: ليكُن حسْنُ ثوبـك كحسن منطقـك، فقال: أيُّها الملك، أمَّا الكلام فـأقدر عليـه، وأمَّا الكسـوةُ فأنتَ أقـدرُ عليها، فأمر، فخُلع عليـه، وأحسن إليه. عـزل الإسكندر عـاملاً لـه من عملٍ نفيسٍ وولَّاه عمـلاً خسيساً، فقـدم عليـه بعـد حينٍ، فقـال لـه: كيف رأيت عملك؟ فقال: أيُّها الملكُ، ليس بالعملِ الكبير ينبُلُ الـرجلُ، ولكن الـرجلُ هـو ينبل عمله وإن كان خسيساً بحسن السيرة وإنصاف الـرعية، فـاستحسن ذلك منـه، وولَّاه من أجل أعماله.

وسعى إلى الإسكندر ساعٍ برجُلٍ من أصحابه، فقـال له: تحبُّ أن يُقبـل قولك على أن يُقبل قولُ من سَعيتَ به فيك؟ قال: لا، فقال: فكُفَّ عن الشَّـرِّ ليكُفَّ الشرُّ عنك.

ووقف يوماً على ديوجانس، فقال له: ما تخافني؟ فقـال: أيُّها الملك، أنتَ خيرٌ أم شرِّيـرٌ؟ قال: بـل خيِّرٌ، فقـال: فما لخـوفي من خير مغنٍ بـل الواجب عليَّ محبَّته.

وأحضِر إلى الإسكندر[1] بمستانس الخطيب، فخطب على الناس، فـأغرب الخطبة وطـوَّلها، فـزبرَهُ الإسكنـدرُ، وقال: ليس حسن الخـطبة بحسب طـاقة الخطيب لكن بحسَبِ طاقةِ من يسمعُها.

وأُخبرَ الإسكندرُ أنَّ رجلين طلبا ابنةَ بعض الحكماءِ، أحدهمـا غنيٌّ والآخر مسكين، فدفعها إلى المسكين، فسأله الإسكندر: لِمَ فعلت ذلك؟ فقـال له[2]

(1) لصٌّ فأمر بصلبـه، فقال: أيهـا الملك تلصَّصتُ وأنا لـه كاره، فقـال: تصلبُ الآن وأنت له أشدُّ كراهةً بين يديّ الإسكندر.

(2) أ: ح. ن.: الغني كان أحمق بلا أدب يحفظ ماله، والمسكين كان أديباً يُرجى له الغنى.

الغِنى آفة، فلذلك آثرتُه على الغنيّ.

وسأل الإسكندرُ حكيماً: بمَ يَصلُحُ الملك؟ قال: بطاعة الرَّعيَّة له، وعمله بالسُّنَّةِ والعدل فيها.

سأل الإسكندر فراطِس: فراطس، أيُّ رجلٍ يصلحُ أن يكون ملكاً؟ قال: إمَّا حكيمٌ يملك أو ملكٌ يلتمس الحكمة.

وذُكر للإسكندر أنَّ أخوين جاهدا في الحرب، وأنَّ أحدهما قال للآخر: ترى الملك يعرفُ أنَّا جئنا وهو غائبٌ؟ فأجابه أخوهُ: إن كان الملك غائباً عن ما يجبُ لنا فإنَّا لا نغيب عمَّا يجب للملك، فأمر بالإحسان إليهما وإجزال الصلة لهما.

قال أليون البطريق للإسكندر: معنا من الأسارى خلقٌ كثيرٌ، وهم أعداؤك، فلمَ لا يسترقون؟ قال له: لا أحبُّ أن أكون ملكاً للعبيد وأنا ملك الأحرار.

سأل الإسكندر فَراطِس: ما الذي ينبغي للملك أن يلزم نفسه؟ قال: يفكِّرُ ليلهُ فيما فيه مصلحةُ رعيَّتِهِ ويُنفذُ ذلك بالنهار.

وسمع الإسكندرُ رجلين من أصحابه يختصمان، وكلُّ واحدٍ منهما يهتكُ صاحبه، وكانا قبل ذلك متصافيين، فقال لجلسائه: ينبغي للرَّجُلِ إذا آخى مصافياً أن يتوقَّى مفاسده ولا يسترسل إليه فيما يفشيه.

وسأل فورُس[1] للاسكندر، إذا سألتَ الحكماءَ عن شيءٍ فسلني، فإنِّي لا أعجزُ عَنِ الجواب، قال: فما الذي يتنفَّع به الرَّجل عند الكِبَر؟ قال: المال، فأغجب به.

وسأل الإسكندر فورس الحكيم: أين الشعر من الحكمةِ؟ قال: إنْ أردتَ الملق وحلاوة الكلام فالشعر، وإن أردتَ صحةَ الكلام وصدقه فالحكمة لأنَّ الملقَ والحقُّ مُرٌّ.

(1) أ: ح. ن.: الملهى.

غضب الإسكندرُ على بعض الشعراء، فأقصاه، ففرَّقَ ما له[1] في أصحابه لئلاَّ يشفعون فيه.

بلغ الإسكندرُ موتَ صديقٍ له، فقال: ما يحزنني موته كما يحزنني أنني لم أبلغ من برِّهِ ما كان آهلَهُ مني فأجابه فيلمس، فقال أيها الملك ما أشبهَ قولك بقول ما يحزنني موتي كما يحزنني من الإظهار[2] لبأسي وبلائي للعدوّ.

دخل ماثر المُلهي على الإسكندر، فقال: مُرْ لي أيُّها الملك[3] على قدري، ولتكنْ عطيَّتُكَ على قدرك، فأمر له بعشرةَ آلاف دينار.

سأل الإسكندر جلساءه، بأيِّ شيءٍ يكتبُ الثواب؟ فقال له ديوجانس: بأفعال الخيرات، وإنَّك لتقدر أيُّها الملك أن تكتسب في كلِّ يومٍ واحدٍ ما تكتسبه الرَّعيَّة في دهرها.

ساءل الإسكندرُ حكماءَ الهند: لم صارت السُّنَنُ والشرائع قليلةً في بلدكم؟ قال: لإعطائنا الحق من أنفسنا ويعدل ملوكنا علينا.

سأل الإسكندرُ حكماءَ بابل: أيّهما أبلغ عندكم الشجاعة أمِ العدل؟ قالوا: إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة.

فدَوَنا قصَّةً في بعض الكتب تحكي على نهجٍ آخر، وذلك أنَّ أباه كان رجُلاً يقال له فيلبسوس من أهل مدينةٍ يُقال لها مقدونية، وكان من أهل بيت الملك أفضى ذلك إليه وراثةً عن أبيه، وكان رجلاً عقيماً، لا يولدُ له، فاشتدَّ ذلك عليه وعلى أهل مملكته مخافةَ أن يحدثَ عليه حدثٌ، فيذهب ذكره، ولا يكون له عقب، فكثُرَ لذلك همُّهُ، لأنَّ الملك لم يكن فيهم قديماً، فجمع أصحاب النجوم ومن له علمٌ بالحساب، وكلَّ من يظنُّ عنده معرفة، فسألهم

(1) أ: ح. ن.: في الشَّرِّ قيل له قد بالغتَ في عقوبته أيُّها الملك فقال نعم إقصائي إيَّاه لجرمه وتفريقي ماله...

(2) أ: ح. ن.: تالس حيث أصابته الطعنة وهو يجود بنفسه ويقول:

(3) أ: ح. ن.: بعشرة ألف درهم، فقال: ما أيسر ما طلبت، قال: سألت أيُّها الملك...

له النظر في أمره، فأجمعوا على أنه مسترزق ولداً يكون له، فسرَّ بذلك وبهج له، وجعل يترقَّبُ الوقت الذي وُقِّتَ له، وجعل يتوقَّى أن يقربَ من نسائه إلاَّ ذات الحبِّ والجمال، فمكث حيناً، ثم إنَّه ذات ليلةٍ خلا بنفسه وعرضت له فكرةٌ في زوال العالم، وما الناس فيه من وشك الرحلة منه، فبينا هو في ذلك إذ رأى حيَّةً عظيمةً قد توسَّطت البيت معه، فأرعبه ذلك وأذهله عن ما كان فيه من الفكرة، ثم سمع صارخاً يقول: يا فيليفوس[1]. قد وهب لك غلامٌ يحيي ذكرك، ويقومُ به نسلُك، ثم توارت عنه الحيَّةُ، فقام من ليلته، فواقع أخصَّ نسائه، فحملت من ليلتها، فلم تزل مصونةً حتى ولدت غلاماً، فسمَّاه الإسكندر، فنشأ نشْأً حسناً حتى بلغ سبع سنين، فطلب له المعلمين والمؤدِّبين.

وكان مجتمع الحكماءِ وأهلُ الأدب في مدينة أثيناس أرسطو الفيلسوف، فكتب إليه الملك كتاباً نسخه:

أمَّا بعد فإنَّه لو كان بالمرءِ غناء عن الطرقِ المحمودةِ والسبل المرشدةِ والفحص عن ذلك، وطلبه من مواضعه لكان الأولون المتقدِّمون حذروا بترك ذلك، ولم يكن عمارةٌ ولا أدب ولا مُلْكٌ ولا مقدرةٌ، وأحقُّ الناس أيها الحكيمُ. بطلب ذلك، والمعاناة له والدَّأبُ في طلبه والاجتهادُ في ذلك من كان بأمور الناس معيناً وللقيام بأحوالهم وصلا[2] متضمِّناً، فستكمل بمعرفة ذلك الخطية عليهم والذبّ عنهم والمنع من عدوِّهم والنظر في مصلحتهم، وقد أجهدتُ نفسي إذ كنت المتولِّي لذلك، القائم به، وفي واجب حقِّ أهل مملكتي عليَّ ومَنْ كنتُ لأمره متقلِّداً، وبه قائماً أن أقوِّيَّ له حسن النظر وجميل الاحتياط حتى يكون ذلك لي باقياً وأن أودع قلوب الناس بعد المفارقة لهم من جميل الذكرِ ما يبقى، قد وهب لي ولداً امتحنته من صغره بالعلامات

(1) أ: ح. ن.: فيلبس.
(2) أ: ح. ن.: وصلاحهم.

التي وصفها الكهنةُ فيه، فوجدتُهُ هو الذي يتولىَّ هذا الأمـر بعدي، وأرجـو أن يكون ذلك، وأحببتُ أن ينال ذلك بغـاية العلم بـه والمعرفـة له ولصـلاح تدبيـره، فيكون متمسِّكاً بالدِّين قائماً بحنُوِّ الرئاسة ورضى الناس عنه بما يظهـر من رفق سياسته، وسحمـود رئاستـه، فيبلغُ من ذلك مبلغـاً محموداً يتحـدث به، ويبقى ذكـره، أنه ينبغي لمن كـان في مثل هـذا المحلِّ أن يصـرفَ نفسـه في منفعـةِ رعيَّته، ويودعهم من جميل فعله بهم ما ينبغي له، فإنَّ من يـذكر بحسن الأثـر وصواب التدبير فذكرُهُ غير داثر، وقد مَنَّ الله تعالى على أهل هذا العصر بـك أيُّها الحكيم لعلمك وقديم أثرِك وكثرةِ تجاربك، فأردتُكَ لهذا الأمـر الجليل، ورأيتُ إيداعك هذا المصون، وسألتك تـوفيقه[1] على مـا فيه مصلحـة الرَّعيَّـة على حقها كما يصـحُّ للرَّعيَّة رعـايته، فتـولَّ هذا الأمـر الجسيم بعدي واعقِـدْ ذلك له في أعناق نظرائه، وتقدَّم فيه بعد التوفيق.

فكتب إليه أرسطو جوابَ كتابه هذا:

أمَّا بعد، فإنَّ كتاب الملك العظيم ذكرُه، العالي قدرُه، وصـل إليَّ بأعـظم السـرور وأفضل البهجـةِ لعظيم الـرأي الـذي وُفِّق لـه الملك الـظاهـر فضلهُ، المنتشـر كرمـه، وفهمتُ مـا ذكـر من الكهـانـة، ومـا وضعت بـه ابن الملك، ولعمري إنَّهُ على مـا وصفته للملك وجـدتُهُ سيبلغُ ملكـاً إلى ملكه، ويستفيـدُ سلطاناً إلى سلطانه، وجنداً وأعواناً وبلداناً ويستحملُ الناس على سُنَّـةِ القسط وحقِّ العدل.

فـإنَّه وإن كـان يجب على الملك النظر في الأمـور الغامضـة والفحص عن جميع ذلك حتى يصحَّ عنده فيتفقَّـد أمره على مـا عُرف سِنُّـهُ، حتى تصح لـه أمـور العامـة، فإنَّـه يجب على العامـة والفحص حتى تصحَّ ويجمعـوا للمَلكِ الحقِّ الذي له عليهم ضرورةً.

وقد قال إقليدس: إنه لا ينبغي لأهل الحكمة أن يمنعوها طلاَّبها، فـإنَّ منع

(1) أ: ح. ن.: حتى يشاكل كل واحد منهم صاحبه، ويصح للراعي الرعية..

ذلك كان بمنزلةِ من منع من الماءِ الظمآنِ إليه، وكذلك أيضاً لا ينبغي أن تعرض على من لا يطلبها، فيقلُّ قدرُ الحكمةِ، ويستخفُّ بها، ويحقُّ لها أن يكون ذلك بمنزلةِ من يعرض على الرَّيَّان من الماء العذب الماءَ المالحَ.

وقد عرف المَلكُ حال مدينةِ أثيناس وأن آباءك المحمود أثرُهم، الذين كانوا أسَّسوا العلم فيها وتقدَّموا فيه بكتابٍ وضعوه[1] فإنه متى صار الأمرُ إلى خلافها دثر ذكرهم، واضمحلَّ الاسم الذي شُرِّفوا به، ولعمري كاد أن يدخل الخلل ذلك الموضع حتى حسُنَ نظر الملك في ذلك، وكثُرَ تفقُّده، وأقرَّه بإقامته على ما لم يزل، وقد قال أميروس الشاعر أن الحكمةَ تريد خلاء موضع لترسخ في العقول وتفهم، وقد أجبتُكَ أيها الملك المحمود إلى الذي سألتني، وامتدحت به عند أهلِ الحكمة ورجوت أن يكون مسدّداً، وأن يكون المشار إليه بهذا الأمر حقيقاً لما يؤمَّلُ له من سعادة الجدِّ وإظهار الرشد، وبعد أيها الملكُ، فإنَّه لم يكن بأثيناس أحدٌ يوازيه في القدر، فإنَّ فضل المذاكرة عزيزٌ زيادةً عند من يريدُ الحكمة وثباتَ المعرفةِ، وههنا قومٌ ليس لنا عن اجتماعهم معه غنى لرسوخ الحكمة وثبات العرفة، ففي سعادة جدِّكَ أيُّها الملك، وما مكَّن لك دليلٌ على زيادة ذلك لك أوَّلاً وآخراً.

فلما وصل الكتابُ إلى فيلبيوس الملك حمد ذلك من الحكيم ثم دعا بالقواد وأهل النجدة والبأس وأهل القدر يعقد لابنه البيعة في أعناقهم وإطراء ذكر نفسه عندهم، وجدَّد لهم العطايا والمواهب، وكتب إلى جميع عمّاله وأعماله، فأكَّد ذلك عليهم، وصحَّحه، ثم كتب إلى أرسطو يعلِّمه ذلك، ووجَّه إليه بالإسكندر ابنه إلى أثيناس فقبله أرسطو[2] بأحسن نموٍّ، وبلغ أحسن المبالغة، ونال من العلم والفلسفة ما لم يبلغه أحدٌ من أقرانه ولا من أهل

---

(1) أ: ح. ن.: عند ميروغس رئيس الكهنة بأن لا ينقل العِلْم منها وأن تكون هي معقل ذلك وموضعه.

(2) أ: ح. ن.: أحسن قبول وقصد نحوه حتى بلغ الغلام حيث ظنَّ به ورجا أن الخلف الصالح بعد أبيه فأقام بذلك خمس سنين ينمى..

زمانه، ثم إنَّ أباه اعتلَّ علَّةً خاف منها على نفسه.

فكتب إلى أرسطو يعلمه ذلك ويسأله القدوم عليه بابنه ليجدِّد العقد الذي عَقَد له، فلمَّا وَرَدَ الكتابُ على ارسطو قدم عليه بالإسكندر، وقد زيَّنه من العلم بأحسن زينةٍ، فدخل على الملك، فأمر بتقديم مجلس أرسطو، وأحسنَ المكافأة له على ما كان منه في ابنه.

وجمع أهل العلم وأولي المعرفةِ ففاتحوه، فرأوا أنّه قد بلغ الغاية، فقال له الملك: أرجو يا بنيَّ أن تبلغ من ما يؤمَّل لك ويُرجي فيك من سعادةِ الجدِّ، وتكون المستحقّ للقيام بأمور الناس كقيام آبائك تحنُّناً وعطفاً ورأفةً، ثم جدَّد له البيعة، وتقدَّمَ بعقدِ الإكليل على رأسه، وأجلسه مجلس الملك، ودخل عليه القوّاد والجنود فسلَّموا عليه بسلامِ الملوك.

ثم دعا أرسطو، فقال له: الحمد لله الذي جعلك أهلاً لما أتاك من العلم، وإيَّاه أسأل الزيادة لك من الحسنى، وشكر له وأعلمه موقعه منه ثم سأله أن يعهد إلى ابنه عهداً يخصُّه به يكون عوناً وداعياً إلى مصلحته، ويكون عزاءً للملك من فراق الدنيا فأجابه[1] من المطيع له ولا المعلم أقلّ انتفاعاً بالعلم من المعلِّم له، ولا الناصح بأوفى بالمديح من المنصوح له متى قبل؛ إنَّ أفضل ما أنت تاركُ هواكَ على ما أنت قضيت من لذَّتِه والسرور به، كفصل ما يقسم الناس من معايشتهم في الدنيا؛ وإنّ الله عزَّ وجلَّ الواهب لم يرض لنفسه من الناس إلّا بمثل الذي رضي لهم به منه، فإنَّه رحمهم وأمرهم بالتراحم وصدَّقهُمْ، وأمرهم بالتصادق وجاد عليهم، وأمرهم بالجود وعفا عنهم، وأمرهم بالعفو فليس قابلاً منهم إلّا مثل ما أعطاهم، ولا آذناً لهم في خلاف ما أتى إليهم، فاعْطِ، وليت أمره من رأفتك ورحمتكَ وعفوك ما يرغبُ[2] مُوَفِّراً؛ واعلم أنّه لا شيءَ لك إلّا ما نلت من جميل الذكر ورضوان

---

(1) أ: ح. ن.: إلى ذلك وبدا بأن قال: ليس الأمر بالخير بأسعد به

(2) أ: ج. ن.: في مثله موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك أعطيته.

الخالق، وإنّك إن وثقت به، وقال: شرٌّ من دونه وأن تثق بغيره لا تدفع عن نفسك ولا يدفع عنك دافعٌ، وأعلم أنّك[1] غير هاديهم وأنت ضال، وكيف يقدرُ الأعمى على أن يهدي البصيرَ، والفقير على أن يغنى والذليل على أن يعزَّ؛ واعلم أنه ما استصلح المستصلِحُ غيره إلاّ بصلاح نفسه، ولا أفسدَ المفسِدُ سواه إلاّ بفساد نفسه، فإن رعيتَ في صلاح من وليت أمرَهُ قائداً باستصلاح نفسك، وإن أردتَ دفع العيوب عن غيرك فطهِّر منها قلبك، فإنّك لا تقدرُ على تطهير غيرك وقد دنّستَ نفسك كبعد الطبيب من إبراء غيره من دائه مثله، ولا يزينُك رأيك، إنّك إذا أحسنتَ القول دون الفعل فقد أبلغت إلى السامعين منك دون أن يصدِّقَ قولك فعلك ويحقّق سريرتك علانيتك؛ واعلمْ أنّك مطبوعٌ على أخلاقٍ مختلفةٍ منها حسناتٌ ومنها سيِّئاتٌ، فأعدى أعدائك لك سيِّئات أخلاقك[2] وتدارك ببعض ما قابل غضبك بحلمك وجهلك بعلمك، ونسيانك وغفلتك بفكرك، ونظرك، واعلم أنه ليس أحدٌ أصلح للناس من أولي الأمر إذا صلحوا، ولا أفسد لهم ولأنفسهم أحَدٌ إذا فسدوا، فالوالي من الرعيةِ، مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلاّ به وبموضع الرأس من الأبدان الذي[3] لا بقاءَ لها إلاّ معه فبالوالي مع فضل منزلتِه من الحاجة إلى اصلاح الرَّعيَّةِ مثلما بالرعية من الحاجة إلى اصلاح الوالي، وقوّة بعضهم وبعدُ الوالي من القدرة على استصلا[4] نفسه مع استيشار الرَّعية كبعد الرأس من القفا بعد هلاك سائر البدن، غير أنّه أجدرُ باستصلاح الرَّعيَّةِ واصلاح الوالي الفاسد لفضل قوَّته عليها ووهن قوته عنه.

وقد قال أميروس الشاعر: إنّ الأئمة يصلحون بفضلهم، ولا يصلح الأئمّة إلا موتهم؛ وأُحذِّرك الحرص، فأمّا ما هو مصحبك ومصلح على يديك

---

(1) أ: ح. ن.: مصلح رعيَّتك وأنت فاسد، ولا مرشدهم وأنت عار ولا..

(2) أ: ح. ن.: وأولى الأشياء بك حسنات أخلاقك، فقابل بعض أخلاقك.

(3) «كذا» في «أ»، والصواب: التي.

(4) أ: ح. ن.: استصلاح زيادة في قوة بعض ووهن بعض..

فالزهد؛ واعلم أن الزهد باليقين، واليقين بالبصر، والبصر بالفكر، فإذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن يكرمها بهوان الآخرة، لأن الدنيا دار بلاءٍ ومنزل بلغةٍ، وقد قال أُميروس الشاعر: كلُّ ضدٍّ مخالفٌ ضده، ولا خير في شيءٍ يزول ويذهب، اتهم أخلاقك السيئةَ فإنَّها إذا اتصلتْ بها حاجتها من الدنيا كانت كالحطبِ للنار وكالماءِ للسمك، وإذا عزلتها عنها وحلت بينها وبين ما[1] انطفت كانطفاءِ النار عند فقدان الحطب، وهلكت كهلاك السمك عند فقدان الماءِ؛ إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنَّه من لم يكن له قناعة فليس المال مغنيه وإن كثُر.

وقد قال أوميروس الشاعر: لا مال يكفي عند ترك القناعة، ولا خير في المرءِ إذا لم يكن قنعاً، واعلم أنه من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها أنه لا يصلح منها جانبٌ إلاّ بفساد الآخر، فلا سبيل في صاحبها إلى عزٍّ إلاّ بإذلال، ولا إلى الاستغناءِ إلاّ بالافتقار؛ واعلم أنَّ الدنيا ربَّما أُصيبتْ لغير حزمٍ في الرأي ولا فصلٍ في الدين، فإن أصبْتَ حاجتك منها وأنت مُخطىء أو أدبرتْ عنك وأنت مصيبٌ فلا يستخفنَّك ذلك إلى معاودة الخطأ ومجانبة الصواب؛ لا تضننَّ على الناس بما ترغبُ فيه، ولا تأتِ إليهم ما تكره أن يؤتى إليك، وقاتل هواك، واقصر رغبتكَ، واكفُفْ شهوتك واستأصلِ الحقد من قلبك، وطهِّر من الحسد جوفك، واقبض إليك أملك، فإن بسط الأمل مقساةُ القلب ومشغلةٌ عن المعادِ، ولكن مما تستعين به على إطفاءِ الغضب علمك بأنَّ الزلل لا يخلو منه أحدٌ وبه وقع صاحبك، ولعلَّ عدوّاً لك حمله على ذلك فإن أطعت هواك في أخيك[2] ومكَّنته من نفسه فما أحقَّكَ أن تعصى من طاعتك له هلكةً، ومعصيتك له سلامةٌ، وهو هواك، ولعلَّك يا إسكندر ترى أنَّ عقوبتك تنكيك عن الذنب أو زيادةٌ في الأدب، فإن هممت بذلك فما صدق نفسك ضميركَ وسيرتَكَ دون ظاهرك وعلانيتك، وانظر يا جميل الذكرِ شفاء

---

(1) أ: ح. ن.: ماتهوى.

(2) أ: ح. ن.: الذي أتى على يديه الذنب إليك قد أشمت عدوَّك بك وظاهرته على أخيك.

الغضب، فإنَّ الغضب مُرٌّ، والمرُّ لا تجتنى منه ثمرةٌ حلوةٌ، فإنْ كنت تريد بعقوبتك إيَّاهُ إصلاحه لك ولنفسه، وجميل الذكر وإن يُنزع عن ذلك الذنب فإنك بالغٌ بالحرمان والوعيد والجفاء بعض ما يغنيك عن شدَّة الصولة وعظيم العقوبة.

ولا ينبغي أن تستعمل سيفك فيمن تكتفي فيه بالسَّوط، ولا سوطك فيمن تكتفي فيه بالحبس، ولا تسرع إلى حبس من تكتفي فيه بالجفاء والوعيد فإنَّه بحسب اختلاف أحوال المذنبين وتفاوت أحوالهم يجب أن تكون العقوبات وإن استوتِ الذنوبُ؛ واعلم أنَّك متى نلت مظلمةً أو فرطَتْ منك عقوبةٌ فإنَّ الذي أتيت إلى نفسك من ذلك أشدُّ من الذي أتيت إلى المُعاقَبِ إذ لم يكن يستحقُّ عاقبته، ولا الصلاح وحده قصدت بما قال الذي أتيتَ إلى نفسك من ذلك أشدّ من الذي أتيتَ إلى نفسك من ذلك أشدُّ من الذي أتيت إلى المعاقِب إذا لم يكن تحن عاقبته ولا الصلاح وحده قصدت بها، فتأنَّ في أمرك، واجهد أن تنالَ بسوطكَ وعقوبتك من كان بريئاً، ولا يسلم منك من العامَّة من لا يصلح إلاّ عليها، واحذر الشهواتِ، وليكن ما تستعين به على كفِّها عنك، إلاّ أنّك تعلم أنّها مذهلة لعقلك مهجنةٌ لرأيك شائنةٌ لِعرضك، شاغلةٌ لك عن عظيم أمرك، وأنها لعبٌ، وإذا حضر اللعِبُ غاب الجدُّ، ولا يقوم الدين ولا تصلح الدنيا إلاّ بالجدِّ.

فإن نازعتك نفسك إلى الشهواتِ واللّذات واللهو فإنّها ترغب بك إلى شرِّ منزلةٍ وأدناها وأخسِّها وأسقطها، وأرادت بك خلاف قوام السُّنَّةِ فغالبها أشدَّ المغالبة، وامتنعُ منها أشدَّ الامتناع وليكن مرجعك منها إلى الحقِّ، فإنَّك متى تترك شيئاً من الحقِّ فلا تتركه إلاّ إلى الباطل، ومهما تركت من الصواب فإنما تركته إلى الخطأ، فلا تداهن هواك في اليسير، فتطمع منك في الكثير، ولا ترخيَنَّ درعك بمفارقةِ صغيرٍ من الخطأ، فإنَّ لكل عملٍ ضراوةً، ومتى تعوِّد نفسك القليل تعدل بك إلى الكبير، فلا تطلب لك عمراً في غير نفعٍ، ولا تضيِّع لك مالاً في غير حقٍّ، ولا تصرف لك قوَّةً في غير عناء، ولا تعدِل لك

رأياً في غير رشدٍ[1] مستفادٌ سواه.

فإنْ كان لا بدَّ من اشتغال نفسك بلذّةٍ فليكُن في محادثةِ العلماء ودرس كتب الفلسفة والحكمة، فإنّه ليس سرورك بالشهواتِ بالغاً منك مبلغاً إلّا راكباً بك على ذلك، ونظرك فيه بالغٌ منك مبلغه، غير أنَّ ذلك يجمع لك عاجل الغيِّ ووخامة العاقبة، فإنَّ أسعد الناس بهواهُ أدركهم[2] الرُّشد به.

وإيَّاك والفخر بعلمك بالذي منه كنت[3] ذا نظرٍ مع حملك في البطن. وكونك مما كُوِّنت منه، وتركُّبك من الأشياء التي شأن كلّ مركَّب منها الإخلال والانتقال من حالٍ إلى حال، والمثوى الذي إليه تصير حتى تكون بعد الوجود فقيداً، وبعد النموِّ منحلاًّ إلى العتوِّ والفخر إذا كانا عنك رابلين.

وإيَّاك والكذب فإن الكذَّاب لا يكون إلّا من مُهانة نفسه وسخافة رأيه وجهالةٍ منه بعواقب مضرةِ الكذب عليه، واعلم أنَّ أقلَّ ما يتنزل بالكذاب إذا عُرف به أن يقول فلا يُصدَّق، وهو صابر، ولا يحكم وهو غير جاهل، ولا يبرأ وهو نظيف، ثم يصير في البعد من نفسه والانحياز عن قصده بمنزلة من أراد الشرق فتوجَّه إلى الغرب؛ وقد قال أوميرس الشاعر: ليس شيءٌ أدنى من الكذب، ولا خير في المرءِ إذا كان يكذب، واعلم أن سرعة إئتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كسرعةِ اختلاط الماء بالبحار، وبُعْدُ الفجرة من الائتلاف وإن طالت معاشرتهم كبعدِ البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها.

واعلم أنَّ صلاح الأعوانِ والوزراء بصلاح الملِك، فكن بصلاح الأعوان والوزراء، أعني منك عنده من لاصلاح عنده، فإنَّ الجوهر خفيف المحمل مزيد الثمن، والحجارة فادحةٌ لمحاملها، قليل ثمنُه عناؤها، ثم اجتهد أيضاً

(1) أ: ح. ن.: فعليك بالحفظ لما أوتيتَ من ذلك والجد فيه وخاصة في العمر الذي كلُّ شيء.

(2) أ: ح. ن.: السرور وتمام: لسعادة وخلافه جمع لك.

(3) أ: ح. ن.: ومعرفتك بالّذي إليه تصير فلا سبيل لك إن كنت. . .

في ابتغاء صالح، أظنَّةُ العمال الأعمال، فإنَّ العامل من الملك بمنزلةِ السلاح من المقاتل، فإذا فقد الوالي أعمال الصدق فقد نزل به ما ينزل بالمقاتل إذا لقي أعداءً بلا سلاح، وليكن رأسُ العمل به أن تعلم الناس أنَّ معروفك لا يوصلُ إليه إلّا بمعونتك على الحق، وتوطّن أهل الباطل ومن يُفسد في الأرض أنفسهم منك على العقوبة الفادحة، فإنَّ بذلك يقومُ ملكُك وتعدُّ حكيماً، وبعد فإنّي لست آمنُ عليك الزَّلل في الأمور بعد، وعُميَت عليك الاجتهاد، ولا يثبتُ العذرُ إلّا بشدَّة الاجتهاد ودرك الصواب، فإذا أشكلت تلك الأمورُ وعميت عليك فليكن مفزعك فيها إلى العلماءِ، فإنَّ أدنى غايات الفعل الذي يصلح عليه أمرُ الوالي أن يكون عنده من الرأي ما يعلم فضل العالم على الجاهل، خطِر المرزية إذا وردت عليه.

وقد قال أفلاطون: من سبرَ عقول العقلاءِ بعقله استبان به من الأمورِ مثل الذي يُستبانُ به من المصابيح في ظلمةِ الليل، فلعلَّك رأيك أن يُريكَ أحداً من الناس يزدريك لاقتباس منهم أو بسخف بأمرك عندهم، فإن عرض هذا بقلبك فاطرحه أشدَّ الاطِّراح، فإنَّ الذي تسعدُ به من العلم وتفوز به من مخالفة الجهل افضل لك نفعاً وأعظمُ خطراً من أن يُعادله شيءٌ سواهُ، مع أنَّ الناس فيك رجُلان: عالمٌ يزيدك طلب العلم عنده فضلاً، أو جاهلٌ لا يرغب في موافقته؛ واعلم أنه ليس من أحدٍ يخلو من عيبٍ ولا من حسناتٍ، فلا يمنعك عيبُ رجُلٍ من الاستعانة به فيما لا يفضي به فيه عيبه إلى ما تكره ولا يحبسُك ما فيه من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه؛ واعلم أن كثرة أعوان السُّوءِ أضرُّ عليك من فقد أعوان الصدق؛ واعلم أن العدل ميزان الله تعالى في أرضه، وبه يؤخذُ الضعيف من القوي والمحقُّ من المبطل، فمن أزال ميزان الله تعالى عن ما وضع بين عباده فقد جهل أعظم الجهالة، وأغوى أشدَّ الإغواء، واعتزَّ بالله أشدَّ العزة، واستعن على أمورك بحبلين منهما تألُّف الأهواءِ، والأخرى التَّبتُ في الأمور، وإيَّاك والتأخير لأمورك والتَّواني عنها أو فيما يحدث منها، فإنَّك إن فعلت ذلك كثرت عليك،

ثم لم تجد لك بمباشرتها بُدّاً، أو يقدحك إن وكلتها إلى غيرك، وتضيع، وإنّما الأمورُ كلُّها أمران: صغيرٌ لا ينبغي أن تباشرهُ، وكبيرٌ لا ينبغي أن تكِلَهُ إلى غيرك، ومتى باشرت صغار الأمور شغلتك عن كبارها، وإنْ صيَّرْتَ كبارها إلى غيرك أضعت أكثر مما حفظت، وأفسدت أكثر ممَّا أصلحت، واسألِ الله تعالى الذي اختار العدل لنفسه، وأمرنا بالقيام به في خلقه أن يُلهمك وأن يجعلك من أهله وحملته، والقوَّام في عباده وبلاده آخر العهدِ.

ثم إنّ الملك اشتدت علته وثقل جهداً، فقال له أرسطو: أيُّها الملك المحمودُ، قد جمع الله عزَّ وجلَّ لك من حسن الذكر وجميل الصواب ما تستحقُّ به كرامة ما أنت صائرٌ إليه، وهذا سبيلُ الأبرار المتألِّهين، ثم قضى نحبَهُ.

وأفضى الأمرُ إلى الإسكندر، فساس أحسن سياسةٍ وأوفقها، وفُتحت له الدنيا، وكان لا يخلو أرسطو من سِرِّهِ ومشورته حتى مات ببابل بعد أن دانت له الأرضُ أربعَ عشرة سنةً، وقيل دُفن بحمص، وبُني عليه قبَّة، وتفرَّق الملك بعده في فارس وملوك الطوائف الاسكاسه[1] والرُّوم، وانقضتِ الأمور إلى أن خرج أردشير من بابل من آل ساسان، فجمع الممالك؛ والدنيا دُوَلٌ، والمال[2] عاريةٌ، والباني مُغترٌّ بمن سلف، فسبحان من لا يدخل ملكه التغيير، وهو الله الحقُّ؛ وتشاور الحكماءُ في أن يُسجد له[3] كالإِلَه، فنهاهم، وقال: لا سجود لغير بارىء الكل، ويحقّ له السُّجود على من كساهُ بهجة الفضائل؛ وأغلظ له رجلٌ من أهل بيته، فقام إليه بعضُ قوَّاده ليقابله بالواجب، فقال له الإسكندر: دعْهُ لا تنحطَّ إلى دياته ولكن ارفعه إلى شرفك.

وقال: يجب على أهل الحكمة أن يُسرعوا إلى قبول اعتذار المذنبين

(1) «كذا» في «أ».
(2) «كذا» في «أ». ولعلَّها: الآمال.
(3) له: سقطت من «أ». وهي زيادة يقتضيها السياق.

ويبطئوا عن العقوبة. وقال: سلطان العاقل على باطن العقل أشدُّ تحكُّماً من سلطان السيف على ظاهر الأحمق.

وقال: مَنْ أراد أن ينظر إلى أفعال الله تعالى مجرَّدةً فلْيعِفَّ عن الشهوات.

وقال: إن نظم جميع ما في الأرض شبيه بالنظم السماوي لأنَّها أمثالٌ له تحق.

وقال: النظر في المرآةِ يُري رسم الوجه، وفي أقاويل الحكماءِ يري رسم النفس.

وقال: السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه لأنَّا إذا عرفناه أطرنا يومه وأطلنا نومه.

وقال: استقلَّ من كثير ما يعطى واستكثِر قليل ما تأخذ، ولا تجعل الشحيح أميناً ولا الكسلان صفيّاً، لأنّه لا عفَّةَ مع شُحٍّ ولا أمانةَ مع كفرٍ.

وقال بعضهم: كنّا عند سَيْر المنجِّم، فأدخلنا أيُّها الملك بستاناً له في الليل، ونظر في النجوم، فجعل سير يُشير إليها بيده، ويسير حتى سقط في بئر، فقال الملك: من تعاطى علم ما فوقه بليَ بجهل ما تحته.

وقال: ما ألطف قبولَ هيولى هذه التفاحة لصورتها وأفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الأصناع الروحانيَّة من تركيبٍ بسيطٍ وبسيط مركَّبٍ حسُنتْ بمثل العقل لها بل ذلك دليلٌ على إبداع مُبدعِ الكلِّ لها.

## 34 ـ أخبار بطليموس[1]

كان بطليموس رجلاً مقدَّماً حاذقاً بصناعةِ الهندسة والنجوم، وصنَّف كتباً جليلة منها كتابٌ يعرف بماغاسطن، ومعناه العظيم، التَّام، وعُرِّب فقيل له: المجسطي، وهو الذي أخرج علم الهيئة والموسيقى والحساب، وكان مولده ومنشؤه بالإسكندرية العظمى من أرض مصر، ورصد بالإسكندرية في زمن

(1) الفهرست، ص: 327؛ وابن جلجل، ص: 35؛ والقفطي، ص: 95.

ادريانوس الملك وغيره، وبنى على أرصاد أبرَخس الذي رصد بها برودس، ولم يكن بطليموس[1] اسم له كما يسمّى الرجل بكسرى وقيصر[2].

وكان مُعتدلَ القامةِ، أبيض اللون، تامَّ الباعِ، لطيفَ القدم، على خدِّه الأيسر شامةٌ حمراء، كَثُّ اللحية، أسودها، مفلَّج الثنايا، صغير الفم، حسن اللفظ، حلو المنطق، شديد الغضب، بطيء الرضى، كثير التنزُّه والركوب، قليل الأكل، كثيرَ الصيامِ، طيِّب الرائحة، نظيف الثياب، مات وله ثمان وسبعون سنةً. قيل بطليموس وجالينوس كانا في زمن أديانوس في سنة تسعٍ وعشرين وستمائة وخمسة ألف.

وبعد وفاته بسنة ظهر أردَشير بابك ودقيانوس؛ وأصحاب الكهف في هذا التاريخ كانوا وانتهبوا وخرجوا في زمن ثاودوسوس الثاني، وكان سنة أحد وأربعين وتسعمائة وخمسة ألفٍ.

## آداب بطليموس

قال: ينبغي للعاقل أن يستحيي من ربِّه إذا اتصلت فكرتُهُ في غير طاعته.

قال: العاقل من عقل لسانه إلاّ من ذكر الله عزَّ وجلَّ، والجاهلُ من جهل قدر نفسه.

وقال: رضى المرءِ على نفسه مقترنٌ بسخط الله تعالى.

وقال: كلَّما قاربتَ أجلاً فازدد لله تعالى عملاً.

وقال: الحكمة لا تحلُّ قلبَ الأحمقِ إلاَّ وهي على ارتحال.

وقال: أدبُ المرءِ قرينُ عقله وشفيعٌ له عند الناس.

وقال: ما مات من أحيا علماً ولا افتقر من ملك فهماً[3] العلماءُ غرباءُ لكثرة الجُهّالِ بينهم.

---

(1) أ: ح. ن.: ملكاً من الملوك البطالسة كما ظنّ قوم وإنما بطليموس

(2) ح. م.: يفرق هنا المؤلف بين بطليموس الملك وبطليموس الحكيم وقد أظهر ابن جلجل أنهما واحد، ص 36.

(3) أ: ح. ن.: وقال،

وقال: الحكمةُ شجرةٌ تنبتُ في القلب وتثمر من اللسان.

وقال: أشدُّ العلماء تواضعاً أكثرهم علماً، وكما أن المنخفض أكثرُ البقاع ماءً.

وقال: نعِمُ الجهَّالِ كرياض المزابل.

وقال لا تناظر إلاّ منصفاً، ولا تحبَّ إلا مسترشداً. ولا تودع سرَّك إلاّ حافظاً.

وقال: من أحبَّ البقاء فليُعِدَّ للمصائب قلباً صبوراً. وقال الدار الضيِّقةُ الهمُّ الأصغر.

وقال: افرح بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب.

وقال: إذا غضبت فلا يمتدُّ غضبُكَ إلى الإثم واعفُ إذا لم[1] ترك الانتقام جوراً أو عجزاً.

وقال: الشَّيبُ آخر مواعيد الفناء.

وقال: قلوبُ الأخيار حصونُ الأسرار.

وقال[2]: الكاتمُ للعلم غيرُ واثقٍ بالإصابةِ فيه.

وقال: مَنْ قبِلَ عطاءك فقد أعانك على البرِّ والكرمِ، ولولا من يقبلُ الجودَ لم يكن من يجود.

وقال: الأمل رفيق مؤنسٍ إن لم يبلغك فقد استمتعتَهُ.

وقال: ألا من يذهب[3] أُنْس الجماعة.

وقال: كما إنَّ البدن إذا لم ينفعه سقم لم ينفعه طعامٌ ولا شرابٌ، كذلك القلبُ إذ عقله حبُّ الدنيا لم تنفعه المواعظ.

وقال: ما راحمت الدنيا على أمرٍ مستورٍ إلاَّ كشفته.

---

(1) أ: ح. ن.: يكن.

(2) أ: ح. ن.: وقال، أبدى العقول يمسك أعند النفوس

(3) أ: ح. ن.: وحشة الوحدة والخوف يذهب.

وقال: أعظم الناس قدْراً من لم يبالِ في يد مَنْ كانت الدُّنيا.

وقال: الناس اثنان: بالغ لا يكتفي ومجدٌّ لا يبلغ.

وقال: من زاد أدبُهُ على عقله كان كالرَّاعي الضعيف من كثرة الغنمِ.

وقال: عبدُ الشهوات أذلُّ من عبد الرِّقِّ.

وقال: أعدلُ الناس من أنصف عقله من هواه.

وقال: الشفيعُ جناحُ الطالب.

وقال: ليس شيءٌ أحسن عند الله تعالى جزاءً من إذا كافيتَ المُسيءَ بالإحسان إليه مع دوام الاساءةِ منه إليك.

وقال: الأعمال في الدنيا تجارةُ الآخرةِ، والموتُ بابُ الآخرةِ، ولا يفلحُ حاطب الشرِّ.

وقال: لاتخرجُ النفسُ من الأملِ حتى تدخُلَ باب الأجل.

وقال: العلمُ بما في الثواب عند المصيبة يُنسي المصيبة.

وقال: النفسُ الجاهلةُ أعدى عدوٍّ لصاحبها. وقال: النِّيَّةُ أساسُ العمل، والعملُ سفير الآخرة.

وقال: الجمال في اللسان، والفقر من الإخوان.

وقال: المرضُ حبس البدن، والهمُّ حبسُ الروح.

وقال: النفس أغلبُ عدوٍّ.

وقال بطليموس: ما أحسن بالإنسان أن يصبر عمَّا يشتهي، وأحسنُ منه أن لا يشتهي إلاّ ما ينبغي.

وقال: الحكيم هو الذي إذا صُدِّق صبر لا الذي إذا قذِف كظم. وقال: لأن لا يستغني الإنسان عن الملك أكرمُ من أن يستغني به.

وقال: العلمُ في موطنه كالذَّهب في معدنِه لا يُستنبطُ إلاّ بالتعبِ، والكريمُ يُحب تخليصه بالفكر ثم يخلّصُ الذهب بالنار.

وقال: دلالةُ القمر في الأيام أقوى، ودلالة الشمس والزهرة في الشهور أقوى، ودلالة المشتري وزُحل في السنين أقوى.

وقال: نحن كائنون في الزَّمن الذي مالى[1] بعد، يعني المُعاد، فإنَّ الكون والوجود الحقيقي هو ذلك الكون والوجود في ذلك العالم. وسمع جماعة من أصحابه حول بئرٍ دُفن بدقول فيه، فهزَّ رمحاً ليعلموا أنَّه سمع فتباعدوا عنه قيد رمح ويقولوا ما أحبُّوا.

## 35 ـ أخبار مهادرجيس

كان اسمر اللون، أصهب الشعر، طويل اللحية، كبير الأذنين، عظيم الرأس، صغير العينين، ناحل الجسم، كثير الصمتِ حلوَ المنطق، متأنياً في كلامه، حسن الثنايا بيده عصاً على رأسها صورة هلال؛ مات وله ثمانون سنة فَمِن كلامه: باسم ولي الحكمة، منتهى الانعام والرحمة، وغاية الطول والإحسان الواجد بكلِّ الزَّمان، الذي جاد بالخير بفضله وجعل الشكر سبب الزيادة من عطاياه ومواهبه، والكفر تمحيق ما لرزقه ومنَّته.

وقال: أمران يستصلح به المرءُ دنياه أدبٌ تقوم به نفسه واجتهاد تحسُن به عيشتُه، وأمران يحتاج إليهما لمعاده: عقلٌ يُعْرَفُ به حظُّهُ، ونزاهةٌ يقهر بها شرههُ.

وقال ظهور الهيبة من الولاةِ حسمٌ لبوائق الأشرار والبُغاة.

وقال: كرمُ الحسب عونٌ على تثمير الأدب.

وقال: الغنى نزاهةُ النفس وملك الهوى.

وقال: حِليَةُ المروءةِ صونُ المرءِ نفسه، وقمعُهُ لهواه، وثمرة ذلك ما يكتسب من حسن الثناءِ، وفضل المحبَّة، وإحمادِ العاقبة.

وقال: استوجب الشكر من رحب درعُهُ وقهر حلمه غضبه.

---

(1) كذا في «أ» ولعل الصَّواب: تالٍ.

وقال: الصمتُ مع فقدِ الخطأ في حسنه أفضلُ من النطقِ المُصيبِ في غير أوانه.

وقال: كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل رشدك من غيِّك. فقال: أولى الأشياء بالصون والتكرمةِ علمٌ استُجمع به حظُّ الدنيا والآخرة.

وقال: من جاد لك بمودَّتِهِ جعلك عديل نفسه.

وقال: من حسُنَت نيَّته فقد استقامت طريقتُه، ومن لانتْ كلمتُهُ استحقَّ من الجميع محبَّته؛ خيرُ ما أتممتَ من معروفك ما ابتدأتَ به من غير مسألة.

وقال: كم من أدب قد أُهمِلَ بسوء صيانتهِ، وكان جالباً حتف صاحبه.

وقال: جماع ما في الدنيا من مكاسب المروءة اعتقاد مودَّة أهل الدِّين والمروءة.

وقال: لا يوجبُ العاقلُ صدقَ المحبَّةِ إلاّ لأولي الوفا.

وقال: استصلح نفسك بعقلك واجعلْ أدبك بمنزلةِ[1] تدركُ بها ما انتشر من أمرِك.

وقال: اللطف مسالمةُ عدوِّكَ وإن كنتَ واثقاً بتأيُّدِكَ وقهرك، وآفَّة النجدة عدمُ الرُّؤية، وآفة العلم فقد الحلم والمروءة.

وقال: التماس ما لا يُدرَك عناءٌ ومشقَّةٌ، كذلك تقويم الجاهل توهينٌ للعقل وأتعاب له.

وقال: كما إن الأدب والعلم من السعادة كذلك الحلم والتواضع جماع البرِّ وسبب لدركِ حسنِ المنزلةِ.

وقال السَّعيدُ من قمع بالصَّبر شهوتِه ودبَّر بالحزم أمره.

وقال: من ساء طبعُهُ تنغصت معيشتُهُ وعظُمَتْ مصيبتُه.

وقال: من نسب في الأموال لم يعدم العمومَ.

وقال: الروح المتواضعُ كمدينةٍ عليها سورٌ حصينٌ.

---

(1) أ: ح. ن.: مرآت (مرآة).

# 36 ـ أخبـار غريغوريوس المتكلِّم على اللاَّهوت

كـان راهباً نصـرانياً، وكـان مطرانـاً بانـطاكية، ثم صـار بـطركـاً بهـا، ولـه مصنَّفات في الحكمة[1].

وقـال: إجعل الله تعـالى بدءَ أمـرك، وكما ربـح العيش العُمْر يـوماً بيـوم، إعرف كلَّ شيءٍ واختـر أفضله؛ ما أردى الفقـر، وأشرُّ منـه الغنى الرَّدِيء. إذا كنت تحسن[2] فاعلم أنَّك بالله تعالى متشبِّه، أطلب خير إلّهك فتكون صالحاً، اضبط حسـدك، واربطه بـالقيود، الجم غضبـك لئلَّا تقـع خـارجـاً من عقلك مساوىء نظرك، وليكن لسانك ميزاناً، إعمل غلفاً لأذنيك لئلَّا تكـون ضحكة، اتخذ العلم سراجاً بعيشك، إجمع لا تظُنَّ بنفسك[3] غير ما أنت فإنَّك هالكٌ، اعقل كلَّ شيءٍ، واعمل الذي ينبغي، واجعل نفسك غريباً، واكـرم الغربـاءَ، إذا طاب سيرُ سفينتك فاحذرِ الغرق، عند ذلك ينبغي أن يُقبل كل مـا جاء من الله تعالى بشكر، عصـا الصـديق أفضل من كـرامة الشـرير، ثـابرْ على بـاب الحكماء، فأمَّا الأغنياء فلا، احتمل شتمـةً يسيرَةً تحمـد كثيراً، احفظ نفسـك ولا تفـرح بسقطة، آخِـرُ الموهبـة أن لا تحسد فـالزَّلـل أن تكون حسـوداً، إذا قـويت على احتمال عسف شـاتمك فـأدق النظر فيمـا يتولَّـدُ لـك من العُجب بشنائك. وكان يفرح ويحزن بشتم رجلٍ من الأفـاضل لـه، فقيل: لمَ ذلـك؟ فقال: أفرحُ لأني أشتم بلا جرم وأحزن لرجلٍ نبيلٍ كيف يزِلُّ؛ إذا كانت لك كلمـة حكمةٍ فـاقض بها إلى دليـل وإلَّا فضع يـدك على فيك الـدَّهـر، تُلهب شهاب المصباح ومجاورة النساء تلهب[4] بالدنيا أسرعتْ إليه ضرباتُ الأعداء؛ النبات يهتزُّ لقـرب الماء، والشَّهـوة تعظُمُ بكـلام المرأة؛ الحسـد يبدِّدُ العلـم، والحلم يجمعه. الكرامةُ تطفىء الحقد.

---

(1) أ: ح. ن.: وقال من نسب في الأموال لم يعدم العموم، وقـال: الزوج المتـواضع كمدينـة عليها سور حصين.

(2) أ: ح. ن.: الأمور.

(3) أ: ح. ن.: فتهلك.

(4) أ: ح. ن.: نار الشهوة، ومن أحبَّ الحد وسلم من لسان العدو ومن يلبس..

## 37 ـ آداب بـاسيليـوس

معنـاه: الملكُ. قال: من القبيـح أن تحْترز من أغـذية البـدنِ كيـلا يكـون ضاراً ولا تحترز من أكثر العلم وهو غذاءُ النفس حتى لا يكون باطلاً ضارّاً.

وقال: من القبيح أن يكون الملاَّحُ لا يطلقُ سفينته مع كلِّ ريحٍ، ونحن[1] نطلق أنفسنا مع كلِّ سانحةٍ من غير بحْثٍ ولا اختبار.

وقال: إنه من القبيح أن تطلبَ في صحّةِ كلِّ علمٍ ما تقنع به وتقبل علم ما عن صِحّته.

وقال ينبغي لمن علم أن البدن للنفس كالآلةِ للصانع أن يـطلب كلَّما يصيـر البدنُ أنفع وأوفق لأفعال النفس التي فيه، وأن يهـرب من كلِّ مـا يصير البـدنُ أنفع وأوفق لأفعال النفس غير نافع ولا موافق لاستعمال النفس له.

وقال: إن كان من القبيح إذا ركبنا الخيل أن لا تكون تجريها وتديرهـا لكن هي تكـون التي تجري وتـديرُنـا، فأقبـح من ذلك أن يكـون هذا البـدن الذي ألبسناه هو الذي يجري بنا ويديرنا لا نحن نجريه ونديره.

وقال: إن كان من القبيح إذا كان البدن سمحاً بأوساخ بثياب نظيفـة فأقبـحُ من ذلك أن تكون النفس دنِسةً بأوساخ العيوب ويكون البدن مزيَّناً من خارج.

وقال: إن كنا نعنى بجميع أعضاء البدن وخاصـةً بالأشـراف منها فبـالحريِّ أن نعنى بجميـع أجزاء النفس وخـاصةً بـالأشراف منهـا، فبـالحـريّ أن نعنى بشيءٍ وهو العقل.

وقـال: كمـا إن الـذين يستعملون حـواسَّ البـدن فقط يمنعهم من الغضب الخـوفُ من الملك المحسـوس إذا وقفـوا بين يـديـه كـذلـك يجب على من يستعملُ الحواسَّ النفسانية أن يمنعه من الغضب الخوف من الملك المعقـول الذي هو واقفٌ بين يديه دائماً. وقد رأى إنساناً سميناً فقال: مـا أكثر عنـايتك برفع سور حبسك.

---

(1) نقرب من الله من غير بحث.

وقال: ينبغي لك إذا دبَّرت إنساناً يريد بذلك صلاحهُ أن لا يتشكَّل بشكل من تريد أن تنتقم منه من عدوٍّ ولكن ينبغي أن يتشكَّلَ بشكل المريض للطبيب.

وقال: كما تكون سيرتُك في المجالس والمحافل والمجامع كذلك ينبغي أن تكون في الخلوات.

## 38 ـ إقليدس الصوري[1]

وهو أوَّلُ من تكلَّم في العلوم الرياضية وأفرده علماً نافعاً في العلوم، منقِّحاً للخاطر، ملقِّحاً للفكر، وكتابه معروف باسمه، وقيل إنَّ عِلْمَ هذا الكتاب وبراهينُهُ كان موجوداً قبل إقليدس، والقدماء تكلَّموا على هذه العلوم قبل وجود إقليدس بزمانٍ، والذي فعلهُ إقليدس أنه جمع علوم هذا الكتاب من مواضع متفرقة، ورتَّبها وهذَّبها وأصلحها، وتصرَّف فيها بالزيادة والنقصان، فصار نسبته كتاباً مشهوراً وبهذا العلم معروفاً.

وقال له رجلٌ: لا آلو جهداً في أن أُفقدك حياتك، فقال: وأنا لا آلو جهداً في أن أفقدك غضبك.

وقال: من أراد أن يكون محبوبه محبوبك وافقك على ما تحبُّ فصرتما متَّفِقَيْنِ على محبوب واحد.

وقال: الأمور جنسان أحدُهما يُستطاع خلعه والمصير إلى غيره، والآخر توجبه الضرورةُ فلا يستطاع الانتقال عنه والاهتمام، والأسفُ على كلٍّ واحدٍ منهما غير سائغ في الرأي، فإن كانت الكائنات من المضطرة فما الاهتمام بالمضطرِّ وإن كانت غير مضطرة، فلِمَ الهمُّ فيما يجوز الانتقال عنه؟

وقال: كلُّ فائت وجدْت عوضاً منه وأمكنك اكتساب مثله، فما الأسف على فوته وإن لم يكن منه عوضٌ ولا يُصاب له مثلٌ، فما الأسفُ على ما

(1) الفهرست، ص: 325: اقليدس بن نوقطوس.

لاسبيلَ إلى مثله وإذا لم يبق العاقل بشيءٍ من أمور الدنيا فيقتصر على ما لا بد منه ويترك ما منه بدّ.

## 39 ـ أخبار لقمان الحكيم

المذكور في القرآن العظيم، كان أسود اللون حبشياً، جنسهُ من النُّوبة، وكان منشؤه وتعليمه وتهذيبه ببلادِ الشام، ومات بها، وقبرُهُ بمدينة الرَّملة من أعمال فلسطين، كان ساكناً في أكواخ في هذا الموضع، وكان من موالي العارية الأولى بالشام، وكان في زمن داود النبي ﷺ، وفي رواية أخرى كان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفَّح القدمين، فأتاه رجُلٌ وهو في مجلس أناس يحدِّثُهم، فقال له: ألستَ الذي كنت ترعى الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: ما بلغ بك إلى ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة والصمت عما لا يعنيني.

وقال آخر: كان لقمانُ أسود معضلاً غليظ الشفتين، مصطك الرُّكبتين، فكان لرجلٍ من بني اسرائيل اشتراه بثلاثين ديناراً ذهباً، وكان مولاه يلعب بالنّرد ويخاطر عليها، وكان على بابه نهرٌ جارٍ، فلعب يوماً على أنَّه إن قمره صاحبه شرب الماءَ الذي في النهر أو يفتدي منه، وإن قمر صاحبهُ فعليه مثل ذلك، فقُمرَ سيِّد لقمان، فقال له القامر: إشربْ ما في هذا النهر وإلاّ افتدِ منه، قال: احتكمْ، فقال: عينيك أفقأهما أو جميع ما تملك، فقال: أمهلني يومي هذا، قال: ذلك لك، فأمسى كئيباً حزيناً إذْ جاء لقمان وقد حمل حُزْمة حطبٍ على ظهره، فسلَّم على سيِّده، ثم وضع ما معه، وكان سيِّده إذْ رآه عبث به، وسمع منه الكلمةَ بعد الكلمةَ من الحكمةِ، فتعجَّب منه، فلمَّا جلس إليه قال لسيِّده: مالي أراك كئيباً حزيناً؟ فأعرض عنه، فقال له الثانية، فأعرض عنه، فقال له الثالثة، فأعرض عنه، فقال له: اخبرني، فلعلَّ لك عندي فرجاً، فقصَّ عليه القصة، فقال لُقمَنُ: لا تغتمّ، فإن لك عندي فرجاً، قال: وما هو؟ قال: إذا قال لك الرجلُ إشربْ ما في هذا النهر، فقل له:

أشربُ ما بين الضَّفَّتين أو المدَّ الذي يجيء به، فإنَّـه سيقول لـك: إشرب مـا بين ضفّتيّ النهر، فإذا قال لك ذلك، فقل لـه: احبس عنّي المدَّ حتى اشـرب ما بين الضَّفتين، فإنَّه لا يستطيـع أن يحبسَ عنك المـدَّ، فتخرجُ ممَّـا ضمنت له، فطابت نفسه.

فلمَّـا أصبح وجـاءه الـرجُـلُ، فقـال لـه: قمْ[1] أشـربُ مـا بين الضفَّتين أو المدَّ؟، قال: لا ما بين الضفتين، فقال: احبس عني المدَّ[2] فخصمه بـذلك، فكفَّ عنه، فأكرم لقمان وأعتقه.

وكان ذلك أوَّل ما ظهر للنـاس من حكمه، وكـان يختلف إلى داود[3] سنة، وداود يتَّخذ درعاً وذلك أوّل ما بدأ في صنعتها، فلم يسـأله لُقمـان، ما هـذه، ولا أخبره داود عليه السـلام حتى فرغ منهـا، فصَبَّها داود على نفسـه، ثم قال بـالسريـانية: زرداطـا بـاكثـرا[4] يعني: درعٌ حصين ليـوم قتـال، فقـال لقمن: الصَّمتُ حكم[5]، وقليـل فاعله، وكـان قبـل ذلـك لم يمـدح نفسـه قطُّ، ولم يُـزكِّها، وقـال له مـولاه وقد ذبـح شاةً: إئتني بـأفضل كـلِّ شيءٍ فيهـا، فـأتـاه بالقلب، فقال: إئتني بشرِّ ما فيها، فأتاه بالقلب.

ورُوي أنّه لما هدأتِ العيون المقـاتلة نودِيَ لقمـانُ أيسرُّك أن تكـون خليفةً في الأرض؟ قال: إن يخيِّرْني ربِّي فسمعاً وطاعةً، وإن يخيِّرْني اختر العاقبة.
قيل: وما عليك أن تكون خليفةً[6] تقضي؟ قال: إنْ أقـضِ بالحقِّ فبالحري أن أنجـو، إن أخطىء أخطِ طـريق الجنة، ولأن أكـون في الدنيـا مهينـاً ذليـلاً أهونُ من أن أكون فيها قويّاً عزيزاً، ومن باع الآخرةَ بالدنيا خسرهما جيمعاً.

---

(1) أ: ح. ن.: واشرب ماء النَّهر قال:
(2) أ: ح. ن.: حتى أشرب ما بين ضفَّتين.
(3) أ: ح. ن.: إلى داود، ويفتش عن الحكمة فاختلف.
(4) أ: ح. ن.: القرآن.
(5) أ: ح. ن.: خير.
(6) أ: ح. ن.: في الأرض.

قال: فرضيَ الله سبحانه ذلك من قوله، فأرسل الله تعالى إليه ملكاً، فغطّه بالحكمة غطّاً، فأصبح وهو أحكمُ أهلِ الأرض، وكان يغشى داود لحكمته، فيقول له داود: هنيئاً لك يا لُقمان، أوتيت الحكمة، ووقيتَ الفتنةَ، وكان الأمرُ الذي فيه داود عليه السلام قد ألقيَ إلى لقمان فأبى أن يقبله، ورأى داود عليه السلام الناس يخوضون ولقمان ساكت، فقال ألا تقُل يا لقمان كما يقول الناسُ؟ قال: لا خير في الكلام إلاّ بذكر الله تعالى، ولا خير في السكوتِ إلاّ بالفكر في المعادِ، وأن صاحب الدِّين إذا فكَّر فعليه السكينة، وشكر فتواضع، وقنع فاستغنى، ورضي فلم يهتم، وخلع الدنيا فنجا من الشُّرور، ورفض الشهوات فصار حُرّاً، وتفرَّد فكفَّهُ الأحزان، وطرح الحسد فظهرت له المحبة، وسمت نفسه عن كلِّ فانٍ، فاستكمل العقل وأبصر العاقبة، فأمِنَ الندامة، ولم يُخف الناس، فلم يخفهم، ولم يذنب إليهم فسلم منهم، فالناس منه في راحةٍ، وهو من نفسه في تعبٍ.

قال: صَدَقْتَ يا لقمان، وأُعجب به وشاع ذكره.

وقال داود للقمان بعدما كبُرَتْ سنُّهُ: ما بقي من عقلك؟ قال: لا أنظرُ فيما لا يعنيني ولا أتكلَّف ما كُفيتُه، وكان مولى لقمان الذي أعتقه، أعطاه مالاً كثيراً، فبارك الله تعالى للقمان في ذلك المال، فكثُرَ، وبسط لقمان يدَهُ في الخير، تصدَّق، وسلَّف من استسلفه، ولا يأخذ على ذلك رهْناً ولا كفيلاً، فإذا دفع المال إلى الرَّجُلِ قال: تأخذه بأمانةِ الله تعالى، وتؤدِّيه إلى عام قابل هذا الحين، فيقول نعم فيدفعُهُ إليه، فجعل الناس يأخذون منه ويردُّون عليه، فبارك الله تعالى له في ماله وثمره.

ويُروى أنَّ لقمان أوتي الحكمةَ وبُسِطَ له في الدنيا، فقدمِها، واعتزل الناس وشرورَهم، فنزل فيما بين الرَّملةِ وبيت المقدس، لا يخالط الناس حتى لحق بالله عزَّ وجلَّ، فكان مما وعظ به ابنه باران أن قال له: يا بنيَّ، عليك بالصبر واليقين ومجاهدةِ النفس، واعلمْ أنَّ الصبر فيه الشرف والشفقة والزهادةُ والترقُّبُ، فإذا صبرتَ عن محارم الله تعالى، وزهدت في الدنيا،

وتهاوَنْتَ بالمصائب، ولم يكن شيءٌ أحبَّ إليك من الموتِ، وأنتَ تترقَّبُهُ.

إي بنيَّ، عليك بالخير، واحذرِ الشَّرَّ فإن الخير يطفيءُ الشَّرَّ، إي بنيَّ، كذب من قال إنَّ الشر بالشَّرِّ يُطفيء، فإن كان صادقاً فليوقدْ ناراً إلى جنب نار، ولينظر هل تطفئها، ولكن لا يطفئه إلّا الخير كما يطفيء الماءُ النار.

ويُروى أنَّ لقمان قال لابنه: يابُنَيَّ مُرْ بالمعروف وانْهَ عن المُنْكَرِ، واصبرْ على ما أصابك، وتهاونْ بالمصائب، وحاسِبْ نفسك قبل أن تسبقَ إليها، واعرفِ العثرة فإنَّكَ إذا عرفت العثرة لم تفرِّط في أمرك.

إي بُنيَّ، أكثِرْ ذكر الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ الله تعالى ذاكرٌ من ذكره.

إي بنيَّ، ليكُنْ ذنوبك بين عينيك وعملك خلف ظهرك.

إي بنيَّ، فِرَّ من ذنوبك إلى الله تعالى ولا تستكثرْ عملك.

إي بنيَّ، أطِعِ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ مَنْ أطاع الله تعالى كفاه ما أهمَّه وعصمه من خلقه.

إي بُنيَّ، لا تركُننَّ إلى الدنيا، ولا تشغل قلبك بحسنها، فإنَّك لن تخلق لها، وما خلق الله تعالى خلقاً أهون عليه منها لأنَّهُ لم يجعل نعمها ثواباً للمطيعين، ولم يجعل بلاها عقوبةً للعاصين.

يا بُنَيَّ، لا تفرح بطول العافية، واكتُم البلوى فإنَّه من كنوز البرِّ، واصبرْ عليها فإنَّ ذلك ذخراً لك في المعاد(1).

إي بنيَّ، أضمِر من الطعام، وامتلِئْ من الحكمة.

إي بنيَّ، جالس الحكماءَ وأرضَ بقولهم تزدَد حكمةً.

إيْ بنيَّ تكلَّمْ بالحكمةِ عند أهلها، وعليك بمجالسةِ أهل الذكر فإنَّها محياةٌ للعلم، وتحدثُ في القلوب خشوعاً.

إيْ بنيَّ، اقصِدِ الحاجةَ ولا تنطقْ بما لا يعنيك، ولا تكنْ مضحاكاً من غير

(1) أ: ح. ن.: اي بنيَّ ارضَ باليسير واقنع بما رزقت، ولا تمدَّن عينيك إلى رزق غيرك فإنَّ ذلك يرديك.

عجبٍ ولا مشاء في غير أدب، وكنْ ليِّنَ الجانب، قريب المعروف، كثير التفكير، قليل الكلام إلّا في الحقِّ، كثير البكاء، قليلَ الفرحِ، ولا تمازحْ، ولا تُصاحبْ، ولا تُمارِ، وإذا سكتَّ فاسكت في تفكُّرٍ، وإذا تكلَّمت فتكلَّم بحكمةٍ.

إيْ بنيّ، عليك بالصمت، فإنّك تحمد عنه، فما ندمتَ على السكوتِ قطُّ، وربَّما تكلمت فندِمْتَ. يابُنيّ، لا يكن الدِّيكُ أكيس منك إذا انقضى الليلُ خفق بجناحيه، وصرخ إلى الله بالتَّسبيح، وإيَّاك والغفلة، خفِ الله تعالى، ولا تعلم من نفسك، ولا تغترَّ بقول الجاهل، إنَّ في يديك لؤلؤةً، وأنتَ تعلمُ أنها بعرةٌ.

إيْ بنيّ انتفعْ بما علَّمك الله فإنَّ العالم ليس كالجاهل، وأنَّ خير العلم ما نفع، وإنَّما ينفع الله تعالى بالعلمِ من اتبعهُ، ولا ينتفع به من علمَهُ فتركهُ.

إيْ بُنيَّ، أعلمُ الناس بالله تعالى أشدُّهُم له خشيةً، إي بُنيّ، تعلَّم الخيرَ وعلِّمه، واعلم أنَّ الناس بخيرٍ ما بقيَ الأوَّلُ حتى يعلم الأخير، وإنَّما كلامُ المعلِّم كالينابيع يحتاجها[1] الناس بالتَّواضع أعلمُهم بالله وأحسنُهم له عملاً، واعلمْ أنَّ من نوَّر الإيمانُ قلبهُ نطق بالحقِّ لسانُهُ فينتفع به وينفع الله تعالى به غيره، ومَنْ أنطقَ الله تعالى بالحقِّ لسانه فلم ينتفع به كان خراب دينه في لسانِهِ، فإنَّ الرجلَ ليُفْسِدَ بالكلمة الواحدة، كما يكون من الشَّرارة الصغيرة النار العظيمة الفساد.

إي بُنيَّ، إنَّ الفاحشَ البذيء الشَّقي إن تحدَّث فضحَهُ لسانه، وإن سكت فضحه العيُّ، وإن عمل أساء، وإنْ فعل ضاع، وإن استغنى بطِرَ وإنْ افتقرَ قنطَ، وإنْ فرح أشرَ، وإنْ حزن أسر، وإن قدر أفحش، وإن قُدِرَ عليه فهو مهينٌ، وإنْ سأل ألحَّ، وإن سئل بخل، وإن ضحك شهق، وإن بكى خار،

---

(1) أ: ح. ن.: يوماً هذا ويوماً هـذا فيتبعون بها عليك بالتواضع لأن أخلف الناس...

وإن زجَرَ عنف، وإن ذُكِر غضبَ، وإن أعطى منَّ، وإنْ أعطيَ لم يشكر، وإنْ أسررْت إليه خانك، وإن أسرَّ إليك اتَّهمك، وإن كان دونك همزك، وإن كـان فوقكَ قهرك، وإن صحبته عناك، وإنْ اعتزلته لم يدعك، لا حكمته يعنيـه ولا حُكم غيـره ينفعُه، ولا يستـريح من الـزَّجر، ولا يستـريح زاجـرُه، ولا ينقضي تعليمـه، ولا يفرح معلِّمـه، ولا يُسرُّ بـه أهلهُ، ولا يفترُ عنهم حزنُه، إن كـان أكبرهم غنىً من دونه وإن كان أصغرهم غنىً من فوقه، ولا يـرشَدُ إن أرشِـد، ولا يطيع إن أُمِرَ، ولا يسعدُ من عـاشره، ولا يسلم من اعتـزله، ولا يصيبُ إن قـال، ولا يفقهُ إن قيـلَ له، ولا يقتصـدُ في الرَّجـاءِ، ولا يصبرُ في البـلاء، لا يقفُ في المسـألة، لا يفعـل المعروف، لا يشكـرُ لأحـدٍ، لا يـدعُ الغشَّ، لا يقبلُ من ناصـحٍ ثقة وإن لم يـوافق الحكماءَ، ويعجبـه عِلمُه وإن أحـد يوافق العلماءَ يرى أنَّه محسنٌ، وإن كان مسيئاً يرى عجزه كيِّساً وشـرَّهُ خيراً وتفـريطه حزماً وجهله حلمـاً، بما أحبَّت نفسـه آخذٌ ومـا كرهتـه تاركٌ، وإن وافق الحقُّ هواه مدحه وامتدح بـه، وإن خالف الحقُّ هـواه أكذبـهُ ورمى به، وإن احتـاج إلى الحقِّ سأله، فإذا سُئلهُ منعه، وإذا حضر أهلُ الحقِّ سـاعدهم، وإذا تغيَّبَ عنـه كان في البـاطل، إذا جـالس العلماء لم يتخشَّـعْ، ولا ينصت لهم، فـإذا جالس من دونَهُ فخـر عليهم، وضحك منهم، يقـول الحقَّ ويخالفـهُ بالعمـل، يأمر بالبرِّ وهو فاجر، ويأمرُ بالحقِّ وهو مبطلٌ، يـأتي إلى النـاس بمـا لا يرضـاه لنفسه، يدلُّ على الإحسان ويجتنبُه، وينهى عن السـوء ويتَّبعه، يـأمرُ بـالحزمِ وهو مضيِّعُهُ لا عليه، يتفقَّهُ لغير الدين، يتعلَّمُ لغيـر العمل، يتَّبـع الدنيـا بعمل الآخرة.

إن كنت عـالماً تكبَّـر وأنف أن يتعلَّم، وإن كنت جـاهـلاً سخـر منـك ولم يُعلِّمك، إن كنت قويّاً عنَّفَكَ، وإن كنت ضعيفاً عجّزك، وإن كنت غنياً سمَّاك طاغياً، وإن كنت فقيـراً سمّاك مُضيعـاً، وإن كنت حريصـاً على الخير سمّـاك مُكلفاً، وإن كنت بطيئاً سمَّاك متصنِّعاً لا جرم ولك وإن أعطيتَ سمَّاك مبذِّراً، وإن مسكت قال بخيلاً، وإن لِنْتَ للناس وتقرَّبْتَ منهم قال: ما أشـدَّ تملُّقك، وإن اعتزلتهم قال: ما أعظمك.

ومثل الأحمق كالثوب البالي إذا رقعته من جانب تخرَّق من الجانب الآخر، كالزجاجة لا تتشعب، ولا تترقع؛ واعلم يا بنيَّ أن من أخلاق الحكيم السعيد الوقار والسكينة والبرّ والعدل والحلم والرزانة والإحسان والعلم والعمل والحذر والحزم والورع والمعروف والعفو والتواضع، إنْ تكلَّم تكلَّم بعلمٍ، وإن صمت صمتَ عن حلمٍ، إنْ قدر ورع، وإن بغى عليه غفر، وإنْ سأل لم يخلف، وإن سُئِل لم يبخل، وإن قال قال بعلم، وإن قيل له فقِهَ، وإنْ علم علَّم من دونه، وإن تعلَّمَ أحسن المسألة، وإنْ أُحسن إليه شكر، وإنْ استطاع أن يحسن أحسن[1] آنساً بالله، فإن جالس من فوقه في العلم سأله، وإنْ جالس من دونه في العلم علَّمهُ، إنْ أسررت إليه لم يخنك، وإن أسرَّ إليك أمنك، إن أعطاك لم يمنَّ عليك، وإن أعطيته شكرك، يرضى للناس ما يرضى لنفسه، يقتصد في الغنى، ويعفُّ في الفقر، لا يلهيه عن الله المالُ، ولا يشغلُهُ عنه المسكنةُ، ينتفع بعلمه، يسمع ممَّن وعظهُ، لا ينازعُ من فوقَهُ، ولا يحقر من دونَهُ، ولا يطلُبُ ما ليس له، لا يضيع ماله، ولا يقول ما لا يعلم، ولا يكتم علماً عنده، يتجاوز عن حقِّه، لا يبخس الناس أشياءهم، الناس منه في راحة، ونفسه منه في عناء، يحمل نفسه على الحقِّ إن أحبَّتْ، وإن كرهت منهم، دأبه على دينه، يتَّعظُ بموعظة الواعظ، سريعٌ إلى الخير، بطيءٌ من الشَّرِّ، قويٌّ في العمل، ضعيفٌ عن المعاصي، قليل العلم بالشهوات، عالم بالقربات إلى الله تعالى، ذو المعروف في ماله، المتعفِّفُ فيما ليس له هو في الدنيا كالغريب، همُّه معادُهُ ومنقلبُه، يأمرُ بالمعروف ويفعله، ينهى عن الشَّرِّ ويجتنبُهُ، يوافق سرُّه علانيتَهُ وقوله فعله.

يابُنَيَّ، تفهَّمِ الحكمةَ وأخلاقها كُلَّها، واجعلها لك شغْلاً، وفرِّغ نفسك لها، وقرَّ عيناً إذا جمعتها، واعلم أنَّ الحكمة لا تصحُّ إلاّ بالدين واللِّين، وأنَّ

---

(1) أ: ح. ن.: وإن أسيء إليه عفا.

اللِّين جرابُ الحكمةِ، وأنَّ مثل الحكمةِ بغيرِ تدبيـر بمنزلـةِ مالٍ في يـديٍّ غير خازنه أباحَهُ سارقاً ووجـده مُعْوِزاً أو كمثـلِ غنمٍ تروحُ إلى غيـر زريبةٍ أبـاحـها الذِّئبُ وجدها ضائعةً فأكلها، وتعاهدْ مع ذلك لسانك، واعلمْ أنَّ اللسان بابُ الحكمةِ فإذا ضيَّعْتَ الباب دخل من لا تـريد أن يـدخل، فـإذا حفظت البـاب حفـظت الخزانـة و[1] ملك لسانَـهُ إذا رأى لقولـه قراراً تكلَّم، وإن لم يَـرَ قراراً صمت[2]؛ أكرِم حكمةَ الله تعالى ولا تضيِّعها عند مَنْ تهونُ عليه ولا تبخل بهـا على من يريدُ حفظها.

إي بنيَّ، إن اللسانَ مفتاحُ الخير والشَّرِّ، فاختِم على فيك إلَّا من خيـرٍ كما تختِمُ على ذهبك وفضَّتك، طوبى لمن يغترُّ بالدنيا ولم يندم يومَ الحساب.

يابنيَّ، لا تضيِّعْ مالك وتُصلحُ مـال غيرك، فـإنَّ مالـك ما قـدَّمْتَ لنفسك، ومـال غيرك مـا تركتَ وراءَ ظهـرك، إي بنيَّ، إنَّ الدنيـا لا خير فيهـا إلَّا لأحدِ رجلين منهما رجلٌ سبق منه عملُ سوءٍ، فهو حـريصٌ على أن يتداركـه بعملٍ صالحٍ ليعفوَ الله تعالى عن سيئاته، ورجلٌ يطلبُ الدرجات فهو يسارع فيها.

إي بُنيّ، أحزمُ أهل الدنيا رجلان: رجلٌ اعـطاه الله تعالى شـرفاً في الـدنيا وذكراً، فهو يلتمسُ شرف الآخرة وذِكرها، ورجـلٌ قدر عليـه رزقُهُ فصبـرَ حتى يأتيهِ اليقينُ، وأحسنَ عبادةَ ربِّه تعالى.

إي بنيَّ، إنَّـه من يَـرْحَمْ يُـرْحَمْ، ومن يصمِتْ يسلَمْ، ومن يفعـلِ الخيـرَ يغنم، ومن يفعل الباطلَ يندم، ومَن يكـره الشَّرَّ يعتصمْ، ومن لا يملك لسـانهُ يخسر.

يابُنيّ، إتَّقِ دعوةَ المـظلومِ فإنَّهـا أوشكُ الـدعـاءِ صعـوداً إلى الله سبحـانـه استجابةً.

يـابُنيَّ، إقبلِ المـوعظةَ وإنْ اشتـدَّتْ عليك، وويـلٌ لمن سمـع فلم ينفعْـهُ

---

(1) أ: ح. ن.: أن من.

(2) فإذا استنطقه من يريد الحكمةَ للدِّين جهد، وإن استنطقه السُّفهاء يصمت.

السمع، ولِمَنْ علم فلم ينفعْهُ العلم، وويـلٌ لمن عمِيَ لـه فـاستحبَّ العمى على الهدى، طُوبى لمَنِ انتفع بعلمه، واستمع القولَ فاتَّبع أحسنَهُ.

يابُنيّ ،إجعل همَّكَ فيمـا كلِّفْتَ، ولا تجعـل همَّكَ فيمـا كفيت، لا تهتمَّ للدنيا فتشغلُكَ عن الآخرة

يـا بُنيَّ، كنْ قريبـاً من الناس، سهـلاً، فـإن الله تعـالى يحبُّ كـلَّ سهْـلِ الخلقِ، طلقِ اللسان بالخير، وهو رأس أخلاق الصالحين.

يابُنَيَّ، إذا أنعم الله تعالى عليك زِدْ في شكرك له وتواضُعك وإحسانكَ إلى مَنْ هو دونكَ؛ يا بُنيّ دعْ عنك كلَّ ما تعتـذرُ منه إلى النـاس، واقبلْ عُـذْرَ من اعتـذرَ إليك، لا تعجبنَّ بمـا تعمل وإن كَثُـرَ فإنَّـك لا تدري أيقبـلُ الله تعالى منك[1] غيره، ولا تستـطلْ على الناس، ولا تُنقصهُمْ حقَّهم، ولا تكُنْ ظـالماً، واجتنبْ دعوةَ المظلومِ، ولا تمُدَّنَّ عينيك إلى زهرةِ الدنيـا، ولا تطلبنَّ قضـاء كل زينةٍ من الدنيا، ولتكنْ همَّتُكَ في ما يُقرِّبك من الله تعالى.

إي بُنيّ، أحبب في الله وابغضْ في الله، ولا تُداهن أهل المعاصي.

يابُنَيَّ تقرَّبْ إلى الله تعالى، بحبِّ أوليائه، وببغضِ أهل المعاصي.

يابُنَيَّ ما عندك أفضل من العقل، وما تمَّ عقلُ امرىءٍ حتى تكـون فيه عشـر خصالٍ: الكبر منه مأمـون، والرشـد منه مـأمول، يصيب من الـدنيا القـوت، وفضل ماله مبذول، التواضع أحبُّ إليه، الذلُّ أحبُّ إليه من العزِّ، لا يسأم من طلب العفَّـةِ طـول دهـره، لا يتبـرَّمُ من طلب الحـوائـج قبله، يستكثـر قليـل المعـروف من غيره، ويستقـلُّ الكثير من نفسـه، والخصلة العاشـرة وهي التي سـاد بها مجـدُه، وعلا قـدرُه، ويرى أن جميـع الناس خيـراً منه، وأنّـه شرُّهم فـإنَّمـا النـاس رجـلانِ: رجـلٌ خيـرٌ منـه[2] وأدنى، قـال: لعـلَّ هـذا ينجـو،

(1) أ: ح. ن.: أولاً يا بُنيّ، لكلِّ شيء آفة، وآفة العمـل العجب، لا تراه النـاس ما يعلمُ الله منك.

(2) أ: ح. ن.: وأدنى فهو متواضع للرجُلين إذا رأى خيراً منه وأفضل..

وأهلكُ أنا، ولعلَّ هذا سرُّه[1] باطنٌ ولم يُظهره، وذلك خيرٌ له، ويرى ظاهره، وذلك شرٌّ لي فهنالك استكمل العقلُ، وساد أهل زمانه[2].

يابُنَيَّ، الصبرُ على المهالك من حسن اليقين، وغاية الشرفِ، والسُّؤدُدِ، وحُسن العقل، فمن حسُنَ عقلُهُ غطّى عيوبَهُ، وأصلح مساوئه، ورضي عنه مولاهُ.

يابُنيَّ، استعذ بالله من شرِّ النساءِ، وكنْ من خيارهنَّ على حذر، فإنَّهنَّ لا يسارعْنَ إلى الخير بل هُنَّ إلى الشَّرِّ أسرع[3]، واستعذ بالله من شرِّ القضاء.

يابُنَيَّ، اتّخِذ الله تعالى تجارةً تأتِكَ الأرباحُ بلا بضاعة.

يابُنَيَّ، علِّمْ الجاهل ممَّا علمْتَ، والتمس من علم العامل ما علمت، ولا تصحب السَّفيه فتُحسبُ مثله، ولا تطمئنَّ إلى دارٍ أنتَ اليومَ فيها حيٌّ وغداً ميِّتٌ.

يابُنَيَّ، جالس العلماءَ وزاحمهم بركبتيك، فإنَّ الله تعالى يُحيي القلوبَ بذكر الحكمةِ، كما يُحيي الأرض بوابل السماءِ[4].

قال ابراهيم ابن أدهم: بلغني أنَّ قبر لُقمان بين مسجد الرملة وموضع سوقها اليوم، وفيها قبرُ سبعين نبيّاً ماتوا بعد لُقمان كلّهم أخرجهم بنو إسرائيل وألجأوهم إلى الرملة وأحاطوا بهم فماتوا كلُّهم جوعاً، فتلك قبورهم فيما بين مسجد الرَّملة والسُّوق.

وقال الحسن: بينا لقمان في عريش له قدَرَ مضجعِهِ، وابنُه جالسٌ بين يديه، وقد نزل به الموت، فبكى لُقمان، فقال له ابنُهُ: ما يبكيك يا أبَتِ، أجزعاً من الموتِ أو حرصاً على الدنيا؟ فقال: لا واحدة منهما، ولكن أبكي على ما أمامي من شُقَّةٍ بعيدةٍ ومقادمةٍ سحيقة، وعقبة كؤود، وزادٍ قليل،

---

(1) أ: ح. ن.: وأفضل ورجُل شرّ منه مضى أن يلحق به وإن رأى شراً منه.

(2) أ: ح. ن.: ولكلّ عملٍ كمال، وكمال العبادة الورع واليقين.

(3) أ: ح. ن.: يا بُنيّ ليس غنى مثل صحة الجسمِ نولا غنم مثل طيب العيش

(4) أ: ح. ن.: وقال الحسن إن لقمان اتخذ عريشاً برملة الشام وهي يومئذ غير عامرة فكان فيها حتى كبرت سنة وأدركه الموت.

وحمـلٍ ثقيل، فـلا أدري أيحُطُّ ذلك الحمـل عنّي حتى أبلغ الغـايـة أم يبقى عليَّ فأساقُ معه إلى نار جهنَّم، ثم مات رحمه الله عزَّ وجلَّ.

وقال لابنه: يابُنيَّ، اتَّقِ الله عزَّ وجـلَّ ليكرمـوك، وقيل للقمـان: أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: من أخذ من علمِ الناس إلى علمه، ثم قال له ابنُه: فأيُّ الناس أغنى؟ وقد قالوا الغنى من المال؟ قـال: لا، ولكن الغنى من العلمِ الذي إن احتيج إلى ما عنده وُجِدَ وإن استغنى عنه كفى نفسه.

وقال لابنِهِ: يابُنَيَّ، اخترِ المجـالسَ على عينيك، فـإذا رأيتَ مجلساً يـذكُرُ الله عزَّ وجلَّ، فـاجلسْ فيه، فـإنَّ الرَّحمـة تنزلُ عليهم، فلعـلَّ رحمةً تصيبُـكَ معهم، يـابُنَيَّ لا تجلسْ في مجلسٍ لا يُذكَـرُ الله تعالى فيـه، فـإنَّـك إن كنت عالماً لا ينفعُك علمُك، وإن يـك بك عِيٌّ يـزيدُك عيّـاً، وإن يطلع الله تعـالى عليهم بسخطه يصيبُك معهم، يـابُنَيَّ استحي من الله تعالى بقـدرِ قربـه منك، وخف من الله تعالى بقدر قدرته عليك، وإيَّاك وكثـرة الفضول، فـإن حسابـك غداً يطول ولا يراك الله تعالى عندما نهاك عنه ولا يفقدك من حيث أمرك به.

وقـال: السُّؤال نصفُ العلم، ومـداراةُ النـاس نصفُ العقـل، والقصـد في المعيشـةِ نصف المُؤنة. وقـال: كما يحـوَّلُ العدوُّ صـديقاً بـالصلةِ، فكـذلـك الصديق يُجعلُ بالجفوة عدوّاً.

وقال: عجزُ القولِ يُخبرُ عن العقل فانظر ما تقول.

وقال: ما كتمتَه من عدوِّك فلا تظهره على صديقك.

وقال: الإتكالُ على الله تعالى أروحُ، وقلَّةُ الاسترسـال إلى الناس أحـزم، وجزاء من كذب أن لا يُصـدَّق، ولا تحدث من يخـافُ تكذيبـه، ولا تسألْ من تخاف منعَهُ، ولا تعِد ما لم تقـدر على اتخاذه، ولا تضمن مـا لا تثق بالقـدرة عليه ولا تقدم على أمرٍ تخافُ العجز عنه.

وقال اجتنب مصاحبةَ الكذَّاب، فإنَّ أُلجئتَ إليه فلا تصدِّقهُ ولا تعلمه أنَّـك تُكذِّبه فسينتقل عن ودِّك، ولا ينتقل عن طبعه.

يابُنَيَّ، لا تسرع إلى أرفعِ موضعٍ في المجلس، فالموضع الذي تُرفعُ إليه خيرٌ من الموضع الذي تُحطُّ عنه.

يابُنيَّ، أوصيكَ بتقوى الله تعالى فإنَّه لك حظٌّ وله عليك حقٌّ، ولا تُخلِ قلبك من ذكرِ الله تعالى، وفضلُ ذكر الله تعالى على سائر الكلام كفضلِ الله تعالى على خلقه.

يابُنَيَّ أرضِ الخالقَ بسخَطِ المخلوق، يابُنَيَّ لا تأخذْكَ في الله لوْمة لائمٍ، يابُنَيَّ عليك بصلاتِكَ التي فُرضتْ، فإنَّ مثل الصلاةِ ومثل التسبيح مثل السفينة في البحر، إن سلمَتْ سلمَ من فيها، وإن هلكَتْ هلكَ من فيها.

يابُنَيَّ إن داراً لا يأتي عليك يومٌ ولا ليلةٌ إلاّ ظننْتَ أنَّك مفارقُها لا منفعةَ بها، فانظرْ لنفسك ما تريد، تزوَّد منها، ولا ينبغي للعاقل أن يطلُبَ طاعةَ غيره، وطاعةُ نفسه، ممتنعة.

يابُنيَّ، لا تكسلْ فإنَّك إن كسلْتَ لم تؤدِّ حقّاً، ولا تضجر فإنَّك إنْ ضجرْتَ لم تصبِرْ على حقٍّ فإنَّه ليس من عبدٍ يمتنع من حقٍّ إلاّ فتح الله تعالى عليه باباً من الباطل فأعطى فيه أمثاله.

وقال: حُسْنُ النيّةِ من العبادةِ، وحسنُ الاستماع من الحكمةِ، وسوءُ الخُلُقِ من اللؤم، وحسنُ الخلق من الكرمِ، وحسنُ الجواب من العلمِ.

يابُنيَّ من بالغ في الخصومةِ أثمَ ومن قصر عنها خُصِمَ.

يابُنَيَّ، إفعل الخيرَ، ولا تأتِ الشَّرَّ، فخيرٌ من الخير فاعلُه، وشرٌّ من الشَّرِّ من يفعلُهُ.

وقال: إذا أرسلْتَ في حاجةٍ فارسلْ لها حكيماً، فإن لم تجدْهُ فاذهبْ أنتَ بنفسك.

يابُنَيَّ، لا تأمَنُ من كذَّبك أن يكذب عليك، ونقْلُ الصخور من مواضعها أيسَرُ من أنْ يُفهَّم[1]؛ يابُنَيَّ، كلُّ أمرٍ حدَّثتك به نفسك مما لو ظهر على

(1) أ: ح. ن.: من لا يفهم.

لسانك استحييتَ من الناس، فاخرجْهُ من قلبك، فالله أحقُّ أن تستحي منه، وإيَّاك والمراء فإنَّه يدعو إلى سفك الدماء، وعند إراقةِ الدماءِ تكونُ الهلكةُ والبوار.

يابُنَيَّ إذا أردتَ أن تؤاخي أخاً فأغضبه فإنْ أنصفك وهو مغضبٌ وإلاّ فاحذرهُ.

يابُنَيَّ، إن غُلبْتَ على الكلام فلا تُغلبنَّ على السكوتِ، وكُنْ على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.

وقال: اعتزلوا شرار الناس تسلم لكم قلوبكم وتستريح أبدانكم وتطيب أنفسُكُمْ.

وقال: الصَّبْرُ صبران صبرٌ على ما تُكرِهُ فيما ينوبك من الحقِّ، وصبرٌ تحبُّ فيما يدعوك إليه الهوى.

وقال: اشكُرْ لمن أنعم عليك وانعِمْ على من شكرك، فإنَّه لا بقاءَ للنِّعمةِ إذا كُفِرَتْ، ولا زوال لها إذا شُكرت.

وقال: أوضَعُ الأخلاق احتيال الصديق وإضاعة السِّرِّ والثقةِ بكلِّ واحدٍ وكثرةُ الكلام فيما لا يعني وطالبُ الفضل من اللئام.

وقال: خُلَّتان أعيتِ الحيلةُ فيها: إدبارُ الأمر إذا أقبلَ وإقبالُهُ إذا أدبَر.

وقال: وهن المرءِ إعلانه قبل أحكامه.

وقال: الشريف إذا تزهَّدَ تواضع والوضيع إذا تزهَّدَ تكبَّر.

وقال: المِراء مفتاح اللجاج، واللجاج مفتاح الإثم.

وقال: أكثرُ المكاره ما لم تحتسِب.

وقال: يابُنَيَّ، لا يغلبُ عليك سوءُ الظَّنِّ فإنه لا يترك بينك وبين حبيبٍ صُلْحاً.

وقال: العقلُ بلا أدبٍ كالشجرة العاقرة، والعقل مع الأدب كالشجرةِ المثمرة.

وقال: طلاقةُ الوجه بالسّرور، واظهارُ المكاسرةِ، وبذلُ التحيةِ، وخفّةُ الروح في المعاملة، وتركُ العصيَّةِ داعيةٌ للمحبَّةِ في البريَّةِ.

## 40 - جالينوس الطبيب[1]

ليس في لغة اليونانيين حرفُ الجيم، فيكون بلُغتهم غالينوس، ومعناه ساكن.

كان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة، وبعد أبقراط بنحو ستمائةٍ سنة، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائةٍ سنة ونيفٍ.

كان أحدَ الأطباء الثمانيةِ المقدَّمين والمرجوع إليهم في صناعة الطِّبِّ والذين هم رؤوس الفِرَقِ ومعلّمي المعلِّمين، وأوَّلهم، وهو الذي سائر الأطباءِ المتقدِّمين منْ نسله، اسقيليوس الأوَّل وهو الأوَّل من الثمانية، والثاني غورس، والثالث قس، والرابع برماكيدس، والخامس أفلاطون، والسادس اسقيليوس الثاني، والسابع أبقراط، والثامن جالينوس، وهو خاتم الأطباءَ الكبار، ولم يجيء بعده منَ الأطباءِ إلّا من هو دون منزلته ومتعلِّمٌ منه، وكان زمان مولدهِ بعد زمانِ المسيح عليه السلام بدوين[2] مائتي سنةٍ؛ وصنَّف كتباً كثيرةً صغاراً وكباراً نحو أربع مائةِ كتاب، والكبار منها عظامٌ جدّاً، كثيرة البسط والشرحِ، ومن هذه الكتبِ ستَّةَ عشر كتاباً، وهي التي تُدرَّسُ لمنْ يريدُ علم الطِّبِّ، وكان أبوه يعنى به العناية البالغة، وينفقُ عليه النَّفقة الواسعة، ويجزي المعلِّمين الجراية الكثيرة، ويحملهم إليه من المدن البعيدة.

وكان مولدُهُ ومنشؤه بفرغامس[3] من بلاد آسيا.

---

(1) الفهرست، ص: 347؛ وابن جلجل ص: 41؛ والقفطي، ص: 122؛ اصيبعة، ص: 109.

(2) وكذا في «أ». ولعلّها تصحيف من الناسخ. وأقرب ما تكون: بنحو من. (المحقّق).

(3) أ: ح. ن.: برغاموس.

وسافر إلى أثينية وروميَّة والإسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العِلْمِ، وتعلَّمَ من أرمنيس الطِّبَّ، وتعلّم من جماعة مهندسين ونحاةٍ وخطباء الهندسة واللُّغة والنحو وغير ذلك، ودرس الطِّبَّ أيضاً على امرأةٍ اسمها فلاويطَرَا وأخذ عنها أدويةً كثيرةً ولا سيَّما ما تعلَّق بعلاجات النساءِ، وسافرَ إلى مصر، وأقام بها مدَّةً لينظُرَ عقاقيرها، ولا سيَّما اللاهوتَ في بلد، سُيوط من أعمال صعيدها.

ثم خرج متوجِّهاً نحو بلاد الشام راجعاً إلى بلده، فمرض في طريقه، وماتَ بمدينةٍ تُسمَّى بالفرماء على البحر الأخضر في آخر أعمال مصر.

وكان جالينوس من صغرِه متهيِّئاً للعلمِ البرهاني، طالباً له، شديدَ الحرصِ والاجتهاد والقبولِ للعلم، وكان بحرصه على العلم يدرسُ ما علَّمَهُ المُعَلِّمُ في طريقه إذ انصرف من عنده، حتَّى يبلُغ إلى منزله، وكان الفتيان الذين كان معهم في موضع التعليم يلزمونه ويقولون له: يا هذا ينبغي أن تجعل لنفسك موضعاً ووقتاً من الزمان تضحك معنا فيه وتلعبُ، فربَّما لم يُجبْهم لشغله بما يتعلَّمُه، وربَّما قال لهم: ما الداعي إلى الضحك واللعب؟ فيقولون: شهوتُنا لذلك، فيقول لهم: والسَّبَبُ الداعي إلى ترك ذلك وإيثاري العلم بغضي لما أنتم عليه، ومحبَّتي لما أنا فيه فكانَ الناسُ يتعجَّبون منه ويقولون: لقد رُزقَ أبوك مع كثرة ماله وسعةِ جاهه ابناً حريصاً على العلم.

وكان أبوه من أهل الهندسةِ، وكان مع ذلك قداحاً، وكان جدُّه رئيس البحارين، وكان جدُّ أبيه مساحاً.

ودخل جالينوس رومية في المرَّة الأولى التي رأى فيها ابتداء ملك انطونيوس الذي ملِكَ بعد ادِريانوس، وصنَّف كتاباً في التشريح لبواسوان المظفَّر الذي كان والياً على الرُّوم عندما أراد أن يخرج من مدينته إلى مدينةٍ يقال لها نطولماليس، وسأله أن يزوِّده كتاباً في التشريح، وصنَّفَ أيضاً في التشريح مقالاتٍ وهو مقيمٌ بمدينة سمرتا عند ماليس معلِّمه الثاني بعد

ساطروس تلميذ فوانيطوس، ومضى إلى فورينـوس بسبب أسبابٍ أُخَـر، وكان مذكوراً لينواطيس يقال له اسقيانوس.

وسار إلى الإسكندرية لمَّا سمع أنَّ هناك مـذكورين من تـلاميذه فـوانيطوس ومن تلاميذه يوقيسانوس، ثم رجع إلى موطنه فرغامس من بلاد آثينة، ثم سـار إلى روميَّـة، وشرح بـرومِيَّة قـدَّام بوانيـوس، وكان يحضـره دانيا لـوديمـوس[1] الدمشقي الذي قد أهِّل في ذلك الوقت ليعلِّم الناس في أثينة في مجلس عـام علوم الحكمـةِ على رأي المشَّائين، وقـد كان يحضـرهم الذي كـان يتولَّى في مدينة[2] وهو سرهوس بولوس فإنَّه في أمور الحكمة كلِّها أولى بـالقول والفعـل جميعاً.

وذكـر جالينـوس في بعض كتبه أنَّـه دخل إلى الإسكنـدرية في أوَّل دفعـةٍ، ورجع عنها إلى فرغامس موطنه وموطنِ آبائه من أرض اليونانيين، وعمره ثمان وعشرون سنةً. وذكر في موضع آخر أنه كان رجوعه من روميَّة إلى بلاده، وقد مضى من عمره سبع وثلاثون سنة، وذُكِرَ أنَّه احترق له في المدينـة التي كانت فيها خزانة الملك كُتباً كثيرةً وأثاثاً[3] له قدرٌ، وكان بعض النسخ المحترقة بخطِّ ارسطوطاليس، وبعضها بخطِّ انكساغورس وأندوماخُس، وصحَّح قراءتها على معلِّميـه الثِّقات وعلى من رواهـا عن أفلاطـون، وسافـر إلى مدنٍ بعيـدةٍ حتى صحَّح أكثرها.

وذُكِر أنّه كان فيما احترقَ له كتـاب روفس في الدريـاقاتِ والسمـوم وعلاج المسمومين وتركيب الأدوية بحسب العلَّةِ والزمـان، فإن من غيـرتِهِ عليـه كيسه في ديبـاج أبيض بفراء أسـود وأنفق عليه جملةً كثيـرة؛ وكان ملوك اليـونـانيين يذلّلون الطرقَ الصعبةَ ويضمون الأعماق ويقطعون الجبالَ الشاهقةَ، ويـزيلون

---

(1) أ: ح. ن.: الفيلسوف من فرقة المشَّائين والاسكندر الافروديسي.

(2) أ: ح. ن.: الرومية.

(3) «كذا» في «أ». والصَّواب. كتُب كثيرةٌ وأثاثٌ (بالرفع).

الخوفَ ويعقدون الجسور والقناطر ويبنون الأسوار المنيعة ويجرُّون المياه ويشقُّون الأنهار ويستعلون بقمع الأعداء وفتح البلدان، وكانت عنايتهم مصروفة إلى تدبير الملك لا إلى لذَّات البدن، وكانت لهم عناية بالعلوم والطِّبِّ.

وكان لكلِّ واحدٍ منهم رجالٌ مرتَّبون[1] في كلِّ بلدٍ لالتقاط الأدوية التي في ذلك البلد وانفاذها إليه مختومةً لئلَّا يتمَّ فيها حيلةٌ ولا غشٌّ، فإذا وصلت إلى الملك وجرَّبها الحكماءُ أذاعها في بلده ورعيَّته لينفعهم بها؛ وكان جالينوس أسمرَ اللون، حسن التخاطيط، عريض الكتفين، واسع الراحتين، طويل الأصابع، حسن الشعر، محبُّ الأغاني والألحان وقراءة الكتبِ، معتدلَ القامةِ، ضاحك السِّنِّ، كثير الهزرِ، قليل الصمت، كثير الأسفار، طيِّبَ الرائحة، نقيَّ الثياب، يحبُّ الركوب[2] واليسرة، مداخلاً للملوك والرُّؤساء، مات وله سبع وثمانون سنةً منها صبيٌّ ومتعلِّمٌ سبع عشرة سنةً.

## آداب جالينوس

قال[3]: علم من لا يعقلُهُ ولا عقل من لا يستعمله.

وقال: من رغبَ عن الحقائر نافس في العظائم.

وقال: لِنْ واحلُمْ تنْبُلْ ولا تكُنْ معجباً فتمتهن.

وقال لتلاميذه: من نصح في الخدمة نصحت له المجازات.

وقال: الهم فناءُ القلبِ، والغمُّ مرض القلبِ، ثم بيَّنَ ذلك فقال: الهمُّ بما يأتي والغمُّ بما فات.

وقال: العليلُ الذي يشتهي أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي.

---

(1) أ: ح. ن.: في الطرق.
(2) أ: ح. ن.: والتنزه.
(3) أ: ح. ن.: لا ينفع.

وقال: مَنْ عوِّد من صباهُ القصد في التدبير كانت حركاتُ شهواته معتدلـةً، فأمَّا من اعتاد أن لا يمنع شهواته منذ صباه ولا يمنع نفسه شيئاً مما تدعوه إليـه فذلك يبقى شرَّها، وذلك أنَّ كل شيءٍ يُكثرُ الرياضةَ في الأعمـال التي تخصُّهُ يقوى ويشتدُّ، وكلُّ شيءٍ يستعملُ السكون يضعف.

وقال: من كان من الصبيـان شرهـاً شديـد القحة فـلا ينبغي أن يُطمـع في صلاحه البتَّة، ومن كان منهم شـرهاً، ولم يكن وقحـاً فلا ينبغي أن يؤنس من صلاحه.

وقال: الحياءُ خوف المستحي من تقصير يقع به عند من هو أفضل منه.

وقال: يتهيّأُ للإنسان أن يصلح أخلاقه إذا عرف نفسه، فإن معرفـة الإنسان نفسه هي الحكمةُ العُظمى، وذلك أنَّ الإنسـان لإفراط محبَّتـه لنفسه بـالطَّمـع يظنُّ بها من الجميل ما ليست عليه على أنَّ قوماً يظنون بأنفسهم أنهم شجعان كرماءَ، وليسوا كذلك، فأمَّا العقل فيكـادُ الناس كلُّهم يـظنون بـأنفسهم التقدُّم فيه، وأقربُ الناس إلى أن يظنَّ بنفسه ذلك أقلُّهم عقلاً.

وقـال: العادلُ مَنْ قـدر على أن يجور فلم يفعـل، والغافـلُ من عرف كـلَّ واحدٍ من الأشياء التي في طبيعةِ الإنسان معرفتها على الحقيقة.

وقـال: العجبُ ظنُّ الإنسان بنفسـه أنه على الحـالِ التي يجب أن يكـون عليها من غير أن يكون عليها، وقال: كما أنَّ من ساءت حالُ بدنه من مـرضٍ حتى تُفسدَ ضياعاً بل يلتمس أنْ يصحِّحَ بدنه وإن لم تعده صحة تامَّة، فلذلك ينبغي لنـا أن لا نمتنع من أن تـزيـدَ أنفُسنـا صِحَّـةً على صحَّتهـا وفضيلةً على فضيلتها، وإن كنَّا لا نقدرُ على أن نلحقها نفس الحكيم.

وقال: يتهيَّأ للإنسان أن يسلم من أن يـظُنَّ بنفسه أنَّـهُ أعقلُ النـاس إذا فقد غيره امتحانَ كلّ ما يفعله في كلِّ يومٍ ويُعرِّفهُ صـوابَ فعله من خطئـه استعمل الجميل ويطرح القبيح. ورأى رجلاً تعـظِّمه الملوك لشـدَّة جسمه، فسـأل عن أعظم ما فعل، فقالوا: إنَّه حمل ثوراً مـذبوحـاً من وسط الهيكل حتى أخـرجه

إلى خارج، فقال لهم قد كانت نفس الثور تحملُهُ ولم يكن له في حمله فضيلة.

وكان جالينوس رجلاً فاضلاً بعيدَ الهمزِ مُوسراً يُوَقِّرُهُ كل من نظر إليه، وكان مسكنُهُ بماقدونية من مدن اليونانيين، وكان الملكُ في عصره نيقاس بذَّ ملك أرض اليونانيين وعدل فيهم، واختصَّ جالينوس وعرف فضلهُ وقدَّمَهُ على نظرائه وأهل زمانه، وأظهر للناس فضلَهُ وأطلق لجالينوس التورُّع، ووضع عنه مارام من غيره من الأطباءِ وأهل المعرفة من تعاهد الملوك وخدمتهم.

وكان ببلاد المغرب ملكٌ جليلٌ يسمَّى باز قد خضع له جميعُ ملوكِ أطرافه وسلَّموا إليه الرئاسة، وأذعنوا له بالسَّمع والطاعة فبرِص بعض نسائه فاغتمَّ لذلك، ولم يكن لأهل المغرب من معرفةٍ بالطِّبِّ[1] فشكا إلى بعض وزرائه ما لحقَ بعض نسائه من العلَّةِ، وأظهر الجزع، فقيل له في ذلك: إنَّ في اليونانيين في مملكة نيقاس[2] الملكِ أن ينفذ إليه جالينوس ساعةَ ما يردُ عليه كتابُهُ، فإنَّه متى أخَّر ذلك خرَّب مملكتَهُ بحوافر خيله، فلمَّا وردَ عليه كتابُهُ اغتمَّ وقلقَ، ودعا جالينوس وخلا به وواقفه على كتاب باز وأظهر جزعاً واكتئاباً لذلك، وقال لجالينوس: أما أن تغيب عنِّي فلا أقف على مكانك في مملكتي أو امتنع عليه وأحاربهُ وبذلْتُ نفسي ومملكتي دونك، فقال جالينوس: إن مخالفة هذا الملكِ مما يدعو إلى الفساد، وإهراقِ الدِّماء وركوب الغدرِ، وأنا أسرعُ الناس إتياناً إلى هذا الملك الجبَّار ويأمنُ الملكُ من شرِّه، فأحبَّ الملك باز بأنَّكَ قد أنفذت لي إليه، فليكن إحسانُه إليَّ بحسب ما استحقَّه، وعرفه منزلتي عندك، فكتب نيقاس ذلك كلَّهُ وكتب إليه: إنا معاشِر ملوك اليونانيين، وإنْ كنَّا مطيعين للملكِ باز فإنَّا عبيد الأطباءِ وتحت أمرهم، وهم مالكو أبداننا، وخادمو أرواحنا وليس في الأقاليم كلِّها من يتقدَّمُ جالينوس في

---

(1) أ: ح. ن.: ولا بالطبيب.

(2) أ: ح. ن.: من له معرفة بمختلف العلل ومداواتها، يقال له جالينوس، فأمر الى نيقاس..

صناعةِ الطِّبِّ، وليست له رغبةٌ في ما يملكه معاشِر ملوك الأرض، فإنْ رأى الملك أن ينظر إلى جالينوس بعين ما يستحقُّهُ، فإذا استغنى عنه لم يفجعني باعتقاله عنده بل يطلق له الرجوع إلى وطنه فقد نشأ في هواءٍ، وغداً متى حيل بينه وبين ذلك انتفض بركبته ففعل وختم الكتابَ، فنهض جالينوس نحو باز الملك مكرَّماً.

فلمَّا ورد عليه، وجده جباراً ذا نخوةٍ وبطشٍ، قليلَ الرِّفق بعيداً من الإنسانية والأفعال الجميلة، همَّتُهُ الأمرُ والنَّهيُ والسيف، فأنزل جالينوس[1] بساحة الملك شهراً يروحُ ويغدو فلا يصل إليه، ويرجع إلى منزله فلا يجدُ ما يتغذّى به إلاّ الذي يتغذّى به الصيادون.

فلما كان بعد شهر دعاه الملك فحضرَ، ووقف بين يديه، وقال له بالترجمان: ما صناعتُكَ؟ فقال: حفظ الصحة ونفْيُ العلَّةِ قبل استحكامِ المادةِ، فقال له الملك: إنَّ لنا عليلاً قد استحال لونه الأسودُ إلى البياض، وساءنا ذلك، فهل أنت معيدٌ لونَهُ إلى السَّواد[2]؟ فقال الترجمان: ظهرت في سنةٍ واستحكمت في السَّنةِ الأخرى به، وهذه السَّنةُ الثالثة، فقال جالينوسُ: قد كنتُ سمعتُ بمقامي بساحة الملك، إنَّ من سيرته أنَّ من نظر إلى نسائه فُقِئتْ عينُهُ، فشددتُ عيني اليمنى، وأظهرتُ أنَّها معيوبةٌ لا أبصِرُ بها، ثم قلت للترجمان: أعلمِ الملك أن الطبيب لا يصلُ إلى علاج العليل إلاَّ بعد النظر إليه، فلمَّا أبلغهُ الترجمان ذلك غضبَ وقال: إنَّ ذلك سيرتُنا فإنْ كنت راضياً بذلك فعالج، فقلتُ: إنَّ معي حيلةً أنظرُ إلى العليل من حيث لا تقعُ عليه؛ فأعجبَ ذلك الملك وقال: إنْ فعلتَ ذلك فأنتَ فاضلٌ.

فأخذتُ معي مرآةً كانت معي، وأقمتُ المرأةَ خلفَ ظهري حيث لا أرى

---

(1) أ: ح. ن.: في منزل بعض الصيادين فبقي جالينوس.

(2) أ: ح. ن.: تعرف الملك من العليل عليلاً يرد في مدة وينتهي في مدة ويزول في مدة..

وجهها إلاّ في المرآة وهي قاعدةٌ مع الملك فأبصرتُ وجهها بصراً شافياً وقد كان بقي على وجهها نقطُ بيضٌ مختلطةٌ بالسَّوادِ، والجاريةُ حبشيَّةٌ، فقلتُ للترجمان: قد أبصرتُ علَّتها وأنا أعالجها حتى يزول ذلك عنها.

فسُرَّ الملكُ بذلك، ومال إليَّ وأمرَ لي كلَّ يومٍ برغيفٍ من مائدته أتقوَّتُ به، فاتَّخذتُ طلاءً لصبغِ البياض من البهق، فطليتُ وجهها فزال البياضُ وعاد إلى السواد كما كان، وازداد الملك لي حبّاً، ومال إليَّ كثيراً، وأمرني بحضور مائدته، فكنتُ أحضر وأرى عليها كُلَّ ضارٍ مُسقِمٍ يضادُّ البدن، وقد نشأوا على ذلك، وكنتُ أجتنبُ أكْلَ ما يكون على مائدته، فقال لي ما لكَ لا تأكل؟ فأقول: هذا يُحدِثُ عِلَّةً كذا، وهذا الآخرُ كذا، وكنت في خلال ذلك أُعرِّفُ الملك ضرر ما يتناوله، فيصعُبُ عليه ذلك، ويقول لندمائه: إنّي قطعْتُ هذا الرجلَ عن وطنه، وقد ساءهُ ذلك، وهو يكايدُني ليمنعني عن شهواتي، فلآكُلَنَّ جميع ما أشتهي رغماً له.

فوردَ بعضُ ندمائه على جالينوسَ على سبيل النُّصحِ، قال جالينوس: فاستشعرتُ الخوف منه وكنت أحتملُ الذُّلَّ وأقاسي الجهد، ويُقيم مع الرَّغيفِ الذي كان يُحمَلُ إليَّ، وكان الملك مشغوفاً بالصَّيدِ، يغيبُ الشهر والشهرين، فلا يسألُ عنّي، ولا يراني، ولا أراهُ، فحضرتُ يوماً مائدتَهُ، وجعل يأكُلُ شيئاً ضاراً، فمنعته عن ذلك، فقال لي: ما يجلِبُ أكلُ هذا؟ فقلت: الجذام، فمدَّ يده عناداً وشرهاً، واستوفى منه، ثم قال لي: على رغمك يا جالينوس آكِلُ هذا[1] أيها الملكُ يجبُ حقُّكَ عليَّ، ومن وجوبِ حقك أنْ أوقفكَ على علاماتٍ تظهرُ في بدن الإنسان قبلَ حلولِ العلَّةِ بسنةٍ أو بسنتين أو ثلاث، وإنِّي مُثبِتٌ لك دستوراً يكون في خزانتك تذكُرُني به بعد موتي، فألَّفْتُ مقالةً في أسباب العللِ الواقعةِ وأوقاتها وابتدائها وانتهائها واستحكامِها والأوقات التي تتهيَّأ معالجتُها فيها، وتقدمةِ المعرفةِ بالعللِ السليمة والمُهلكَةِ والسريعةِ

(1) أ: ح. ن.: فقلت:

الموتِ والبطيئةِ، وخصصتُ علاماتِ علل الجذام، لأنَّ بدنه كان متهيِّئاً لذلك، فعرَّفتُهُ استعداد بدنه لقبولِ الجذامِ لأكْلِ اللحوم الغليظةِ كثيراً وإدخال الطعام على الطعام.

فإذا كان بعد سنةٍ فترت شهوتُهُ واعتراهُ كسلٌ ونومٌ وثقلٌ يجدُهُ في الأطرافِ، فإن استدركَ بما ينفض بدنه ويلطف غذاءه رُجِيَ له الصلاح، وإنْ غفل عن ذلك وأتى عليه حولٌ آخر ابتدأ شعرُهُ يرقُّ ويتناثرُ وتتغيَّرُ حماليقُ عينيه، وتتقلَّصُ أظفاره، فإن استدرك بالعلاج تهيُّباً ردَّهُ إلى حال الصحةِ، وإن غفل عن ذلك استحكمت عليه علَّةُ الجُذام، فعسُر عند ذلك علاجُه، وأيس منه؛ وأودع هذه المقالة خزانة الملك، واحتال جالينوس حيلَة تُنجيه من تلك الناحيةِ، فصبغ وجههُ أسود وتمحَّل بخروج رفقةٍ إلى بلاد اليونانيين، وهرب معهم، فلم يقف الملك على أمره إلَّا بعد مدَّةٍ، ولم يبال بغيبته وبحضوره استهانةً به وكراهيةً لشخصهِ.

فسَلِمَ جالينوس ووقع إلى أرضِ اليونانيين، ونزل مدينةً ليست من مملكة نيقاس، وأتى على باز بعد مفارقة جالينوس سنتانِ أو ثلاثة، فوجدَ العلامات التي كتبها له جالينوس في علَّةِ مقدَّمات الجذام في نفسه، وكتمها إلى أن تناثر شعر حاجبيه، وتقلَّصت أظفارُهُ، فقام من سريره، وتركَ مُلكهُ، وساح في الأرض متنكِّراً يطلب مدينة اليونانيين، فوافى مقدونية متنكِّراً لا يُعرفُ فسأل عن جالينوس، فقيل: إنَّه قد استوطن مدينة كذا من مملكة فلان الملك.

فأخذ باز سبيلَهُ إلى تلك المدينةِ فوجد[1] الملكُ إلى أن خفَّ عنه الناس، ثم دنا منه فقال لي: سرٌ لا يجوز إذاعته، فهل أنت مصغٍ إليَّ، فخلا به جالينوس، فتعرَّف إليه باز الملك، وعرفَهُ جالينوس، فردَّهُ إلى منزله، ووكل به من يتفقَّده ويتعاهده ويغذِّيه بالغذاء الموافق، ويُداويه، فبقي سنةً، وعالجه حتى نبت شعره، وصلحت حالهُ، ثم عالجهُ سنةً أخرى، وحماهُ عن كلِّ ضارٍ

(1) أ: ح. ن.: جالينوس في مرتبة يقعد للنّاس اليه عالم منهم فجلس.

إلى أن عاد صحيحاً سليماً، ثم سلّمه إلى بعض تلامذته ممّن وثق به، وحمل الملك على مركوبٍ وزوّده زاداً وغلاماً يخدمه ونفقةً، وردّهُ إلى مملكته سرّاً من غير أن وقف على مكانه، فلم يشعر أهل مملكته[1]، إبنين. فلمّا فارق الملك قبض الابن الأكبر على مملكةِ أبيه إلى أن عاد باز إلى المملكةِ، فلمّا استقرَّ باز في مملكته جهَّز هدايا ومراكب وعبيداً وجواهر.

وكتب إلى جالينوس كتاباً بالشكر وبما أولاهُ وسألَهُ قبولَ ما أنفذه إليه وكتب إلى نيقاس الملك يتقيه ويحذرهُ إن مملكتي لك وأنا أخوك وعضدُكَ، ولا فرق بيني وبينك في الملك إذ سمحت لي بمثل جالينوس الجليل الفاضل الذي ليس له شبيه في الأنام، وحاجتي العظمى لديك أن تحمل على نفسك المصير إلى مدينة كذا، فقد كتبتُ إلى فلانٍ الملك لها أن يسأل جالينوس المتأهِّل لكلِّ فضيلةٍ الرجوع إلى وطنه وهواءِ مدينته التي نشأ فيها، ويكتبُ جواب كتابي منها وقبول ما أنفذتُهُ إليه وأتحفتهُ به من عرضِ الدنيا ممّا لا قيمة له ولا قدر له عنده، فإن لم يجبك والعياذُ باللهِ إلى الرجوع إلى وطنه[2] إن شاء الله، وانفذَ إلى نيقاس أيضاً هدايا وجواهر، وردَّ التلميذ مكرماً مموَّلاً غنياً إلى جالينوس.

فلما ورد الكتابان على جالينوس ونيقاس استبشرا بذلك، وخرج نيقاس نحو ذلك الملك الذي جالينوس عندهُ وتشفَّعَ بالملك إلى جالينوس، فأجابهما إلى ذلك، وانصرف إلى وطنه، ولم تزل المكاتباتُ تجري بين باز الملك ونيقاس وجالينوس بلطف وهدايا ورُسُلٌ إلى أن اعتلَّ باز الملك، واتصل الخبرُ بجالينوس، فقال لنيقاس: إني قد عزمتُ على الشخوص نحو باز، فإنَّه قد اتَّصل لي أنَّه عليل فتجهَّز، وساعدهُ نيقاس الملك، وطَوَيا المراحل إلى

---

(1) أ: ح. ن.: إلا وقد هجم باز الملك صحيحاً سليماً وقد ظهرت أخلاقه وتأدب بأدب اليونانيين وتخلّق بأخلاقهم وقد كان باز خلف في أهل مملكته

(2) أ: ح. ن.: أوجبت على نفسي المصير اليه في شرذمة من أصحابي وخواصي والشفيع بكامله اليه وبمعروفه الذي أهداه إلي. في الرجوع إلى وطنه.

أن بلغا مملكة باز فنزلا من المدينة على منزل، فجاءهم صاحب ذلك المنزل، فبحث عنهم، فقال له جالينوس: بلِّغِ الملك نزول جالينوس هذا المنزل، فقال له صاحبُ المنزل: تعني جالينوس سيِّد الملك ومولاهُ، فقال له جالينوس متبسِّماً: جالينوس طبيب الملك، فغاب الرجل عن حضرته وأبلغ تلك الرِّسالةِ.

فتباشر الملك والناس بورود جالينوس، وقد كان الملك باز أبلَّ من علَّته، فركب في خاصَّته وأمرَ الخيل أن يتبعه، واستقبل جالينوس فرحاً مبتهجاً، فلمَّا نظر جالينوس فلم يتمالك أن نزل، فركب الخيل كلها واستقبله جالينوس ونيقاس الملك، واعتنقا ساعةً ثم التفت فأبصر نيقاس، فقال الملك لجالينوس: مَنْ هذا الذي شيَّعك وساعدك أيُّها الفاضلُ؟ فقال: المعتدُّ بك، الطائر بجناحك، الناشر لفضلك أيُّها الملك نيقاس الملك، فعانقهُ الملك واستبشر بقدومه، ودخلوا المدينة في زينةٍ وهيئةٍ وجلالةٍ، فأنزلهما الملك في دار مملكته، ولم يُفارقهما أسبوعاً، ثم أكرمهما وألطفهما.

وتشفَّع نيقاسُ إلى جالينوس أن يقبل من الملك أحد ابنيه ليخدمه ويتلمذَ له، وكان اسمه علوقُن، فأجاب جالينوس إلى ذلك وقبله وزوَّج نيقاس فعلقت ابنته من علوقن وأقاما عند الملك شهراً، فأعدَّ الملك لهما الخلع والجوائز والألطافَ في كلِّ يومٍ، ثم انصرفا، وشيَّعهم الملك بنفسه وخاصَّته منازل مبتهجاً بهما، وسلَّم علوقن إلى جالينوس بجماعةٍ من الخدم والمماليك، وردَّ على نيقاس الملك مُدُناً كثيرةً بالقرب من مدينةٍ[1] قد تغلَّبَ عليها، وأمر أن لا يُردَّ أمرُ نيقاس في جميع مملكته ويُنفذُ أمرُهُ كما ينفذ أمرُ باز الملك، فوصلوا إلى البلاد، وتقدَّم نيقاس فبنى قصراً لعلوقَن وابنته، وجعل علوقن وليَّ عهده، ولزم علوقن جالينوس فخرَّجه حتى برز في الطِّبِّ في مدَّةٍ يسيرةٍ.

واعتلَّ نيقاسُ الملك علَّةً حادَّةً، واشتعل قلبُ علوقن وساطنه، واغتمَّ

(1) أ: ح. ن.: كان.

لـذلك، وحضـر جالينـوس، واتَّفقا أن تلك العلَّة قـاتلةٌ، فقال لـه جالينـوس: أوصِ أيُّهـا الملك بما تشـاءُ قبل الفـوت، فقال نيقـاس: من يخلف مثل بـاز الملك وابنـاً مثل علوقن وأخـاً مثلك فهو مُسْتغنٍ عن الـوصيَّة، وقضى نحبـه، وكتب علوقن إلى أبيه ببيعته، وعرَّفه أنَّ له ابناً راجحاً يصلح لسياسـة الملك، فكتب إليه باز أن تسلَّم المملكة إلى ابن نيقاس[1]، وبحليهـا وحللها وجهـازها وخدمها مع ثقاتٍ من أهله، ولحق علوقن بأبيه باز بعد أن فـرغ جالينـوس من تخـرجه، وودَّعـهُ وداع الوالـد للولدِ، فسُـرَّ به بـازُ الملك، وبمـا صـادفـه من تخريجه على جالينوس، وابتهج بمكانه وبما وجده عليه من الفهم والمعـرفة، وجعله وليَّ عهده، والله أعلمُ بالصواب.

وقال جالينوس: العلمُ لا يمنع الرزق، والأدبُ لا يردُّ الحظّ، وهما إليَّ أن يكونا سبباً للرِّزق وطريقاً إلى الكسب وعوناً على الشرف أقرب!

وقال: أما الفضيلة، فكلُّ الناس بالطبع تشتاق إليه[2]، وأمَّا الـطريق المؤدِّية إليها فشاقةٌ، قليل من يصبر عليها.

وقال: ما دخل الرُّمَّان بطناً فاسداً إلَّا أصلحه، ولا دخل التمر جوفاً صـالحاً إلَّا أفسده. وقال: أنواع الموتِ أربعـةٌ: موتٌ طبيعيٌّ كـالهرم، ومـوتٌ عرضيٌّ من آفـةٍ تُصيب البدن، ومـوت برضىً وشهـوةٍ كالـذي يقتل في نفســه، وموتٌ يكون بغتةً وهو موتُ الفجاءة.

ولنختم تـاريخ أفضـل الأطباءِ بـذكْرِ الأحـوال التي تتعلَّق بالـطِّبِّ ومبدئـه. واعلم أن يحيى النحوي الإسكندراني الذي كان في زمن عثمان ومعاوية وكان يُطبِّبُهما أحياناً.

وقال: إنَّ أوَّل من أظهر الطب بمدينة قواسقليوس الأوَّل من مدينـة قو وهي

---

(1) أ: ح. ن.: وزوّج أختـاً كانت لعلوقن من ابن نيقـاس، وخرج هـو بأهله نحـو بـاز الملك وانقد بابنته الى ابن نيقاس.

(2) «كذا» في «أ». والصواب: إليها (المحقق).

مدينةُ أبُقراط، وهو الذي استخرج الطب بالتجربة، وكان بينه وبين ظهور جالينوس خاتم الأطباء ثمانية أطباء: اسقليوس الأوَّل، وغورس، ومَنِيسي ورمانيدس وأفلاطون الطبيب واسقليوس الثاني وابقراط الثاني وجالينوس، وكانت المدَّةُ التي بين ظهور اسقليوس الأول إلى وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسمائة وستين سنةً، منها الفترات بين كلِّ واحدٍ من هؤلاء الأطباء منذ وفاته إلى ظهور الآخر أربعةُ آلاف وثمانمائة وتسع وثمانون سنة.

من ذلك منذ وقت وفاة اسقليوس الأول إلى ظهور غُورس ثمانمائة وست وخمسون سنةً، ومنذ وفاة مَنِيسي وإلى ظهور رماليدس سبعمائة وخمس وثلاثون سنةً، ومنذ وقت وفاة رمانيدس وإلى ظهور أفلاطون سبعمائة وخمس وثلاثون سنة، ومنذ وفاة أفلاطون وإلى ظهور اسقليوس الثاني[1] وإلى ظهور أبقراط ستين سنة، ومنذ وفاة أبقراط وإلى ظهور جالينوس ستمائة وخمس وستون سنةً.

وعاش اسقليوس الأوَّل تسعين سنة، منها صبيٌّ قبلَ أن تُفتح له القوةُ الإلَهية خمسون سنةً، وعالمٌ معلِّمٌ أربعون سنة، وعاش غورس سبعاً وأربعين سنةً، منها صبيٌّ متعلِّمٌ سبع عشرة سنةً وعالمٌ يعلم ثلاثين سنة، وعاش منيسي أربعاً وثمانين سنةً، منها صبيٌّ متعلم أربع وستون سنةً، وعالمٌ معلمٌ خمس عشرة سنةً، وعاش رمانيدس أربعين سنة منها صبيٌّ متعلم خمس وعشرون سنةً، وعالمٌ معلم خمس عشرة سنة، وعاش أفلاطون ستّين سنة، منها صبيٌّ متعلمٌ أربعون سنة وعالمٌ معلم عشرون سنة، وعاش اسقليوس الثاني مائة وعشر سنين، منها صبيٌّ متعلم خمس عشرة سنة، وعالمٌ يعلم تسعون سنة، وعطَّل خمس سنين، وعاش أبقراط خمساً وتسعين سنة، منها صبيٌّ متعلم خمس عشرة سنة، وعالمٌ معلم خمس وسبعون سنة وعطل خمس سنين، وعاش جالينوس سبعاً وثمانين سنةً، منها صبيٌّ متعلِّمٌ ستّ عشرة سنة، وعالم

(1) أ: ح. ن.: ألف وأربع مائة وعشرون سنة، ومنذ وفاة اسقليوس الثاني.

معلّمٌ إحدى وسبعون سنةً. ولكلِّ واحدٍ من هؤلاء الأطباء الأصول تلاميذ علّموهم هذه الصناعة، وخلفوهم بعدهم لثبات ذكرهم، وكانت تلاميذهم من الأولاد والتلاميذ، من العصبة والأقارب لا من أولاد الغرباء لأنّه كان بينهم عهودٌ ومواثيق أن لا يعلّموا هذه الصناعة غريباً على ما عهده أسقليوس الأول إليهم، فإن اسقليوس هذا خلف من التلاميذ مائتي ولدٍ وغيره من القرابة ستّة نفرٍ: ماغيس وسفراطون وأخروسيس الطبيب ومهراريس المكذوب عليه المرور سببُ الكذب أنه لحق سليمان بن داود عليه السلام لأنّ بينهما ألوف من السنين وصورمدرس وسيساوس، وقيل: إنَّ هذا هو المكذوب عليه، وكان كل واحدٍ من هؤلاء ينتحل رأيَ أستاذه هو أسقليوس وهو رأيُ التجربة، لأنَّ الطب إنما حصل لهم بالتجربة[1] وقوَّاها وخلف من التلاميذ ولد وقريبٌ سبعة: مرقُس وجروجيس وماسطيس وبولس وماهانس وأسقواطيس الأول وسيقورس وكل واحدٍ من هؤلاء ينتحل رأيَ أستاذه في التجربة.

فلم يزل الطب يجري من هؤلاء على السداد إلى أن ظهر أسقليوس الثاني فنظر في الآراء القديمة فوجد أن الذي ينبغي أن يعتقد هو رأي أفلاطون، فانتحله، فلما توفي خلَّف من أهل بيته من التلاميذ ثلاثة نفرٍ، وهم: أبقراط بن أبرقلس، وماغاريس، وأُورجس، فلم تمضِ مُدَّة أشهر حتى توفي ماغاريس ولحقه أورجس، وبقي أبقراطٍ وحيد دهره كامل الفضائل عالماً بسائر الأشياء التي بها يُضربُ المثل، أعني الطب والفلسفة، إلى أن بلغ به الأمران عند الغاية.

وقوّى صناعة القياس والتجربة تقويةً عجيبةً لا يتهيَّأ الطاعن أن يحملها، وعلَّم الغرباء الطب وجعلهم أشباه أولاده، لأنَّه خاف أن يفنى الطب من العالم، وخلق من التلاميذ من آل أسقليوس، أما من أولاده مالوس ودراقَنْ ومالانا أرسا ابنته، وكانت أفضل من ابنيه. ومن أولاد أولاده: بقراط بن

(1) أ: ح. ن.: لم يزل الطّبُّ ينتقل من هؤلاء إلى من علّموه حتّى ظهر غورس ونظر في رأي التجربة.

باسلوس بن بقراط، وبقراط بن دراقن بن بقراط، ومن التلاميذ القرباء والغرباء خلقٌ كثيرٌ مثل بالاون، وماسرجس ومستانوس وبولولس، وهو أجلُّ تلاميذه وخليفته، وبافينسون، وأسطات، وسادس، وغورس وسيطوس من أهل بيته وماكاليس.

ولم يزل الطبُّ ينتقل من هؤلاء الأطباء إلى من علَّموه إلى أن ظهر جالينوس. وكان في الفترة التي بين أسطيرس وبين غورس سورندون، وماربوس وساديّاس، وسنبارس وسقروقس الأول وسقلوس وسموليس وانطيماخس وفرميجون وأغايس وابراقلس وأسقوروس. وكان في الفترة بين أفلاطون وأسقلبيوس الثاني مثل، والاقراغيطي ومامسطيوس الطبيب وإقليدس وفوديفوس وابرَّاقلس الأول واندراماخِس القديم وافلاغورس وماجيس وسطن وسيفروروس وغالوس وطياطاس وامروقلس ويونا الطبيب.

وكان في هذا الوقت من الفلاسفةِ فوياغورس. وديوفيلس ويارن وأنباذقليس وأقليدس وساورى وطيماناوس وأنكسماونس وديمقراطيس فإنه لحق بقراط وهو مع أستاذه، وأسقليوس وباسليس. وكان في الفترة التي بين بقراط وجالينوس، سقليوس الطبيب المفسِّر يكتب بقراط وأنقيلاوس الأول الطبيب ولوقس وأرسيسطراطس الثاني القياس. وقيل الثاني غالوس وسريرفطوس صاحب العقاقير وسقالس المفسِّر لكتب أبقراط ومايطانس المفسر لهذه الكتب وغاغولس ومغنيس الحمصي، وأندراماخس القريب، وسوباخس الاثيني وروفس الكبير وأومرمولوقوس، وأريجانس صاحب النبض ودياسقورندس الأول المفسِّر لكتب بقراط وساقرطيس العامل للمعجونات، ومساوس ومارس الجبلي.

وكان قد وقع إليه كتابٌ من كتب باسلس الأول الذي كان يقول: إن الطب حيلة. وكان بقي بعد إحراق كتب الحيل فانتحله وقال: لا صناعة غير صناعةِ الحيل أعني الطب، وأراد فساد الناس عن اعتقاد القياس والتجربة. ووضع كتباً كثيرةً أخذها من ذلك الكتاب.

فلم يـزل مع الأطبـاء يقبلها بعضهم ويـرُدُّها بعضهم حتى ظهـر جـالينـوس فنـاقضه وأفسـدها عليـه، وأحرق مـا وجد منهـا، وأبطل صنـاعة الحيـل أعني الـطب وأراد إفساد النـاس عن اعتقاد القيـاس والتجربـة، ووضـع كتبـاً كثيـرة أخذها من ذلـك الكتاب فلم يـزل مع الأطبـاء يقبلها بعضهم ويـردُّها بـالكليَّةِ افريطـن وامافرس وجاريكسانس وأورساسيس وماريـطس وفافـولوس ومـارقس ورغالس وهرمس الطبيب وبولانس وماجُونـار جلكس وهؤلاء الاثنا عشـر طبيباً الذين أولهم أفرايطن، عاضـد بعضهم بعضاً في تـأليف الأدوية لمنفعـة الناس تشبهاً لهم بالبروج الاثني عشر.

وقيلس الـذي لا يخـطىء في عـلاجٍ ، وديمقـراطيس ومـاقـولس ومـارقس وبـركـاليس وهـرمس الـطبيب وبـولانس الثـانـي الـطبيـب وأفـروسيس وانكسـافـطراطليس وافـرودونيس وبـطلميـوس الـطبيب وسقـراطيس الـطبيب ومـادقيس العاشق للعلوم وسـوش وسادرنـطوس التام، وفـوريس قادح العين، ودياسقورندس العين صاحب النفس الـزكيَّةِ، النـافع للنـاس المنفعة الجليلة، السـائـح في البـلاد، المقتبس لعلوم الأدويـة المفـردة من البـراري والبحـار والجزائر، المصوِّر لها أبعادُ لمنافعها.

فلمَّا صحّت له بـالتجربـة ووجدهـا غير مختلفـةٍ أثبتها وصـوَّرها وعنـه أخذ جميع من جاء بعده وبه يقووْلا على جميع ما احتاجوا إليه من الأدوية المفردة، وبلاديوس المفسِّر لكتب بقراط وفـلافيطر امـرأةٌ طبيبةٌ، وجـالينوس أخـذ عنها أدويةً كثيرةً وعلاجاتٍ شتى وخاصةً في أمور النساء. وأسقلنـادوس وسوانـوس الـذَّهبي واراقلس الطرايـطي، وأدوميس الملك، وساروس القليـطي، وسالس الحمصي، وكسـافـوا بـرجس، وفـرطـانس، وديـوجـانس الـطبيب، وذوالس الكحـال، واسقلیادس البـلاذري، وبقراطيس الجـوارشي، وآلاون، وأريـوس الـطرسوسي[1]، وفيلوس الـطرسوسي الـذي لـه معجـون الفلونيـا، وعـامـوس

(1) أ: ح. ن.: وقمن الحـراني ومـودوقس الأثني وابـراقلس الهـادي وبـطروس وفـودادس وباقراطس العين ردي وابطماطروس واريوس الطرسوسي.

المصري، وطوطوسوس الإسكندراني واليس، وسقورس المطلع لأنَّ الأدوية كانت تطاوعه فيما يستعملها. وثانون وآران الحراني، وجميع هؤلاء أصحاب أدويةٍ مفردةٍ، وجالينوس أخذ منهم كتبهُ في الأدوية المركَّبة، ومن كان في هذه الفترة من الفلاسفة زينون الكبير، وزينون الصغير، واقراطِس المنطقي وأدمون المستوفي وأغلوقن النصيبي وسقراط، وديمقراط، وأرسطاطاليس، وناوفرسطس، وأوديتموس وفافامس، وأخروسيس، وديوجانس الكلبي، وفيلاطس، وفيماطوس، وأسقليوس، وأرمنيس الرومي معلم جالينوس، وأغلوقن المُحِب لجالينوس، والإسكندر الملك، والإسكندر الأفروديسي، وفرفوريوس السادري وابرقليس الأفلاطوني، واسطفانس المصري، ورامس.

ومن وفاة جالينوس وإلى سنة تسعين ومائتين للهجرة، فالأطباء في هذه الفترة: اصطفن، وجلسيوس وانفيلاوس، ومارسوس، فهؤلاء الأربعة الإسكندريون، وهم الذين فسَّروا كتب جالينوس وجمعوها واختصروها، وطيماوس الطرسوسي ومعيس الإسكندراني، وأصطفن الحراني، وسمري الملقَّب بالهلال لكثرةِ ملازمته منزله لاشتغاله بالتأليف وأرثاسوس، وقولس، وأرساسالوس القوابلي لمشاورة القوابل إياه، في أمور النساء ودياسقورندس الكحال، ومافالس الاثيني، وأفرويطس الاسكندراني، وينطس وهو من الحذاق في سائر صناعات الطب، ومارسوس الرُّومي وأرون وزومانك.

ومن الفلاسفة المذكورين ناسطيوس وفرفريوس الصوري، ويحيى النحوي، ودرانوس وأنقيلاوس، وأموسوس، وقولوس، وأفروطوخس وأدونيس وماعارالس ررلى[1] وفيادوسُ الاثيني، وأدي الطرسُوسي. فجملة السنين من وقت أسقليوس الأول إلى سنة ستٍ وتسعين للهجرة.

---

(1) «كذا» في «أ» وهي واضحة ولا مفهومة.

بسم الله الرحمن الرحيم

نريد أن نضم إلى تواريخ القدماء تواريخ الحكماء المتأخرين من الإسلاميين وبعض فوائدهم.

## 41 - حنين بن اسحق[1]

المترجم، كان أوَّل من فسر اللغة اليونانية ونقلها إلى السريانية والعربيَّة، ولم يوجد في هذه الأزمنة بعد الإسكندر اعلم منه باللغةِ العربية واليونانية. وكان في عهد المأمون والمعتصم بغدادي المولد، نشأ بالشام، وتعلم بها، وكان يدخل بيع النصارى، ويتعبَّد على قوانين شريعة المسيح[2] وتفل في الصُّور التي فيها، وقال: هذه بدعة لا يجوزها الشرع والعقل، وكيف يجوز نصب الصُّورِ في موضعٍ يُعْبَدُ فيه الله تعالى الذي هو منزَّهٌ عن الصورة والهيئةِ، فحبسه الجاثليق مُدَّةً في داره، فصنَّف في حبسه المسائل المنسوبة إليه، وفسر كتب أرسطو وأفلاطون، ثم اعتذر إليه الجاثليق فما قبل عذره وما

---

(1) الفهرست، ص: 352؛ البيهقي، ص: 16؛ وابن جلجل، ص: 68؛ وابن أبي أصيبعة، ص: 257؛ والقفطي، ص: 171.

(2) أ: ح. ن.: قد حل على عادته يوماً في البيعة فرأى فيها الصورة...

عاد إلى البيعةِ واشتغل بنشر العلوم وقال: كلُّ زمـانٍ يلائم علمـاً وعادةً وصنفـاً من الإنسان.

وقال: من خاف شقاوةَ الدنيا ما اكتسب سعادة العقبى.

## 42 - ابنه اسحق[1]

كان من ندماءِ المكتفي باللهِ تعالى، وقد دعاهُ يوماً ليختار طالعاً ليجعـل ابنه وليَّ عهده، فقال له: هذا لا يتمُّ أمرهُ و يصلح للخلافة: وقال: تـأمَّلتُ طالـع المكتفي باللهِ فوجدتُ صاحب عاشرِه في ثالث طالعه، فعلمت أن الأمر بعـده لأخيه. وكان كما قال: فجلس بعده المقتدر. ولإسحق تصانيف كثيرةٌ، وكـان الغالبُ عليه الأحكامُ والطبُّ.

قال للوزير العباس بن الحسن: إنَّ من تصدَّى لحفظ الناس ذكرتـه الألسن بـالمدح والـذَّمِ، فاجتهـد أن تكون ممـدوحـاً في ذلـك، لا بحسب أغـراض الناس.

وكان اسحق ممَّن حسُن إسلامـه، وقد أشـركه المكتفي في بيعـةِ ابنه ومع وزيـره العباس. سـأل اسحق بن حُنَين أباهُ: مـا الذي تشيـر عليَّ أن أقـرأ من الكتب وأن أجعل غرضي معـرفته في شيءٍ بيـده بحسب ما أعلمُ من عنـايتك لي ومن تهيؤ طبيعتي لقبول العلم؟ فقال حنين: ما أعلم أشدَّ ضرورةً منك إليه إلاَّ مـا أمرك الحكيم الأولُ بتعـرُّفها، وهي التي أنت بهـا مشاركٌ للبـاري جـل ثناؤه، ومنفصلٌ عن البهائم وهو الذي تسميه العـرب نُطقـاً، واليونـانيَّةَ لـوغِسْ مشتق من لوْغِسْ أي بالقـول، فقال إسحق: فـإذا كانت الكتب في هـذا الفنِّ كثيرةً، فارشدني إى كتابٍ أبتدىء به، فقال حنين كتاب فـاطيغُوريـاس، فقال إسحق: فلم اخترت كتاب فاطيعورياس، ولمَ اخترت الذي للحكيم أرسطو؟

---

(1) الفهرست، ص: 356؛ البيهقي، ص: 18؛ القفطي، ص: 80؛ أصيبعة، ص: 274.

قال حنين: أمَّا كتاب فاطيعورياس فلأنَّه ابتدأ هذا العلم، وأمَّا الذي للحكيم فلأنَّ غيره ليس بموجودٍ في هذا الوقت. ولو كان غير هذا الكتاب موجوداً في هذا المعنى وهو كتاب أرخوطس لاخترته لك. وكان أرخوطس من شيعة فيثاغورس هو المبتدى لأكثر حكمةِ اليونانيين، وعنه أخذ سقراط وأفلاطون وأقليدس وإيلوس وأرسميدُس وبطلميوس وسائر الحكماءِ والمهندسين.

## 43 ـ حُبَيْش الطبيب[1]

كان من الأطباءِ المتقدِّمين، والمهندسين، ولهُ تصانيف كثيرةٌ في الطب ومصنَّفات في المعالجاتِ[2] كلامه: الكذب رأس كلِّ بليَّةٍ، من ترك الحقد أدرك معالي الأمور..

قال: مَنْ كرُمَتْ نفسه لم يكن إلَّا بالحكمةِ أُنْسُهُ.

## 44 ـ ثابت بن قرة الحراني[3]

كان حكيماً كاملاً في أجزاءِ علوم الحكمة، وكان من الصابئين، وهو جَدُّ مُحَمَّد بن جابر بن سنان صاحب الرصدِ، وكان المعتضد يكرمه، ومن إكرامه له أنَّه طاف معه في بستانٍ له ويده على يد ثابت، فانتزع يده بغتةً من يد ثابتٍ، ففزع من ذلك ثابت، ثم قال له: يا ثابت أخطأتُ حين وضعتُ يدي على يدك وسهوتُ، فإنَّ العلم بعلو ولا يعلى فهذه غايةُ إكرامه له.

وكتاب الذَّخيرة له هو نادرٌ في الطب، فإنَّ الصابئي قال: رأيتُ ثابتاً في النوم واستفدتُ منه نُكتةً ذهبت عنِّي وبعد حينٍ تذكرتها وهي أنَّه (ـ) وثابت

---

(1) الفهرست، ص: 355، البيهقي، ص: 19، القفطي، ص: 177.

(2) أ: ح. ن.: فمن.

(3) الفهرست، ص: 331، البيهقي، ص: 20، القفطي، ص: 115، أصيبعة، ص: 295.

هو أصل ما تجدَّد للصابئة من الـرئاسـةِ ببغداد بحضـرة الخلفاءِ، ولمْ يكن في زمـانه من يمـاثله في جميع أجـزاءِ علوم الفلسفة، ولـه أرصادٌ حسنـةٌ للشمس ولما حبس الموفق المعتضـد في دار ابن بلبل، تقـدم اسماعيـل بن بلبل إلى ثابت أن يدخل إليه ويؤانسه، وكان يـدخل إليـه كل يـوم ثلاث مـراتٍ يحادثـه ويسأله ويعـرفه أحـوال الفلاسفـة، وأمْر الهنـدسة والنجـوم وغيره بـه المعتضد ولطفـ محلَّه فلما خرج من حبسه، قال لبدرٍ غـلامه: أيُّ رجـل أفدنـا بعدك، فسأله عنه فقال: ثابت. . ولمَّا تقلَّد الخلافة أقطعه ضياعاً جليلةً وكـان يجلسه بين يديه كثيراً، ويكون بدر والوزير قائمان[1] وهو جالس.

## أبو الحسن ثابت بن قرَّة الحَراني

كان مِنَ الصابئيـة، وله سـوى براعتـه في الأوائل رأس مـال كثير، وريـاسة عظيمة في الصابئة. وقـد رأيتُ عدَّةٍ كتبٍ مُصنَّفـةٍ في مذاهبهم هي عنـد تميم الآن، وقد بلغ من جلالة قدره، وعـظم محلِّه في العلم أنَّه جعـل كالمتـوسط بين يحيى، وبين برقلس. وله كلامٌ طويلٌ تشتمل عليه دسوت كاغد.

## 45 ـ أبو عثمان الدِّمشقي

سعيد بن يعقوب، هـو من مقدمي الأفـاضل، ونقلةِ كتب الأوائـل، ومن له السبق في ذلـك بعد حنين وابنـه ثابت بن قُـرة. وكان فصيحـاً باللغـةِ العربيـة واليونانية، معتمد النقل.

من ترجمته: المتواضعُ، من طلاب العلم، أكثرهـم علماً، كما أنَّ المكـان المنخفض أكثـر البقـاع مـاءً. وإذا أبصـرتْ العين الشهـوة عمي القلبُ عن الإختيار، ومن نظر إلى الموتِ بعين الأمل رآهُ بعيداً، ومن نظر إليه بعين عقله وجده قريباً.

---

(1) «كذا» في «أ». والصواب: قائِمَيْن.

وقـال: العقـل صفـاءُ العقـل والجهـل كـدرهـا، وهـو من أطبـاءِ بغـداد المذكورين، وكان منقطعاً إلى علي بن عيسى الوزير والمارستانات.

## 46 ـ محمد بن زكريا الرازي

كـان في بدء أمـره صائغـاً، ثم استعمل علم الأكسيـر فرمـدت عيناه بسبب الحدَّةِ التي في العقاقير، فذهب إلى طبيب ليعـالجه فقـال: لا أُعالجـك حتى آخُـذ منك خمس مـائة دينـارٍ فدفـع إليه ذلـك فقال: هـذا هو الكيميـاءُ لا ما اشتغلت به، فترك الأكسير، واشتغل بالطب حتى نسخت تصانيفه تصانيف من قبلهُ من الأطباءِ المتقدِّمين.

قال ابن سينا في حقـه: هو المتكلّف الفضـولي الذي من شـأنه النـظر في الأبوال والبرازات، وقد صدق في ذلك لأنه بلغ الغاية في المعالجات الـطبية. وتكلم بالعوراء والخبائث فيما سوى ذلك.

قال: السموم ثلاثةٌ، أكل الشواء المغموم واللبن الفاسـد والسمك المنتن، ولمحمد مُصَنَّفات كثيرةٌ جداً، ومـولده ومنشـأهُ بالـريّ، وقرأ الـطب على[1] بن زين الطَّبري.

قال القاضي ابن صـاعدٍ: إنَّ الـرازي لم يتوغَّـل في العلم الإلّهي ولا فهم غرضه الأقصى فلذلك اضطرب رأيه، وانتحل آراء سخيفـةً خبيْثة، وذمَّ أقـواماً لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم.

وكـان ينتقل في البلدانِ، وكـان شيخاً كبيـر الرأس مسطَّحه، وكـان يجلس للتعليم بعظمةٍ فيجلس دونه التلاميذ، ودون التلاميذ تلاميذٌ.

وكان كريماً متفضلاً باراً بالفقراء والإعلاَّء. وكـان يجري عليهم الجـرايات

(1) أ: ح. ن.: عليٌّ.

الـواسعةِ، ولم يفـارق المدارج والنسـخ، وكان في بصـره رطـوبـةٌ[1] البلخي، جوالاً في البلاد، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة، وكان الرازي فـطناً ذكيـاً مجتهداً في جلَّة أوقـاته[2] والتـطلع والفكر في مـا دونَـهُ الأفـاضـلُ، ومن شعره:

لعمــري مـا أدري وقــد أذن البلى ... بعـاجل تـرحـالي إلى أين تـرحـالي

وأين محـلُّ الـروح بعــد خـروجــه ... من الهيكل المنحلّ والجسـدِ البالي

## 47 - علي بن الطبري[3]

كان من كبار مدينة مرو، وله همةٌ رفيعةٌ وعلم بالإنجيل والطب. وابنه كـان حكيماً كاملاً يعرف ذلك من كتابه المعنـون بفردوس الحكمـةِ. وله مصنَّفـاتٌ كثيرةٌ.

## 48 - ابن بابا بن سوارِ بن بهنام[4][5]

وبهنام كلمةٌ فارسيَّةٌ مـركبةٌ من كلمتين وهي بـه ونام أي اسم الخيـر. وكان خبيراً بالنقل، وقد نقـل كثيراً من السـرياني إلى العـربي، وقرأ الحكمـة على يحيى بن عرى[6]. وكان في نهاية الذكاءِ والفـطنةِ، وبلغ في الـطب إلى غايـةٍ قيل له محمود الأرض، وكان ملك محمود عظيماً، وكان إذا دعـاه الفقيرُ مشى راجـلاً. وقـال لــه: جعلت هـذا المشي كفَّــارة لمـروري إلى أهــل الفسق

(1) أ: ح. ن.: لكثرة أكل الباقلاءِ، وكان يقول إنّه قرأ الفلسفة على البلخي وكان...
(2) أ: ح. ن.: بالإجتهاد.
(3) الفهرست، ص: 354، القفطي: 231، البيهقي، ص: 22، أصيبعة، ص: 414.
(4) الفهرست، ص: 323، أبو الخير الحسن بن سوار بن بـابا بن بهنـام، أصيبعة، ص: 428، البيهقي، ص: 26، القفطي، ص: 164.
(5) أ: ح. ن.: أبوالخيـر الحسن البغدادي.
(6) أ: ح. ن.: عدي.

والجبابرة، فإذا دعاهُ سلطانٌ ركب في زيِّ العظماءِ بالمماليك الترك والخيول الجياد مع الهيبة والوقار، ووفَّى صناعته حقَّها بالتواضع للضعفاءِ، وبالتعاظم على العظماءِ.

وهذا كان طريق بقراط وجالينوس وجميع الحكماءِ. فمنهم من تواضع فلزم الزهدَ والتعاون، ومنهم من أظهر من حكمته ما ظهرت به محاسن الحكمةِ.

وحكى ابن هندٍ وكان زعيمُ الفرقةِ النافيةِ للطبع: تُعادي استاذي ابن الحجاز وتُعري العامريَّة، فاشتكى الزعيم رأسهُ إلى أستاذي فقال له: ضَعْ تحت رأسك الكتاب الذي نفيت فيه فعل الطبيعة لتشفى وأبى أن يعالجهُ.

وهو بغدادي المولد، وقد حمله إلى خوارزم شاه مأمون بن محمد بن خوارزم شاه، فلمَّا استولى محمود بن سبكتكين على خوارزمُ حمله إلى غزنة وعرض عليه الإسلام فأبى.

وعمَّر حتى جاوز المائة، ومرَّ يوماً بمعلمٍ في مكتبٍ يقرأ ( **ألمَ أحسب الناس أن يتركوا**)، فوقف وبكى ساعةً، ومرَّ فرأى في منامه تلك الليلة النبيَّ ﷺ وهو يقول له: يا أبا الخير مثلك مع كمال علمك يقبح أن تنكر نبوَّتي، فأسلَم على يده ﷺ.

فلمَّا انتبه من منامه أظهر الإسلام وتعلم الفقه على كبر سنِّه، وحفظ القرآن وحسُنَ إسلامه، وقد حكم له أبو ريحانُ بنكْتَة قاطعةٍ فدعاهُ السلطان محمود يوماً وبعث إليه مركوبه، فمرَّ على سوقِ الحقَّافين[1] فنفرتْ الدابةُ فأهلكته.

قال ابن سينا في بعض كتبه: فأمَّا أبو الخير فليس من عداد هؤلاءِ، ولعلَّ الله تعالى يرزُقنا لقاءَهُ فيكون إما أفاد وإمَّا استفاد وبعض الناسخين يكتب، فأمَّا أبو نصرٍ وهو غلطٌ لأن أبا نصرٍ مات قبل ولادة أبي عليٍّ بثلاثين سنةً، وقد

(1) أ: ح. ن.: لعارض.

أعطاه السلطان ناحيةً يقال لها ناحية خمار، ونُسِبَ إلى تلك البقعة، وله تصانيف كثيرةٌ في أجزاءِ علوم الحكمةِ[1] مقالةٌ في الوفاق بين رأى النصارى والفلاسفة، ومقالةٌ في الإيضاح عن رأي القدماء في الباري تعالى، وفي الشرائع وجوَّد فيهما. ومقالةٌ في السعادة، وله غيرها كتبٌ كثيرة في فنون.

ورأيتُ له رسالةً إلى الوزير الأمين أبي سعيدٍ فيها كلماتٌ شافيةٌ، وكتاب خلق الإنسان، وقد حلَّ فيه كثيراً من رموز الأوائل. وقيل له بقراط الثاني، وحقَّ له ذلك لأنَّ النبي ﷺ سماه عالماً. وسُئِلَ ابن سوارٍ عن ما فيه الناس من السيرةِ وما هم عليه من الاعتقادِ. أحقٌ كله أو أكثر أو باطلٌ كله أو أكثره؟ فقال: المسألة هائلةٌ والجواب هيِّنٌ.

قيل: فأفدْنا أفادك الله، فإنَّ تكيَّة العلم لا تبرح ولو اختلفت عليها الدِّلاء، وكثُر على حافاتِها الوُرّاد فقال: صدقتم إعلموا أنَّه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم وعليه آثارها فيهم من الرَّأي المعتقدِ والسيرة المؤثرةِ، فأكثر ذلك باطلٌ لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريبٌ، والغريب ذليل وإن لحظ حكم العقل وما يجب به ويليق بجوهره، ويحسنُ مضافاً إليه فأكثر ذلك حقٌّ كان الملحوظُ رأياً أو سيرةً أو عادةً أو خليقة، وعلى حسب هاتين العلَّتين يكون القضاء ويقع الحكمُ، والحق لا يصير حقاً بكثرةِ معتقديه، ولا يستحيل باطلاً بقلَّةِ منتحليه وكذلك الباطلُ.

## 49 - متّى بن يونس[2]

المترجم، كان حكيماً نُصرانيّاً، وشرح كتب أرسطو، وله تصانيفُ في المنطق وغير ذلك. ومن كلامه: السعادات ثلاث، نفسانيَّةٌ وبدنيَّةٌ وخارجيَّةٌ، فالنَّفسانيَّةُ هي العلوم الحقيقيَّةُ ويتبعها الأخلاق المحمودة، والفضائل والسيرةُ

---

(1) أ: ح. ن.: فيها.

(2) الفهرست، ص: 422، البيهقي، ص: 28، القفطي، ص: 323.

الحسنة، والبدنيَّةُ كمال الأعضـاءِ وجودَةُ التـأليف والتركيب، والخـارجية حُسْنُ اكتساب الدُّنيا وتحصيلها وإنفاقها في وجهها على ما يوجبه العقـل والشَّرعُ ولا تجتمع تلك السعادات لأحدٍ إلَّا في النوادر.

## 50 ـ محمد بن جابر الحراني البتَّاني[1]

صاحبُ الرصد المشهور بعـد أيَّام المـأمون، وكـان عارفـاً بتفاصيـل أجزاء الحكمـةِ، وقد أنفق أمـوالاً في الرصـد، وبتَّان قـريـة من قـرى حـرَّان وإليهـا ينتسبُ.

## 51 ـ الشيخ الفاضل محمد بن محمد الفارابي[2]

ويعرف بأبي نصرٍ الفارابي، وكـان أبوه قـائد جيش، وأصله فـارسي، وكان ببغداد مُدَّةً ثم انتقل إلى الشام، وأقـام بها إلى حين وفـاته، وكـان مجتنباً عن الدنيا مقتنعاً بالقليل منها يسير سيرة المتقدِّمين.

وقيل: إنَّه كان في أوَّلِ أمره ناظوراً بدمشق دائم الاشتغال بالحكمةِ والنظر فيها والتطلع إلى آراءِ المتقدمين، وكان ضعيف الحالِ.

حكي أنَّه كان بالليل يسهر للمطالعةِ والتَّصنيف يستضيءُ بقنديل الحارس، وبقي كذا مدَّةً حتى اشتهر وكثُرت تلاميذه، وصار أوحد زمانه.

واجتمع بسيف الدولة بن حمدان فـأكرمـه إكرامـاً عظيمـاً، وعظمت منـزلته عنده، وكان له مشيراً.

وقيل إنَّه لم يقبـل من سيف الدولـة كلَّ يـومٍ إلَّا أربعة دراهم ينفقهـا على أصحابه، لم يعتنِ بمسكنٍ ولا ببهيمةٍ ولا بشيءٍ من أمور الدنيا.

---

(1) الفهرست، ص: 338، البيهقي، ص: 29، القفطي، ص: 280.

(2) الفهرست، ص: 311، البيهقي، ص: 30، القفطي، ص: 277، أصيبعة، ص: 603.

وقيل إنَّه كان في أوَّل أمره قاضياً، فلمَّا شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل على تعلُّمِ العلوم.

وقيل: إنَّ سبب قراءته الحكمةَ إنَّ رجلاً أودع عنده كتب أرسطو فنظر فيها، فصادفت منه قبولاً عظيماً فتحرك إلى قراءتها حتى أتْقنها روَّح الله تعالى دنسه، وهو من فاراب تركستان، وهو الملقب بالمعلم الثاني ولم يكن أفضل منه[1].

وقيل الحكماءُ أربعةٌ، إثنان قبل الإسلام وهما أرسطو والإسكندر، وإثنان في الإسلام وهما أبو نصرٍ وأبو عليٍّ.

وكان بين وفاته وولادة أبي عليٍّ ثلاثون سنةً. وكان أبو علي تلميذاً لتصانيفه.

وفي كتاب أخلاق الحكماءِ أنَّ ابن عباد بعثَ إلى أبي نصر هدايا وصلاتٍ واستحضرهُ واشتاق إلى ارتباطه.

وأبو نصرٍ يتعفَّفُ وينقبِضُ ولا يقبلُ منه شيئاً حتى ضرب الدَّهْر ضرباته، ووصل أبو نصرٍ إلى الريِّ وعليه قباءٌ ومسخٌ وقَلَنْسَوةٌ بلقاء، وكان أثطَّ قصيراً على هيئة بعض الأتراكِ. وكان الصاحب يقول ومن أرشدني إلى أبي نصرٍ أو دعاهُ إليَّ أعطيتهُ مالاً أغناهُ، فانتهز أبو نصرٍ الفُرْصة حتى دخل مجلس الصاحب مُتَنكِّراً وكان المجلس غاصاً بالندامى والظرفاءِ وأرباب اللهو، فأضافوا الجُرم إلى البوَّاب ورموا إليه أسهم العتاب واستهزأ بأبي نصرٍ كُلُّ من كان في المجلس وهو يحتمل الأذى حتى اطمأنت أنفسهم بمجالسته وأنساهم الشراب ذكره. ودارت الكؤوس ومالت الرؤوس وحمل أبو نصرٍ مزهراً واستخرج لحناً مع وزن نومِ المستمعين فصار كل واحدٍ منهم كالذي يغشى عليه من الموت. وقيل: كانت معهُ آلةٌ قد أعدَّها لهذا الشأن، وكتب على

---

(1) أ: ح. ن.: من حكماء الإسلام.

البربط قد حضر أبو نصرٍ الفارابي واستهزأتُمْ به فنوَّمكُمْ وغاب ثم خرج أبو نصرٍ من الزّيِّ متنكِّراً متوجهاً تلقاءَ بغداد، فلما أفاق الصاحب ونَدَماؤهُ تعجَّبوا من حذقه في صناعة الموسيقى وتأسّفوا على فوات منادمته، ثم قال الصاحب: أديروا الكؤوس على اسمه لعلَّ الزمان يردُّه علينا، فلما حمل المطربُ العود قال: أيُّها الصاحب قد كتب ذلك الرجل شيئاً على مزهري، فلمَّا نظر إليه الصاحب وعرف أنَّه أبو نصرٍ شقَّ جيبه واستغاث وجهَّز أعوانه في طلبه.

وكان كالقارط العنزي فلم يجدْ له أثراً ولا استمع له خبراً، وبقي بقيَّة عمره مُتأسِّفاً على فوات مُنادمته والغفلةَ عن معرفته وأين من المشتاق عنقاء مغرب.

وقيل إنَّ أبا نصرٍ كان يرتحلُ من دمشق إلى عسقلانٌ فاستقبله اللصوص فقال لهم: أنا أبو نصرٍ خذوا ما معي من الدواب والأسلحة والثياب وخلوا سبيلي: فأبوا ذلك وهموا بقتله، فلمَّا صار مضطراً ترجَّلَ وحارب حتى قُتلَ مع مَنْ معه.

ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراءِ الشام مواقع، وتطلَّبوا اللصوص ودفنوا أبا نصرٍ وصلبوهم على قبره.

قال أبو نصرٍ الفارابي: ينبغي لمَنْ أراد الشروع في الحكمةِ أن يكون شاباً صحيح المزاجِ مُتأدِّباً بآدابِ الأخيار، قد تعلَّم القرآن واللغة وعلوم الشرع أوَّلاً، ويكون عفيفاً صدوقاً معرضاً عن الفسوق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه مقبلاً على أداءِ الوظائف الشرعيَّة غير مخلٍّ بركنٍ من أركان الشريعة ولا بأدبٍ من آدابها معظِّماً للعلم والعلماءِ ولا[1] يكون لشيءٍ عنده فهو حكيم زورٍ ولا يُعدُّ من الحكماءِ.

وقال: من لا يهذِّبُ علمه أخلاقه في الدنيا لا يسعد نفسه في الآخرةِ.

---

(1) أ: ح. ن.: قدراً لا للعلم وأهله ولا يتخذ عمله لأجل الحرفة ومن كان بخلاف ذلك

وقال: تمامُ السعادة بمكارمِ الأخلاق كما أنَّ تمام الشجرة بالثمرة.

وقال: من رفع نفسه فوق قدرها صارت نفسه محجوبةً عن نيل كمالها، وله أشعارٌ حسنةٌ حكيمةٌ منها قوله:

لما رأيتُ الزمان ناساً وليس في الصحبةِ انتفاعُ
كلُّ رئيسٍ به ملالٌ وكلُّ رأسٍ به صداعُ
كرَّمتُ نفسي وصنتُ عرضاً به عن الذِّلةِ امتناعُ
أشربُ مما اقتنيتُ راحاً لها على راحتي شعاعُ
لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماعُ
واجتني من حديثِ قومٍ قد أقفرت منهم البقاع

رأيتُ[1] في انتخاب الصَّوانِ أنَّها للشيخ أبي عليٍّ رضي الله عنه. وله أيضاً:

أخي خلِّ حيِّزاً ذا باطل وكن للحقائق في حيِّزِ
فما الدار دار خلودٍ لنا ولا المرءُ في الأرض بالمعجز
وهل نحن إلّا خطوط ونقشٌ على كرةٍ وقعُ مستوفز
ننافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
مُحيط السموات أولى بنا فكم ذا والتزاحم في المركز

ما يلوم[2] جسمي عن لقائكم إلاَّ وقلبي إليكم شيقٌ عجِلُ

وكيف يفقد مشتاق يُحرِّكه إليكم الباعثان: الشوق والأمل
فإنَّ نهضْتُ فمالي غيركم وطرٌ وكيف ذاك ومالي منكم بدلُ
وكم تعرَّضَ في الأقوامِ قبلكم يتسابقون على قلبي فما وصلوا

(1) أ: ح. ن.: حاشية.

(2) «كذا» في «أ». ولعله سقط بعض الكلام إذ إن وزن صدر البيت ليس على البحر البسيط كما هو في عجزه.

# 52 ـ أبو سليمان[1]

محمد بن مشعرٍ البُستي ويعرفُ بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن زهرون الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري والعوفي[2] وزيد بن رفاعة فهم حكماءُ اجتمعوا وصنّفوا رسائل إخوان الصفا، وألفاظ هذا الكتاب للمقدسي أبو سليمان محمد بن مشعر البُستي المعروف بالمقدسي له الرسائل الأحدى والخمسون المُسمّاة رسائل إخوان الصفا، وكلها مشحونةٌ بالأخلاقِ وعلم اللحام، وهي موجودةٌ فيما بين الناس قد تداولتها الأيدي.

قال: [ولما نظر فيها أبو سليمان المنطقي قال: تغنوا وما أغنوا، ونصبوا وما وجدوا وحاموا وما وردوا، وغنّوا فما أطربوا، وأنسجوا فهلهلوا، ومشطوا فقلقلوا.

قال: أبو الحسن علي بن أساس العوفي وهو من اخوان الصفا: البيضة صارت رطبةً لغلبةِ الماءِ والهواء والنار عليها، ونُقصان طبيعة الأرض[3]، ولذلك يطير الطائر والمادةُ الترابيّةُ فيه أقل، ولذلك لم تخلق له الاسنان والقرح من البياض. والصُّفرة غذاؤهُ والحضانة في الطائر معينةٌ للقوة المولدة.

وقال: من لم يكن خيراً متخلقاً بأخلاق الحكماءِ فلا خيرَ لأحدٍ في علمه.

وقال: اجعل لنفسك من حسن الظّنّ بالناس نصيباً مفروضاً.

وقال: الفضائل مبدأُ الخيرات والرّذائل أساس الشرور.

وقال: بالمشورة تضاف العقول إلى عقل واحد على العمل. خيرٌ من الإشكال بعد الإقدام عليه][4].

---

(1) البيهقي، صُ: 35: أبو سليمان محمد بن معشر، والقفطي أيضاً: ابن معشر.

(2) البيهقي والقفطي: العوقي وليس العوفي.

(3) أ: ح. ن.: فصفرة البيض تشبه طبيعة الهواء، وبياضها طبيعة الماء.

(4) [ـــ] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

## 53 ـ أبو عبد الله الناتلي

كان حكيماً عالماً مُتخلقاً بأخلاقٍ جميلةٍ، وزعم ابن سينا أنَّ والده ارتبطه واستفدتُ منه قوانين المنطق، وانتهيت إلى غوامض تعجَّب الناتلي منها، فلمّا انتهيتُ في تعلم الرِّياضات إلى المعطيات والمخروطات، قال لي: استخرج هذه الأشكال من ذاتك ثم اعرضها عليَّ، وكان يستفيدُ بسبب هذه الواسطة مني[1]، وله رسالة في علم الأكسير ولا يذكره ابن سينا في مصنَّفاته إلاّ في كتاب المقتضياتِ[2].

قال: عليك بالبحثِ عن جوهر النفس الشريفة ولا تدخرُ ما تخافُ عليه، والعاقلُ لا يختار عرفان الحقِّ على الحق.

## 54 ـ يحيى النحوي الديلمي[3]

هو غير النحوي الإسكندراني أبو علي الملقب بالبطريق، كان من القدماءِ نصرانيّاً فيلسوفاً وقال له أبو علي في حقِّه: هو المموه على النصارى لأنَّه صنَّف كتباً ردَّ فيها على أفلاطون وأرسطو حين همت النصارى بقتله، وأكثر ما أورده الغزالي في التهافتِ من تلك الكتب، وقيل له: محبُّ التَّعب، لكده في طلب العلوم وتحقق ما هيأه الأشياءِ، وله تصانيف كثيرة ومنه أخذ الطب[4] خالد بن يزيد بن معاوية، القليل الذي كان يدعيه من مغالطة هذا الشأنِ، وكان نصرانيّاً فنُقم عليه. شرح كتب أرسطو فهموا به، فأظهر لهم مخالفته في الأصولِ وتفادى منهم بعمل كتابه الذي نقض به مذاهب الحكيم، وفي الكتاب الذي ردَّ فيه على أبرقلس، ووصل إليه منهم من العطايا على هذين

---

(1) أ: ح. ن.: وله رسالة لطيفة في وجود وشرح اسمه وهذه الرسالة دالة على أنه كان مبرّزاً في الإلّهيات.

(2) أ: ح. ن.: المقتضيات السبعة، ب: المقتضيات.

(3) البيهقي، ص: 29.

(4) أ: ح. ن.: خالد بن يزيد بن معاوية، وقيل يحيى النحوي الإسكندراني، وكان في أيام معاوية وعثمان، واشتغل بكتب الأوائل وتبحر فيها من الفلسفة والطب.

الكتابين بضع[1] عشرة ألف دينارٍ لا يستبدع ذلك، فقد أعطى يحيى بن خالد البرمكي أماناً على نقله كليلة ودمنة إلى شعرٍ نحو ذلك، وعطيات الخلفاءِ بمثل هذا كثيرةٌ.

## 55 ـ يعقوب بن إسحق الكندي[2]

كان مهندساً خائضاً غمرات العلم، وله تصانيف كثيرةٌ وقد جمع في بعض تصانيفه بين الشرع والمعقولات، وقيل: كان يهودياً ثم أسلم[3]، وقيل: كان نصرانياً وكتابه في المناظر في غاية الحسن، وقد ارتبطه المعتصم وكان أستاذ ولده أحمد بن المعتصم.

قال الكندي: لو أفسد أحدٌ أحسنَ أعضائه كان مذموماً، وأشرف الأعضاء الدماغُ ومنه الحسُّ والحركةُ وسائر الأفعال الشريفة، ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم، ومتى توالى السكر على بدنٍ مرضَ دماغه واشتدَّ ضعفه وبعُد عن القوةِ المظهرة للأفعالِ الإراديَّةِ والنفسانيَّة.

قال: خذ ثمرة الفلسفةِ من هذه الكلمات الشافيات: إعلم أنَّ اليقظةَ التي لنا بالحس هي النومُ والحلمُ الذي لنا بالعقل هو اليقظة ويغلبه الحس علينا، حكمنا أنَّ الأمر بخلاف هذا. وإلّا فغلب العقل على الحس ينصدع لك الحقُّ في هذا الحكم، فإذا وضح هذا ينبغي أن تتقصَّى من الحسِّ. وإن ظننا أنَّ اليقظة من ناحيته وتتلبسُ بالعقل، وأن ظننَّا أنَّ الحلم من ناحيته.

وقال الملك أبو جعفر وعنده جماعةٌ من الحكماءِ منهم أبو سليمان: إنَّا لم نجد من فلاسفة الإسلام على كثرتهم من يقوم في أنفسنا مقام سقراط وأفلاطون وأرسطو. فقيل له: ولا الكندي فقال: إنَّ الكندي على غرارته،

---

(1) أ: ح. ن.: سبع.

(2) الفهرست، ص: 315، البيهقي، ص: 41، أصيبعة، ص: 285.

(3) ح. م.: يقول المؤلف أن الكندي كان يهودياً أو نصرانياً أما ابن جلجل فيقول: شريف الأصل بصري، كان جده وُلِّيَ الولايات لبني هاشم، وقال ابن أبي أصيبعة: الكندي فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها وكان أبوه أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد.. (ص 285).

وجودة استنباطهِ، رديء اللفظ قليل الحلاوة متوسط السيرة، كثير الغارةِ على حكم الفلاسفة وثابتُ ألزمُ للعطب وأشدُّ اعتناقاً لهذا الفن، وجميع الناس يتقاربون بعدهما ولهما السبقُ.

وجرى عند ثابت ذكرُ فيثاغورس وأصحابه وتعظيمهم العدد الذي لا يُفهم معناه فقال: إنَّ الرجل وشيعته أجلُّ قدراً وأعظمُ شأناً أن يقع لهم سهوٌ وخطأ في معرفة الأمور العقليَّةِ، فيجوز أن يكون قد وقفوا من طبيعة العدد على سرائر لم تنته إليه لانقراضها.

وقال: من ملك نفسه ملك المملكة العظمى، واستغنى عن المؤن، ومن كان كذلك ارتفع عنه الذَّمُ وحمدهُ كل أحدٍ وطاب عيشه، وله شعرٌ منه:

| | |
|---|---|
| أناف الذنابى على الأرؤس | فغمِضْ جفونك ونَكِّسِ |
| وصايل سوادك واقبض يديك | وفي قعر بيتك فاستجلس |
| وعند مليكك قانع العُلو[1] | وبالوحدة اليوم فاستأنس |
| فإن الغنى في قلوب الرجالِ | وإنَّ التعزُّز في الأنفس |

[وأبو يوسف يعقوب بن أسحق الكندي أوّل من تخرج من المسلمين في الفلسفة وسائر أجزائها من المنطق والطَّبيعيات والرِّياضيَّات والإلهيَّات، مع تبحره في علوم العرب وبراعته في الآداب من النَّحو والشعر، وكان يعرف الطبَّ والنجوم وأحكامَها، وضروباً من الصناعاتِ والمعارف التي قلَّ أن تجتمع في إنسانٍ واحدٍ، وفهرسة كتبه تزيدُ على دستِ كاغدٍ، وكان أستاذ أحمد بن محمد المعتصم، وباسمه عمل التزكية، وإليه كتب يحلّ رسائله وأجوبةَ مسائله، وهو أوَّل من أحذق هذه الطريقة التي أخذها من جاء بعده من الإسلاميين، وإن كان قد تقدَّمه من ارتفع اسمه وحسنت حاله في أيام المأمونِ الذين كان جلهم نصارى، وتصانيفهم تجري على الرسم القديم][2].

---

(1) أ: ح. ن.: اللؤلؤ.

(2) [ـــ] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

وقال: المسترسِلُ موقىً والمُتحيرون ملقىً.

وقال: إنَّ النظر في كتب الحكمةِ أعيادُ النفوس الناطقة.

وقال: إنَّ أفلاطن قاس الشهوة التي للإنسان بالخنزير، والقوة الغضبيَّة بالكلب، والقوة العقلية بالملك، قال: فمن غلب عليه الشهوةُ فهو خنزير، ومن غلب عليه الغضبُ فهو كلب، ومن غلب عليه العقل فهو ملك، وإذا كان ملكاً فهو قريبُ التشبُّه من الله تعالى لأنَّ الأشياءَ التي يوصف بها الباري تعالى وتضاف إليه هي الحكمةُ والقدرة والعدلُ والخيرُ والجميلُ والكرمُ والإحسانُ والتَّفضُّلُ والإنعامُ.

وقال: الإنسانُ لا يكون ذا فضلٍ إلّا بأن تكون هذه الفضائل فيه، وله، وجليَّة فيه، وحاصلةٌ لديه، وغالبة عليه، فقد بان من هذه الجملةِ أنَّ عواقبَ الناس إلى هذه المصحوبة بين الكون والفسادِ المُسْتَصحبة إلى هناك، أعني على طريق الرَّادِّ والعناد.

قال[1] بعض القائلين بالتناسخ الأنفس ثلاثةٌ: نفسٌ مالكةٌ وهي الناجيةُ، ونفسٌ سالكةٌ وهي الراحيةُ، ونفسٌ هالكةٌ وهي التي لا حال لها، فتذكَّر ثمَّة.

قال: فأمَّا أفلاطن فإنَّه قال: إنَّ مسكن الأنفسِ العقليةِ إذا تجردت كما قالتِ الفلاسفةُ القدماء خلف الفلك في عالم الرُّبوبيَّة حيث نور الباري تعالى، وليس كلُ نفسٍ تفارق البدن تصيرُ من ساعتها إلى ذلك المحلِّ لأنَّ في الأنفس ما يفارق البدن وفيها دنسٌ وأشياء حسنةٌ، فمنها ما يصير إلى فلكِ عطارد فتقيم فيه مدةً، فإذا تهذَّبتْ ونقت ارتفعت إلى كوكبٍ كوكبٍ فتُقيمُ مدةً فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ونقت غايةَ النَّقاءِ وزالت أدناس الحس ارْتَقتْ إلى عالم العقل وجازتِ الظلَّ وصارتْ تفكِّر في الأشياء قليلها وكثيرها، كعلم الإنسان بأصبعه الواحدة وصارت الأشياءَ كلها مكشوفةً وبارزةً، فحينئذٍ يفوِّضُ

---

(1) أ: ح. ن.: ولهذا التثليث قال.

الباري تعالى إليها من سياسة العالم أشياءَ تلتذُّ بها وتفعلها والتدبير لها.

## 56 ـ أبو زيد البلخي[1]

كان من حكماءِ الإسلام وفُصحائه وبلغائه، وله تصانيف كثيرةٌ في كلِّ فنٍ: كتاب الأمد الأقصى، وكتاب الإبانة عن علل الديانة.

وقال: لا بدَّ من الموت فلا تخف منه وإن كنت تخاف ممَّا بعد الموت فاصلح شأنك قبل موتك وخف سيئاتك لا موتك.

وقال: الشريعة الفلسفةُ الكبرى، ولا يكون الرجلُ متفلسفاً حتى يكون مُتَعَبِّداً مواظباً على أداءِ أوامر الشرع.

وقال: الدواء الأكبر هو العلم.

## 57 ـ أبو الفرج بن الطيب الجاثليق[2]

كان أبو علي يذمُّه ويُهجِّن تصانيفهُ، ويقول في المباحث: من حقِّ تصانيفه أن تُردَّ على بائعه، ولعلَّ ذلك كان لتحاسدٍ يكون بين أهل العصر. وأبو الفرج كان حكيماً بغدادياً، وكان[3] تصنيف لطيفٌ في كميةِ الأعمار، وكان عالماً بالروميَّةِ واليونانيةِ[4]، وأبو علي يعترفُ بتقدُّمه في الطب، ويعترض على بعض رسائله في الطب. وكان يقولُ: كلامه غير فصيح، بعضه سقيمٌ، وبعضه مستقيمٌ، فهو من المستطرفين، لا من أصحاب الصناعة، وله كتابٌ في علل الأشياء يدلُّ على أنَّه كان حكيماً، وبينه وبين أبي عليٍّ بونٌ بعيدٌ، وأبو علي كان مؤذياً مهجناً، وفي بعض الكتب أنَّ أبا عليٍّ دخل على الحكيم

---

(1) الفهرست، ص: 153، البيهقي، ص: 42.

(2) البيهقي، ص: 43. أصيبعة، ص: 323.

(3) أ: ح. ن.: حكيما ملء إهابه داخلاً بيت الحكمة، من بابه، وتصانيفه كثيرة وله

(4) أ: ح. ن.: والعبرية.

أبي عليٍّ مسكويه والتلاميذُ حوله، فرمى أبو علي إليه جوزةً. وقال: بيِّنْ مساحة هذه الجوزة بالشعيرات، فرمى ابنُ مسكويه إليه أجزاءً في الأخلاق، وقال: أمّا انت، فأصلح أخلاقك أولاً حتى أستخرج مساحة الجوزة. وليس الذم والتهجُّن من دأبِ الحكماءِ المبرِّزين بل تقرير الحق، ومن قرر الحق استغنى عن تهجين أهل الباطل، صاننا اللهُ تعالى[1] مسائل إلى أبي علي، فأجاب عنها أبو علي واعترض على تلك الأجوبة أبو ريحان، وهجَّنه وهجَّن كلامه وخاطبه بما لا يخاطب به العوام فضلاً عن الحكماءِ، فلمَّا تأمَّل أبو الفرج الأجوبة والأسئلة. قال: من يحلّ الناس يحلُّوه ناب عني أبو ريحان.

وكان أبو الفرج الذي يقول: أنا من أولاد قولوس، وكان قولوس ابن أخت جالينوس، ولما بعث اللهُ تعالى المسيح كان جالينوس شيخاً عاجزاً، فبعث إلى عيسى عليه السلام ابن أخته قولوس، واعتذر إليه، وقال: أنا محبوسٌ بالهرم. وكتب إلى المسيح كتاباً، وكان المسيح عليه السلام يقرأ ويكتبُ، ومضمون الكتاب: ياطبيبَ النفوس ونبيَّ اللهِ، ربما عجز المريض عن خدمة[2] الطبيب بسبب عوارض جسمانيةٍ، وقد بعثتُ إليك بعضي قولوس ليعالج نفسه بالآداب النبويَّةِ والسلام. فلما وصل قولوس إلى المسيح عليه السلام أكرمه، وصار من الحواريينَ، وكتب المسيح عليه السلام إليه: يا مَنْ أنصف من علمه، الصحيح لا يحتاجُ إلى الطبيب إلاّ في حفظ صحته، والمسافةُ لا تحجب النفوس والسلام. وادَّعت النصارى أنَّ قولوس صار بعد شمعون الصفا نبيّاً.

## 58 ـ أبو القاسم الكرماني[3]

كان حكيماً عالماً جرى بينه وبين أبي علي مناظراتٌ أدَّتْ إلى مشاجرةٍ

(1) أ: ح. ن.: وقد بعث أبو ريحان...
(2) أ: خذمت.
(3) البيهقي، ص: 48.

لزمها سوءُ الأدب، ونسب أبو علي إلى قلة العناية بصناعة المنطق، ونسب الكرماني أبا عليٍ إلى المغالطة، وكتب هذه المناظرة أبو عليٍ إلى الوزير الأمين أبي سعدٍ الهمدانيَّ الذي صنَّف لأجله الأضحوية، ومن كلامه: الطبيب خادم البدن صحَّ المريض أو هلك.

وقال يوماً لأبي عليٍ: لا تقرِّر ما عندك بتهجين ما عند غيرك، فإنَّ الحق لأبلج والإنصاف لم ينعدم.

## 59 ـ أبو حامد أحمد بن إسحق الاسفرازي[1]

الحكيم المتَّقي، والفيلسوف المُبرَّز، له تصانيف في الرياضيات والمعقولات وكلامه في تصانيفه هيَّج الإعتناء له، ولا يشينه ضعفٌ، ومن كلامه: العلم بالله يكون باللفظِ اليسير، فأمَّا اللفظ الكثيرُ فدليلٌ على عدم العلم به.

وقال: المظلوم الذي لا يَظْلِم مُستجابُ الدعوة.

وقال: لا تبالغ في إفراط البشاشةِ والهشاشة فإنَّ ذلك من السخف كما أنَّ قلَّةَ الكلام من الكبرِ.

## 60 ـ أبو الوفا البوزجاني[2]

بلغ المحلَّ الأعلى في الرياضيات والحساب وكان حميدَ الأثر نقيَّ الحسبِ قانعاً بما عنده.

---

(1) البيهقي، ص: 83.

(2) الفهرست، ص: 341، البيهقي، ص: 84.

## 61 ـ بطليموس الثاني أبو علي بنُ هيثم[1]

كان عالماً بالرياضيات والمعقولاتِ وتصانيفه أكثـرُ من أن تُحصى، وله في الأخلاق رسالةٌ لطيفةٌ ما سبقه لها أحدٌ، وصنَّفَ كتاباً بيَّن فيه الحيلةَ في أجـزاءِ نيل مصر عند نقصانه في المزارع، وحمل الكتاب وقصد قاهـرةَ مصر، ونـزل في خـانٍ فلمَّا ألقى عصـاهُ قيل لـه: إنَّ صاحب مصـر الملقَّب بالحـاكم على الباب يطلبك، فخرج ومعـه كتابـهُ. وكان أبـو علي قصير القـامة، وكـان على باب الخان دكانٌ فصعد أبـو علي على الدكـان، ودفع الكتـاب إلى الخليفة، وصاحب مصر راكبٌ حماراً مصرياً مع آلاتٍ مُفَضَّضَةٍ فلما نظر صاحب مصـر في الكتاب، قال له: أخطأتَ، فإنَّ مؤنة هـذه الحيلة أكثر من منـافع الـزَّرع، فـأمر بهـدم الدكـان ومضى، فخاف أبـو علي على نفسه وهـرب حين جَنَّ الليل. وأقام بالشام عند أميرٍ من أمراء الشـام، فأدرَّ عليـه ذلك الأميـر، وأجرى عليـه أمـوالاً كثيـرةً، فقـال أبـو علي: يكفيني قـوتُ يـومٍ بيـومٍ، ويكفيني جـاريـة وخادمٌ، فما زاد على قوت يومي إن أمسكته كنت خازنـك، وإن أبعتهُ[2] وكنت وكيلك، فإذا اشتغلتُ بهذين الأمرين فمن الذي يشتغـلُ بأمـري وعلمي، فما قبل بعد ذلك إلاّ قوت يومٍ ولباساً متوسطاً. وقيل: إنَّ الحاكم كان له ميلٌ إلى الحكمـة فسمع بفضيلة أبي علي، وكـان يسكن الشـام، وكـان يشتـاقُ إليـه، وبلغـه أيضاً أنـه قال: لـو كنتُ مصر[3] لعملتُ في النيـل عملاً ينتفـع بـه إذا نقص فاشتدَّ اشتياقه إليه.

وأنفذ له سرّاً شيئاً من البرِّ، وسأله المصيرَ إليه فسار، ولما قَرُب من القاهرة خرج الحاكم إلى لقائه وأكرمه وأنزله وبرَّهُ ثم طلب منه ما كان يقـوله في معنى النيل، فخرج ومعه جماعةٌ من المعاونين، يدور ديار مصـر حول النيـل، فرأى

---

(1) البيهقي، ص: 85، القفطي، ص: 165، أصيبعة، ص: 55.
(2) ب: أنفقته.
(3) ب: بمصر.

آثار الأوائل من العمارات الهائلة والهندسة المنيفةِ، ورأى الموضع الذي في الصعيد العالي في النيل، وتحقّق أنَّ الذي تصوَّره كان فاسداً لا يمكنه خروجه إلى الفعل، وإنَّه ليس أقدر على ذلك من الأوائل ولو كان ممكناً لفعلوه، فخجل من ذلك واعتذر إلى الحاكم في ذلك، فعذرهُ وولاَّهُ بعض الدواوين، ثم تحقق كون الحاكم سفاكاً للدماءِ بأضعفِ الأسباب، وخاف منه وأظهر الجنون فقيَّدهُ في داره، وأدخل ماله تحت الحجر فلم يزل كذلك حتى مات الحاكم، فأظهر العقل والتعفُّفَ وانعزل قريباً من الجامع إلى أن توفِّيَ.

وقد قصدهُ من أُمراءِ سمنان أميرٌ يقال له سرخاب[1] متعلماً فقال له: أريدُ منك كلَّ شهرٍ مائةَ دينارٍ أُجرةً، فبذل له ذلك، وأقام عنده ثلاث سنين، فلمَّا عزم الأميرُ على الإنصراف قال له أبو عليٍ: خُذْ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها، وأنت أحوج إليها مني عند عودك إلى مقر ملكك، وإنِّي قد جرَّبْتُكَ بهذه الأجرة، فلما علمت أنَّه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم، بذلت مجهودي في تعليمي وإرشادي، واعلم أنَّه لا أُجرة ولا رشوةَ ولا هديَّة في إقامة الخير، ثم ودَّعَهُ وانصرف، وكان أبو عليٍ متعبداً ورعاً زاهداً معظماً لأوامرِ الشريعة.

وقال: في بعض رسائله: تخيَّلنا أوضاعاً ملائمةً للحركاتِ السماوية، ولو تخيَّلنا أوضاعاً أُخرى ملائمةً أيضاً لتلك الحركات لما كان منعه مانعٌ لأنَّه لم يقم البرهان على أنَّه لا يمكن سوى تلك الأوضاع آخر مناسبة لهذه الحركات، وطوَّل الكلام وهي آخرُ تصانيفه.

وعرض له إسهالٌ دمويٌ، وكان كلما تناول شيئاً من القابضات، قاءَ، فيئسَ من نفسه، ثم قال: ضاعت الهندسةُ وبطلت المعالجةُ وعلم الطب، ولم يبقَ إلّا تسليمُ النفس إلى خالقها وبارئها. ثم توجَّه إلى القبلةِ بعد ماقاسى الإسهال أسبوعاً.

---

(1) ب: سرخان.

وقال: إليكَ المرجع والمصيرُ، ربِّ عليك توكَّلتُ وإليك أُنيبُ ومات رحمهُ الله تعالى. ومن كلامه: الإنسانُ مجبولٌ على أن يتباعد ممَّنْ دنا منه، ويدنو ممَّنْ تباعد عنه. موعظة الحكماءِ وإن قلَّتْ منفعةً عظيمة، واعلم أنَّ ابن الهيثم والكندي والرازي لهم المصنَّفاتُ الكثيرة[1]، ولابن الهيثم رسالةٌ لطيفةٌ بيَّن فيها أنَّ جميع الأمورِ الدُّنيوية والأخرويةِ هي نتائج العلوم الفلسفية.

## 62 - أبو سهل الكوهي[2]

كان في ابتداء أمرهِ يلعبُ في الأسواق بالقوارير، فأدْركته عنايةٌ أزلية فبرز في علم الحيل والأثقالِ والأكر المتحركة، وصار مشاراً إليه، وتعلَّم الأدب على كبر سنهِ، وصنَّف الكتب واختلفَ إليه للإستفادة، وكان جميل الهيئة. ومن كلامه: إن اعتذر إليك معتذرٌ فقابله بوجهٍ طلقٍ إلاَّ أن تكون قطيعة غنم.

## 63 - ابن الأعلمي[3]

هو بغدادي المنشأ والمولدِ وكان شريفاً من أولاد جعفر الطيار، وبه شرف، فصنَّف الزيجَ المنسوبَ إليه واتفق المهندسون على أنَّ زيجَهُ أصحُّ وأقربُ إلى التحقيق، ولكنهُ ألقىٰ زيجهُ بالماءِ فلم يوجد منه إلاَّ نسخة سقيمة، وكان عالماً بالهندسة وأجزائها وعارفاً بالقانون الفيثاغوري من الموسيقى، وممَّا نُقِلَ عنه وإن كانت أخلاقه أخلاق المجانين قوله: كُنْ إمَّا مع الملوك مكرَّماً وإمَّا مع الزهادِ متعبِّداً. وهذا كلامٌ رصينٌ حوله من الحكمةِ حصن حصينٌ لكنَّهُ رميَةٌ من غير رامٍ.

---

(1) ب: متقنة.

(2) الفهرست، ص: 341، البيهقي، ص: 88، القفطي، ص: 351.

(3) البيهقي، ص: 90، القفطي، ص: 235.

## 64 ـ أبو الفرج بن الحسين بن هندو[1][2]

وكان أديباً فاضلاً حكيماً من تلامذة أبي الخير بن سوار، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ. وذكر في كتاب المفتاح أنَّ متكلِّماً في جوارنا صنَّف[3] كتاباً في إبطال علم الطب، وحثَّ تلامذته على درسه، فعرض له صداع، فبعث بقسرية إلى أبي الخير، فقال أبو الخير لرسوله: قُلْ له: ضع تصنيفك بقسرية في إبطال علم الطب تحت وسادتك، فإنَّه لا حاجة لك إلى الطبيب والطب فما عالجه أحدٌ من الأطباءِ حتى اعترف ببطلان كلامه ومزَّق تصنيفه وتاب، ثم عالجناه وشفاه اللهُ تعالى.

وقال أبو الفرج: قلت له يوماً:

قال ﷺ: العلمُ علمانِ علم الأبدانِ وعلم الأديانِ، فقدَّم علم الأبدان لأنَّ العبادات إنَّما تصدر عن صحة جسمه وثبات عقله.

قال اللهُ تعالى: ﴿ولا على المريض حرجٌ﴾. وقال: وإن كنتم مرضى. وقال: فمن كان منكم مريضاً. ومعالجات النبي (ﷺ)، معروفةٌ. وجمعه واحدٌ من الأطباءِ وصنَّف منه كتاباً فاستغفر المتكلم.

وقال: كان واحد من المتكلمين في جوارنا عرض له خناق، فعدته، فقال لي: ما تنفعني من طريقِ الطب؟ فقلت: ماءُ الشعير الفاتر مع ماء الرمانين، وزيت التوت وخلُّ الجوز وماء الهندباء مع فلوس الخيار شنبر وفصد القيفال وغير ذلك، فقال: ما يضُرني؟ قلتُ: ما فيه حرارةٌ. قال: كيف يكون العسل المصفَّى والعصيدةُ التمريَّةُ؟ فقلتُ نعوذُ باللهِ، فيه هلاكك. فقال لتلامذته: إني أُخالف رأي الأطباء عقيدةً ومذهباً، ولا غفر لي إن خالفتُ عقيدتي وأطعتُ

---

(1) أ: ح. ن.: هندي.

(2) البيهقي، ص: 93: الحكيم الأديب أبو الفرج علي بن الحسين بن هند، أصيبعة، ص: 429.

(3) البيهقي، ص: 93: وصنف...

طبيباً. فقُمت من عنده فتناول ذلك فمات قبل غروب الشمس. وكتابُ المفتاح نافعٌ جداً، وكان من كبار السادة بالرَّيِّ. ومن كلامه: كن قويّاً عند الجدِّ ضعيفاً عند الهزل، وإنَّما المرءُ حيث يجعل نفسه. وله أشعارٌ حسنةٌ.

وقال في الحثِّ على الحركةِ والسَّعْيِ:

| | |
|---|---|
| خليليَّ ليس الرأي ماتريانِ | فشأنكُمَا أني ذهبتُ لشاني |
| خليليَّ لولا أنَّ في السَّعي رفعةً | لما كان يوماً يدأَبُ العمراني |

وفي النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة:

| | |
|---|---|
| ما للمعيل والمعالي إنَّما | يسمو إليهنَّ الوحيدُ الفاردُ |
| فالشمس بحساب السماء فريدةٌ | وأبو بناتِ النعش فيها راكدُ |
| قالوا اشتغل عنهمُ يوماً بغيرهم | وخادع النفس إنَّ النفس تنخدع |
| قد ضيقَ قلبي على مقدار حبهم | فما لحُبٍّ لسواهمْ فيه مُتَّسع |

وفي عز الكمال:

| | |
|---|---|
| فإذا رأيت الفضل قارنه الغنى | فاعلم بأنَّ هناك نصاً خافيا |
| فالله أكمل قدرهُ من أن يرى | لكماله ممَّن تراه ثانياً |

## 65 ـ أبو سهل المسيحي(1)

كان حكيماً استولى عليه الطب وتصانيفه في الطب كثيرةٌ مفيدةٌ. وقد ارتبطه خوارزم شاه مأمون بن محمَّدٍ. ومولد أبي سهلٍ بجرجان ونشأ وتعلَّم ببغداد وصنَّف لخزانةِ خوارزم كتاباً لطيفاً في التعبير. وكان نصرانيَّ الملَّةِ لا يحضرُ بيع النصارى ويتعبَّدُ في منزله. وكان يقول: كيف أعدل عن حكم المسيح والنار

(1) البيهقي، ص: 95؛ أصيبعة: 436.

نــازلــة فـي كنيســة الـقـيــامــة[1]؟ . وقـصــةُ تـلك الـنــار أن الـليـلة الـتي رفع فيها المسيحُ إلى السماء ليلة النصف من نيسان، وفي هذه الليلة في كـل سنةٍ ينزل نارٌ من الأثير بحيث يراها النـاس وتُشعِلُ قنـاديل القيـامةِ من غيـر أن تكون كوة ولا فُرجةٌ في سقف ذلك البيت بل تغوص النار في سقف البيت من غير أن تحرق الخشب ثم تُوقد السرج والمشاعلَ فإذا طلع الفجرُ انطفأتْ وقد صنَّف يحيى بن عُدَي كتاباً بيَّن الأمر الطبيعي في ذلك.

## 66 ـ أبو زكريا يحيى بن عديّ[2]

كان حكيماً كـاملاً من أفضـل تلامـذةِ أبي نصرٍ ولـه تصانيف كثيـرة وشرح كتب أرسطو ولخَّص مصنفات أبي نصر.

قال: ينبغي أن يصفو اللفظُ الذي يجرَّد نحـو الأشياء الأولى التي هي كثيرةٌ بالأسماءِ والنعوتِ عند الاستعمال. فواحده بالحقائق والذَّواتِ فـإن هذا النـظر إذا صفا وتـمَّ كفى مؤنةً عظيمةً وكان أمراً عزيزاً.

[وكـان كثير الاشتغـال والتحقيق والتصنيف والبحث والإشتغال لا يستـريح ليـلاً ولا نهاراً، وكان يسكن بغداد ومات بها][3].

## 67 ـ بهمن يار بن المرزباني[4]

تلميذ أبي علي، كان مجوسي الملةِ غير مـاهرٍ في كـلام العرب وكـان من بـلاد اذربيجان. والمبـاحث التي لأبي علي أكثرهـا مسائـل بهمن يـار، وكـان يبحث عن غوامض المشكلات ومن كلامه: العقل أنيسٌ في الغربةِ.

---

(1) البيهقي، ص: 97؛ القيامة (وليس القمامة)، وكذا في النسخة ب: القيامة.
(2) الفهرست، ص: 322؛ البيهقي، ص: 97؛ القفطي، ص: 361؛ أصيبعة: 317.
(3) [—] غير موجود في النسخة ب.
(4) البيهقي، ص: 102.

قال: اللّذات العقليةُ شقـاءٌ لا يعقبها داءٌ وصحّـةٌ لا يلزمها سقم؛ من تعلم العلوم العقليـة ولـم يتخلّف بأخـلاق أربابهـا كان جاهـلاً بحقـائق العلوم. كـلُّ حكيمٍ طلب زيـادة على حاجتـه من المال فليس لـه علم الحكمة، وليس لـه ذوقها، واعلم أنّه لا بدَّ من المقدور. ومات بعد موتِ أبي عليٍ بثلاثين سنةً.

## 68 ـ أبو منصور الحسين بن طاهر بن زيلة[1]

أصفهاني الأصل والمولد من خوَّاص تلامـذة أبي عليٍ ومن بطانتـه، وقيل كان مجُوسي الملَّةِ، ولم يتحقق ذلك، وكان عـالماً بـالريـاضيات، مـاهراً في صناعة الموسيقى، وله اختصار الطبيعيات الشفا، وشرح رسالة حي بن يقظان وكان قصير العمر، مات في سنةِ أربعين وأربعمائة، بعد موت أبي عليّ باثنتين وعشرين سنةً، ومن كـلامه: لا تفكـر في الأمور المستقبلة فـإنَّك لا تـدري ما يأتيكَ منها وما لا يأتيكَ.

## 69 ـ أبو عبيدٍ عبد الواحد الجوزجاني[2]

الفقيه كان من خواص أبي علي وندمائه وخـدمه وهـو الذي أعـان أبا عليٍ على جمـع كتاب الشفـا، وفسَّر مشكـلات القـانـون، وشـرح رسـالـه حي بن يقظان، ولم يوجد في تلامذة أبي عليٍ أقل بضاعةً منه، وقيل كان في مجلس أبي علي شبه مريد لا شبه تلميذٍ مستفيدٍ، ومن كلامه: معـرفةُ الإنسـان وتلك عجزه عن كمال معرفةِ الله تعالى غاية علم الإنسان وتلك معرفةٌ برهانيةٌ.

## 70 ـ أبو عبد الله المعصومي[3]

كان أفضل تلامذةِ أبي علي وصنف له رسالة في العشق، ولمَّا اعتـرض أبو

---

(1) البيهقي، ص: 99.
(2) البيهقي، ص: 100.
(3) البيهقي، ص: 102.

ريحان على أسئلة أبي علي وأساءَ الأدب، امتنع أبو علي عن مناظرته، فأجاب المعصومي عن اعتراضات أبي ريحان.

وقال: لو اخترتَ يا أبا ريحان لمخاطبة الحكيم ألفاظاً غير تلك الألفاظ كان ألْيَقَ بالعقل والعلم. وصنَّف المعصومي كتاباً في النارنجاتِ[1][2] وأعداد العقول والأفلاك وترتيب المبدعات، وكان أبو علي يقول: هو في منزلةِ أرسطو من أفلاطون. وقتله محمود بنْ سبُكتِكينْ فيمن قتل من الحكماءِ لجهله. ومن أشعاره قولهُ:

حديث ذوي الألباب أهوى وأشتهي كما يشتهي الماء المبرَّدَ شاربه

وأفرحُ أن ألقاهم في يديهم كما يفرح الماء الذي آب غائبهْ

## 71 ـ أبو الحسن الأنباري[3][4]

كان حكيماً والغالب عليه الهندسةُ وكان عمر الخيَّامي يستفيد منه وهو يقرر له المجسطي فقال بعضُ الفقهاء يوماً للأنباري: ما تدرس؟ فقال: أُفَسِّرُ آيةً من كتاب الله تعالى، فقال الفقيهُ: وما تلك الآية؟ فقال الأنباري قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرُوا[5] إلى السماء فوقَهُمْ كيف بَنَيْنَاهَا﴾؛ فأنا أُفسِّر كيفية بنيانها.

## 72 ـ اسماعيل الهروي[6]

كان حكيماً أديباً فاضلاً له أشعار وتصانيف في الحكمة وكان يدرس كتبَ

---

(1) أ: ح. ن.: في المفارقات وكذا في النسخة ب المفارقات.

(2) أ: ح. ن.: وكانت في الخزانة النظامية في نيسابور منها نسخة فأخذها جمال الملك بن نظام الملك ولا ندري أطارت بها العنقاء أم أدركها الفناء وكان هذا الكتاب معشوقة كافة الحكماء.

(3) أ: ح. ن.: الأنبيري.

(4) البيهقي، ص: 103.

(5) «كذا» في «أ» والصواب: ﴿أفلم ينظروا...﴾.

(6) البيهقي، ص: 104.

أبي نصرٍ ولا يخوضُ في تصانيف أبي علي وله تلامذة حكماء فضلاء يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى. وتشاجر يوماً مع خطيب هراة فقال له: أنا أدعو عليك بين الخطبتين، فقال له تيقنتُ أن لا إستجابة لدعوتك لأنَّكَ تقول كلَّ جمعةٍ أصلح اللهُ الأمير واللهِ ما أصلحَهُ.

## 73 ـ ميمون بن النجيب الواسطي[1]

كان طبيباً فاضلاً حكيماً وسمعت أنَّه كان يحفظ المنطق والطبيعيات والإلّهيات من الشفا وقلما[2] يخالطُ أرباب الجاه والمال وكان عامل هراة ظهيرُ الملك علي البيهقي يشتاقُ إليه وكان يتعزز عليه فإذا مرض الظهيرُ أو أحدٌ من أولاده أنزل الأتراك في داره حتى أزعجوهُ وصيَّروه مضطراً إلى رفع الحال مع العامل فعند ذلك يرتبطه ظهيرُ الملك حتى يُعالج مريضهُ ويجالسهُ مُدَّةً وقيل كان واسطيَّ الأصل حوزي المولد مقيماً بهراة.

## 74 ـ أبو الفتح كوشك[3]

كان حكيماً صاحب خاطرٍ قويٍ وكانت كُتبه في خزانة السلطان سنجر، وكان مشغوفاً بكتبه بسبب حسن الاعتقاد فيه، وكان عارفاً بأجزاءِ[4].

ويحكى أنَّه كان بناحية بيهق علويٌّ متكلم، وكان أصلُه من نيسابور، وكان يحفظُ ظواهر علم الكلام فحسب، فدخل يوماً على الحكيم أبي الفتح والحكيم تخيل أنَّه من حذاق بيهق وفضلائها فاستنطقه أبو الفتح فقرأ بطريق المطالعة فصلاً من ظواهر الكلام، وأعاده ثلاث مراتٍ كما يكرِّرُ المسائل في المدارس، فعلم الحكيم قِلَّةَ بضاعته ومرتبته. فقال له: يا سيِّدُ بم عرفت أنَّك

(1) البيهقي، ص: 105.
(2) أ: ح. ن.: كان.
(3) البيهقي، ص: 106.
(4) أ: ح. ن.: علوم الحكمة.

إنسانٌ؟ فقال لم أقرأ هذا في كتابي فضحك الحاضرون وخرج السيدُ، وقال: هذا الحكيمُ يسألني عن غوامض المخروطات ويقول بم عرفتَ أنَّكَ إنسانٌ وأنا مُتكلِّم لا علمَ لي بالمخروطات فقال له بعضُ الناس: ولا بالمبسوطات يا سيِّدُ.

## 75 ـ سهل النيلي النيسابوري(1)

كان حكيماً فاضلاً، الغالب عليه علم الطب، وعلم وشرح مسائل حنين في مجلداتٍ، عارفاً بأجزاءِ علوم المعقولات ومن شعره:

يـامَنْ تكلفَ إخفـاءَ الهـوى جلداً ... إنَّ التكـلُّفَ يـأتي دونـهُ الكـلفُ
ولـلمُحِـبِّ لِسَـانٌ فـي ضـمـائـرهِ ... بـمـا يجـنُّ مِنَ الأهـواءِ يَـعْتَـرِفُ

## 76 ـ أبو القاسم الحسن بن الفضل الراغبُ(2) (3)

كان من حكماءِ الإسلام وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه وله تصانيف كثيرة منها غرَّةُ التنزيل ودرَّة التأويل، وكان حظه من المعقولات أكثره.

## 77 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق(4)

نال في الحكمةِ وأجزائها مرتبةً عظيمةً، خصوصاً في الطب، وكان حسن الشمائل، نيسابوري الأصل والميلاد، وهو الملقَّبُ بسقراط الثاني، وقيل:

---

(1) أ: ح. ن.: أبو سهل.

(2) أ: ح. ن.: أبو حسن.

(3) البيهقي، ص: 112. أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، أصيبعة، ص: 380.

(4) البيهقي، ص: 114. الحكيم أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق المتطيب، أصيبعة، ص: 461.

انتقل في آخر عمره إلى بعض متنزهاتِ نيسابور بقرية، ولزم مكانهُ، واختار الإنزواء، فدخل بعض الناس عليه، وبين يديه أطباقٌ من الفواكه، فقال له: أنَّه لا فرق عندي بين هذه الأطباق والفواكه، فإنَّ الفواكه تضرني، فقنعتُ منها بالرَّائحةِ، وبطيب الهواءِ، فلا أشتهي تناول هذه الفواكه، وأرحت نفسي منها ودفع مضارها فإنَّ المضرَّةَ ربما تنتهي إلى حدٍ لا يدفع.

وكان حسن المعيشة فأصابَ عميد خراسان محمَّد بن منصور قولنج أعيا دواؤهُ كل طبيبٍ، فبعث إليه مركوبه وغلمانه وكلفه المصير إليه، والشمس في أوَّلِ درجةٍ من السرطان، وبين القرية وبين نيسابور إثنا عشر فرسخاً، فآذاهُ الحرُّ وسرعة الحركة وجماحُ ذلك المركب والعطش، فقال لمن معه من تلامذته: نجا عميد خراسان، وهلكْتُ أنا، وكان كما قال. ثم عالجه فصحَّ ومرض أبو القاسم وسقطت قوَّته وقد نيفَ على الثمانين وقضى نحبه. وقيل إنَّ السلطان بعث إليه خواصَّهُ ودعاهُ إلى خدمته. فقال: القنوع بما عنده لا يصلح لخدمة السلطان، من أُكْره على الخدمة لا ينفع بخدمته كالبازي الذي يكره على الصيد.

وبعث إليه سلطان غزنة إبراهيم مالاً عظيماً مع المحفةِ والمراكب، ودعاهُ إلى حضرته بالطائف. فقال: السلطان يطلبني لعلمي، فأنفق عليَّ ماله لأُنفقَ عليه علمي، وهذا بيعٌ وشراء، والعلم لا يُشترى ولا يباعُ، وما ليَ حاجةٌ إلى قبول تلك الأموال، وإفاضةُ علمي على أهل بلدتي أولى، فأنا أدعُو للسلطان بالخير وأريحُ نفسي من رقِّ المنَّةِ. ومن كلامه: الطبيب الحقيقيُ من عالج بالفضائل نفسه ورأى مضرته في الرذائل ثم يهبط بعد ذلك إلى معالجةِ الأجسام، فمن لا يهبطُ من معالجة النفس إلى معالجة الجسد فهو أسفل السافلين. وقيل: إنَّه أدرك أبا علي بن سينا واستفاد منه.

## 78 ـ الأستاذ المختص أبو الحسن علي النسوي[1][2]

كان من حكماءِ الرَّيِ عمَّر أكثر من مائة سنةٍ وقواهُ سليمة إلَّا أن الضعف منعه عن المشي في الأسواق فلزم بيته، وقيل كان من تلامذة كوشيا وأبي معشر وفيه نظر إلّا أنه كان من المعمِّرين؛ ومن كلامه: بالهمَّةِ العلية الصادقة ينالُ المرءُ مطلوبَهُ لا بالكد، وكان يقول لتلامذته: كونوا أصحاب الصنائع ولا تكونوا ذواقين فإنَّ الذواق لا يشبع.

## 79 ـ عضد الدنيا والدين ملك يزد[3]

كان ملكاً عالماً عادلاً[4]، وله كتابٌ سماه مهجةُ التوحيد، وكان يـذُبُّ عن رأي أبي البركات، ويُقرِّرُ قوله في مسألةِ العالميَّةِ.

وكان متخلِّقاً بأخلاق الحكماء، وقال يوماً للخيامي[5]: ماتقول في اعتراضات أبي البركات على أبي علي؟ فقال الخيَّاميُّ: إنَّه لم يفهم كلام أبي عليٍ، وليست له رتبةُ الإدراك لكلامه، فكيف تكون له رتبةُ الإعتراضِ. فقال له الملك علاءَ الدولة: من المستحيلِ أن يكون حدْسٌ أقوى من حدْسِ أبي عليٍ، أم من الممكن. فقال: الخيَّاميُّ ليس من المستحيل. فقال له الملك: ساواك عند غيرك، أنت تقول: ليست له رتبةُ الإدراك والإعتراض، وغلامي الدواتي يقول: له رتبةُ الإدراكِ والإعتراضِ والزيادة، فتكلَّم بما يُريدُ به كلامك على مملوكِ ولا تمل إلى سفاهة غلامي أقدر عليها منك، فتشوش الخيَّامي، فقال له الملك الحكيم: يُهجِّنُ كلام غيره بالبرهان والجدل لا

---

(1) البيهقي، ص: 116، الأستاذ الحكيم المحقق أبو الحسن علي النسوي.

(2) أ: ح. ن.: وله الزيج الفاخر، وكان حكيماً مهندساً ذا أخلاق رضية.

(3) البيهقي، ص: 117. عضد الدنيا والدين علاء الدولة.

(4) البيهقي، ص: 117 رأيتُهُ بخراسان سنة 516 هـ.

(5) البيهقي، ص: 117، للإمام عمر الخيام.

بـالسعـةِ وبـالـوقيعـةِ والبُهتـان، فـاطلب أعلى الـدرجتين، ولا تقنـع بـأخسِّ الرذيلتين. فقام الخيَّامي مُلْجماً بالسكوت. ومن كلامه في مهجةِ التوحيـد من لا يكمـل في صناعتـه التي تليقُ به فليس لـه أن يطلب صنـاعةً أُخـرى. فمن رضي بـالنـاقص والنقصـان صـار محجـوبـاً عن نيـل الكمـال في جميـع الأحوال.

## 80 أحمد بن الطيِّب السرخسي[1][2]

أبو العباس ممَّنْ سما إلى الكندي، وعليه قرأ، وكان ماهراً في علومٍ كثيرةٍ من علوم الفقهاء والعرب، جنيّ المقال، جيِّد القـريحةِ، بليـغَ اللسانِ، مليـحَ التَّصنيف، فاضلاً في النحوِ والشعر، وكان حسن العشرة مليح النادرة، خليعـاً ظـريفاً، وسمـع الحديث فمن سمـاعهِ المعنعَنَ قـولـه ﷺ إذا اكتفى الـرجـالُ بالرِّجال، والنساءُ بالنساءِ فعليهم الديات. وقوله ﷺ. أشـدُّ الناس عـذاباً يـوم القيامةِ من يسب نبيّاً أو أصحابه أو أئمة المسلمين.

وتـولى الحسبة ببغـداد أيامَ المعتضـد ثم نادمـه وخُصَّ، وكـان يفضي إليـه بـأسـراره ويستشيـره في أُمـور مملكتـه. وكـان الغـالب على أحمـد علمـه لا اعتقاده.

وسببُ قتله أنَّـه أفضى إليـه سـراً في أمـر القـاسم بن عبـد اللهِ فبَذَرَ غـلام المعتضـد، فأفشـاهُ بحيلةٍ من القاسم عليه فسلَّمه المعتضد لفحِ آمِـدْ. وقـال أحمـد بن عيسى: أفْلت جماعـة من المطاميـر من الخـوارج وغيـرهم، وأقـام أحمد في الحبس رجاء السلامة، فكان قعوده سبباً لمَنِيَّتِهِ، فأمر المعتضدُ القيِّم بأبْيات من يحب قتله ليستـريحَ من تعلق القلب بهم، فـأسهم ووقَّع المعتضـدُ لقتلهم فقُتِلَ، وسأل عنه المعتضدَ فأُخبر بقتله فَلَمْ يغضب.

---

(1) الفهرست، ص: 166، البيهقي، ص: 17، القفطي، ص: 77.

(2) غير موجود بالنسخة (ب).

## 81 - عُمر الخياميُّ [1]

نيسابوريُّ الآباءِ والميلاد، وكان تلو أبي علي في أجزاء علوم الحكمة إلاَّ أنّه كان سَيِّىءَ الخُلقِ ضيق العطنِ. وقد تأمَّلَ كتاباً بأصفهان سبع مرَّاتٍ فحفظه وعاد إلى نيسابور فأملاهُ فقوبل بنُسخَةِ الأصل فلم يوجد بينهما كثيرُ تفاوتٍ وله ضِنَّة بالتصنيف والتعليم، وله مختصرٌ في الطبيعيَّاتِ ورسالةٌ في الوجود ورسالةٌ في الكون والتكليف، وكان عالماً باللغةِ والفقه والتَّواريخ، ودخل الخيَّام على الوزير عبد الرَّزاق، فكان عنده إمام القرَّاءِ أبو الحسن الغزال، وكانا يتكلَّمان في اختلاف القُرَّاءِ في آيةٍ، فقال الوزيرُ: على الخبير سقطنا، فسأل عنها الخيامي، فذكر اختلافَ القراءِ، وعلل كُلِّ واحدٍ منها، وذكر الشَّواذ وعللها، وفصَّل وجهاً واحداً. فقال الغزال: كثَّر اللهُ في العلماءِ مثلك، فإني ما ظننْتُ أنَّ أحداً يحفظ ذلك من القُرَّاءِ فضلاً عن واحدٍ من الحكماءِ، وأمَّا أجزاءُ الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها ودخل حُجَّة الإسلام الغزالي عليه يوماً، فسألهُ عن تعيين جزءٍ من أجزاءِ الفلك للنُقطة دون غيرها مع كونه مُتناسب الأجزاءِ، فطوَّلَ الخيامي الكلامَ وابتدأ من أنَّ الحركةَ من مقولةِ كذا وضنَّ بالخوض في محل النزاع، وكان من دأبه ذلك الشح المطاع حتى أذن الظهر، فقال الغزاليُّ: جاءَ الحقُّ وزهق الباطلُ وقام.

ودخل على السلطان سنجر وهو صبيّ وقد أصابه جدريٌّ، فلمَّا خرج سألهُ الوزير، كيف رأيتهُ وبأي شيءٍ عالجتَهُ؟ فقال: عمر الصَّبي مخوفٌ، فرفع خادمٌ حبشيٌّ ذلك إلى السلطان فلمَّا برأ السلطان بغضه وكان لا يحبهُ. وكان ملك شاه ينزله منزلةَ الندماءِ والخاقان شمس الملوك بنجارا يُعَظِّمه غاية التعظيمِ، ويُجلسهُ معه على سريره، وحُكي أنَّه كان يتحلَّلُ بخلالٍ من ذهبٍ، وكان يتأمَّلُ الإلَهيَّاتِ من الشفا فلمَّا وصل إلى فصل الواحد والكثير

---

(1) البيهقي، ص: 119؛ الدستور الفيلسوف حجة الحق عمر بن ابراهيم الخيام، القفطي، ص: 243؛ عمر الخيام.

وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلّى واوصى ولم يأكُلْ ولم يشرب فلمّا صلّى العشاءَ الآخرةَ سجد وكان يقول في سجوده: اللّهُمَّ إنَّك تعلم أني عرفتك على مبلغِ إمكاني فاغفر لي فإنَّ معرفتي إياك وسيلتي إليك ومات رحمه الله تعالى. وله أشعارٌ حسنةٌ بالعربية والفارسيَّةِ منها:

تَدينُ ليَ الدُّنيا بلِ السَّبْعَةُ العُلى | بلِ الفلكُ الأعلى إذا جاشَ خاطِري
أصُومُ عنِ الفحشاءِ جهراً وخفيةً | عفافاً وإفْطَاري بتقديسِ فاطِري
وكمْ عُصْبةٍ ضَلَّتْ عَنِ الحقِّ فاهْتَدَتْ | لِطُرْقِ الهُدى عن فيض المتَقاطِرِ
لأنَّ صِراطي المُسْتَقيم بصائرٍ | نُصِبْنَ على وادي العمى كالقَناطِرِ

وقال أيضاً:

إذا قَنِعت نفسي بميسُورِ بُلْغَةٍ | يحصِّلُها بالكَدِّ كفِّي وسَاعِدي
أمِنْتُ تصاريفَ الحوادِث كُلَّها | فَكُنْ يا زماني مُوعِدي أو مواعِدِي
وهَبْنِي اتَّخَذْتُ الشِعر بين مَنَازِلي | وقُوفَ مَناطِ الفَرقَدين مَصَاعدي
أليس قضى الرَّحمنُ في حُكْمِهِ بأن | يُعيدَ إلى نَحْسٍ جَميع المسَاعِدِ
إذا كان محصولُ الحياةِ مَنِيَّةً | فسيَّانَ حَالاَ كُلِّ ساعٍ وقاعِدِ

وقال:

رَحَّبْتُ دَهْراً طويلاً في التِمَاسِ أخٍ | يَرْعى وَدادي إذا ذو خُلَّةٍ خانا
فكمْ ألفْتُ وكَمْ آخَيْتُ غيرَ أخٍ | وكَمْ تبدَّلْتُ بالإخْوانِ إخْوانا
وقُلْتُ للنَّفسِ لَمَّا عَزَّ مَطلبُها | باللهِ لا تألفي مَا عشْتُ إنْسَانا

وقال:

أظلَّتْ رِيَاحُ الطَّارِقَاتِ رَوَاكِدا | أمِ انطبقَتْ مِنْها الجُفونُ رواقِدا
تَحَلَّلتِ الأفلاكُ أم رَأت دَوْرها | فَصِرْن حَيارى قَدْ ضَلَلْنَ المَرَاشِدا
كأنَّ النجومَ السَّائرات توقَّفَتْ | عَنِ السَّيْرِ حَتَّى ما بَلَغْنَ المَقَاصِدا
ففي قَلْبِ بَهْرامٍ وَجِيبٌ وروعةٌ | وكَيْوان أعَشَى ليس يَرْعى المراصِدا
لِذاكَ تَمَادَتْ دولةُ اللؤْمِ وانبرتْ | بنو التُرك يبغونَ السماءِ مصاعِدا

وله:

ولــو أعــطاني الــدَّهْــرُ اخْتِيَــاري ... بِـحَسـبِ الـسِّــرِّ مِـنـي والــطَّوِيَّــهْ
لَسِــرْتُ على جـفــوني كَـيْ أُرجيِّ ... لــدى مغنــاكَ مِنْ عُمُــرِي البَقِيَّــهْ

وإذا عُد حُكماءُ خـراسَّانَ، فـالخيَّامُ أزخـرهُمْ بحراً وأرفعهُم قـدْراً وأطولهُمْ في الرِّياضيَّاتِ باعاً وأقدُّهم في الحسابياتِ أنْفاساً.

وسئـل في الحمامِ عن مَعْنَى المُعَـوذَتَيْنِ وتكرار بعض ألفاظِهـا فسـرد نحو مُجَلَّدٍ في هلمٍ لم يَبْعَثْ فيــه نَفْسَهُ فمــا ظنُّـكَ بــالحكمـةِ التي أفْنَى فيهــا عُمرهُ...

## 82 ـ أبو المعالي عبد الله بن محمد الميانجي[1]

المعروف بعين القَضاءِ، كان مِنْ تلامذةِ الخيامي، وتـلامذة أحمـد الغزالي وخلطَ كـلامَ السوقيَّةِ بكلامِ الحكمـاءِ فَصُلِبَ بسبب عداوةٍ كـانت بينـهُ وبين الوزير أبي القـاسم الاسترابادي. [سببُ قتلِ عين القُضـاة أنَّهُ كـان يُسمي الله تعالى بأسامي اصطلحَتْ عليهـا الفلاسفـةُ مثل واجبِ الـوجودِ وغيـرهِ، فأنكـر عليه بديـع المُتَكَلِّم الهمذاني، وقـال: إنَّ أسامي اللهِ تعـالى توقيفيَّـةٌ، فصنَّف عينُ القُضاء رسالـةً وذكر فيهـا أنَّهُ سبحـانه وتعـالى معشوقـةُ أسميـه أيَّ اسمٍ أُريدُه][2].

وقال: سرونتهي وماه تمامت خُوانم يا أهو اقتادة بدامت.

خوانم زين هرسه مكوي له كذا مت خـوانم كزرشـك فخواهم كي بنـامت خوانم. فلما وصلتِ الـرِّسالـةُ إلى البديـع أغرى العـوامَ حتَّى قتلوهُ رحمةُ اللهِ عليهِ من شهيدٍ.

---

(1) البيهقي، ص: 123. الميانجي.

(2) [ـــ] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

## 83 - أبو حاتم المظفر الاسفرازي[1]

كـان حكيماً مُعـاصراً للخيـامي، وبينهما مُنـاظراتٌ، والمـظفـر عنـه بعيـدٌ والغـالبُ على المُظَفَّـرِ علم الهيئةِ والأثقـالِ، وكان رؤوفـاً بالمستعيدين على خلافِ طبيعةِ الخيامي، وله تصانيفُ كثيرةٌ في الرياضيات والآثار العلوية، وهو الذي عمل ميزان أرسميْدَسْ الذي يعرف به الغش والعيار، وصـرف عمره في ذلك فخاف خازن السلطان وهو خصٌ باسمه سعادة الخازن ظهـور خيانتـه في الخزانة بسبب هذا الميزان، فكسرهُ وفتَّتَ أجزاءهُ، فلما سمع المـظفَّر مـرِض ومات أسفاً. ومن كلامه: نسبةُ اللَّذة العقليَّةِ[2] كنسبةِ المتنسم إلى المقطم[3].

## 84 - أبو العباس اللوكري[4] [5]

كان تلميذاً لبهمن يار، ومنه انتشرت علوم الحكمةِ بخراسان، وكان عالمـاً بأجزاءِ علوم الحكمة، دقيقها وجليلها، وعمي في شيخوخته، وكان من أرباب البيوتات بكورة مروَ، وله ديوانُ شعـر، وكان يقـول في آخر عمـره: يئست من زيادةٍ في علمي ومعرفتي فلا زيادة لي على مـا حصلت وصرتُ عـاجزاً بسبب الضعف، وعدم البصر، واشتقت إلى العقبى، كان يقول ذلـك غير مـرَّةٍ حتى ظهر لمن حوله شدَّةُ شوقه إلى الآخـرةِ فاتفق أنَّـه تناول يـوماً الـرأسَ المشويَ ودعاهُ بعض تلامـذته إلى الحمَّـامِ وكان ذلـك سبَّب مرض مـوته، كـان بعض تلامذته يعالجه وهو يقول له: خلِّني وربِّي، فـإن شفاني فله الأمـر وإن أماتني فله الحكم، فأنا لا أختارُ إلَّا ما اختاره الله تعالى، وشعره متين.

---

(1) البيهقي، ص: 125.
(2) أ: ح. ن.: الحسية إلى اللذة...
(3) البيهقي، ص: 126، المتنسم إلى المتطعم.
(4) البيهقي، ص: 126.
(5) أ: ح. ن.: الكوكبي.

## 85 ـ السَّيدُ محمد الإيلاقي[1]

اجتمعتْ فيهِ الفضائل بأسرها العلميَّـةِ والعمليَّةِ، ولـهُ تصانيفُ كثيـرةٌ وكان مُصَنِّفاً، وكان مُباركاً، حَسَنَ المعالجةِ، وكـان مُقيماً ببـاخَرْز، ثم ارتبـطَهُ علاء الـدينِ بن القمَّاحِ ببلخُ، وقُتِـلَ في مصافِ كـوزخـانَ، وهـو مِنْ تـلامـذةِ أبي علي بن سينـا، وقيل مِنْ تـلامذةِ الخيَّـامي، يصحح ذلـك معرفـةُ تاريـخ علاء الدين بن القمَّاحُ.

## 86 ـ القاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي[2]

سردَ الشريعة والحكمةَ في نظامٍ وتركَ قضاءَ بلده ساوهْ، وآثـر العُزلـة على الصُّحبةِ، واختارَ العُطلةَ على الشغلِ وتوطن بنيسابُـور، وتعلم بها وكـان يأكـلُ من كسب يده، ويرتفق بالنَّسْخِ، ويبيع كل نُسخةٍ من كتاب الشفا بمائـةِ دينارٍ من خطِّه.

وقال: أشكل عليَّ شكـل من المقالةِ العاشـرةِ من أقليدسْ، فنمتُ فـرأيتَ في المنام شيخاً قيل أنَّه اقليدسْ النجار، فسألته عن الشكـل، فقال: لي عُـدْ إلى شكل كذا من مقالةِ كذا، فلمَّا انتبهتُ، صلَّيْتُ، وتـأمَّلتُ الشكل فـانحلَّ معي. وله تصانيف كثيرةٌ أُحرقتْ مع بيت كتبِهِ بساوَه.

وقال الظَّهيرُ البيهقي: كنتُ أختلفُ إليه فأراهُ بحراً مـوَّاجاً. قـال وكتب إليَّ في رسـالةٍ: كُنْ من الـزُّمرة المنسلخين عن جلدةِ النَّسب والألقـابِ الواضعينَ عن أكتـافهم أوزاراً لأعقابِ النَّـاقصين عن أحوالهم عثـرةَ الدُّهـورِ والأحقابِ. فهذه عادةٌ قـد أفلح من زكَّاهـا وقد خـاب من دسَّاهـا، من لم يخفِ الله خاف من كُلِّ أحَدٍ، ومن خافَ الله لم يخفْ من أحدٍ، وخافَهُ كل أحدٍ.

---

(1) البيهقي، ص: 132، أصيبعة، ص: 459.
(2) البيهقي، ص: 132: الشاوي.

## 87 ـ أبو الصَّلْتِ[1]

أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ من جملةِ المتقدِّمين في الحكمةِ والفلسفةِ، ولـه شعرٌ رقيقٌ وهو من مصر.

## 88 ـ أسعد الميهني[2]

كان مدرِّساً بنظاميَّةِ بغداد، ومخطوطاً[3] في دار الخـلافةِ، وكُلَّمـا حضر دار الخـلافةِ خـرج التَّوقيـع الأسمى، رُفِعَ إليـه حضور أسعـد الميهني، وكان من تـلامذةِ اللُّوكَـري، وله رسـالـة إلى ابنْ سهْـلان فيهـا: خـذلانُ الأعـوانِ عـارٌ ومُؤاساتهم فضيلة.

## 89 ـ تاج الدين محمد بنُ عبد الكريم الشهرستاني[4]

له تصانيفُ كثيرةٌ[5]، والمنهاج في الآياتِ، وكان يهجِّنُ رأي أبي عليٍ في كتاب المنهاجِ والآيات.

قال: الظَّهيـرُ قرأ عليَّ من هـذا الكتابِ فصـولاً في منزل مـرزقوان، فقلت لـه: يجبُ أن تبحثَ عن كل فصـلٍ واعتراضٍ، فلم يسـاعـد القـول، وأزف الـرحيل، وتصـانيفهُ تـزيـد على عشـرينَ مُجلدةً، وهـو لا يسلكُ فيهـا سبيـل الحكماءِ، وقد رأيتُ له مجلساً مكتوباً عقدهُ بخوارزم فيه إشاراتٌ إلى أصـولِ الحكمةِ فتَعَجَّبْتُ منها.

قال الظهير البيهقي: وقد جمعني وإيَّاهُ أبو الحسن بنُ حمويه في مجلسٍ،

---

(1) غير موجود في النسخة ب، القفطي، ص: 80.
(2) البيهقي، ص: 141؛ الإمام الأجل أسعد الميهني.
(3) البيهقي، ص: 141: محظوظاً.
(4) البيهقي، ص: 141.
(5) أ: ح. ن.: منها كتاب العيون والأنهار وقصة موسى والخضر.

وحضر أبو منصورٍ العبادي، أحمد اللَّيثي، وشهاب الدين الواعظ السفوماني، وغيرهم من الأفاضل، فقلت له حين ذكر أقسام التقدماتِ، أهذا التَّفصيلُ حقيقيٌ أم غير حقيقيٍ؟ فإنَّك تقول التقدُّمُ: إمَّا بالذات، وإمَّا بالطبع، وإما بالمكان، وإمَّا بالزمان، وإمَّا بالشرفِ وإمَّا بالوجود.

فقال: فرقٌ بين التقدُّمِ بالذات وبالوجودِ، وأخذ يقرِّرُ ذلك، وأنا أقول له: أنت تجيبُ عن مطلبٍ ما في غير موضع النِّزاع، وتعرض عن مطلب أهل المركب، وأنا لا أسألك ولا أقول: ما الفرق بين ما بالذاتِ والوجود، ولكني أقول: ما الفرق بين ما بالذاتِ والوجود، ولكني أقول: لَمَ قلت إنَّ أجزاءَ الإنفصالِ في حصر التقدماتِ محصورةٌ، وهي منفصلةٌ حقيقيةٌ.

فطال التكرارُ وانقطع بسبب التكرار الكلام وكان يُصَنِّفُ تفسيراً، وتأوَّل الآياتِ على قوانين الشريعة والحكمةِ. فقال له الظهيرُ: لا عدولُ عن[1] الصواب، والقرآنُ لا يفسَّرُ إلاَّ بتأويل السلفِ والتابعين، والحكمةُ بمعزلٍ عن تفسير القُرآنِ خصوصاً ما كنت تُأَوِّلهُ ولا يجمع بين الشريعةِ والحكمةِ، أحسن ممَّا جمعهُ الغزالي، فامتلأ غَيْظاً ومات بشارستان مسقط رأسه، في شهور سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة، وكان مقرباً من سرير السلطانِ سنجر وصاحب سرِّهِ.

## 90 - ابن التلميذ أبو الحسن

الطَّبيب البغداديُّ[2]. حكى الحكيمُ وأبو بكر بنُ عروةَ أنَّه دخل على ابن التلميذِ يوماً، فلما عرف أني حصَّلْتُ بعض علوم الحكمةِ غيَّر درسهُ وأوردَ فيه من دقائق المنطقِ والحكمةِ ما عرفْتُ أنَّه له وراء الطبِّ غاية، وكان مرسومهُ ببغداد يزيد كلَّ سنةٍ على عشرين ألف دينارٍ يُنْفِقُ جميع ذلك على طلاب العلم.

---

(1) أ: ح. ن.: هذا.

(2) البيهقي، ص: 144، القفطي، ص: 340، أصيبعة، ص: 349.

## 91 ـ ابن الشبل[1]

هـو أبو عليٍ الحسين بن عبدِ الله بن يوسف بن شبلٍ البغداديَّ، مـولده ومنشؤه ببغـداد وكـان حكيماً فيلسـوفاً ومتكلمـاً فاضـلاً وأديباً بـارعاً وشـاعـراً مجيداً، وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائـة، ومن شعره مـا قالـه في الحكمةِ، وهذه القصيـدةُ من جيِّد شعـره وهي تدل على قـوَّةِ إطلاعـه في العلوم الحكميَّةِ والأسرار الإلّهيـة وبعضهم ينسبُها إلى ابنِ سينـا وليست له ولا لغيره:

بـقــربــك أيُّهـا الـفَـلَكُ الـمَـدَارُ ... أقَـصْـدٌ ذا المسيـرُ أم اضْـطرارُ
مُـدارُكَ قُـلْ لَنَـا فـي أيِ شَـيءٍ ... فـفي أفـهـامِنَـا مِنْـكَ انْـبِـهَـارُ
ومـا هـذا الفضـاءُ فَـهَـلْ فضـاءٌ ... سِـوَى هـذا الـفـضـاءِ بـه تُـدَارُ
وعِـنْـدَكَ تُـرْفَـعُ الأرواحُ أمْ هَـلْ ... مـع الأجسـادِ يُـدْرِكُهَـا الـبَـوَارُ
وَمَـوْجُ ذي الـمـجـرَّةِ أم فـريـدٌ ... عـلى لُـجَـجِ الـدُّروعِ لـهـا أوارُ
وفيـكَ الشَّمْسُ رافِعَـةٌ شـعَـاعـاً ... بـأجْـنِـحَـةٍ قَـوَادِمُـهـا قِـصـارُ
وطـوقٌ في النُّحـورِ مِنَ الـلآلـي ... هِـلاَلُـكَ أم يَـدٌ فـيـهـا سِـوارُ
وشُـهْـبٌ ذا الـخـواطـف أمْ دِبَـالٌ ... عـليهـا الـمـرْخُ يَقْـدَحُ والـعَقَـارُ
وتَـرْصيـعُ نُجـومـكَ أمْ حُـبَـابٌ ... تَـوَلَّفَ بينهُـمَـا اللُّجَـجُ الـغِـرارُ
تَـمُـدّ رُقُـومُـهَـا لـيـلاً تُـراعـى ... نـهـاراً مِـثْـلَ مـا طُـوِيَ الإزَارُ
فكم يصفـو لهـا صـدي البـرايـا ... وما يَـصْـدَى لـهـا أبـداً غِـرارُ
تـبـارى ثـمَّ تَـخْـنِسُ راجـعَـاتٍ ... فَـتَكْـنِسُ مثـلَ مـاكـنس الـصَّـوارُ
فَبَيْنـا الشـرقُ يَقْـدِمُهـا صُـعـوداً ... تـلقَّـاهـا مـن الـغـرب انـحـدارُ
على ذا مـا مضى وعليـه يـمضـي ... طـوالُ مُـنـىً وأعـمـارٌ قـصـارُ
وأيـامٌ تُـفَـرِّقـنـا مـداهـا ... لـهـا أنْـفـاسُـنـا أبـداً سـفـارُ
وأيـامٌ يُـقَـرِّبُـنـا شِـفـاهـاً ... أعـمـارنـا فـيـهـا شـفـارُ

---

(1) أصيبعة، ص: 333.

ودهرٌ ينشرُ الأعمارَ نشراً ... كما للغُصْنِ بالورقِ إنتشارُ
ودنيا كُلَّما وضعتْ جنيناً ... غداهُ من نوائبها ظُوارُ
هي العشواءُ ما خبطت هشيماً ... هي العجماءُ ما جرحتْ جُبارُ
فمِنْ يومٍ بلا أمسٍ ليومٍ ... بغير غدٍ إليه بنا يُسَارُ
ومن نفسين في أخذٍ وردٍّ ... لروحِ المرءِ في الجسم انتشارُ
فكمْ من بعدِ ما ألِفَتْ نفوسٌ ... جُسُوماً عَنْ مجاثمها تُطارُ
ألمْ تكُ بالجوارحِ آنساتٌ ... فلمْ بالقربِ عادلها نِفارُ
فإن يكُ آدمٌ أشقى بنيهِ ... بذنبٍ مالهُ منه اعتذارُ
ولم ينفعه بالأسماءِ علمٌ ... وما نفعَ السجودُ ولا الجوارُ
فأخرجَ ثم أُهبطَ ثم أُوديَ ... فتُرْبُ السَّافياتِ له شعارُ
فأدركه بعلم اللهِ فيه ... من الكلماتِ للذّنبِ اغتفارُ
ولكن بعد غفرانٍ وعفوٍ ... يُغيَّرُ ما تلا ليلاً نهارُ
لقد بلغَ العدوُّ بنا مُناهُ ... وحَلَّ بآدم وبنا الصغارُ
وتُهنا ضائعين كقومَ موسى ... ولا عجلٌ أضلَّ ولا خُوارُ
فيا لك أكلةً ما زال منها ... علينا نقمةٌ وعليه عارُ
نُعاقبُ في الظهور وما وُلدنا ... ويُذبحُ في حشا الأمِّ الحوارُ
وننتظرُ الرَّزايا والبلايا ... وبعدُ فبالوعيد لنا انتظارُ
ونخرجُ كارهين كما دخلنا ... خروجَ الضَّبِّ اخرجَهُ الوجارُ
فماذا الإمتنانُ على وُجودٍ ... لغير الموجدينَ به الخيارُ
وكانتْ أنعماً لو أنَّ كوناً ... نُخَيَّرُ قبلهُ أو نُسْتَشَارُ
أهذا الدَّاءُ ليس لهُ دواءٌ ... وهذا الكسر ليس له انجبارُ
تحيَّر فيه كلُّ دقيقِ فهم ... وليس لعُمْقِ جرحهم انسبارُ
إذا التَّكْويرُ غالَ الشمس عَنَّا ... وغالَ راكبَ اللَّيْلِ انتشارُ
ويُدِّلنا بهذي الأرضِ أرضاً ... وطوَّحَ بالسَّمواتِ انفطارُ
وأُذهلتِ المواضعُ عن بنيها ... لحيرتها وعُطِّلتِ العشارُ

وغشّى البدر من فرقٍ وذعرٍ خُسُوفٌ يعتريه لا سرارُ
وسُيِّرَتِ الجبال فكُنَّ كُثباً مهيلاتٍ وسُجِّرتِ البحارُ
فأيْنَ ثباتُ ذي الألبابِ منَّا وأينَ مع الرجومِ لنا اصطبارُ
وأين عقول ذي الافهامِ مِمَّا يُرادُ بنا وأيْنَ الاعتبارُ
وأينَ يغيبُ لُبٌ كان فينا ضِيَاؤُكَ من سناهُ مستعارُ
وما أرضٌ عصته ولا سماءٌ ففيم يغولُ انجمها انكدارُ
وقد وافتهُ طائعَةً وكانت دُخاناً ما لنائره شرارُ
قضاها سبعةً والأرض مهداً دحاها فهي للأمواتِ دارُ
فما لِسُمُوٍّ ما أعلى ترقٍ ولا يسموك ما أرسى قرارُ
ولكن كل ذا التهويلِ منه لذي الألبابِ وعظٌ وازدجارُ

وله:

قالوا القناعةُ عزٌ والكفافُ غِنىً والذّلُ والعارُ حرصُ النفسِ والطمعُ
صدقتم من رضاهُ سد جوعته إنْ لم يصبه بماذا عنه يقتنعُ

وله أيضاً:

خرجنا من قضاءِ الله خوفاً فكان فرارنا منه إليهِ
وأشقى الناس ذو عزمٍ توالت مصائبُهُ إليه من يديه
تضيقُ عليه طُرقُ الهدي منها ويقسو قلبُ راحمهِ عليه

واعلم أنَّ قول الحكماءِ الأوائل إنَّ الباري تعالى ساكن، وأنَّ ذاتَهُ جوهرٌ ثابتٌ غير مغيَّرٍ، دائمُ الوجود، ومعنى قولِ من زعم أنَّهُ متحركٌ أنَّه دائمُ الفعل في القوابل سرمديُّ الفيض والإشراقِ على كل مُسْتحقٍ من غير بُخْلٍ ، وأمَّا قولهم متحركٌ وساكن في العقل فمعنى من قال إنَّه ساكن أيْ أنَّهُ بالفعل من جميع الوجوه، ومعنى أنَّه متحركٌ أي أنَّه فاعلٌ ومنفعلٌ عمَّا فوقه قولهم إنَّ النفس متحركٌ إنَّها دائمُ الطلبِ للكمال من العقل الفعال.

وقال مالس: إنَّ الجسم هو الذي لا يدثُرُ كالفلكياتِ والجرم كثيفٌ، وهو الذي يدثُرُ، فالأولُ لطيفٌ والثاني كثيفٌ.

وقال: ووراء السَّماءِ عوالم مبدعـةٌ لا يقدرُ المنـطق أن يصِفَ تلك الأنوار، ولا يقدِرُ العقل أن يقفَ على ذلـك الحسن والبهاءِ وهي مبـدعةٌ من عُنصُـرٍ لا يـدركُ غورهُ، ولا يُبْصَـرُ نورهُ، والمنـطقُ والطبيعـةُ والنَّفْسُ تحتهُ ودونَـهُ، وهـو الدَّهْرُ المحضُ من نحوِ آخره لا من نحـو أوَّله، وإليـه تشتاقُ العقـولُ والأنفس وهو الذي سميناهُ الدَّيْموميَّةَ والسَّرْمَدَ والبقاءَ في حَدِّ النَّشـأةِ الثانيـةِ وظهر بهـذه الإشـاراتِ أنَّه لمـا أراد بقولـه الماء هو المبدعُ الأول أيْ هـو مبدأ المُـركَّبـات الجسمانيَّةِ لا المبدأ الأوَّلِ في الموجودات العلويةِ لكنه لمَّا اعتقـد أنَّ العنصر الأوَّل هـو قابـل كل صُـورةٍ أيْ منبعُ الصـور كلها ولم نجـدْ عنصراً على هـذا النهجِ ، كل صورةٍ أي منبعُ الصورِ كلها فأثبت في العالم الجسمـاني له مثـالاً لا يوازيه في قبول الصور كلها، ولم نجدْ عنصراً على هذا النهجِ مثل المـاءِ، فجعله المبـدعَ الأوَّلِ في المركَّبـاتِ وأنشأ منـهُ الأجسام والأجـرام السماويَّـةَ والأرضيَّةَ جريـاً على منهجِ الشـرعِ وكذا نصُّ التَّـوْريةِ وإلى أمثـاله يشيـرُ من يـزعم أنَّ المبدعَ الأولِ النـار أو الهـواء أو الأرضَ وأشبـاه ذلـك لأنَّ حكمهم مأخوذٌ من مشكاةِ النُبوَّةِ.

## 92 ـ الحسن بن اسحق بن محاربٍ القميُّ

ذكروا عن ابن العميد أنَّهُ كان يفتخر به ويقول: لوْ لَمْ يخرجْ من بلدنا سواهُ لكان كافياً، وكان يقـول: العشقُ هو الشَّـوْقُ إلى الاتحاد بـالمعشوق. وحُكي عن بعضِ الأوائل: لا شيءَ أنفس من الحياةِ ولا عينَ أعـظم من إنفادهـا لغيرِ حياةٍ أبديَّةٍ.

## 93 ـ الأستاذ أبو الفضل بن العميد القمي[1]

كان قد أتى من الفضائلِ والمحـاسن ما بهـر به أهـلَ زمانـهِ حتى أذعن له

(1) ب: الصاحب بن العميد.

العـدوُّ وسلَّم الحسود، ولم يـزاحمهُ أحـدٌ قط فمن ذلـك أنَّـه كـان كتب أهـل عصره، وأجمع لأنَّه حافظ للغـة والغريب، ولـهُ توسـع في النحوِ والعـروض، واهتـدى إلى الاستقـامــات والاستعـدادات وحفظ الـدَّواوين من الجـاهليــةِ والإسلام، وكان يسمع الأبيات الحماسية فرد مرَّة فيحفظُها، وكان في الهندسةِ والتعـاليم الأبداني والمنـطق وعلوم الفلسفة والإلّهيـات خاصـة فما جسـر أحدٌ في[1] يدعيها بحضرتهِ إلّا أن يكون مستفيداً.

ولما رآهُ العامري بعد شرح كتب أرسطو ورواحـهِ إلى بغداد، تحيَّـر، وكان وزيراً لركن الدولةِ بويه، وكان قليل الكلام نزر الحـديثِ إلَّا إذا سئِلَ، ووجـد منْ يفهمُ عنه فيبسط ويسمعُ منه ما لا يـوجد عنـد غيره مـع فصاحـةٍ وبلاغـةٍ، وكان لجودة حاله وأخلاقه إذا دخل عليه العالم أو صاحبُ[2] سكت له وأصغى إليـه واستحسن كلَّ مـا سمعه استحسـانَ من لا يعرفُ إلَّا مـا يفهمُ[3] حتى إذا طـاوله ووردتِ الشهـورُ عليـه من عنـدهُ واتفق أن يسـألـه عن شيءٍ أو يجـري بحضرتِهِ فرغب إليه في إتمـامه تـدفق حينئذٍ مجـراهُ وجاش خـاطِرهُ وبُهتَ من كـان عند نفسـه بارعـاً في ذلك المعنى، ومـا أكثر مـا خَجِلَ عنـده المعجبون بأنفسهم بعد مَدِّهِ، وإجزال العطاءِ، وكان عالماً بالحيل وأحوالِ الحروب، مع شجاعةٍ وثباتِ جأشٍ في الحروب. ومن خطه:

قال بعض الأوائل: قليلُ الخمر دواءٌ وكثيرها داء، وهي بالمشايخ أليقُ منها بـالشبابِ، ووُجِـدَ بخطه: لمَّـا كان حـدُّ الشرب منهـا مجهـولاً وجب بـالنَّـظرِ العقلي والتدبير الشرعي أن يُمنعَ النـاس لئلاَّ يتجـاوزُوا الحدَّ لأنَّ الخمـر كثيرُ الشَّرِّ وينبوعُ الفجور، وبابٌ مفتوحٌ إلى كل بلاءٍ، والعاقلُ من صبر بنفسه عنها وفدى مضارها بمنافعها.

---

(1) أ: ح. ن.: زمانه.
(2) أ: ح. ن.: فن.
(3) أ: ح. ن.: منه.

## 94 ـ أبو جعفر بن بابويه

ملك سجستان.

قال أبو سليمانَ السِّجري: كان الملكُ أبو جعفرٍ[1] قوياً في علمِ السياسةِ لم يتصرفْ في غيرها، وله بصيرةٌ حسنةٌ، وكان قد أخذ نفسهُ بجوامعِ السياسةِ مع المروءةِ الظاهرةِ والعفاف الغالبِ وضبطِ النفس عند عارضٍ[2].

وكان يُنشدُ كثيراً بيتين ويتعجَّبُ من صحَّتهما وجَوْدَتِهما وحسن بحثهما، ويقول: لقد وفق هذا الشاعرُ، ولا أقولُ إنَّهُ شاعرٌ إلاَّ من جهةِ النَّظمِ والوزن والقافيةِ، ولكن أقول الحكيمُ:

فتىً لم يتبعْ[3] بعدما مضتْ بمنٍ ولمْ يَمْطُلْ وعيداً ولا وعدا
هواهُ لهُ عبدٌ ولا يكمُلُ الفتى إذا لم يكُنْ يوماً هواهُ له عبدا

وكان يحفظُ من كلام اليونانيين ونوادرهم وسيرهم وأحوالهم ما لم يقدرْ أحدٌ عليه وكان يقول: هذه قُراضاتُ الذهبِ، وكالتبر الذي لم يسبكَ بعدُ وكان يعجبهُ نوادرُ اليونانيين ويقول: إنَّ قوماً هذه فكاهتهم ومُؤانستُهُم واستراحتهُم ما يُظنُّ بهم إذا أخذوا في الجدِّ واعتصروا قوى غرائزهم بالقصدِ ثم قال: إني لأستحسنُ شيئاً حكي عن ديمقراطيس أنَّه قال: السابحُ في بحرِنا لا ساحلَ له إلاَّ هو. وكان يحفظُ جميع الفقرِ التي لأرسطُو في السياسةِ ممَّا كتب إلى الإسكندرِ ومِمَّا شافهَهُ به.

قال وكان يقول: قد انتهى الزمانُ إلى أمرٍ خارج عن جميع ما وسمهُ ذلك الحكيمُ لذلك الملك، وذلك أنَّ الناس قد خلعُوا ربقةَ الدينَ الجامع للخيراتِ العاجل والآجل، ونبذوا عهد العقل النَّاظِمِ لصلاح العامَّةِ والخاصة وحلوا رباط الحياءِ الذي يكون التمتع من الفيء والتسرعُ إلى الرَّشادِ وإنَّ زماناً

---

(1) أ: ح. ن.: صاحب صوان الحكمة.
(2) أ: ح. ن.: الهوى.
(3) «كذا» في «أ». ولعله سقط بعض الكلام إذ إن وزن هذا الصدر ليس على الطويل كعجزه.

ينسلخُ أهلهُ من شعـارِ الدين وحليـة العقل وربـاطِ الحياء لغـاية في الفسـاد ما أعرفُ دواءً إلّا السَّيْفَ الماحِق.

قال: وما أحسن ما قال زيادٌ، وكان من الـرجالِ العـرب: لقد فسـدَ الناس فساداً لا يُصْلِحُهـم إلاَّ السيفُ القاطعُ والسَّوطُ الواقع وسجنٌ قامِعٌ[1].

قـال: وأنا أبقي قسمين من هـذا الكلامِ فـإنَّ الشَّرَّ قـد غلبَ على كلِّ من أكلَ الطعامَ، والسلام.

وقال أبو سليمانَ: سأل الملكُ أبو جعفر ليلةً جماعةً عنده منهم الأسفرازي وابن حيان وطلحة وأبو تمام وغيرهم: لمَ يُقَالُ في شائعِ الحديثِ[2] ما عُـطِسَ عنده، فسكتوا، ثُمَّ قالوا: ما عندنا فيه شيءٌ لأنَّ هذا من آثارِ الطبيعةِ وهو تابعُ للأخلاطِ وما يزيدُ منها وما ينقُص، ومثلُ هـذا يبعُدُ عن عِلَّةٍ تـامَّةٍ فقـال: هذا كله نفارٌ وهربٌ فإنَّ الطبيعة لها أبدارٌ بمثل هذه الأشياء بحسب اطـلاعِ النفس عليها وتلويحها لها وسريان قواها منها وإلقائها فيمر ذلك بالطبيعةِ فتُنفق اهتزازاً له فيصيرُ ذلك كالشَّاهد على الشيء المزمع والأمـر المقبل، فـإن لم يكن هذا على هذا فما انعقد وهم كلّ سامعٍ للعطس في عرض حـديثه إلّا على هـذا، وكأنَّ النفس قد أومأتْ لإتفاقِ الواقع إلى هذا الفرض، ثم يكون حق لهذا في الثاني وباطله على الزيادةِ والنقصانِ والقُوَّةِ والضعفِ.

قال: وكان يُكْثِـرُ من الضرب فيمـا هو قـائمٌ بين العامَّـةِ ومعهودٌ في بعضِ الخاصةِ.

وقـال أفلاطـون: الشرف ثـلاثةٌ: شـرف النفسِ وشـرفُ الحكمـةِ وشـرفُ الإباءِ.

وقـال أبـو سليمـان: سمعتُ هـذا من أبي جعفـرٍ الملك، قـال[3]: شـرف

---

(1) من هنا إلى آخر ترجمته غير موجود في النسخة ب.

(2) أ: ح. ن.: أصدق الحديث.

(3) أ: ح. ن.: معقباً لروايته أما..

النفس فإنَّه يُفضي إلى بقائها، وأمَّا شرف الحكمةِ فإنَّه يوضحُ السبيل إلى طلب هذا البقاءِ، وأمَّا شرف الإباءِ وهو أحسنُ الثلاثةِ فإنَّه يزيد في قدر صاحبه زيادة تُفسدُه في باطن حالِهِ بالكبر وتصلحه في ظاهر حاله بالتَّوقر وهذا الشرف الأخيرُ بالإصطلاحِ والعادةِ، وأمَّا الشرفُ الأوسطُ فبالاجتهادِ والإكتسابِ، وأمَّا الأولُ فهو بالطبيعةِ أي بالواجب لأنَّ شرف النفس لا يدخله الإصلاحُ ولا يحدثُ بالإكتسابِ وإنَّما يظهر ما هو واجبٌ بالإكتساب.

قال: فقلْتُ ليهنكَ أيُّها الملك فقد جمع الله تعالى لك هذا كله فأنتَ البائنُ بالفضلِ والفرد بالكمال، والمشار إليه في العلم.

فقال: يا أبا سليمان فإنِّي لا أواخذكَ بأن تغلطَ في وصفكَ ولكن أُواخذُكِ بأن تُغلطني في وصفي بوصفك ويكفي للإنسان أنْ يكون مغروراً من نفسه، معتوباً بفضله، ساهياً عن رشدهِ وليس يحتاجُ إلى أن يكون صاحبه خائفاً عليه بجميل الثَّناءِ خادعاً له بزخرفِ القول.

وقال أبو سليمان فحُصرتُ عند كلامه هيبةً له فانتدبَ أبو تمامٍ النيسابوريُ فقال: أيُّها الملك إنَّا وإن انتهينا عمَّا تنهانا عنه طاعةً لك وامتثالاً لرسمك وطلباً للمكان عندك، فإنَّا نطوي من إجلالك وتعظيمكَ ومعرفةِ ما وهب الله لك ولأوليائك ورعيتك بك على ما لا يفسرُهُ بيانٌ ولا يشرحه وصفٌ ولا يُضمرهُ فؤادٌ ولا يُلِمُّ به وهمٌ، ولو استعملنا الخطابةَ في نشر فضائلكَ على ما أوضحهُ أرسطو لكنَّا عند بلوغ الغايةِ والوقوفِ على النهايةِ أعنى بكما، وليس إذا عجزنا عن هذه القاصية يحسن بنا أن نسكت عن تلك الدَّانية، دعنا أيُّها الملك حتى نتلذَّذ بوصفك ونشكر نعَمَ اللهِ علينا بكَ فقد أصبحت بلا ضِدٍ مطاولٍ ولا عدوٍ مُناضِل، وأوضحتَ مناهجَ الحكمةِ بعد دروسها، ودعوْتَ الناس إليها بعد نفورهم منها وجمعْتَ حولك أبناءها وطُلَّابها ثم غمرْتَهُمْ بإحسانكَ وطولك معيناً على اقتباسها، واللهِ ما حملني وأبا سليمان على ما قُلنا تملقٌ ولا خداعٌ لأنَّ هذا ليس من هدينا وسيرتنا، ولو كان ذلك فينا لكان

علمنا بكسادهِ عليك وسقوط متعاطيه عنـدك يمنعنا عن ركـوبِ سنامـه وامتطاءِ ظهره.

فقال الملك: نهيتُ أبا سليمان عن شيءٍ قليلٍ فأتيتَ أنت بما أوفى عليه، والله مـا أردتُ بمـا قلتُ إلاّ حسم ضـراوةِ النفس على هـذه الأشيـاءِ التي إذا وصلت إلى القلب عشَّشَتْ وأفرختْ وصارت بصاحبها إلى الفتنـةِ لأنَّ الإنسان عـاشقٌ نفسه، وكيف لا تُعشقُ وهـو يجد بهـا كُلَّ لـذَّةٍ ويقضي لهـا كُـلَّ وطـرٍ ويصل لها كُلِّ هوى وبهذا العشق واصلتِ النفس البدن وبه أطاع البدنُ النفس ولولا هذا ما ائتلفتِ المتعادياتُ فيه، وما اصطلحَتِ المتنـافراتُ لـه، وأنَّ أمراً يورثُ في أصلِ الخلقةِ بالطينة والصورة والشكل والهيئـةِ ثم يُمْنَى بالمُشـاكلةِ والعادةِ والزِّيـادةِ، ثم يُستحكمُ بالهـوى والميل والمحبَّـةِ، راسخَ الأصـلِ ممتدَّ الفرع، عريض الفضاءِ ضليل الظل، وإنَّما جئنا على التماس الحكمةِ وأُكرهنا على أحكام الشريعـةِ لنعدلَ بـأنفسِنَا بـالغلط فيها ولا نُمَكِّنَ غيـرنا من الجنـايةِ عليها بالخداعِ لها، ونعود إلى كلامنا الأوَّلِ فنقولُ من عُـدِمَ شرف النفس لم ينفعـه شـرفُ الحكمـةِ، لأن الحكمـةَ لا تقلِبُ الحمـارَ إنسـانـاً، ولا تجعـل الشيطانَ ملكاً، ولكنها فتنةٌ للنَّفْسِ وأريحيةٌ للروحِ، وطمأنينـةٌ للقلبِ، وأنْسٌ في الوحدةِ، وطريقٌ إلى الرُّشدِ، وسدٌ بين الإنسان والغي.

وكتب الملك: كتب قيصـر إلى كسـرى بِمَ انتـظمتْ مملكتُـكَ واستقـامتْ رعيتُكَ؟ فقال: بثماني خصالٍ: لم أهزُلْ في أمرٍ ولا نهيٍ، ولا أخلفتُ وعـداً ولا وعيـداً، وعاقبتُ للحـزمِ لا للحقدِ، ووليتُ العنـاءَ لا للهـوى، فـاشتملتُ قلوب الرَّعيَّةِ من غيـر كرهٍ، وسهَّلْت الأذنَ من غيـر ضعفٍ، وعممتُ بالقـوَّةِ، وحسمْتُ الفضول، فلمَّا قرأه قال: هذا يجب أن يُكتَبَ بالذَّهَبِ.

وقال أبو سليمان: يخرج منه كتابُ في علم السياسة[1].

---

(1) (أ) أ: ح. ن. وقال الملك: علل النفس ولا تضلِّلها، فإن تعليلها يعـج عليها: وتضليلهـا يحجب عنهـا، وقال: الشـريعة تنـطوي على تنبيه نفس فـاضلة: وجد نفس قـابلة، وتأديب =

## 95 ـ أبو بكر الحسن بن كردة القومسي

هو من قومسةَ قريةٌ من قرى أصفهـان، كان كبيـر الطبقـةِ في الفلسفةِ وهـو تلميذُ يحيى بن عدي، لازمَهُ زماناً، وكتب لنصير الـدولةِ، وكـان حلوَ الكتابـةِ مقبول الجملة مُتوجِّهاً في الآدابِ ومعرفةِ الأشعارِ وسـائر العلوم العـربية، ولـه بهذه الصَّنعةِ بعدهُ أولادُ واخوهُ وغيرهم يتميزون بالفضيلةِ عن غيرهم.

وسئل عن معنى كَوْنِ الـزمان أو المكـان أو الإنسان أشـرف من زمانٍ آخـر ومكانٍ آخر وإنسانٍ آخر، فقال: هذا النوع بإضافةِ الـزمان إلى سعـادةٍ شائعـةٍ فيه وخيرٍ عامٍ وبركةٍ فائضةٍ وخصبٍ عامٍ وشريعةٍ مقبـولةٍ، وخيـراتٍ معقولـةٍ، ومكارمٍ مؤثرةٍ من جهةِ شكلِ الفلكِ بما يقتضيه بعض[1]، وكذلك المكان إذا قابَلهُ جُرْمٌ من هذه الأجرام الشـريفةِ فـأمَّا الـزمان الـذي مفهومـه مقدارُ حـركة الفلك فليس فيه جزءٌ أشرف من جُزءٍ وكـذا المكانُ وكـذا الإنسان لا شـرفَ له على إنسانٍ آخر من حيثُ إتّحـد العام بكـل واحدٍ بـل الشرفُ لـه بالكمـالاتِ العقليَّةِ والأعمالِ الصالحةِ.

## 96 ـ أبو علي أحمد بن مسكويه[2]

هـو من أعيان الزمان، وقد صحب الـوزير أبا محمد المهلّبي في أيـام شبيبته، وكان من خواصِّه ثم اتصل بعد ذلك بخـدمةِ الملك عَضـد الدولـة، وصار من جملةِ النُّـدماءِ والـرُّسلِ إلى أن فـارق الملك الدنيـا ثم تخصصه بـابن العميدِ

---

= نفس جـاهلة، وقال السمـاع يرود الـوصل إلى أمس بـواسطة الـطبيب في صناعتـه الجيدة، وكان رحمه الله محبّاً للحكمة ولأهلها كثير الفضائل لا يصير عن أهلها، كثير الإحسان إليهم ذا أخلاق شريفة وهمة عالية.

(1) ح. ن.: أدواره.

(2) القفطي، ص: 331: أصيبعة، ص: 331.

وابنه أبي الفتح وبالملك صمصامِ الدولةِ وكذلك تخصصه بابن العميد وابنه أبي الفتح وسائر الأكابر إلى وقتنا هذا، مما لا حاجة فيه إلى البيان، وله التّصانيفُ الكثيرةُ في كثيرٍ من فنون العلمِ والحكمةِ، وله الأخلاقُ الكاملَةُ والآدابُ الفاضلةُ، وله من الكتب النورس في علم الأوائل. وتعاليق حواشي كتب المنطق، وله كتب في جميع الرياضيات والطبيعيات.والإلّهيّات والحساب والصنعة والطّبخ وتُقْرأ هذه الكُتب عليه أيامَ مجالسه، وله كتاب المُستوفى في الشعر فهو مختار الشعر ومجموعه المسمى أنسِ الفرِيد وحاو دان جود وله البلاغةُ والخطُّ الحسنُ.

## 97 - أبو النفيس

كان أحفَظَ الناس لنوادر الفلاسفةِ وفقرهم ومُلحهم.

وقيل له كيف ترى الدَّهر؟ فقال: وهوباً لما سلب، سلوباً لما وهب، كالصَّبيّ إذا لعب.

وقال بعضِ الحكماء من الأوائل: المال[1] محبوبٌ من أجل البقاءِ في عالم الكونِ والفسادِ، والدينُ محبوبٌ من أجل البقاءِ في عالم البقاءِ والخلود ومتى ضعُفتْ قوةُ النفس عن التمييز صار توهمها للبقاءِ أبداً في عالم الفناءِ علَّةَ الإستكثار منه.

وقال: العجلة مذهلة، وفي اللجاج بغضٌ، والعجب حيرة، وفي التواني فواتٌ، وأنشد أبو النفيس:

| | |
|---|---|
| في النفسِ والجسم إن فكرتَ معتبرٌ | بل دون ذلك ظلَّ الرَّأي والفكرُ |
| وجاز كل لبيبٍ في اتحادهما | وتلك عينٌ وهذا حكمهُ الأثر |
| إذا نظرتَ رأيتَ العينَ واحدةً | وثم صوبُ صفاءٍ همَّهُ الكدر |

---

(1) ب: الماء.

بـذلك الفيض يـرنو العقـل مخترقـاً أستـــار غيبٍ تجـافى دونــهُ البصــرُ
وتلحظُ المـرء غـايــات الأمـور بــه من قبــل مـذهبــه والغيب مستقــر
يا ليت شعري إذا الأبدان أضمـرهـا يد البلى وحـواهـــا التـربُ والمَــدَر
هـل للنفـوسِ النقـلِ نحـو عـالمهـا كمـا يلعبُ نحـو المـركـزِ الحَجَـر
ليحصـل الفـوزُ في دارِ الخلودِ لهـا وتـنـتـفي دونـهـا الآفــاتُ والغـبــر
أم تضمحِـلُّ كمـا قـد بـان هيكلُهـا فــلا يــحسُّ لــه وردٌ ومــا صــدر
تلوي الشفــاهُ بهـا حـتَّى يـعينهـا بحَيْثُ تبحث عـن أولادِهــا البـقـر
هـذا الذي صـدئَتْ منـه خـواطـرنـا فليس يحلو صـداهـا العلمُ والخبَـر
تفــرَّدَ الله تعــالى بــالعـلم الخـفي ولمْ يشـركـهُ في سـره جنٌ ولا بشـر
فليس يعشـو إلى نـار الهـوى أحَدٌ إلاّ بـتــوفيــقــهِ إن كــان يُعتبـــر

ثم قال: هذه بلابلُ الصـدور وحسرات الأرواح ووسـاوس الكرام من هـذا السَّواد العامر للأرض للآفاتِ على مرِّ الزمـان القديمِ والأعصـرِ الأولِ، وكل تعلّق في نصابه وبحُفْرَةٍ مكره إلى مـدى فطره وتتـطاول بحولِـهِ وطاقتِـهِ إلى ما يناله بسكونِهِ وحركتِهِ واستطاعتِهِ ولا دواء لهذه ولغيرهِ أنجع من صنع اللهِ الذي من جادَ عليه به صحا ومن فاته ذلك منه سكـرَ وذهل، وهب الله تعـالى لنا من العقل ما نعرف به أنفسنا ومن الأدبِ ما نتعاشَرُ به بيننا ومن الكفايةِ مـا نغني به عن امامنا وكـرمائنـا، ومن الشكرِ مـا نستحقُّ المزيـدَ من رَبِّنا، ومن الصبـر ما نتجرَّعُ به مرارةَ حياتنا بِمَنِّهِ وكرمِهِ.

## 98 - إبراهيم بن عدي (صنو يحي)[1]

كان أخصَّ خواصِ أبي نصرٍ الفارابي وملازماً له وله مصنَّفَاتٌ كثيرةٌ.

قـال في بعضهـا: التقسيمُ هبـوطٌ والتحليـل صعــودٌ، والتقسيمُ والتحليـل خادمانِ للحَـدِّ والبرهـانِ، فخِدمَـةُ التقسيم تَبْكِيتُ الوسـائطِ، وخدمـةَ التحليل

(1) البيهقي، ص: 109: صنو يحيى بن عدي.

بالانتقادِ، كما أنَّ حدَّ الإنسان يحلل إلى حيوان وناطِق.

وقال: كُلُّ محدودٍ متصورٌ، وليس كلُّ متصوَّرٍ محدوداً.

## 99 ـ أبو الحسن علي بن أحمد الجوشني[1]

من قدماءِ الحكماءِ.

وقال: القلم العقلُ، واللوحُ النفس، والفلك الأعظمُ العرشُ، والثوابتُ الكرسي، والأفلاك السبعةُ السمواتُ، والأقاليمُ السبعة الأرضُون وأعلى عليين العرش، وأسفل السافلينَ المركَزُ.

## 100 ـ الصاحب أبو محمد البخاري[2]

هو من تلامذةِ أبي سليمانَ السجري، وهو أفضل من اشتدت في علومِ الإسلام عُراهُ وتأكَّدتْ في دقائق الحكمةِ قوتهُ، ولكن دعواه تزيدُ زيادةً غير محصورةٍ على معناهُ، وله حفظٌ قويتْ وثائقهُ، وخاطرٌ استحكت قواعِدُه، وله تصانيفُ حسنةٌ مفيدةٌ.

## 101 ـ أبو البركات البغدادي[3]

كان ابتداء تعلُّمه أنَّه كان يسأل أبا الحسن السَّعيدي هبة اللهِ أن يعلِّمه فلم يقبلْ، لأنَّه لم يقرىء اليهود فصادف بوَّابه، وكان يأتي ويجلس في دهليزهِ ويستمعُ البحثُ مدَّةً فاتفق أنَّه حضر عنده يوماً وتلامذته يبحثُونَ في مسألةٍ، فوقفوا فقال أبو البركاتِ:

---

(1) لم يرد اسمه في البيهقي أو القفطي.

(2) البيهقي، ص: 149.

(3) البيهقي، ص: 152: الفيلسوف أوحد الزمان أبو البركات بن ملكا (ن) الطبيب، القفطي، ص: 343؛ أصيبعة، ص: 374.

العبدُ يستأذِنُ الشيخَ أن يقول ما عنده، فأَذِنَ له، فـأجادَ في الجـوابِ فسأل عن القصةِ، فأخبره الحال، فقال: مَنْ كانت هذه حالـهُ لا يجوز منعـه، وصار من خواصِّ تلامذتِهِ. ومن شعره:

تـنـقَّـل عـن ديـنِ آبـائـه ودينهُـمْ مـذهب الشـافعي
فأضحى بلا مالٍ في المعاش وعنـد المعـادِ بـلا شـافِـع

وهو فيلسوف العـراقيينَ، وله خـاطرٌ وقّـادٌ، وعاش تسعين[1] سنـةً شمسيَّةً، وأصابَهُ الجُذَام فعالج نفسهُ فصحَّ وعمِيَ وبقي أعْمَى مدةً وقـد اتهمه السلطان محمـد بن ملكشاه بسـوءِ علاجٍ وتـدبير فحبسـه مُـدَّةً وفي شهـور سنـةِ سبـعٍ وأربعين وخمسمائة أصابَ السلطانَ مسعود[2] محمـد بن ملكشاه قـولنج بعـدما افترسَه أسدٌ، فحمل من بغداد إلى همدان أبـا البركـات فلما آيس النـاس من حياةِ السلطان خاف أبو البركـاتِ على نفسهِ، ومـاتَ ضحوةً، ومـاتَ السلطان بعد العصرِ، وحُمِلَ تابوتُ أبي البركاتِ إلى بغداد مـع الحاج، ولمـا أخِذَ أبـو البـركاتِ في مصـافِ المُستَـرشِـدِ والسلطان مسعـودُ، وقـرب حينـه أسلم في الحال[3] وحَسُنَ إسلامُه، وقيل إنَّهُ دخل على الخليفـةِ، فقام جميـعُ من حضر إلاّ قـاضي القُضاةِ، فقـال للخليفـةِ إنّـه لم يقُمْ لكـوني ذِميّـاً فـأنـا أسلمُ لئـلاّ يستنقصني.

## 102ـ بهاء الدين أبو محمد الخرقي[4]

كان من حكماءِ مَرْو، وله تصانيفُ في التاريخ، وكان حسن الأخلاق، ومن كلامه: الرياضياتُ تسمى التعاليمَ الأربعةَ، وإنَّما كانت أربَعَـةً لأن موضـوعها الكمية، وهي إمَّا أن تكون متصلةً أومُنفصِلةً، والمتصلَةُ إمَّا متحـركةً أو سـاكنة والمتحركةُ هي الهيئةُ، وغير المتحركةِ هي الهندسةُ، والمنفصلةُ إمَّـا أن يكون

---

(1) أ: ح. ن.: سبعين.
(2) أ: ح. ن.: بن محمد.
(3) أ: ح. ن.: وكان يهودياً فنجا من القتل وخلع عليه السلطان. . .
(4) البيهقي، ص: 155.

لها نسبةٌ تأليفيَّةٌ وهي الموسيقى أو لا تكون وهي الأعداد.

وقال: كمال النفس إدراكُ المعقولات، وجمالها الهندسةُ، والهيئةُ والموسيقى والهندسة صقال النَّفسِ.

## 103 ـ محمد الحارثاني السرخسي[1]

طافَ وساحَ ومسحَ أكثر الأقاليم بأقدامه متطلباً للحكمةِ البالغةِ، وكان في الأدبِ تِلو الجوهري.

وقال الظَّهيرُ: وقد جرى بيني وبينه كلامٌ في أنَّه يجب أن يتقدَّمَ على التصديقِ تصوُّران أو ثلاثة.

وقال: وقد ذكرتُ ذلك في كتاب شرح النجاة من تصنيفي، ومن كلامه: الملِكُ الحقُّ والقيُّومُ أوَّلُ فكر العارفين، والآخر لا سفر أحسن من سفرِ العقلِ في الملكوتِ الأعلى، مَنِ انطبعَ في فصِّ خاتَمِ استعدادَهُ نُقوش الحقائق فقد ذاق اللَّذةَ القُصوى.

## 104 ـ محمود السرخسي[2][3]

كان والدهُ وزير قيسر، وهو تركي استولى على خُوارزمَ، وكان محمودُ حكيماً أديباً فاضلاً، من تلامذةِ أبي البركاتِ اليهودي، واستولى عليه نوعٌ من السَّوْداءِ، فذبح نَفْسَهُ في بعض ليالي الشتاء بسكين القلمِ، ومن كلامهِ قبل موته: من أراد مِنَ الوهمِ مُطابقةَ العقلِ في جميع الأحوالِ كان كسميع استخبر من أصمَّ أو سميع أراد أن يُسمعَ الأصمَّ جميعَ ما يقولُهُ السميعُ.

---

(1) البيهقي، ص: 160: محمد الحارثان السرخسي.
(2) أ: ح. ن.: الخوارزمي.
(3) البيهقي، ص: 161.

## 105 ـ أبو الفتح عبد الرحمن الخازن[1]

كان غلاماً محبوباً رومياً لعلي الخازن المَرْوزِي، وحصل علوم الهندسة وكمل فيها، والمعقولات ما وافَقَتْ طبعَهُ مع جُهده في تحصيلها، وهو الذي صنَّف الزيج المعتبر السنجري وجميع ما فيه من الأوساطِ والتَّعديلات، فيه بحث إلاّ في تقويم عطارد في حال رجوعه، فإنّهُ موافقٌ للرؤية والامتحانِ، وكان نقيَّ الحسب[2] عنِ الأطماع الخسيسة.

وبعثَ إليه السلطان سنجر ألف دينارٍ، فردَّها، وقال: لا أحتاجُ إليه ويفي لي عَشَرة دنانيرَ، ويكفيني كلَّ سنةٍ ثلاثةُ دنانيرَ، وكيف وليس يتَّقي في تلك الدار إلاّ سِنورٌ، وكان يأكل اللَّحم في كلِّ أسبوعٍ ثلاث مراتٍ، ويتغدَّى[3] بحرذقين. وبعثت إليهِ زوجةُ الأمير لاخي آخر بك[4] ألفَ دينارٍ فردَّها أيضاً وكان يلبس لباس الزُّهادِ، ولا يأكُلُ إلاّ طعام الأبرار، والحكيم الحسنُ السمرقنديُّ من جملةِ تلامذتِهِ.

## 106 ـ محمد بن المَعمُوري البيهقي[5][6]

كان تِلوَ بني مُوسى في الرِّياضيات، وكتبَ في المخروطات كتاباً ما سبقهُ أحدٌ إليه، وعمر الخياميّ يعرفُ بتدوينه في تلك العلومِ، واتفق أنَّه ارتحل إلى أصفهان بسبب الرَّصدِ الذي أمَرَ ملكشاهُ، فبقي هناك إلى أيام السُّلطانِ محمد، ولما اتفق إحراقُ أصحاب الجبال والقلاع من الباطنيَّةِ، وأقبل السلطانَ محمد على ذلك رأى المعموري تسيير درجة طالعة مُتَّصلةٌ بنحسٍ

---

(1) البيهقي، ص: 161؛ القفطي، ص: 396.

(2) ب: الجيب (وكذا في البيهقي).

(3) أ: ح. ن.: في كل يوم.

(4) البيهقي، ص: 163. زوجة الأمير لاخي أخور بك.

(5) أ: ح. ن.: أحمد.

(6) البيهقي، ص: 163. ب: محمد بن أحمد المعموري البيهقي.

وشُعـاعِ نحسٍ، فخاف ذلـك الاتصـال، فخـرج من دار السلطان ودخـل دار بعض أصدقائه، وانزوى في زاوية بيته، فلمَّا أخذوا باطنياً وجرُّوهُ إلى موضـعِ الإحراقِ علتِ النسوان والصبيان السُطُوحَ للفـرجةِ، فعبـرت امرأةٌ على سـطح ذلك البيت الذي فيه المعموري فغضِبَتْ امرأةٌ وصاحَتْ: معاشر النّـاسِ، في هذا البيتِ قرمطي، فدخلوا الـدّار وأخذوهُ وقتلوه، فلمـا أخرجـوه مقتولاً عـرفه أولياءُ السلطانِ، فلامُوا العامَّة، ما نفـعَ اللّومُ ولا الحَذَرُ من القضاءِ المحتوم، ولا تأخيرُ الأجل المُسَمَّى ولا المفر من العواقب.

## 107 ـ ظهير الدين عبد الجليل بن عبد الجبار[1]

المفتي أبوه وعمُّه إمامانِ من فحُولةِ الأئمة، واشتغل بتحصيل الحكمةِ طول عمره، وساعدتْهُ العلومُ الـرِّياضيَّة مساعـدةً جميلةً مع أنّـهُ فاز من المعقـولاتِ بحظٍ وافرٍ، وله أخلاقٌ مهذبةٌ وزمانٌ وموقوفٌ على الإفـادةِ والإستفادةِ والعمـل الصالح والرياضةِ وتلاوةِ القرآنِ.

## 108 ـ علي بن شاهك القصاري[2]

الضرير البيهقي، أصابَهُ الجـدريُّ وهو ابنُ تسـع سنينَ فعمي وتعلَّمَ القرآنَ وأصـولُ الأدبِ وفروعَـهُ وحفِظَ الأدْعيةَ الكثيـرةَ والأخبار، ثم اشتغـل بتحصيل الحكمةِ بلا مرشدٍ ولا استـاذٍ، وكان يقـرأُ عليه واحـدٌ فصولاً من المنـطقِ وهو يحفظُهُ ويكرِّرهُ ويتفكرُ فيه حتى وقف على حقائقهِ، فحصَّل المنطقَ والـطبيعي والإلَهيَّ، ثم اشتغل بالرِّياضيات ويقرأُ عليه واحدٌ شكـلاً وهو يحفـظهُ ويتخيّلهُ حتى حصل له المقصود، وكذلك حصَّلَ الأعمال النجوميَّة حتى كان يستخـرجُ

---

(1) البيهقي، ص: 169.

(2) البيهقي، ص: 171.

الطوالع ويُقَوِّمُ الكواكب، وكان يهدي تقاويمه إلى الأركانِ وهذا من العجائبِ ومن لم يرهُ لا يقبل خبره[1].

## 109 ـ أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني[2]

وبيرونُ مدينةٌ في السندِ، وقيل: كان أسمر اللونِ، قصير القامةِ، كثَّ اللحيةِ أبيضها، كبير البطن، شيخٌ مُتوغلٌ في السن، وكان من أجلاءِ

---

(1) من الجدير أن نذكر أن من المفكرين العرب من لم يؤمن بالتنجيم كطريقة للتنبؤ بالمستقبل والخير والشر نتيجة تأثير النجوم والكواكب على الانسان ومن هؤلاء ابن سينا والفارابي والكندي، فيذهب ابن سينا إلى ان تحول قول المنجمين بأثر الكواكب على الناس من نفع أو ضرر إنما هو قول هراء وقد أخذوه تقليداً من غير برهان أو قياس.

وكان الكندي أيضاً لا يؤمن بأثر الأبراج والنجوم على مستقبل الانسان ولا يؤمن بما يدعيه المنجمون في التنبؤات القائمة على حركات الكواكب رغم انه كان من البارزين في علم الفلك ورصد مواقيت الشمس وحركة النجوم.

كما أنكر الفارابي صناعة التنجيم وقال انه من الخطأ الكبير ما يزعمه المنجمون أن بعض الكواكب تجلب السعادة أو سوء الحظ ويقول ان ادعاءات المنجمين من الأمور المشكوك بها مهما كانت قرابتها للصحة.

ويقول ابن حزم: ليس للنجوم تأثير في أعمالنا ولا لها عقل تدبرنا به، الا إذا كان المقصود انها تدبرنا طبيعياً كتدبير الغذاء لنا، وتدبير الماء والهواء، ونحو أثرها في المد والجزر، وتأثير الشمس في عكس الحر وتصعيد الرطوبات، والنجوم لا تدلل على الحوادث المقبلة.

والخلاصة ان علماء العرب كانوا يرون في الفلك علماً رياضياً مبنياً على الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية.

الزيج وعلم الازياج:

وهو من فروع علم الفلك وقد عرفه ابن خلدون في مقدمته بأنه «صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب عن طريق حركة وما أدى اليه برهان الهيئة في وصفة من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك، يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة، ولهذه الصنعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين وتسمى الازياج. . . (المحقق)

(2) البيهقي، ص: 72، أصيبعة، ص: 459.

المهندسين وقد سافر في طلبِ العلم في بلاد الهندِ أربعين سنـةً، وصنَّف كتباً كثيرةً، وله مُنَـاظراتٌ مـع أبي علي ٍ، ولم يكن الخوضُ في بحـارِ المعقولاتِ من شأنه، فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، وزادتْ تصانيفـه على حملِ بعيـرٍ، وكان مُوفَّقاً في هذا السَّعي المشكورِ، وبيرون التي هي منشؤه ومولِدُهُ بلدةٌ طيبةٌ فيها غرائبُ وعجائب، ولا غَرْو فإن: الدُّرُ ساكِنُ الصَّدَفِ.

ومن كلامه: سهولَةُ الشَّيءِ وصُعوبتُه قلَّما يُطلقُ وإنَّمـا يضافـان إليه بحسب اختلاف الأحوالِ فيسهلُ لها من جهةٍ ويتعذرُ من أخرى.

وقال: مُدارسةُ أخلاقِ الحكماءِ والعلماءِ تُحيي السُّنَّةَ الحسنةَ، وتُميتُ بدعةَ السُّنن الصالحة، علاماتُ الخير والحقِّ لكلِ يومٍ أمرٌ حاضرٌ ولكل غدٍ ما فيه. يحدث الأستاذُ أبو ريحانَ البيروني: لهُ في الرِّياضياتِ[1] السبقُ الذي لم يشقّ المحصـرون غبارهُ ولم يلحق المضمـرونَ المجيدونَ مِضْمَـارهُ، قد جعـل الله تعالى الأقسامَ الأربعـةَ له أرضـاً خاشعـةً سحَّتْ له لـواقحُ مُـزنِها، واهتـزتْ به مواقع نبتها، كم مجموعٍ له رفرف على رَوْضِ النجـومِ طلُّهُ، وترفـرت على كبدِ السماءِ ظله، وبلغنيَ أنَّـهُ لما صَنَّفَ القـانون المسعـودي أجـازهُ السلطانُ الشهيد بحمل فيك مِنَ النُّقْرَةِ، فـرَدَّهُ إلى الخزانـةِ فقدر الإستغنـاءِ عنهُ ورفض العادةَ في الإستغناءِ به.

وكان مع المشْيَخَة في التَّعمير وجـلالةِ الحـالِ في عامـةِ الأمورِ مُكِبّـاً على تحصيـلِ العلوم مُنْتَصِبـاً إلى تصنيفِ الكتب بفتـحِ أبـوابهـا وبخط شـواكلِهـا وإقـرائها، ولا تكـادُ تفارقُ يـدهُ القلم، وعينه النَّـظرَ وقلبُهُ الفكـر إلاّ في يومي النُّوروزِ والمهرجانِ مِنَ السنةِ، لإعـدادِ ما تمس إليـهِ الحاجـةُ في المعاش من

(1) أ: ح. ن.: وقيل كان أسمر اللون قصير القامة كث اللحية أبيضها...

بُلْغَةِ الطعامِ وعُلقةِ الـرِّياش[1] ثم هجـراهُ في سائـر أيامِ السَّنَـةِ علم يسفر عن وجههِ قِنَاعُ الأمكال ويحسرُ عن ذراعهِ كمامُ الأعذاقِ.

وحكى القاضي كثير بن يعقوب النورازي النَّحـوي في الدستُـور عن الفقيه أبي الحسنِ علي بن عيسى اللولوانجي، قال: دخلْتُ على أبي الريحان وهو يجـود بنفسِهِ، وقـد شرحَ نَفسـهُ وضاق بـه صدرُهُ، فقـال لي في الحال: كيف قُلْتَ لي يوماً حساب الحدثان الفاسدة؟ فقلت: تعفيني عن ذلك. فقـال: أعدْ ذلـك حتى اعلمكَ الجـذْر الأصمُّ المنطقي. فَقُلْتُ لـه إشفاقـاً عليهِ في هـذه الحالةِ.

فقال لي: يا هذا أودِّعُ الدنيا وأنا عالمٌ بهذه المسألةِ، ألا يكـونُ ذلك خيـرٌ من أن أُخليها وأنا جـاهِلٌ بهـا. فأعـدتَ ذلك عليـه فحفظُه، وعلمني مـا وعد وخـرجْتُ من عنده وأنـا في الطريقِ إذ سمعتَ الصُّـراخَ، وأمَّـا نبـاهـةُ قـدره، وجلالة خطره عند الملوكِ، فقـد بلغني من حَظوتـه لديهم أن شمس المعـالي قـابوس بن وشمكيـر أراد أنْ يَسْتَخْلِصَهُ لِصُحْبَتِـهِ ويـرتبـطه في دارهِ، على أنْ يكون له الأمرُ والطَّاعَةُ في جميعِ ما يحويهِ ملكهُ ويشتملُ عليه مُلكه فأبى عليهِ ولم يُطَاوعْهُ، ولما سمحتْ نفسهُ بذلك لخـوارزمشَاه آواهُ في دارهِ وأنـزلَهُ معـهُ في قصرهِ.

ودخل يوماً خوارَّزم شاه وهو يشـربُ على ظهرِ الـدابةِ فـأمر بـإستدعـائه من الحجـرةِ فأبْـطأ قليلاً فتصـوَّر الأمير على غيـر صورتـهِ ورام النزولَ فسبقـهُ أبـو الريحانُ إلى البروز وناشـدهُ اللهُ تعالى أنْ لا يفعـلْ فتمثَّل خـوارزمْ شاهْ بقـولِ القائلِ: العلمُ مِنْ أشرفِ الولاةِ يأتيهِ كلُ الورى ولا يبالي.

ثم قال: لولا الرسومُ الدنيوية لما استدعيتُكَ، فالعلمُ يعلو ولا يُعْلَى، وكأنَّهُ

(1) من هنا إلى آخر الترجمة غير موجودة في النسخة: ب.

سمع هذا مِنْ أخبار المعتضدِ لما طاف في البستانِ، وقد قـال: جعل يـدهُ بيد ثابت بن قرَّةَ الحـراني إذْ جذبهـا دفعةً، وخـلاها، فقـال ثابت: مـا بدا يا أمير المؤمنين؟ فقال: كانت يدي فوق يدك والعلم يَعلو ولا يُعلى [عليـه].

ولما استبقاه السلطان الماضي بخاصَّةِ أمرهِ كان مفاوضَهُ فيما يسنحُ بخاطرهِ من أمـرِ السَّماءِ والنجـوم. فيحكى أنَّهُ ورد عليـه رسول من أقصى بـلادِ التُّرْكِ وحـدَّثَ بين يديـهِ بما شـاهد فيمـا وراءَ البحر نحـو القُطْبِ الجنـوبي من دورِ الشمس عليه ظاهرةً في كُلِّ دورها فوق[1] بحيثُ يطلُ اللَّيلَ فيسارعُ على عادته في التَّشدُّدِ في الدين إلى نسبةِ الرَّجُلِ إلى الإلحادِ والقرامِطة على براءةِ أولئكَ القوم عن هذه الآفاتِ، حتى قال أبو نصر بن مسكـان: إن هذا لا يـذكرُ ذلـك على رأيٍ يراهُ، ولكنَّهُ عن مشاهدة تحكيهِ وتلا قـولهُ تعـالى: ﴿وجدهـا تطلعُ على قومٍ لم نجعلْ لهم من دونها ستراً﴾ فسأل أبا الرَّيْحانِ عنـهُ فأخـذ يصفُ له ذلك على وجهِ الإختصارِ ويقرره على طريق الإقناعِ.

وكان السلطانُ محمود في بعض الأوقاتِ يُحْسِنُ الإصغاء ويبـذل الإنصافَ فقبل ذلك وانقـطع الحديثُ بينـهُ وبين[2] السلطانِ. فأمـا السلطانَ مسعود فقـد كان له إقبالٌ على علومِ النجوم ومحبَّةٍ بحقائقِ العلومِ. فخاوضَهُ يوماً في هذه المسـألةِ وهـو سبب اختلافِ الليـلِ والنهار في الأرض. وأحبَّ أن يتضـح له برهانُ ما لم يتضح له من ذلك بعيانٍ، فقال له أبو الريحانِ: أنْتَ المنفردُ اليومَ بـامتـلاكِ الخـافقين، والمستحقُّ بـالحقيقـةِ اسمُ ملك الأرض، فـاخلِقْ بهـذه المـرتبةِ إيثـارَ الإطلاق على مجـاري الأمـر وتصـاريف أحـوال الليـلِ والنهـار ومقدارها في عامِرها، وصنَّف له ذلك كتاباً في اعتبار الليل والنهار بطُرقٍ تبعُدُ عن موضوعاتِ المنجِّمين وتَقْرَبُ بصورةٍ من فهم مَنْ لم يرتضِ بهـا ولم يعتدَّ بها ولم يَعْتَدْها.

---

(1) أ: ح. ن.: الأرض.

(2) أ: ح. ن.: ابنه.

وكان السلطانُ الشَّهيدُ قد مَهر بالعربيةِ فسهل وقوفه عليه، وأجزل إحسانَهُ إليه، ولذلك قَدْ صنَّف كتاباً في لوازمِ الحركتينِ بأمرهِ، وهو كتابٌ جليلٌ، لا يزيدُ عليه مقتبسٌ، أكثرُ كلماتِهِ عَنْ آياتٍ مِنْ كتابِ اللهِ تعالى، وكتابِهِ المترجم بالقانونِ المسعودي يغني عن أثَرِ كُلِّ كتابٍ في صَنْعَةِ تَنْجيم أو حسابٍ، وكتابهُ الآخر المنعُوت بالدستورِ الذي صَنَّفَهُ باسم شهابِ الدَّولةِ أبي الفتح مَوْدود بن السلطان الشهيد مستوفي[1] المحاسن.

## 110 - أبو علي عيسى بن أحمد بن زرعة الفيلسوف[2]

كان حكيماً منطقيّاً كاملاً، وكان على دين المسيح، وهو آخِرُ من يُرْتضى نقلُه لكتبِ الحكيم أرَسْطاطاليس، البسائط والجوامع، وقد أثار الوهْجَ فيما نقلهُ من جوامع نيقولاوس وكتاب جالينوس في منافعِ الأعضاءِ وغيره من الكتبِ، ومِمَّا ترجمَهُ من كلامِ أرْسطو قوله: الإنسانيَّةُ أُفقٌ، والإنسانُ مُتحرِّك إلى أُفقهِ بالطَّبع، ودائرٌ على مركزِهِ إلاَّ أنْ يكون مؤوفاً بطبيعتهِ، مخلوطاً بأخلاقٍ بهيميَّة، ومَنْ رفع عصاهُ عن نفسه وألقى حبلهُ على غاربِهِ وسَيبَ هواهُ في مَرْعاهُ؛ ولم يضْبِطْ نفسهُ عمَّا يدعُوهُ إليه طَبْعهُ، وكان ليِّنَ العريكَةِ لإتباع الشهواتِ الرَّديئةِ، فقد خرج عن أُفقِهِ وصار أرْذَل من البهيمةِ بسوءِ إيثاره.

هذا آخِرُ ما ترجَمَهُ من هذا الفصل وهو كما ترى، وعظٌ بحكمةٍ وايقاظٌ برأفةٍ، وتعليمٌ بنصيحةٍ، وإرشادٌ ببيانٍ، وهو كلامٌ في غايةِ الحسنِ، وكل الأوائلِ والأواخرِ يأمُرونَ بهذا، ورُوِيَ هذا للحسنِ البصري ومنصور بن عمارٍ وصرامها[3] وازادوا على ذلك، وقد اتفقتِ الأوائلُ[4] كلها على إصلاح السيرةِ

---

(1) أ: ح. ن.: مرتاب في.

(2) الفهرس، ص: 323، البيهقي، ص: 75، القفطي، ص: 245، أصيبعة، ص: 318.

(3) «كذا» في «أ»، وهي غير واضحة.

(4) أ: ح. ن.: والأواخر.

وتصحيح الاعتقادِ والسَّعي فيما أثمر وأجـدى، وللإعـراضِ عن كل مـا شغل البال وألهى وأثار الشَّهوةِ ليبلغ النَّفسِ غايتها، وتستعدَّ في عاقبتها، ولا يكـون لها عكسٌ في هذا العالمِ، ولا تزدَدْ على ما قَدْ خوَّفَ من ذلك كثير منهم.

ولهُ رسالةٌ في أنَّ علم الحكمةِ أقوى الدَّواعي إلى متابعة الشَّـرع منها، من زعم أنَّ الحكمة تخالفُ الشريعة فهي مفسدةٌ لها مقدِمةٌ غيـر كُليَّةٍ، وتقـريرُهـا أنَّ الحكمة مخالفةٌ للشريعة. وكل ما هو مخـالفٌ للشيء مفسدٌ لـه، والكبرى غير كليَّةٍ فإنَّ الحلاوة تخالفُ البياض ولا تفسـده، والصورة تخـالفُ المادةَ ولا تفسدها، وإذا كانت غير كليَّةٍ فلا تنتج القياس، ومن قال إنَّ الناظر في المنطقِ مستخفٌ بالشريعة، فإنَّ ذلك القائل طاعنٌ في الشريعة لأنَّ كلامه في قوةِ قول من قال، إن الشريعة لا تثبتْ عند البحثِ والتحقيقِ ومنزلتهُ منزلةُ رجـل حامـل الـدراهم المبهرجة التي يهـرب معهـا من النقـاد، ويـأنس بِمَنْ ليس من أهـل المعرفة، فمن قـال: إنَّ الحكمة تفسـدُ الشريعـة فهو الـطاعن في الشريعـة لا المنطقي الذي يميز بين الصدق والكذب.

وقال: قرأت لفيلسوف قبل سقراط قولاً له: ارتفاع موضع العقل على سائر الحسنات التي هو المدبرُ لها كارتفاع موضع العينين على سائـر الأوصال التي يسير بها ويهتدي بهدايتها.

وقال أبو علي: قـال سقراطيس لتلميـذٍ له: أقبـل على إصلاح مـا فيك من الفسـاد بمعونـةِ ما فيـك من الصـلاح. قـال أبـو علي: إنَّمـا هـذا إلى تقسيم الإنسان بين الطبيعة والنفس. فما فيه من الصلاح، فمن ناحية نفسه، وما فيـه من الفساد فمن ناحية طبيعته. فحث بكلامهِ هذا على الإستعانةِ بالنُـطقِ الذي للنَّفْسِ على السفـهِ الذي للطبيعـةِ حتى ينمحق ويبقى أثـرهُ ويكـون كـأنَّـهُ لم يوجدْ. وكمـا قد تكـونُ نفس بعض الناس لغلبـةِ العقل وأفعـاله فيـه كأنَّـه بلا طبيعةٍ، والرياضةُ موضوعةٌ لهذه الغايةِ، والاجتهاد واقع من أجلِ هذه الآفةِ.

وقال أبو علي: قال حنين وثابت بنُ قُـرةَ: إنَّ النقطة والآن والـوحدة بـارزةٌ

عن المقولاتِ العشر، قال: وهذا كذا لأنَّ وجود هذه الأشياء في غاية اللطف والعلو والشرفِ فمن أي وجهٍ والجلالة فلم تُحِطُّ بها مقولةَ ولم يجد لها رسم، فقال له البخاري: فمن أي وجه شعرنا بها؟ قال أومأ إليها العقل إيماءً، والآن هو نقطةٌ ولكن في الزمان، والوحدة نقطة ولكن في العدد، والنقطةُ والآن[1]. ولكن لا في موضعٍ ولا تحت شيء معروفٍ.

وذكر ذلك الحكيم في بعض تصانيفهِ عن أرسطو أنَّه قال: إني رُبَّما خلوتُ بنفسي كثيراً وخلعْتُ بدني فصرتُ كأنّي جوهرٌ مجردٌ بلا بدنٍ فأكون داخلاً في ذاتي وخارجاً عن سائر الأشياءِ سواي فأكون العلم والعالم والمعلوم جميعاً، فأكون خارجاً وداخلاً من سائر الأشياءِ فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء والسَّناءِ، وأبقى متعجباً باهتاً فأعلم عند ذلك إلى جُزْء صغير من أجزاءِ العالم الأعلى الشريف وأني ذو حياة فعاله فلمَّا بقيتُ كذلك ترقيتُ بذهني من ذلك العالم إلى العوالم العليَّةِ الإلّهيَّةِ فصرتُ كأنّي موضوعٌ فيها معلَّقٌ بها فأكون فوق العالم العقلي، فعند ذلك يلمع لي من النور والبهاءِ فأرى كأني واقفٌ في ذلك الموقفِ الشريف، وأرى هنالك من البهاء والنور ما لا يقدرُ الألسنُ على وصفه والاسماعُ على قبول نعته فإذا استغرقني الشأنُ وبلغت طاقتي وغلبني ذلك النور والبهاء، ولم أقدر على احتماله هبطتُ من العقل إلى عالم الفكرةِ، وحجبتِ الفكرةُ عني ذلك النور فأقضي عجباً أني كيف انحدرتُ من هذا العالم، وعجبتُ أني كيف رأيتُ نفسي ممتلئةٌ نوراً وهي مع البدن كهيئتها، فعند ذلك تذكَّرت قول أخي أرقليرطوس حيث أمر بالطلب والبحثِ عن جوهر النفس الشريف بالصعودِ إلى عالمِ العقلِ وهذا الكلامُ له طويل، وهو يروم أنْ يكتب هذه المقالةُ[2] اللطيفةُ فيمنعهُ العجزُ الكتابي عن إدراك ما عندَهُ. شعر:

الجوع يدفع بالرَّغيفِ اليابسِ      فعلامَ أكثر حسرتي ووسْوَاسي[3]

---

(1) أ: ح. ن.: آن.

(2) أ: ح. ن.: منها.

(3) «كذا» في «أ»، والصواب: وساوسي (كما يتطلبه سياق القافية والوزن).

والمـوتُ أنصف حين ساوى حكمـهُ          بين الخليفـةِ والفقيـر البـائسِ[1]

## 111 ـ أبو الحسن بن هارون الحراني[2]

طبيبٌ ماهرٌ وحيكمٌ متفلسفٌ، والغالب عليه علم الرياضةِ والطبِّ.

وقال: عليك في مشورتكَ بالخبير العـالمِ غير الحسـودِ فإنَّ الجبـان يُضَيِّقُ الأمـور والبخيل يقصِّـرُ في طلبِ الغايـاتِ، والحريص يـطلبُ الأمور من غيـر استكمالِ الآلاتِ والأسبابِ.

## 112 ـ ابن سيار الطبيب[3]

كان حكيماً طبيبـاً، وكان يعـالجُ أصحـابَ الحمياتِ معـالجَة شـافيةً، ولـه تصانيفُ في الحكمةِ والطبِّ، وكان في صنـاعةِ المنـطقِ من الظَّاهـرين، ومن كلماته: لا تَزْهُ تَنَلْ[4] معالي الأمور بكثرةِ الأعوانِ[5].

## 113 ـ أبو محمد سليمان بن طاهر بن بهرام السجستاني[6]

مُصنِّف كتاب صوان الحكمةِ، كان حكيماً، له تصانيف كثيرةٌ، أكثـرها في المعقولاتِ منها رسالةٌ في إقتصـاصِ طرق الفضـائلِ، ورسـالة في المُحـرِّكِ الأولِ ولما قدِمَ ابنُ العميد إلى بغداد وجَّه من يحرِّكهُ لزيارتهِ فأبى.

وقـال: إنَّ فيلسوفـاً من يـونـان دعـاهُ ملكٌ إلى مثـل ذلـك، فـاستعفى من الحضورِ فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ الملوكَ يعرضُ لهم ما يعرضُ لمن بُصِّرَ

---

(1) هذه الأبيات غير موجودة في النسخة: ب.

(2) البيهقي، ص: 79، أصيبعة، ص: 307: أبو الحسن بن زهرون الحراني.

(3) البيهقي، ص: 80، أصيبعة، ص: 319، وهو غير موجود بالنسخة: ب.

(4) البيهقي، ص: 80، لا يرجى نيل.

(5) أ: ح. ن.: ولكن بصلحاء الأعوان.

(6) الفهرست، ص: 322، أصيبعة، ص: 28، القفطي، ص: 282، أصيبعة، ص: 427.

بصورةٍ، فإنّه ما دام يراها من بعيدٍ فهو يعجب بها فإذا دنـا منها لم يـرَ موضـع تعجبٍ ثم قال: إنَّ السامـعَ بحديثِ من يـذكرُ يقتني بعقلهِ صـورةً عقليَّةً نقيَّـةً شـريفةً بهيَّـةً، فإذا ابتـدل البصرُ ذلـك المذكـور حطَّهُ إلى الصـورةِ الطبيعية، والصـورة الطبيعيَّـةُ في المشايـخ وأهل الفضـل محطوطـةٌ عن الصورةِ العقليَّـةِ فيُعرض للناظر إلى من يسمعُ به ما تحدَّث فيه درايةٌ إلاّ أن يكون السامع عارفاً بـذلـك الأمـرِ بحيث إذا رأى تلك الصـورةَ لا تنحطُّ عن العقليـةِ إلى الصـورةِ الحسِّيَّةِ، وهذا رجلٌ فاضلٌ متألِّهٌ، غزيرُ العلمِ، تام الحكمـةِ، أخذ عن يحيى بن عَدِي، ولهُ نظرٌ في الأدبِ والشِّعْرِ، ومن شعرهِ:

لا تحســدَنَّ على تـظاهُــرِ نِعْـمَـةٍ ... شخصـاً تَبيتُ لـه المنـونُ بِمَـرْصَـدِ
أوَلَـيْسَ بـعــد بـلوغــهِ آمــالــهُ ... يُفْضي إلى عَــدَمٍ كـأن لم يـوجَـدِ
لَـوْ كنتُ أحْسُدُ مـا تجاوزَ خـاطـري ... حسـد النُّجـوم على بقـاءِ السَّـرْمَــدِ

ومن[1] كلامهِ: الحسُود لا ترجِّ الاستمتاع به، وكيف تُرجي الإستمتاع مِنْ مَنْ مضـرتُهُ تنـالُ القريب فضـلاً عن الغريبِ. وأبـو سليمان المُصَنِّفُ لصـوانِ الحكمةِ كان في أيـام شَيبتِهِ يتعـانى الفقهَ مُتَمسِّكـاً بطريقـةِ العفافِ والسَّـدادِ، وكـان يتناولُ من الشـرابِ المختلفِ على مـذهب أبي حنيفـةَ لكـونـهِ حنفيـاً، صحِبَ أبـا جعفرٍ بن بـابويـه مَلِكَ سجستانَ، وذكـر أبو حيَّـان، إنَّني رأيتُ أبا سليمـانَ هذا في المنـامِ كأنَّـهُ غائصٌ في نـورٍ على غير الهيئـة التي كنت أراهُ عليهـا في الحياةِ، فقلتُ: يـاسيِّـدي إذا كُنْتَ من الهيـولى والصـورةِ. فكيف أصيرُ مع إحداهما وأترك الأخرى وأنا بهما ومنهمـا. فقال لي: كمـا تصيرُ مـع أبيك وتهرُبُ من أمِّكَ لعلمكَ أنّ أبـاك أهدى إلى مصلحتـكَ وأعرف بـوصول الفائدةِ أليكَ، وأنظر لـك في جميع أحـوالك، قلتُ: صـدقْتَ يا سيِّـدي، إلاّ إني بالهيولى أكثر، فقال: أنت بالهيولى أكثرُ طيناً وبالصورةِ أكثرُ عقلاً، وقليلُ القوى أكثر وأجدى من كثير الضَّعيفِ، فكيف كثير القوى مع قليل الضعيف.

---

(1) من هنا إلى آخر الترجمة غير موجود بالنسخة: ب.

حكى أبو سليمان ببغداد سنة سبعين وثلثمائةٍ أنّه رأى يحيى بن عدي في المنامِ، فقال: سعدْتَ يا أبا سليمان إني رأيتُ أرَسْطو في المنامِ، فقلت له: ياحكيمَ العالم بِمَ صرتَ في حالكَ هذه؟ فقال: بإرادةِ الخير في السرِّ والعلانية للصَّالح والطالحِ في الرِّضا والغضبِ دائماً. فقلتُ له: بِمَ نِلْتَ هذا؟ قال: بمعرفةِ الإلّهِ تعالى الذي هو سببُ كلِّ خيرٍ، وكُنْتُ في العلَّةِ التي ذكرتُها، أسمعُ أشياءَ في نعتِ الإلّهِ تعالى، وكانت تروقُني ويشتدُّ بها إعجابي، وكنتُ أرى أنّي قد ثقفتُها[1] ووعيتُها، وأردتُ أنَّ اكتُبها فأقول: كيف أكتبُ ويدي لا تُطاوعُني ضعفاً ثم لا حاجة إلى كتابتها، وقد عرفتها وكنتُ أُنَمِّقُ ذلك بإعادتي في تلك الحال التي كانت تُعاقب ذلك الذهول، والعرق بشرارةِ العلَّةِ واحتدادها، فلما أمْللتُ فقدتُ ذلك كُلَّهُ، وبقي معي شيءٌ واحدٌ، وهو أنَّه قيل لي لن يذوق أَحَدٌ حلاوةَ الفلسفةِ الأولى، وإن كان راضياً عن نفسه بفضله رضياً عند إخوانه بأدَبِهِ حتى يسمع باللَّفْظِ ماله حدٌّ ويحدُ بالعقل ما لا حدَّ له، وكنتُ أرى أنَّ الذي سمعتُهُ كان أبسط من هذا وأشدَّ تنقيحاً، إلا أني حصَّلتُ ما كتبتُهُ لك وسمعتُ قائلاً يقول: طيب يا هذا، بيتك الذي أنت فيه ساكنٌ حتى تنعم، ولا يجاورنَّكَ فيه من لا تأمَنُ غائلتَهُ حتى تسلم، وسمعتُ أيضاً ما أنهاك عن مبادئك واغفلك عن آخر حالك، وما أجلبك للفسادِ بين هذا وذلك. وخرج أبو سليمان يوماً ببغداد إلى الصحراءِ في الربيع للتّفرج والمؤانسةِ مع أصحابه ومعهم صبيٌّ دون البلوغ، جَهم الوجهه، بغيض المحيَّا، إلاَّ أنَّ صوتَهُ في غايةِ الحسنِ، وأطرافهُ حلوةٌ ومعهُ جماعةٌ[2]. شتى فتيان المحلةِ كلهم أُدباءُ، فلما تنفَّسَ الوقت أخذ الصبيُ في فنِّهِ وبلغ أقصى ما عنده فترنَّح أصحابُه وطربوا، فقال أبو زكرياء الضَّيمري: قلتُ لصاحبٍ لي: أما ترى ما يعمل شجى هذا الصوتِ، ونـدا هذا الحلقِ، وطيب هذا اللحنِ، وتفنُّن هذا النغمِ، فقال: لو كان لهذا من يخرجهُ ويعنى

(1) أ: ح. ن.: فهمتها.

(2) أ: ح. ن.: من.

به ويأخذهُ بالطَّريق المؤلفةِ والألحان المختلفةِ، لكـان يُظهرُ آيةً، ويصيـر فتنةً فإنّه عجيبُ الطَّبْعِ وبديع الفنِّ.

قال أبو سليمان: حدثوني عن الطبيعة، لم احتاجت إلى الصناعة والصناعةُ محاكيةٌ للطبيعةِ[1] وتروم اللحاقَ بها والقُرْب منها وهي دُونها وهذا رأيٌ صحيحٌ والصناعةُ إنَّما حكتِ الطبيعـةَ وتبعت رسمها، وقضت أثـرها الانحـطاطِ رتبتها عنها، وقد زعمت أنَّ هذا الصبيَ لم تكفِهِ الطبيعةُ بـل احتاجت إلى الصنـاعةِ ليكون الكمال مستفاداً بها ومأخوذاً من جهتها، والغايةُ مبلوغةٌ بمعونتها، وقلنـا له: يوم ندري وإنَّها لمسألةٌ، قال: ففكروا، فقلنا له: لو مننْتَ بالبيانِ ونشطتُ لنشر الفائدةِ، كان ذلك محسوباً في بعض أياديـكَ وعودِ فضـائلكَ، فقال: إنَّ الطبيعةَ إنَّما احتاجَتْ إلى الصناعة في هـذا المكانِ لأنَّ الصنـاعة هنـا تستملي من النفس والعقـل وتملي على الطبيعـةِ، وقد صـحَّ أنَّ الطبيعـة مـرتبتُهـا دون مرتبةِ النفسِ والعقل وأنَّها تعشق النفس وتقبـلُ آثارهـا وتمتثِلُ أمْـرها، وتكتبُ بإملائهـا، والموسيقى حـاصلٌ للنفس ومـوجودٌ فيهـا على نوعٍ لـطيفٍ وصنفٍ شريفٍ.

فالموسيقار إذا صادف طبيعةً قابلةً ومادةً مُسْتَجيبةً وقريحةً مؤاتيةً وآلةً مُنْقادةً أفرغ عليها بتأييدِ العقلِ والنفسِ لبوساً مؤنقاً وتـأليفاً مُعْجبـاً، وأعطاهـا صورةً معشوقةً وحِليةً مرموقةً، وقوَّتهُ في ذلـك تكون بمـواصلةِ النفس الناطقـةِ، فمن هاهنا احتاجتِ الطبيعةُ إلى الصناعةِ لأنَّها وصلت إلى كمـالها من جهـةِ النفس الناطقةِ بوساطةِ الصناعةِ الحادقةِ التي من شأنها استملاءُ مـا ليس لها وإملاء ما يحصلُ فيها استكمالاً بما تـأخذ وإكمـالاً لما يُعـطى، فحينئذٍ شكـرهُ البُخاري وأثنى عليـه. فقال: هـدايتكم اقتبستُ وبحجركم قـدحتُ، وإلى ضوءِ نـاركُم عشوتُ. وإذا صفا ضمير الصَّديقِ للصَّديقِ أضاءَ الحقُّ بينهمـا واشتمل الخيـرُ عليهما، وصار كلُّ واحدٍ منهما رداءً لصاحبِهِ عوناً على قصده، وسبباً قويـاً في

---

(1) أ: ح. ن.: هي.

نيلِ إرادته ودرْك بُغيته، ولا عجب من هذا فإنَّ النفوس تتقادحُ، والعقول تتلاقحُ، والألسِنَةَ تتفاتَحُ، وأسرار هذا الإنسان الذي هو العالم الصغيرُ في هذا العالم الكبير كثيرةٌ واسعةٌ مبنيةٌ، لكن يحتاجُ النَّاظرُ في هذا النَّمطِ إلى عنايتِهِ بنفسه في طلب سعادته ودعائه لحاله في السلوك إلى غايته مِنْ غير تلفُتٍ إلى الحسنِ.

## 114 - عيسى بن علي بن عيسى بن الجرَّاح (1)

كان هذا الشيخُ كبيراً في علمِ الأوائلِ، جامعاً لِفُنُونِ الفضائلِ، وهو ابنُ علي بن عيسى الوزير، وكان مع توجههِ في هذه العلوم له رأسُ مالٍ في علمِ الحديثِ وعُلو الإسنادِ، والمعرفةِ بالقراءاتِ وسائر الآدابِ والمحاسن، وكان مُلازماً لبيتهِ صائناً لنفسه، إلى أن مات مشتغلاً بالإفادَةِ والتدريس على رثاثةِ حالهِ وكبرِ سنهِ.

قال: ترجمتُ من كلامهم يعني الفلاسفةَ أشياء.

مِنْها قولُ بعضهم: لئنْ تستغني عن الشيءِ وتُكفاهُ خيرٌ من أن تحتاج إليه وتُعطاهُ.

ومنها قولٌ آخر: العاقلُ بخشونةِ العيش مع العقل، آنسُ منه بلين العيش مع السَّفاهَةِ.

ومنها: إذا كان الصَّيادُ يحتال للطيرِ حتى يألفَهُ، فلِمَ لا يحتال العاقلُ للإنسانِ حتى يؤاخيَهُ ويصافيه.

وقال فيلسوفٌ: لذَّاتُ الدنيا ستٌ: ثلاثةٌ تُمَلُّ وهي الأكل والشرب والنكاح، وثلاثةٌ لا تُمَلُّ وهي الطِّيبُ واللباسُ والسُّماعِ.

---

(1) القفطي، ص: 244، أصيبعة، ص: 333.

## 115 ـ غلام زحل وابن الحسين[1]

قال غلام زحل: السماء هي الجسمُ الـذي فيما بين نهـايةِ كـرةِ القمر إلى نهايةِ كرة العالم، وجميع أُكَرِ السماءِ على ما صحَّ عندنا تسعُ أُكُـرٍ أقربُهـا إلينا كرةُ القمر، وسمعتُ بعد هذا ابن سِلس كان يقولُ دون فلك القمرِ فلكانِ هُما سبب المدِّ والجزرِ، ويقطعان الفلك في كل يومٍ وليلةٍ مرتين، وكان هـذا من آرائه التي تَفَرَّدَ بها، ولم أجِدْ أحداً يُوافِقه على هذا، والعجبُ من هذا الرجلِ كيف خالف الأوائلَ الذين أقاموا البرهانَ على خلافَ دعواهُ. والصناعةُ برهانيَّةٌ ولا برهان له على إثباتِ هذين الفلكين.

ولـه أيضاً أشيـاءُ أُخَرُ أنْشـأها رأيـاً من تلقـاءِ نفسـه، وأعجب لهـا إعجـابـاً شديداً، ودعا إليها في الطبيعيَّاتِ والإلَهيَّاتِ، وقـد ذكر أبـو حيَّان هـذه الآراءَ في رسالةٍ له إلى بعض إخوانه، ومات هذا الرجلُ أعني أبا سعيدٍ صاحب هذه الأقوالِ لتسعٍ خلوْنَ من ذي القَعْدَةِ سنة ستٍ وثمانين وثلاثمائة.

## 116 ـ أبو تمام النيسابوري

هو من فحول الحكماء والمُبرزين في هذه الصناعةِ، وتصانيفهُ كثيرةٌ، منهـا رسالةٌ في الحـدودِ ما صنَّف أحـدٌ مثلها، ومن كلمـاتهِ، قـال بعض الحكماءِ: الحـركاتُ الـطبيعيَّةُ ستٌّ: حـركةُ الكـون، وحركـةُ الفساد، وحـركةُ الـذبول، وحركةُ الإضمحلالِ، وحركةُ الإنتقالِ، وحركةُ الإستحالةِ، ولكلِّ حركـةٍ فعلٌ خاصٌ من الأفعالِ الـطَّبيعيَّةِ. وكـذلك لكـل حدٍّ من الحـدودِ السِّتَةِ، شـرفٌ، وفضلٌ، وعلمٌ، وأدبٌ، وعملٌ يدلُّ على قوَّتها وكمالها.

قال الأستاذ برهانُ الحقِّ فخـر الدين الغضنفـرُ أفاض اللهُ تعـالى على نفسه تقديساً: ليس قولُ القائل بأنَّ للأوائلِ برهاناً على خلافِ دعـوى الرَّجُـل بحق

(1) الفهرست، ص: 342، القفطي، ص: 224؛ عبيد الله بن الحسن أبو القاسم.

ولا مطابقٍ لما اعتقَدَهُ المُبرِّزون، ولا موافقاً لقول الحكيم أرسطو عند تجويـزه كور الأكرِ أكثر من السَّبْعةِ، ولا لأفلاطُنْ وبطلميُوس عند إنسابهما الحركةَ إلى الميسوراتِ، ثمَّ إنَّ الرَّجل وهو صاحبُ الجامـع الأكبرِ وغيـرهُ هو أعـظمُ قدْراً وأجلُّ خطراً في أنْ يُظَنَّ به أنَّه يجازفُ أو يغلطُ، بل هو في الـطَّبقةِ العليـا من الحكمةِ وخاصةً في الأقسام الرياضيَّـةِ التعليميَّة، ولـه رتبةُ الإستقـلال والتَّفرُّدِ في النَّـظر والمقـال، ومن لـه فِـطْنَـةٌ وقـوةُ تمييـزٍ بعـد إحـاطـةِ معلوم الأوائـل والمحدثين يتحققُ عنده أنَّ الرجُلَ أعظمُ قدْراً من أن يُبْطل قوله بقول غيره من غير عكسٍ.

قال كاتبهُ: نقلته من خطه قدَّس الله تعالى سرَّهُ؛ وأما البديهي فـإنَّهُ صحب يحيى بنُ عدي دهراً طويلاً.

وقـال: الوجـود وجودان حسِّيٌّ وعقلي، ولكُـلٍّ واحدٍ من هـذين الوجـودين وجودٌ بحسبِ ما هو به مـوجودٌ إمَّـا حسِّيٌّ وإمَّا عقليٌّ. فعلى هـذا، النَّفسُ لها عـدمٌ في أحد الـوجودينِ وهـو الحِسِّيُّ ولهـا وجـودٌ في القسم الآخـرِ، فتبسطَ وتعقِلُ وتستبطن، وتنظم المُقدِّماتِ وتدلُ على ما يتبع المعلومـاتِ، ويعلو إلى غايةِ الغاياتِ، وليس للحسِّ معها شركةٌ لا لهُ عندها معونةٌ، ثم قال: وكيف لا تكونُ النَّفسَ كذلك وجوهرها أعلى وخاصتُها أسنى، وهذه الأشياءُ عنها أبعد، وعن شرفها أهبطُ، ثم قـال: ولطائِفُ الحكمـةِ لا يصل إليهـا الحسِّي الجافي والغليظ الصلف وإنَّما يصل إليهـا من صح ذهنـه، واتسع فكـره، ودقَّ بحثُه، ورقَّ تصفُّحه، واستقامتْ عادته، واستشار عقله، وعذب بيـانه، وقـرب اتقانـه قيل له[1] عزيزٌ جداً.

## 117 ـ النوشجاني

قال يوماً وعندهُ جماعةٌ مِنْ أصحابِهِ: قَدْ وضَحَ بالعبرةِ الصَّحيحـةِ والتَّصفحِ

---

(1) أ: ح. ن.: هذا.

الشافي والنَّظرِ البليغ أنَّ الفاعلَ الأوَّلَ الذي هو علَّة كلٍّ ما يرى ويوجد ويعقَل ويحسنُ لا قَصدَ لهُ في أفعالهِ ولا مزاولة ولا مُحاوَلة.

فقال له بعضُ الحاضرين: لو أيَّدْتَ هذا ببرهانٍ ساطعٍ أو بدليلَ مُقنعٍ، كنتَ قَدْ شَيَّدتَ ما أسَّستَ، فقال: لأن كُلَّ هذه دخلت أفعالنا لعجْزِنا وفشولِنا وانحِطاطِنا وضَعفِنا وسيلاننا وبُطْلانِنا، فانجبرَت مكاسراتُها وتَمت مناقصنا بمواصَلتها وانسدت معاقرنا باستعمالها، فأمَّا الباريءُ الحقُّ الذي هو واجبُ كلٍّ كاملٍ كمالهُ، وجابرُ كُلِ ناقصٍ نَقْصُه، فهو على غير هذه الأغراض والعِلَل.

فقال له السائلُ: فكيف اتفقنَا على أنَّه منعوتٌ بالحكمةِ، وأفعاله على ما زعمت؟ فكيف التَّخلُّص من هذا؟ فقال: لعمْري أنَّ إيضاحه لصعبٌ. ثمَّ صنَّف في ذلك رسالة طويلةً لا يليقُ ذكرُها هَهُنا.

## 118 ـ أبو القاسم الأنطاكي

وهو المجتبى[1] وأبو زكريا الصَّيمري وطلحةُ التَّقي ووهبُ بنُ يعيشُ الرَّاقي ونظيفُ الرُّومي وأبو مُحمد العروضي، فكانوا حكماء أفاضِل لم نظفرْ بتواريخهم على ما ينبغي، وكانت أزمانُهم متقاربة.

## 119 ـ أبو إسحق الصابي

## 120 ـ أبو الخطَّاب الصابي

وأما أبو إسحق الصابي وابنه عمهِ أبو الخطَّاب الصابي[2] فكانا مِنْ الحكماء الفَضلاء، وأمَّا في الأدبِ فمِنَ المشَاهيرِ، قال أبو حيَّان:

---

(1) القفطي، ص: 234.

(2) أصيبعة، ص: 343.

سمعتُ أبـا إسحق الصـابي الكـاتب يقـول لأبي الخطابِ: إعـلَمْ[1] المـذاهبَ والمقـالاتِ والنحـلَ والآراءَ وجميع مـا اختلف النـاس فيـه وعليـه كدائرةٍ في العقلِ فمتى فُرِضَ فيها قولٌ وجُعلَ مَبدَأ الأقوال انتهى مِنهُ إلى آخرِ ما يمكن أنْ يقال فليس من قولٍ إلاّ وقد قيل أو يقالُ، وليس منْ فعلٍ إلا وقد فُعلَ أو سيُفعَلُ، وليس مِنْ شيءٍ بعلم إلاّ وقد عُلِم أو يُعلمُ. وهكذا في الـظنِّ والـرَّأي وغير ذلـك، وهذا عـامٌ في كلِّ شيءٍ، وذلـك أنَّـك لا تُشيـرُ إلى رأي وتخيُّلةٍ إلاّ أمكنكَ أن تظنَّ به كلَّ ما ظُنَّ ويُظنُّ.

وتقولُ كلَّ ما قيلَ ويقالُ وإنما يضيقُ نجمُ أحدنا وينفتح مُشربُ الآخرِ، لأنّ الخاطرَ يسْنحُ مرةً ولا يسنـح مرةً، والقلبُ يتسـعُ مَرةً ولا يتَّسِـعُ مَرَّة، واللسـانُ ينطلقُ مرةً ولا ينطلِقُ أخرى.

فقـال أبو الخـطاب: هل للخـواطِرِ والألفـاظِ والآراءِ والمقـالاتِ نسبـةٌ الى المزاج والطَّبيعـة والهواءِ وإلى العنـاصرِ بـالجملةِ؟ فقال: نعم، لهـا نسبةٌ إلى المـزاج والطينـة والهواء، وإلى العنـاصر بـالجملة، فقال: نعم لهـا نسبة إلى المزاج، لها نسبةٌ قويةٌ وعلاقةٌ شديدةٌ ورباطٌ متينٌ إلى هـذهِ الأمورِ التي تبـطن فيه أو تُطيِّفُ بهِ، أو تُطلُّ عليهِ، ولا سبيل مع ذلك إلى اتفاقِ النَّاسِ في حالٍ من الأحـوالِ، ولا سبيل من السُّبـلِ ولو أمكنَ ذلـك لوُجِـدَ. ألا تَـرىَ أنّـه لا سبيل إلى أنْ يكونَ النَّاسُ كُلُّهمُ طوالَ القدودِ أو قِصارَها، أو ضخامَ الرؤوسِ أو صغارَها، أو فصحاءَ الألسنَةِ أو لكنَها، وعلى مذهبٍ واحدٍ ومقالةٍ واحدةٍ.

كيف يكون لهذا أو يُظنُّ، والطَّبيعةُ إنَّما تُعْـطي صورتهـا لكل شيءٍ بحسبِ قبولِهِ وتهيُّئِهِ ومؤاتاتِهِ، فليس الزائدُ من عطيةِ الطَّبيعـة، ولكن على قَدْرِ قبـولهِ، وصلابة الحجـرِ منْ عطيةِ الطَّبيعةِ، ولكن على قدرِهِ، فـإختلافُ الصُّـورِ إنَّما نشأ من جهةِ اختلافِ الموادِ، وهذا أصلٌ لا أصلَ لهُ وعِلَّةٌ لا عِلَّةَ لها، لأنَّهُ لم

(1) أ: ح. ن.: أنَّ.

يَفعلُهُ فـاعِلٌ على ذلـك، بل الصُّـورةُ من شأنها ذلك هـذا والمادةُ مِنْ شـأنها ذلك، والأمر مستثبتٌ على سننٍ ما ترى، فعلى هذا كلُ أحـدٍ ينتَحِلُ مـا سألـهُ مِزاجَه ونبض عليه عرقُهُ وعَجَنَ به طينتَهَ، وجرى بعد ذلك دينهُ ودَأبهُ.

## 121 ـ أبو الفتح البستي[1]

كـان حكيماً شـاعراً منْ خـدمِ الملوكِ السَّامـانيَّةِ ونـدمـاءِ الأميـرِ خَلفِ بن محمدٍ، واستخدمَهُ الأميرُ ناصِر الـدين سبكتكين، فقال لـه أبو الفتـح: لا تثِقْ بي إلَّا بعدَ أن تُجرِّبني، فإنَّ التَّجربةَ تُزيلُ الشُّبهةَ، وعاش إلى أيامِ السُّلطان. محمد بن محمود، وخلع عليه هذا السُّلطانُ مِراراً.

وقيـلَ هو كـاتِبُ بانتـوز صاحِبُ بست، فـاستحضرَهُ الأميـرُ سبكتكينَ وكان كاتب السلطانِ محمود مدَّة ثمَّ اتَّفَقَ لهُ مفارقة خُرَّاسانَ مـع الخاقـانيَّة، وتـوفيّ بما وراء النَّهر. ومن كلامِ أبي الفتحِ في أشعارهِ:

ولـلأمـور مـواقـيـتٌ مُـقـدَّرةٌ ... وكُـلُّ أمـرٍ لـهُ حـدٌ ومـيـزانُ
فـلا تكُنْ عجـلاً في الأمـرِ تـطلبُـهُ ... فليس يحصـلُ قَبلَ النُّصحِ بحـرانُ
يـا أيُّهـا العـالمُ المـرضيُّ سيـرتُـه ... أبْشِـرْ فـأنتَ بغيـرِ المـاءِ رَيَّـانُ
يا خادِمَ الجسمِ كم تَسعى بخِـدْمَتِهِ ... أتـطلبُ الـرِّبحَ فيمـا فيـهِ خُسْـرانُ
عليْـكَ بالنَّفسِ فـاستكمِل فضـائِلها ... فـأنْتَ بـالنَّفسِ لا بـالجسمِ إنْسـانُ

## 122 ـ الأميـر السيـد زين الـدين إسمـاعيـل أبـو الحسن الجرجَاني[2]

أحيا الطِّبَّ وسائرَ العلومِ بتصانيفِه اللَّطيفةِ، وكان مُرتبطاً بخـوارزم شاه إتـز ابن مُحمدٍ بخوارزم مدةً، وكُتُبُه مباركةٌ، وكان لطيف المعاشرة حسنَ الأخلاق.

---

(1) البيهقي، ص: 49.
(2) البيهقي، ص: 172.

(بياض في الأصل)[1] ما لي أراك يا أخي أيدكَ الله وإيَّايَ بتوفيقٍ شديد السكونِ إلى هذه الدُّنيا الزائلةِ والدَّارِ الفانيةِ، كثير الميل إلى تربيةِ هذا الجسدِ المظلمِ الكثيفِ الذي هو أجمحُ مركبٍ وأخبثُ مسكَنٍ للنَّفس، سهلُ الإنقيادِ لقوتيك الغضبية والشهوانية اللتين تحرك إحداهما إلى الشبعية والأخرى إلى البهيميَّةِ. صعب القيادة عسير الإجابةِ لقُوَّتك العاقلةِ التي تؤويكَ جنَّةَ الماوي، وتُرقِبُكَ الدَّرجة العليا لعلَّك قد انخدعْتَ بل اغْتررْتَ بمُباشرةِ هذه اللَّذات التي كُلّها في الآلام وأيِّ الآمٍ.

أما عَلِمتَ أنَّ اللَّذاتِ الدنيويةِ كُلَّها في الحقيقةِ أكلُ الطيبِ، وشربُ العَذْبِ، ولُبْسُ اللينِ، وركُوبُ الهَملَجِ، وقهرُ العدوِّ، والتمتُّع بالحسناء، وهذه كلها في الحقيقةِ حاجاتٌ متعبةٌ وخصوصاً للعقلاء، وضروراتٌ مزعجةٌ للمُتيقِّظين من العلماءِ، لأنَّ الأكل والشُرب إنَّما هو لدفْعِ ألمِ الجوعِ والعطش واللِّبسِ لدفع ألم الحَرِّ والبردِ، والرُكوب لدفعِ ألمِ المشي، وقهرِ العدو، ولطلب التَّشَفي من ألم الغيظِ، والنكاحُ إنَّما هو طلبُ لذةٍ بدنيَّةٍ بمباشرة عُضوٍ حقُّها أن يَستتِرَ وتستحي عن كشفِهِ، وخصوصاً منَ الرجالِ العقلاءِ الذين يكرهونَ أن يَكشِفوا عن سواعدهم. مثلاً، ثم في تِلكَ الحال يحتاجُ إلى كشفِ عضوهِ المستترِ ويُضطرُّ إلى كشفِ مثلِهِ مِنَ المفعولِ فما أخسَّ هذه اللَّذةَ عِنْدَ العاقِل المتيقِّظ، وما أهونها عليهِ، وما أقبحها عِندهُ، وما أفضحَها لديهِ ثمَّ الحاجةُ غير طيِّبةٍ ولذيذةٍ في ذاتِها، وهذه الأحوالُ كما ترى حاجاتٌ، والحاجات آلامٌ ولو كانت فيها فضيلةٌ لما استغْنت الملائكةُ المكرَّمونَ المقرَّبون عنها ولا ترهب منها، وكُلُّ اللذةِ في أنْ لا يؤلم جوعٌ[2] ولا يؤذي حَرٌ ولا برْدٌ ولا ينغص العَيش حَردٌ ولا غضبٌ، ولقد صحبتُ من إذا جاع صبر طويلاً، ثم إذا قُدِّم إليه الطعام بكى ثم أكل.

وكان يقولُ: اللَّهُمَّ أنت خلقتني وأنْتَ أحوجتني وبالخطابِ أكرمتني، فهَبْ

---

(1) أ: ح. ن.: وهذه رسالةٌ له.

(2) أ: ح. ن.: ولا يؤذي عطش ولا يتعب مشي.

لي ما وعدتني وكـان هذا الكـلامُ شكايـةً من هذا الصَّـديق من الم الحاجـةِ، نعم منْ عرف كنه ألم الشيء فإنَّ تألُّمـهُ بهِ يكـونُ أشدَّ وأكبـرَ وأتمَّ وأبلغَ، وأنا منذُ زمانٍ استعملُ هذا الدُّعاءَ وأقـول: اللَّهُمَّ إني أسألـكُ غير مُتحكمٍ عليـك أن تكفيني مؤُنـةَ هذا الجسـدِ الذي هـو سببُ كل مَـذلَّةٍ وأصـلُ كل حـاجـةٍ، والجـاذِبُ إلى كلِّ بليَّـةٍ، والطَّالبُ لكـلِّ خطيئـةٍ وأن تُيسِّر الخـلاصَ منهُ على أسهل وجدٍ وأفضل حالٍ إلى خير معادٍ وأحسنِ بالٍ بمنِّك وفضلكَ يـاذا المَنِّ والأفضـال، فإن رأيتَ أن تـوافقني في استعمـالـهِ فخفِّف رجلكَ وشَمِّـرْ ذَيْلَكَ وارْخِ علَّتَكَ، وقصِّرْ أملك، وطَهِّر خلقك، ونقِّ طرفَكَ تكتفِ وتَسلَمْ وتَذُقْ ولا تَنْدمَ والسَّلام.

## 123 ـ أبو الحسن محمد بن يوسف العامري[1]

تفلسف بخُراسان، وقـرأ على أبي زيدٍ البلخي[2]، وقصـد بغداد، وتصـدَّر بها، ولم يرضَ أخـلاق أهلها، وعـاد وهو فيسلوفٌ تـامٌ. شرح كتبَ أرسْـطو، وشاخ فيها، وله كتابُ الأمدِ على الأبد.

وقـال: الفـطنُ مَنِ استَفْـرغَ أيـامـه لأداء مـا خلق لـهُ، والمغبـوطُ من كفى الإهتمام بما يَشغلهُ عن الخيرِ المطلقِ، والحميَّة أنْ تدع أبداً في الشَّهوةِ بقيةً. ومن استَعملَ الصَّلفَ والإغترار فقد فَسُدَ خُلقُهُ.

وقال في صفةِ الباري تعالى: ظهـوره منعةُ من إدراكـهِ لإخفائـه. أُنْظرْ إلى الشمس هل مَنَعَك من مقابلةِ قُرْصِها إلاَّ شِدَّة شُعاعِها وانتشـارُ نُورِهـا، وهكذا العقلُ والنَّفسُ ظاهِرانِ غيرُ خفيَّانِ، ومَكشُوفان لا مَسْتورانِ.

(1) البيهقي، ص: 17.
(2) البيهقي، ص: 52.

# 124 ـ شرف الملك أبو علي الحسين بن عبدالله ابن سينا البخاري[1]

كان أبوه رجلاً من أهلِ بلخ مِنَ الكفاةِ والعُمالِ، وانتقل إلى بُخارى في أيامِ الأميرَ الحميدَ ملكِ المشرقِ نوح بن منصور. واشتغل بالتَّصرُّف، وتولَّى العمل بقرية يقال لها جرمتين من قرى بُخارى، وهي من أمَّهاتِ القرى، وبقربها قرية يقال لها أفْشَنَة، وتزوج أبوه منها امرأةً اسْمُها سِتَارَه، ووُلِدَ أبو علي بهذه القرية في صفر من سنةِ سبعين وثلاثمائة، الطَّالِع السَّرطان درجة شرف المُشتَري، والقمرُ على درجةِ شرفهِ، والشَّمسُ على درجةِ شرفها، والزُّهرةُ على درجةِ شرفها، وسهم السعادةِ في وسط مِنَ السرطانِ، وسهمُ الغيبِ في أوَّلِ السَّرطانِ مع سُهَيْل والشِعْرى اليمانيَّة، ثمَّ وُلِدَ أخوه محمود بعده بخمْسِ سنين، ثمَّ انتقلوا إلى بخارى وحضر أبو علي مُعلِّم القرآنِ ومُعلِّم الأدبِ، فلما بلغ عَشَرَ سنين حَفِظَ أشياءَ من أصول الأدبِ، وأبوه كان يطالعُ رسائل إخوانِ الصَّفا، وهو يتأملهُ أحياناً، وأبوه يُوجِّههُ إلى بقَّالٍ يتعلَّم عليه حساب الهندِ والجبرِ والمقابلة، يقال له محمودُ المسَّاح. ثمّ توجَّه تلقاءَ بُخارى أبو عبدالله الناتلي، فأنزله أبوه وآواه وأكرمهُ.

وكان أبو علي يختلفُ في الفقهِ إلى اسماعيل الزَّاهِد، ويتلَقَّفُ مسائل الخلافِ، ويناظِرُ ويجادلُ، ثم إبتدأ بإيساغوجي على الناتلي حتَّى أحْكَمَ عليهِ المنْطِقَ ثُمَّ إقليدسَّ، ثمَّ المجسطي، فلما فرغ الناتلي من تعليمه توجَّه تِلقاءَ خوارزمْ قاصِداً حضْرَةَ خُوارزم شاه مَأمُون.

واشتغل أبو عليّ بتحصيل العلومِ مِنَ الطَّبيعي والإلهيِّ، وينظُرُ في النُصوصِ والشُّروحِ، وانْفَتَحَتْ عليه أبواب العلومِ ثمَّ رغب في علم الطِبِّ، وتأمَّلَ الكُتب المُصنَّفة فيه، وعِلمُ الطِّب ليس مِنَ العلومِ الصَّعبةِ فلا جرم

---

(1) القفطي، ص: 413، أصيبعة، ص: 437.

إن صـار فيه في مـدةٍ قليلةٍ عديم المثـلِ[1] والقرين والنَّـظيرِ، وفضـلاءُ الطِّب يَخْتلِفُونَ إليه ويقرأونَ عليه المعالجَاتِ المقتبسـةِ مِنَ التَّجربـةِ، وهو مـع ذلِك يختلفُ إلى إسماعيل الزَّاهِدِ في الفقهِ.

فلمـا بلغ أثنتي عشرة سنة وأكثر أقبـل بعد ذلـك سنـةً ونصفـاً على العلومِ وأعاد قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفةِ وفي هـذه المدَّةَ مـا نام ليلةً واحـدةً بـطولها، ولا اشتغـل في النَّهار بغيـرْ المطالعـةِ، وجمع بين يـديـهِ ظُهُـوراً من القراطيس وكلُّ حُجَّةٍ يَنْظر فيها يُثبتُ مقدِّماتِها القياسيَّة ويكتبها في تلك الظهورِ ورأى شرائطَ المُقدِّمات، وفَصَلَ ما هو مُنْتج[2] عقيمٌ، وإذا تحيَّر في مسـألةٍ مـا ظَفِرَ فيها بالحدِّ الأوسطِ، تردَّد إلى الجامع وصَلى وابْتَهَل إلى الله تعـالى حتَّى فتح الله عزَّ وجلَّ له ذلِـك، وكان يعـودُ كلَّ ليلةٍ إلى داره، ويضـعُ السِّراجـةَ، ويشتغِلُ بالقراءةِ والكتابةِ، فإذا غلبهُ النَّومُ أو أكـدرهُ ضعفُ مِزاج شَـربَ قدَحـاً من النبيذ.

وكان الحكماءُ المُتَقَدِّمونَ مثل أرَسْطو وأفلاطون وغيـرهم زهاداً. وأبـو علي على غيـرِ سُنَنِهم وشِعارهم. وكـان مَشْغوفـاً بشربِ الخمـرِ واسْتِفْـراغِ القـوى الشهـوانية، ثُم اقتـدى به في الفسقِ والانهمـاك من جاء بعـدهُ فـأحكم جميـع العلومِ ووقف عليها بحسب الإمكان الإنساني، وكُلَّ ما علمه في ذلك الوقتِ فهو كما علمُـه لم يزدَدْ إلى آخـرِ عُمْرِهِ حتَّى فـرغ من المنطِق والـرياضي ولم يبالغ في علمِ الـرِّياضي لأنَّ مَنْ ذاقَ طعم حـلاوةِ المعقولات يصـون تَصَرُّف فكرهِ في الرِّياضيَّات إلاَّ فيما يتصَوَّرهُ مرةَ واحدِةً ويتركُهُ.

ثمَّ أقبل على العلِم الآلهي وقرأ ما بعد الـطَّبيعة وأعـاد قراءتـهُ أربعينَ مرَّةً، وصار له محفوظاً. ماذا يبلغ الوصفُ فيمن قد أشرفَ على الأشيـاءِ بمعرِفتهـا، وتفطَّنَ حقائقَ حقيقتها، وصارتِ الحكمةُ في قبضتِهِ يحطِّمها كالذَّلـولِ المقيَّد

---

(1) أ: ح. ن.: فريد المثل.

(2) أ: ح. ن.: مما هو.

على حَبْلِ ذراعهِ كيف شاءَ آخِذاً باليدِ وبالجملةِ الأطنَاب في مَدْحِهِ يُغالبُ صفحةَ الشَّمسِ ظهوراً ويُكاثرُ عَدَد القطرِ وفُوراً على أنَّ الغالي آمِنٌ من تجنُّبِ الإفراط خائفٌ مِن التَّفريطِ قريبٌ من التَّقصيرِ والتَّعذيرِ، وبمعزلٍ من الإطَالَةِ والتكثيرِ ومع ذلِكَ لا يفهمُه ولا المقصودُ مِنْهُ، وآيس مِن نَفْسِه.

وقال: هذا كتاب لا سبيلَ إلى فَهْمِهِ، فاتَّفقَ أنَّهُ كان يوماً في سوقِ الوَرَّاقينَ فعرض عليه دلاَّلٌ كتاباً،فنادى عليه،فردَّهُ أبو عليٍّ عليه ردَّ مُتَبَرِّم معتقدٍ أن لا فائدةَ في هذا العلمِ، فقال له الدَّلالُ: إشتره فإنَّهُ رخيص بثلاثةِ دراهمَ، وصاحِبُه محتاجٌ إلى ثمنِهِ، فاشتراهُ فإذا هو كتابٌ لأبي نصر الفارابي في أعراضِ كِتَاب ما بعدَ الطَّبيعة، قال: فرجعتُ إلى بيتي وقرأتُه فانحلَّ لي غرضُ ذلك الكتاب بسببِ أنَّه كان لي محفوظاً، ففرحتُ بذلك وتصدَّقْتُ بشيءٍ كثير على الفقراء، شكراً لله عزَّ وجلَّ. وكان ملكُ المشرق وخراسان وفي زمانهِ نوحُ بن منصورٍ فعرضَ له مرضٌ أعجز الأطباءَ، وكان اشتهر بينَهم في التَّوفُرِ على العلم والقراءةِ، فسألوا نوحاً إحضَارَ أبي عليٍّ، فحضر، وشاركهم في معالجتهِ فتوسَّمَ بخدمَتِهِ، فصار أوَّلَ حكيمٍ توسَّمَ بخدْمةِ المُلوكِ. وكان الحكماءُ قبل ذلكَ يَتَنزَّهون عن ذلك، ولا يُقرِّبونَ أبواب السَّلاطين.

وقال: فسأل أبو علي نوحَ بن منصورٍ في الإذْنِ في الدُّخولِ إلى دار كتُبِهِ، فأجيب إلى ذلك، فرأى مِنَ الكتُب ما لمْ يقرعْ أسماعَ النَّاسِ اسْمُهُ، فقرأها وأخذ فوائدها، وعرف مرتَبَة كُلِّ رجلٍ في علمهِ مِنَ المُتَقَدِّمين، فاتَفقَ إحراقُ تلك الدَّار، واحترقَتِ الكُتُبِ بأسرها.

وقال بعض خُصمَاءِ أبي عليٍّ إنَّهُ أحرقَ تِلكَ الكُتُبِ لِيَظفرَ بتلك العلومِ والنَّفائسِ ويَنْسُبَها إلى نفْسِهِ، ويقطعُ إنتسابَ تلك الفوائِدِ عن أربابها، والله أعلم بذلك. فلمَّا بلغ أبو عليٍّ ثمانيَ عشرة سنَةً مِنْ عمره فرغ مِنَ العلومِ كُلِّها، ولم يتجدَّد بعدها شيءٌ وكان في جوارهِ رجلٌ يقالُ لهُ أبو الحسن

العـروضِيُّ، فسألـهُ أن يُصنِّف لـه كتابـاً جـامعـاً في هـذا العلمِ، فَصَنَّف لـه المجموعَ وذكر اسمهُ فيه، وأثبتَ فيهِ سائِرَ العلوم سوى الرِّياضي فإنَّه ليس فيهِ زيادةُ مَرتَبةٍ ولا سعادةٍ في العُقْبَى، وفي جوارهِ رجلٌ يقـالُ له أبـو بكرٍ التُّـرابي الخُوارزمي، فقيه زاهِدٌ مائِلٌ إلى هذهِ العلومِ، فسألهُ شرحَ الكُتُبِ لهُ، فصنَّفَ له كِتابَ الحـاصلِ والمحصـولِ، وتَم في عشرين مجلَّدةً، وصَنَّفَ كِتـاباً في الأخلاقِ وسمَّاهُ البرّ والإثـم. ولما اضطَربت أمورُ السَّامانيَّة دَعَتْهُ الضَّرورةُ إلى الخُروجِ مِنْ بخارى بعد مَوْتِ أبيهِ، والإنْتِقَالِ إلى كركانج، والإختلاف إلى خُوارزم شاه علي بن مأمونَ، وكـان أبو الحسنِ السُّهيْلي المُحِبِ لهـذا العلمِ بها وزيراً، وكان أبو عليٍّ من زيِّ الفقهاء مع الطَّيلسانِ وتحت الحنك، فأثبتوا له مشاهرةً تقوم بكفـاءة مثلهِ، ثمَّ دعتهُ الضـرورةُ إلى الإنتقال إلى نسـا وأبيورد ثمَّ إلى طوس ثمَّ إلى سَمْلقانَ[1] ولمْ يـدخل نيسـابور، ثمَّ إلى حـاجرم ثمَّ إلى جُرْجان، وكان يَقْصِد الأميرَ شَمس المعالي قابوس فاتفَقَ أخذُ قـابوس وحَبْسُـه في بعض القِلاعِ وموتهُ هناك، ثمَّ مضى إلى دِهستانَ ومرِضَ بها مرضاً صعباً.

وعاد إلى جُرْجان واتَّصل بـه الجَوْزَجـاني وعمل هنـاك الأوسط الجُرْجـاني لِـرَجُـلٍ ارتبـطَهُ وأحسن إليـه وصَنَّفَ لأبي محمـدٍ الشيـرازي كتـابَ المَبْـدَا والمعاد، وصنَّفَ بجرْجَان كتباً كثيرةً ثمَّ انتقلَ الى الرَّي واتَّصل بخدْمَةِ السيِّـدةِ وابنهـا الملكِ مجد الـدَّولةِ وأبي طـالب رستَم بن فخر الـدَّولةِ عليّ، وعـرفـوهْ بسبب كتبٍ وصلتْ معه تضمَّنت تعريف قدرِهِ.

وقد استولتْ على مجدِ الدَّولةِ عِلَّةُ المالخوليا، فـاشتغل الشيـخ بِمُداواتـه، وصنَّفَ هنالِك كتـابَ المعادِ. وأقـام هناك إلى أنْ قَصَـدْت شمس الدَّولـة قبْل هلاكِ بدرِ بنُ حسْنَويه، وهزيمة عَسْكر بغداد ثمَّ اتفقتْ أسبابُ دعتّ للضرورةِ خروجهُ إلى قزوين ومنها إلى همدان، واتصل بخدمةِ كـدبانـويه[2] والنَّـظر في

---

(1) أ: ح. ن.: سمسان.

(2) أ: ح. ن.: كربالون.

أسبابها، ثمَّ اتَّفقتْ له معرفةٌ مع شمسِ الدَّولةِ فأمرَ بإحضارِهِ مَجلسهُ بسبب قولنجٍ أصابهُ، فعالجهُ حتى شفاهُ اللهُ تعالى، وفاز بخلعٍ كثيرةٍ، ورجع إلى دارِهِ بَعْدَما أقام هناك أربعين يوماً بلياليها وصار مِنْ ندماءِ الأمير.

ثُمَّ اتفق له نُهوضٌ إلى قومِس لحربِ غارٍ، وخرج الشيخُ مُنخرطاً في سلك خَدَمِهِ، ثمَّ توجَّه تلقاءَ همدانَ مُنْهزِماً، ثُمَّ تقلَّدِ الوزارَة، ثمَّ اتفق تَشْويشُ العسكر بسببه وإشفاقهم مِنَّةَ على أنفسهم، فأغاروا على دارِهِ وأخذوهُ وحبسوهُ وسألوا الأميرَ قَتْلَهُ فامتنعَ مِنْهُ الأمير ثمَّ أُطْلِقَ الشيخ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعيدٍ، ثمَّ عاود شمْسُ الدَّولةِ القولنجَ فطلب الشَّيخَ فحضَر مَجْلِسَه، فاعتذر إليه وأعاد الوزارةَ إليهِ وعالجَهُ ثم سألهُ أبو عبيدٍ شَرْح كُتبِ أرَسْطو، فذكر أنَّهُ لا فراغ لهُ، ولكن إن رضيتَ بتصنيفِ كتابٍ أوردُ فيهِ ماصَحَّ عندي مِنْ هذهِ العلومِ فعلتُ ذلك فرضي بذلكَ.

فابتدأ مِنَ الطَّبيعياتِ مِنَ الشفا، وكان قدْ صَنَّفَ الأوَّل مِنَ القانونِ، وكان كُلَّ ليلةٍ يجتمعُ في دارِهِ طلبةُ العلمِ. وأبو عبيد يقرأ مِنَ الشفا نوبَةً والمعْصومي من القانونِ نوبة وابن زيلةَ من الإشاراتِ نوبةً، وبَهْمَن يار زمِنَ الحاصِلَ والمحصَولِ نوبةً، فإذا فرغوا حضر المُطْربونَ واشْتَغلوا بالشُّرب، وكان التَّدريسُ باللَّيلِ لعَدَمِ الفراغِ بالنَّهارِ.

ثُمَّ توجَّه شمس الدولة تِلْقاءَ طارم لحربِ الأمير بها. وعاوده القولنجُ قُرْبَ ذلكَ الموضعِ واشتدَّ عليه، وانضافَ اليه امراضٌ أخر جلبَها سوءُ تدبيرهِ وقِلَّةُ القبولِ مِنَ الشَّيخِ.

فخاف العسكر مَوْتَهُ فرجعوا منهزمين إلى همدانَ فتوفي شمسُ الدَّولة في الطريقِ ثُمَّ بويع ابنُ شَمْس الدَّولةِ وطلبوا استِوزارَ الشَّيخ فأبى، وكان علاءُ الدَّولةِ سأل الشَّيخَ المصير إليه فأقام في دَارَ غالبِ العَطَّار مُتوارياً، وصنَّف فيها بلا مُطالِعَةِ كتابَ جميع الطَّبيعيات والإلهيَّات من الشِّفا، وابتدأ بالمنطق، وكتبَ منه جزءاً ثم اتَّهمه تاجُ المُلْك بمكاتبةِ علاء الدولةِ فأخذهُ وحبسهُ في

قلعةِ برودان، وبقي فيها أربعةَ أشهرٍ، ثم قصد علاء الدولة أبو جعفر إلى همدانَ واستولى عليها ثمَّ رجع علاء الدَّولة وعاد تاجُ المُلْكِ وابنُ شمس الدولةِ من القلعةِ إلى همدانَ وحملا معهما الشيخَ، فنزل في دار علوي، واشتغل بتصنيفِ المنطقِ من كتابِ الشفا، وصنَّفَ في القلعةِ كتابَ الهدايةِ ورسالة حي بن يقظان ورسالة الطير وكتابَ القولنجَ، ثمَّ توجه الشيخُ تلقاء أصفهانَ مُتنكراً ومعه أخوه[1] وأبو[2] عبد الله وغلمانه في زي الصوفيةِ فلمَّا بلغوا باب أصفهان استبقلهُ خواصُ الأمير علاء الدولة بالمراكبِ والثياب وأنزلَ وأكْرِمَ.

وكان الشيخُ في ليالي الجُمعاتِ يحضُر مجلسَ علاء الدَّولةِ معَ علماء البلدةِ، وإذا تكلَّمَ الشيخُ استفادَ مِنهُ كُلُّ مَنْ هناك، فاشتغل بتتميم كتابِ الشِّفاء. أمَّا المجسطي فأورد عليه[3] إشكالاً في اخْتِلافِ المنْظرِ، وأوردَ في الهيئةِ أشياء لم يُسْبَقْ إليها، وكذلك في أقْليدس والارتماطيقي، فأورد في الموسيقى مسائل غَفَلَ عنها الأوائلُ والأواخرُ.

وقَدْ كان رحمَهُ الله تعالى عظيمَ القَدْرِ جليلَ الشَّأنِ، ومن غرائب تصانيفهِ المجموع الحكمةُ القُدسيَّةُ، وهو غيرُ الحكمةِ المشرقية الإستبصار والمُهجَة رسالةٌ في نَفْسِ الفَلَكِ، رسالةٌ في معرفةِ الأجرامِ السماويَّة، كتابان إلى أبي سعيدٍ، رسالةٌ في الفيضِ الإلهي، قصائد له، رسالةٌ في ﴿واضرِبْ لهُمْ مثلَ الحياةِ الدُّنيا﴾ رسالة في كيفيةِ إنشقاقِ القَمرِ، رسالةٌ في كيفيةِ أصحابِ الكهفِ، رسالة همجِ الرِّعاعِ إلى ساكنِ القِلاعِ في ذَمِّ ما صنع الحرام، شرحٌ لمسائل حنين، كتابُ الحكمةِ العَرْشِيَّة هي مِنَ الغرائبِ القليلة الوقوع.

وجرى عِنْدَ علاء الدَّولةِ ذكْرَ الخَلَلِ الواقع في التَّقاويم، فأمر الشَّيْخُ بالاشتِغالِ بالرَّصدِ، واطْلَق له مِنَ المالِ ما يحتاجُ إليه، فابتدأ الشَّيخُ وأبو

---

(1) أ: ح. ن.: محمود.

(2) أ: ح. ن.: أبو عبيدة.

(3) أ: ح. ن.: عشرة.

عُبَيْد هو المُقيمُ بهذه الأمور حتى ظهر كثيرٌ من المسائِلِ. وكـان الخَلَلَ واقع في الـرَّصدِ لِكثْـرةِ الأسْفارِ وتـراكم العوائق. وصنَّفَ الشيـخُ بأصفهـانَ كِتـابَ العلائي. ومِنْ عجائب أحوالِ الشيخِ أنَّ أبا عبيدٍ صحبَـهُ ثلاثين[1] وقـال: إنَّه ما رآهُ ينظرُ في كتابٍ جديدٍ على الولاء بل يقصِدُ المواضِعَ الصَّعْبَـة والمسائِـلَ المُشْكلَة فينظُرَ ما قالهُ مُصنِّفهُ فيها ليعرف مرتبتهُ في العلم.

وصنَّفَ أبو عليٍّ مَنْطِقَ النَّجـاةِ بجرجـان ووقعَتْ مِنهُ نسخَـةٌ بشيران، فنـظر فيها عُلماؤها ووقعتْ لهم شُبَهٌ فكتبوها وانْفَذوها إلى الكِـرْماني أبي القـاسِمِ، فدخل الكِرمانيُ على الشَّيخ عِنْدَ اصفرارِ الشَّمسِ في الصَّيفِ ووضع الصفر بين يـديهِ، فلمَّـا خرج أبـو القاسمِ صلَّى الشيـخُ العِشاءَ وكتبَ خمسـة أجزاء ربع، ثمَّ نام فلمَّا صلَّى الغداءَ بعثَ الأجـزاء إلى الكِرمـاني وقال: استعجلتُ في الجـوابِ حتى لا يمكُثَ القاصِـدُ فلمَّا رأى الكِـرْمانيُ ذَلِـكَ تعجَّبَ وكتبَ إلى شيراز بهذه القِصَّة.

واشتغـلَ بالرصدِ ثماني سِنين، ثمَّ صنَّفَ الشيخُ كتـابَ الإنصاف. ووقَعَتْ محـاربةٌ بـين العميـدِ أبي سهلٍ الحَمْـدوني صاحب الـرَّي عَنْ جهةِ السُّلطانِ محمودٌ وبين علاء الـدَّولةِ. ثمَّ قصـدَ مسعود بن محمـود أصْفَهان وأخـذ أخت عـلاء الدَّولـةِ، فبعث أبو عليٍّ إلى السُّلطانِ وقـال: إن تزوَّجتَ بهـده المـرأة سلَّمَ علاء الدَّولـة إليك الـولايةِ، فتـزوَّجها السُّلطانُ مسعـود، ثُمَّ استعدَّ عـلاء الدَّولةِ بالمحاربـةِ، فَبعثَ السُّلطان إليهِ رسـولاً وقال لـهُ: أنا أُسلِّمُ أخْتَـكَ إلى العَسكَرِ، فقال علاء الدَّولـةِ لأبي عليٍّ: أجبهُ، فقـال أبو عليٍّ إنْ كـانت أخت عـلاء الدَّولـةِ فهي زوجتَكَ وإن طلَّقتَهـا فهي مُطلَّقَتُـكَ والغيرةُ على الأزواج لا على الإخوة. فأنِفَ السلطانُ من ذلك، وردَّ زوجَتَهُ أخْتَ علاء الدَّولةِ عليهِ.

ثُمَّ نهب أبو سهل الحمدوني أمتِعَة الشَّيخ وفيها كتبُهُ، ولم يوجـد من كتابِ الإنصافِ إلاَّ جزءٌ. ثمَّ زعم بَعْضُهم أنَّـهُ اشترى مِنْـهُ نُسخَةً بـأصفهانَ وحملهـا

---

(1) أ: ح. ن.: سنة.

إلى مَرو، وأمَّا الحكمةُ المشرقيَّةُ والحكمةُ القُدْسِيَّة، فقال اسماعيل الباخرزي: إنَّهما في بيوتِ كُتِب السُّلطانِ مسعود بن محمود بغزنة، حتَّى أحرقَهُ مَلِكُ الجبالِ الحسين وعسكر الغور.

وكان أبو عليٍّ قوي المِزاج على المجامعةِ، وكان يشتَغِلُ باستفراغها، فأثر ذلِك في مِزاجِهِ، وكان لا يعالِجُ شَخْصَهُ حتَّى ضَعُفَ في السَّنةِ التي حارب فيها علاء الدَّولةِ الأمير حُسامَ الدَّولة، على باب الكرخ، فأصاب الشيخُ داءُ القولنج، فحقن نَفسَهُ في يومٍ ثماني[1] مراتٍ فتقرَّح بعض أمعائِهِ، وظهر لهُ سحجٌ، ولا بُدَّ لهُ مِنَ المسير مع علاءِ الدَّولةِ. فظهر لهُ الصرعُ الذي يتبع القولنْج، فأمر باتخاذِ دانقين من بزرِ الكَرفْسِ في جملةِ ما يُحْقَنُ، وخلطهُ بها طلباً لكسرِ ريحِ القولنج.

فَقَصَدَ بعض من يُعالجهُ من الأطباءِ، وطرح مِنْ بزرِ الكرفس خمسة دراهم ولا يَدْري أعمدٌ فعله أمْ لا، فازْداد السحجُ من حدَّةِ بزر الكَرفسِ وكان يتناولُ مَثْروديطوسْ لأجل الصَّرع، فطرح فيه بعض غلمانه شيئاً كثيراً مِنَ الأفيون لأجلِ أنَّ الغلام خانَ في خزانتِهِ فخاف عاقِبَة أمْرِهِ، ونُقِلَ الشَّيخُ في المهدِ إلى أصفهانَ، فاشْتَغَلَ بتدْبير نفسه، وكان مِنَ الضَّعف بحيثُ لا يقدِرُ على القيام، وغلمانُه يتمنون هلاكَهُ.

ثُمَّ قَدِرَ الشَّيخُ على المشي وحَضَر مَجْلِس علاء الدَّولةِ، لكنَّه مع ذلك لا يَحْتَمي ويُكثِرُ التَّخليطَ في المجامعةِ ولم يبرأ مِنَ العلَّةِ كل البُرءِ. وكان يمرض أسبوعاً ويصِحُّ أسبوعاً. ثمَّ قصد علاء الدَّولةِ همدانَ ومعهُ الشَّيخُ، فعاود القولنجُ الشَّيخَ في الطريقِ إلى أنْ وصل إلى همدان، وعلِمَ أنَّ قُوَّتَهُ قَدْ سَقَطَتْ، وأنَّها لا تفي بدفع المرضِ فأهمل مُداواةَ نفسهِ وقال: المُدَبِّرُ الذي[2] عجز عَنْ تَدْبير بَدَني فلا ينفعُني المعالَجةُ، ثمَّ اغْتَسَلَ وتاب

---

(1) ب: ثلاث مرات.
(2) أ: ح. ن.: كان يدبر.

وتصَدَّقَ بما بقي معهُ على الفقراءِ وردَّ المظالم إلى مَنْ عرفَهُ مِنْ أربابها واعْتَقَ غِلْمَانَهُ.

وكان يَحْفَظُ القرآنَ الكريم فيختِمُ في كل ثلاثةِ أيامٍ، ثمَّ مات في يومِ الجمعة الأولى مِنْ شهر رمضانَ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وأربعمائةٍ، ودُفِنَ بهمدانَ. وفي هذه الجمعةِ خطبوا الشَّيخَ بنيسابور للسلطانِ طُغْرلبَكْ وأعرضوا عنْ ذِكرِ السلطانِ مسعود بن محمود، وكان عمرهُ ثماني وخمسين سنةً مع كسرٍ. وهذه فهرسة مصنفاته[1][2].

رأيتُ بخط بعض المحصِّلين وهو تاج الدين الفارسي رحمه الله تعالى الشيخ أبو عليٍّ رحمه الله تعالى كان يُنشدُ عند موته هذه الأبيات:

أقامَ رجالاً في معارِفِهِ مُلْكَى ... وأقْعد قوماً في غوابِبهم هَلْكَى
نعوذُ بكَ اللَّهُمَّ من كلِّ فتنةٍ ... تطَوَّقَ من حَلَّتْ به عيشةً ضنكا
رجعنا إليك الآنَ فاقْبلْ رجوعنا ... وقلِّبْ قلوباً طال إعراضها عنكا
فإنْ أنت لم تُبرِئْ شكايا عقولنا ... وتَكْشِفْ عمايَاها إذنْ فلِمَنْ تُشْكا
فقد آثرتْ نفسي رضاكَ وقطَّعَتْ ... عليك جفوني من جواهرها سُلْكا

## 125 ـ الحكيم الرَّباني المعظم والفيلسوف المكرم

العالم العامل الفاضل الكاملُ شهاب الملَّةِ والحقِّ والدِّين المطَّلع على الأسرارِ الإلَهية والراقي إلى العوالم النُّوريَّةِ.

## ـ أبو الفتوح يحيى السُّهْرَوردي[3]

رَوَّح الله تعالى رمسَه، وقدَّس نفسه، وحيدُ الأعصارِ، وفريدُ الدُّهورِ، جمع بين الحكمتين أعني الذَّوقيَّة والحسِّيَّة. أمَّا الذوقيَّة فيشهد له بالتبريز فيها كلُّ

---

(1) نقلت قائمة كتب ابن سينا إلى آخر الكتاب ضمن الفهارس.
(2) لم ترد قائمة كتب ابن سينا في النسخة (ب).
(3) أصيبعة، ص: 641.

من سلك سبيل الله عزَّ وجلَّ، وراضَ نفسَهُ بالأفكار المتوالية والمجاهدات المتتالية، رافضاً عن نفسه التشاغُل بالعالم الظلماني، طالباً بهمَّتِه العاليةِ مشاهدة العالم الرُّوحاني، فإذا استقر قرارهُ وتهتَّك بالسيرِ الحثيثِ إلى معانيه المُجرَّدات أستارهُ حتى ظفر بمعرفةِ نفسه، ونظر بعقله إلى ربِّهِ، ثم وقف بعد هذا على كلامه، فيعلم حينئذٍ أنَّه كان في المكاشفات الرَّبانيَّةِ آية والمشاهداتِ الروحانيَّةِ نهايةً. لا يعرف غورهُ إلاَّ الأقلُّون، ولا ينال شأوهُ إلاّ الراسخون.

وأما الحكمةُ البحثيةُ فإنَّه أحكم بنيانها وشيَّد أركانها، وعبَّر عن المعاني الصحيحة اللطيفةِ بالعباراتِ الرشيقةِ الوجيزةِ وأتقنها إتقاناً لا غايةَ وراءها لا سيَّما في الكتاب المعروفِ بالمشارع والمطارحات، فإنَّه استوفى فيه بحوث المتقدمينَ والمتأخرين، ونقض فيه أصول مذاهب المشَّائين، وشيَّد فيه معتقد الحكماءِ الأقدمين. وأكثر تلك البحوث والمُناقضاتِ والأسئلة والإرادات من تصرُّفات ذهنه ومكنونِ علمه، وذلك يدلُّك على قوته في الفنِّ البحثي والعلم الرسمي.

واعلم أنَّ فهم كلامه ومعرفة أسراره مشكلٌ جداً مَنْ لا يسلك طريقتَه ولا يتبعُ خلقه وعاداته لأنَّه بنى حكمته على أصولٍ كشْفِيَّةٍ وعلومٍ ذوقيَّةٍ، فمن لم يُحْكَمْ أصولَه لا يعرف فروعَهُ، ومن لم يتجرَّدْ عن الدنيا والآخرةِ لم يذق وبالجملةِ معرفةَ كلامهِ؛ وجلُّ كتبهِ ومرموزاته مُتوقِفٌ على معرفةِ النفس.

وأكثر العلماء والحكماءِ لا خبر لهم بها إلاّ في النَّوادر، يأتي في كلِّ دهرٍ واحدٌ، ولقد سافرتُ كثيراً وتَفَحَّصْتُ عن هذا النبأ العظيم عظيماً، فلم أجد من عنده خبرٌ عن النفسِ فضلاً عمَّا فوقها من العوامل المُجَرَّدةِ، ولأجل هذا لمَّا عجزوا عن فهم كلامه طعنوا فيه حتى أنَّ جماعةً من الحكماءِ المعاصرين لي من المشهورينَ بالفضلِ والتدبير عند العامَّةِ زعموا أن حكمته طُرقيَّة، وليت شعري إذا كان حكمتُه المبنيَّةُ على الأصولِ الكشفيَّةِ والقواعد الذَّوقيَّةِ طرقية فأحرى أن تكون حكمتُهم المبنيَّة على الأصولِ الوهميَّة والمباني

الخيالية أتونيَّة مزايلية سُوقيَّة، وهم معذورونَ من جهةِ الجهل بكلامه ووجه صعوبته ما ذكرتُه من قبل.

وقد كنتُ في عنفوانِ الشباب أوافقهم في عدمِ الإلتفاتِ إليه حتى غلبني حبُّ التجريد فسلكتُ، ويسرَّ اللهُ تعالى على معرفة نفسي، فانحلَّ إليَّ كلامه ووقفتُ على جميعِ أسراره في أيْسرِ زمانٍ، ثم نظرتُ إلى أولئك الطاعنين فيه الرَّادين عليه مذهبهُ بعين الحقيقةِ والإنصاف، فإذا ليس عندهم من الحكمةِ إلَّا الحشَفُ ولم يظفروا منها إلَّا بالتَّلفِ، قنعُوا بالقشرِ عن اللُّب والتبنِ عن الحَبِّ، وحاصلُ ما حصَّلوهُ معرفةُ الجسم وبعض عوارض[1] الوجود وفيه أيضاً خطأٌ كبيرٌ، والجسم أيضاً لم يُحصلوا معرفته ولم أجد منذُ قبل وإلى وقتي هذا أحداً فهم كلامَهُ أو نال مرامَهُ، والعلومُ المُقدَّسَةُ الإلَهيَّة والأسرارُ العظيمةُ الرَّبانيَّةُ التي رمزتِ الحكماءِ عليها وأشارتِ الأنبياءُ إليها عرفها هذا الرَّجل وأيِّدَ بقوةِ التعبيرِ عنها في الكتاب العظيم المُسمَّى بحكمةِ الإشراق الذي ما سبقه أحدٌ قبلهُ، ولا يلحقهُ أحدٌ بعده إلَّا من شاء اللهُ تعالى.

ولأجل ذلك لُقِّبَ بالمؤيَّدِ بالملكوتِ. ولا يعرف هذا الكتاب حقَّ المعرفة إلَّا صديقاً، واعلم أنَّه لم يتيسَّر لأحدٍ من الحكماءِ والعلماءِ والأولياءِ ما تيسَّرَ لهذا الشيخ من إتقانَ الحكمتينِ المذكورتينِ. بل بعضُهم تيسَّر له الكشفُ، ولم ينظُرْ في البحث كأبي يزيدَ والحلَّاجِ ونُظرائهم، وأمَّا إتقانُ البحثِ الصحيح بحيثُ يكونُ مطابقاً للوجودِ من غير سلوكٍ وذوقٍ، فلا يمكنُ، وجميع الحكماء المقتصرين على مُجرَّدِ البحثِ الصِّرف مخطئون في عقائدهم. فإنَّ أردْتَ حقيقةَ الحكمةِ وكنت مستعدّاً لها فاخلصْ للهِ تعالى وانسلخ عن الدُّنيا انسلاخَ الحيَّةِ من جلدها عساك تظفرُ بها.

وكان يُسمى بخالقِ البرايا للعجائب التي كان يُظهرها في الحالِ، ورآهُ واحدٌ في المنامِ فقال له: لا تُسَمُّوني بخالق البرايا.

---

(1) أ: ح. ن.: وبعض أعراضه.

وسافر في صغره في طلبِ العلم والحكمةِ إلى مراغة فاشتغل بها على مجدِ الدين الجبلي، والي أصفهانَ. وبلغني أنَّه قرأ هناك بصائِرَ ابن سهلان الساوي على ظهير الفارسي، واللهُ أعلمُ بذلك، إلاَّ أن كتبه تدلُّ على أنَّهُ فكَّرَ في البصائر كثيراً.

وسافر إلى نواحٍ متعدِّدةٍ، وصحِبَ الصُّوفيَّة واستفاد منهم شيئاً وحصَّل لنفسه ملكةَ الاستقلالِ بالفكرِ والإنفرادِ، ثم اشتغل بنفسهِ بالرِّياضيَّاتِ والخلواتِ والأفكار حتى وصل إلى غايات مقاماتِ الحكماءِ ونهاياتِ مكاشفاتِ الأولياءِ.

فهذا خبرُ الشيخِ في الحكمتينِ المذكورتين. وأمَّا الحكمةُ العمليَّةُ فإنَّه كان فيها من السابقين الأوَّلين، مسحيُّ الشكلِ قلندريُّ الصِّفةِ. وكان له رياضات عجز أبناءُ الزَّمانِ عنها، منها أنَّهُ كان يُفطِرُ في كل إسبوع مرَّةً وطعامَهُ لا يزيد على خمسين درهماً، وقلَّ أنْ يوجد إذا سبرتَ طبقاتِ الحكماءِ أزْهَدَ منه أو أفضل.

قال ابنُ رقيقة: كنتُ أتمشى مع شهاب الدِّين في جامع مَيَّافارقين وهو لابسٌ جُبَّةً قصيرةً مضريةً زرقاء وعلى رأسه فوطةٌ مفتولةٌ، وفي رجليه زربُول، فرآني صديقٌ لي، فأتى إلى جانبي وقال: ما تتمشى إلاّ مع هذا الحرندا؟ فقلتُ له: ويحكَ هذا سيِّد الوقتِ شهاب الدين السُّهْرَوردي، فتعاظم قولي وتعجَّبَ ومضى في حالِ سبيلهِ. وكان لا يلتفت إلى الدنيا، قليل الاهتمامِ بها لا يبالي بالملبسِ والمأكلِ، ولا يُصْغي إلى الشرف والرِّياسة. وكان في بعض الأحيانِ يَلْبَسُ كساءً وقَلَنْسُوةً حمراءَ طويلةً، وفي بعض الأحيانِ مرقَعةً وخِرقةً على رأسه وفي بعضِ الأحيانِ يكون على زِيِّ الصُّوفيَّة. وكان أكثر عباداتِهِ الجوعَ والسهر والفكر في العوالمِ الإلَهيَّة. وكان قليل الإلتفاتِ إلى مُراعاة الخلْقِ مُلازماً للصَّمْتِ والإشتغالِ بنفسه مُحبّاً للسماعِ والنَّغماتِ الموسيقيَّةِ صاحبَ كراماتٍ وآياتٍ.

سمعتُ من علماءِ العامَّةِ ومِمَّنْ لا حظَّ له في العلومِ الحقيقيَّةِ يقول: انَّه

كان يعرف السيمياءَ، وبعضهم يزعمُ أنَّه مُتخيلٌ، وكلُّ ذلك خرافاتٌ وجهلٌ بمقاماتِ إخوانِ التجريدِ، بل هو وصل إلى غايات مقاماتهم. ولإخوان التَّجريد مقامٌ يقدرونَ فيه على إيجاد أيِّ صورةٍ أرادوا، وإلى هذا المقام وصل أبو يزيد البسطامي والحسينُ بن منصورٍ الحلاَّجُ وغيرهما من اخوان التَّجريدِ، وكنتُ مدَّةً مؤمناً بهذا المقام حتى أعانني اللهُ تعالى باليقين التام، ولولا أنَّه من الأسرارِ التي يجب كتمانها وإلاَّ ذكرتُ من حاله شيئاً. وكان قدَّسَ اللهُ تعالى روحَهُ كثير الجولانِ والطَّوفان في البلدانِ شديد التَّشوُّقِ على تحصيل مشاركٍ له في علومه ولم يحصل له.

قال في آخر المُطارحاتِ وهو ذا قد بلغ سنِّي إلى قريب من ثلاثين سنةً وأكثر عُمري في الأسفارِ والإستخبارِ والتَّفحُّصِ عن مشاركٍ مطَّلعٍ على العلومِ، ولم أجد من عنده خبرٌ عن العلوم الشريفةِ ولا من يؤمنُ بها. فانظُر إلى قوله وأكثر التَّعجُّب من ذلك. وكان رحمهُ اللهُ تعالى غايةً في التجريد نهايةً في رفضِ الدنيا، يحبُّ المقام بديارِ بكرٍ، وفي بعضِ الأوقاتِ يُقيمُ بالشَّامِ وفي بعضها في الرُّومِ.

وكان سبب قتله على ما بلغنا أنَّه لمَّا خرج من الروم إلى الشَّامِ دخل إلى حلب وصاحبها يومئذٍ الملكُ الطاهر بن صلاح الدين يوسف صاحب مصر واليمن والشَّام. وكان محبّاً للشيخ يعتقدُ فيه، وكان جمعٌ مِنَ العلماءِ بحلب يجتمعونَ به ويسمعون كلامهُ. وكان يصرِّحُ في البحوثِ بعقائد الحكماءِ ويناضلُ عنها ويُسَفِّهُ رأيَ مخالفيها ويناظرهم فيقطعهم في المجالس.

وانضمَّ إلى ذلك ما كان يُظهرهُ من العجائبِ بقوَّة روح القدس، فاجتمعتْ كلمتهم على تكفيره وقتله حسداً ونسبوا إليه العظائمَ وقالوا: إنَّه قد ادَّعى النُّبوَّة وهو بريءٌ من ذلك. فاللهُ تعالى حسيبُ الحُسَّادِ وحسبهم واحدٌ والا منهم عظيمٌ، وحَضُّوا السلطانَ على قتله[1] فامتنع فكاتبوا[2] والدهُ صلاح الدين وقالوا

(1) أ: ح. ن.: الولاية عليه.

(2) أ: ح. ن.: إلى مصر.

في جملةِ ما قالـوا: إن بقيَ أَفْسَدَ الـدِّين، فكتب إليه يـأمرهُ بقتلهِ[1]. ثم كتب إليه مرةً أخرى يأمرهُ بذلك، ويتهدَّدهُ بـأخذ حلب إن لم يقتلْه. ورأيتُ النـاس مختلفين في قَتْلِهِ، فزعـم بعضهم أنَّه سُجِنَ ومُنِـعَ الطعـام وبعضهم منع نفسـهُ حتى ماتَ، وبعضهم خُنِقَ بوترٍ، وبعضهم قُتَلَ بسيفٍ.

وقيـل إنَّه حطَّ من القلعَـةِ وأُحرِقَ، ورؤي رسـول الله ﷺ في النوم يجمـعُ عـظامَهُ ويجعله في الثقـوباتِ، وقيـل في كيسٍ. ويقول: هـذه عظام شهـاب الـدين، والذي رأى النبي ﷺ، هـو الشيـخُ جمـال الـدين الجبلي رحمـةُ الله عليـه، وبلغني أنَّ بعض أصحابـه كان يقـول[2] أبو الفتـوح رسولُ اللهِ. وكـان بينَهُ وبين فخر الدين الماردِاني السَّـاكن بماردينَ صـداقةٌ واجتمـاعاتٌ. وكـان الفخرُ يقول لأصحابهِ: ما أذكى هذا الشاب وأفصحَهُ، ولم أجد أحداً مثله في زماني، إلاَّ أني أخشى عليه لكثرةِ تَهَوُّرِهِ واستهتارهِ وقلَّةِ تحَفُّظه أن يكون ذلك سبباً لهلاكِهِ.

قال: ولمَّا فارقنا من المشرقِ وتوجَّهَ إلى حلب وناظر بها الفقهـاءَ ولم يجاره أحـدٌ، فكثُر تشنيعهم عليـهِ، فاستحضـرهُ الملك الـطاهرُ واستحضـرَ الأكـابـرَ والفقهاءَ والفضلاءَ المُتَفَنِّنَةِ ليسمع ما يجري بينهم من المباحث، فتكلَّمَ معهم بكلامٍ كثيرٍ وظهر أنَّ له فضلاً عظيماً وعلماً بـاهراً وحَسُنَ مـوقعَهُ عنـد الطاهـر وقرَّبَهُ وصار مكيناً عندهُ مختصّاً به.

فازداد تشنيعُ أولئـك عليه وعملوا محـاضرَ بكفـرِهِ وسيَّروهـا إلى دمشق إلى صلاح الدين وقالوا: إنْ بقيَ أفسَـدَ اعتقادَ الملكِ وإنْ أُطْلِقَ أفْسَـدَ أيَّ ناحيـةٍ سلك، وزادوا عليه أشياء كثيرةً، فبعثَ إلى الطَّاهـر بخط القاضي الفـاضل أنَّ هـذا شهابُ الـدين لا بُدَّ من قتلهِ، ولا سبيـل إلى إطلاقـه بوجـهٍ. ولمَّا تحقَّق شهابُ الدينِ الحـالَ اختارَ أن يُتـرك في بيتٍ ويُمنع الـطعامَ والشَّـراب إلى أن

(1) أ: ح. ن.: ولم يقتله.
(2) أ: ح. ن.: بصحة ذلك.

يلْقى الله عزَّ وجلَّ. فَفُعِلَ به ذلك ونَقِم الطاهر عليهم بعد ذلك والله أعلم بصحَّة ذلك. والذي وجدتُ أنَّ عمرهُ نحو ستٍ وثلاثين، وكان عمرهُ في بعض الرِّوايات ثماني وثلاثين سنةً، وقيل خمسين.

وكان معتدل القامةِ واللحيةِ أحمرَ الوجهِ يُسافرُ كثيراً على قدمه. ولو حكينا ما بلغنا من كراماته لطال الكلام وكذب به بعض الجاهلين الغافلين وكان مقتله في آخرِ سنةِ ستٍ وثمانين وخمسمائةٍ، وقيل ثمانٍ وثمانين وخمسمائةٍ هجريَّةٍ. وكان شافعيَ المذهب عالماً بالفقهِ والحديثِ والأصول. وكان في غاية الذكاءِ.

وبلغني أنَّه سُئِلَ: عن فخر الدين الرَّازي فقال: ذهنه ليس بمحمودٍ. وسُئِلَ فخر الدين عنه فقال: ذهنُه يتوقَّدُ ذكاءً وفِطْنةً. وبلغني أنَّ الشيخ سُئِلَ: أيُّما أفضل أنت أم أبو علي بن سينا؟ فقال: إمَّا أن نتساوى أو أكون أعظم منه في البحث، إلاّ أنِّي أزيدُ عليه بالكشفِ والذوقِ؛ وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ وهذه فهرسة كتبه[1].

وذَكَر لي بعضُ المعارفِ أنَّهُ عِندهُ، ولم اقفْ عليهِ والله أعلم بصحتِهِ، فهذا جملةُ ما وصل إلينا مِنْ مُصنَّفاتهِ. وبلغنا من أسماءِ مؤلفاتِه. ويجوز أنْ يكونَ لهُ أشياءُ أخرى لم تَصلْ إلينا، وله أشعارٌ حسنةٌ جيدةٌ تدلُ على جودةِ طَبعِهِ في الأشعارِ العربيَّة والفارسيَّة. ولنذكر شيئاً من أشعارهِ العربيةِ، وأمَّا الفارسيةُ فلا يليقُ ذِكرُها ها هُنا. فمِمَّا قالهُ في العربيَّةِ:

لأنوارِ نُورِ الله في القلبِ أنوارُ ... وللسِّرِ في سِرِّ المُحبينَ آسرارُ

ولمَّا حَضَرْنا للسرُورِ بِمجلِسٍ ... وحُفَّ بنا مِنْ عالمِ الغيبِ أسرارُ

ودارَتْ علينا للمعارفِ قَهوةٌ ... يطوفُ بها مِنْ جوهرِ العَقْلِ خمَّارُ

فلمَّا شَرِبْناها بأفواهِ فَهْمِنا ... أضاء لنا مِنها شموسٌ وأقمارُ

وخاطبنا في سُكرِنا عِندَ صَحوِنا ... قديمٌ عليمٌ دائمُ العفوِ جبَّارُ

وكاشَفَنا حتى رأيناهُ جَهْرَةً ... بأبصارِ صدقٍ لا تُواريهِ أستارُ

(1) وضعت قائمة الكتب ضمن فهارس الكتاب.

فَغِبنـا بـهِ عَنَّا ونِلْنا مُـرادنـا ... ولم تبق فيهـا بَعْـدَ ذلـكَ آثـارُ

سَجدنا سُجوداً حين قال تمتَّعوا ... بـرؤيتنـا أني أنا لَكُـمْ جـارُ

ولـهُ

أبداً تحنُّ إليكُمْ الأرواحُ ... ووِصَالُكُمْ رَيحانُها والرَّاحُ

وقلوبُ أهْلِ وِدادِكُمْ تَشْتاقكم ... وإلى كمالِ جمالِكُمْ ترتاحُ

واحَسْرَتا للعاشقين تحمَّلوا ... ثِقْلَ المحبَّةِ والهوى فضّاحُ

بالسِرِّ إن باحوا تُباحُ دِماؤهُم ... وكذا دِماءُ البائحينَ تُباحُ

واذا هُمُ كتَموا تحدَّثَ عَنهُمْ ... عِندَ الوُشاةِ المدْمَعُ الفضَّاحُ

أحبابنا ما الذي أفْسَدْتُموهُ ... بجفائِكُم غير الوصالِ صَلاحُ

جُودوا على مَسْكينِكُمْ بلقائِكم ... فالصَّبُّ عِنْدَ لِقائِكُم يرتاحُ

خَفضُ الجناحِ لَكُمْ وليس عليكم ... لِلصَّبِ في خفضِ الجناحِ جُناحُ

وجَرَّتْ شواهِدُ السَّقام عليهم ... فيها لِمُشْكِلِ أمرهم إيضاحُ

فإلى رضاكم نَفْسُهُ مُشتاقةٌ ... وإلى لقاكم طرفُه طمَّاحُ

حَنَّت إلى ملكوتِه الأرواحُ ... والى لِقا سِواهُ ما ترتاحُ

فكأنَّما أجسامُهُم وقُلوبُهُم ... في ضَوئِهِ المِشكاةُ والمِصْباحُ

هذا الأنام هُمُ الظَّلام وإنَّما ... أهلُ المحبَّةِ في الظَّلام صباحُ

مَن باح بينَهم بذكرٍ حينئذٍ ... دَمُه حَلالٌ للسُّيوفِ مُباحُ

عُودوا بنورِ الوصْلِ من غَسقِ الدُّجى ... فالهجرُ ليلٌ والوصالُ صَباحُ

وتغنَّموا فالوقتُ طابَ بِقُربِكُم ... رَقَّ الشَّرابُ ورقَّتِ الأقداحُ

صَفَّاهمُ فصفتْ قُلوبُهُمُ بهِ ... مِن نورها المِشكاةُ والمصباحُ

لا ذنبَ للعُشّاقِ ان غلب الهوى ... كتمانهم فيما الغرامُ وباحوا

سمحوا بأنفُسِهم وما بَخِلوا بِها ... لمَّا رأوا أنَّ السَّماحَ رباحُ

ودَعاهُمُ داعي الحقائِق دعوةً ... فَغَدوا بها مُسْتأنِسين وراحوا

رَكبوا على سُفنِ الوفا فدموعهُمْ ... بَحْرٌ وشدَّةُ شَوقِهِمْ ملَّاحُ

والله ما طلبوا الوقوفَ ببابِهِ ... حتَّى دُعُوا فأتاهُمُ المِفْتاحُ

لا يَطربونَ بغيرِ ذِكرِ حبيبهم ... أبداً فكُلُّ زمانِهِمْ أفراحُ

يـا صَـاحِ ليسَ على المُحبِّ جُناحُ — إن لاحَ مِنْ أُفقِ الـوِصالِ صباحُ
حَضَروا وقد غـابَتْ شَـواهِـدُ رأيهم — فَتَـهـتَّـكُـو لـمَّـا رأوهُ وصـاحـوا
أفنـاهُمُ عَنْهُـمُ وقَـدْ كُشِفَتْ لَـهُمْ — حُـجُب البقـا فتـلاشَـتِ الأرواحُ
قُمْ يا نـديمُ إلى المـدامِ فهاتِها — فـي كـأسِهـا قَـدْ دارتِ الأقْـداحُ
مِـنْ كـرْمِ إكـرامٍ بِـدَنٍّ ديـانَـةٍ — لا خَـمْـرَةً قـد داسهـا الـفـلَّاحُ
هي خَمـرةُ الحُبِّ القـديم ومُنتَهى — غَـرضِ النَّـديم فنعِمَ ذاكَ الـرَّاحُ
هي أسكـرَتْ فـي الخُـلْدِ آدم أوَّلاً — وعـليـه مـنـهـا خِـلْعَـةٌ ووِشـاحُ
وكـذلك نـوحٌ في السَّفينـةِ أسكـرتْ — ولــه بِـذلِـكَ رنَّـةٌ ونـيـاحُ

ولـــهُ:

قـومٌ رَقَـدوا فَهُم نيـامُ يـا قلـبُ — رعـدُهمُ فصراهُمُ ظـلام يـا قلبُ
مـا يَنفعُ بـالنُّصحِ كـلامٌ يا قَلبُ — فـاصفَح عنهُمُ وقُـلْ سلامٌ يـا قَلْبُ

ولمَّا دُفِنَ بظاهِر حلب وجِدَ على قَبرِهِ مَكتوبٌ:

قد كان صـاحبُ هذا القبرِ جوهـرةً — مَكنـونـةً قَـدْ بَـراهـا الله مِن شَـرَفِ
فَلَم يكُـنْ يَعـرِف الأنـامُ قـيمـتَـهُ — فَـردَّهـا غيـرةً منـه إلى الصَّـدَفِ
أقـولُ لجارتي والـدَّمـعُ جـاري — ولي عَـزمُ الرَّحيـلِ مِنَ الـدِّيـارِ
ذريـنـي أنْ أسيـرَ فـلا تـنـوحـي — فـإن الشُّهْبَ أشـرفُهـا السَّـواري
فـسيـرُ الـسَّـائـرينَ إلـى نجـاحٍ — وحـالُ الـمُـتْـرفيـن إلـى البـوار
وإنِّـي فـي الـظلامِ رأيـتُ ضَـوْءاً — كـأنَّ الـليـلَ زُيِّـنَ بـالـنَّـهـارِ
ويـأتـيـنـي مِـنَ الـصَّـنْـعـاءِ بـرْقٌ — يُـذَكـرُني بهـا قُـربَ الـمَـزارِ
وكـيفَ أكـونُ لـلدِّيـدانِ طُـعْـمـاً — وفـوقَ الـفـرقـدينِ بـنيـتُ داري
أأرضـى بـالإقـامَـةِ فـي فـلاةٍ — وأرْبَـعَـةُ العنـاصِـر في جـواري
إلـى كَمْ آخـذُ الـحيَّـات صَـحْبي — إلـى كم أجْـعَـلُ التِـنـيـنَ جـاري
إذا لاقَـيْـتُ ذاك الـضَّـوْءَ أفـنـى — فـلا أدري يـمـيـنـي مِـنْ يـسـاري
ولـي سِـرٌّ عـظيـمٌ أنْـكَـرُوهُ — يَـدُقُّـونَ الـرُّؤوس على الجـدارِ

وقال:

مَنْ أنْكَـرَ مـذهب الهـوى فَلْيـاتي أنـبيــهِ بـمــا سَمِـعْـتُـهُ مِـنْ ذاتـي
أُنبيــهِ عَـنِ الحِـمَى وعَـنْ سـاكِنِـه مَنْ لَمْ يــذُقِ الهـوى مِنَ الأمــواتِ

ولــــهُ:

خَلَعَتْ هيـاكلها بجـرعـاءَ الحِمَى وصَبَتْ لِمَغْنـاهـا القــديم تَشـوُّقـا
محجـوبـةٌ سفـرتْ وأسْفَـرَ صُبْحُهـا وتـجَـرَّدَتْ عَـمَّـا أجــدَّ وأخْـلَقـا
وتَلَفَتَتْ نَحْـوَ الـدِّيـارِ فشـاهـدتْ ربْـعـاً عَفَـا أطـلالـهُ فَتَـمَـزَّقـا
وغَـدَتْ تُـرَدِّدُ في الفضـاءِ حنينها فتــرومُ مُــرْتَفِعـاً زَلـوقَ المُـرْتقى
فكـأنَّهـا أضْـوَتْ إضـاءَة بـارقٍ ثُـمَّ انْـطَوى فكـأنَّـهُ مـا أبْـرَقـا
وقَـفَـتْ تُـسَـائِـلهُ فَـرَدَّ جـوابَـهـا رَجْعُ الصَّدَى أنْ لا سبيلَ إلى اللِّقا
فَبَكَتْ بِعَيْنِ الحـالِ مَعْهَـدَ عَهْدِهَا أسفـاً على شَمْـلٍ مضى وتفـرَّقـا

ولــــهُ:

أفْنيتُ بَعْـدَكُمْ هَـلْ عِنْـدَكُمْ خَبَـرُ طَـرْفِي وَدَمْعِي فـلا عَيْـنٌ ولا أثَـرُ
قَـدْ كُنْتُ أحْـذَرُ أنْ أشقى بِفُرْقَتِكُمْ فَقَــدْ شَقيتُ بها لَمْ يَنْفــعِ الحَــذَرُ
المـرءُ في كـلِّ يـومٍ يـرتجي غَـدَهُ ودون ذلـك مـخبـوءٌ لـه الـقَــدَرُ
الـقَـلْبُ يـأمـلُ والآمــالُ كـاذبـةٌ والنَّفْسُ تلهــو وفي الأيـامِ مُعْتَبَـرُ

وقال:

خليليَ إنَّ الأُنْسَ في فـرقةِ الأُنـسِ فكُنْ أبداً ما عِشْتَ في حَضْرَةِ القِدْسِ
تَعِيشُ بـلا مــوتٍ وتَبْقى بـلا فنىً وَتَلْحَقُ بـالمعنى وتنـأى عَنِ الحسِ
وتَـغْبِـطُكَ الأمـلاكُ فـيمـا أتيتَـهُ ويُشْـرِقُ نـورٌ مِنْـكَ دائـرة الشَّمْسِ
فـأنْتَ هـو المَعْنَى وفيـكَ وجُـودُه وفيك جميعُ الخَلْقِ والعَرْشِ والكُرْسي

ولــــهُ:

ولمَّـا وردْنـا مـاءَ مَـدْينَ نَسْتَقي على ظمأٍ مِنَّا إلى مـوقفِ النَّجـوى

نَـزَلْنـا على حيٍّ كِـرامٍ بيـوتُـهم مُقْـدَّسَـةٌ لا هِنْـدَ فيهـا ولا عَلْوَى
ولاحَتْ لنـا نارٌ على البُعْـدِ أُضْرِمَتْ وجَـدْنا عليهـا مَنْ نُحِبُّ وَمَنْ نَهْـوَى
سـقـانـا فَـحَـيَّـانَـا وأحْـيـا نُـفـوسَـنـا
وأسْـكـرَنـا مِـنْ راحِ إجْـلالِـهِ الـعـفـوى

وأظنها له :

وكُـلَّ صُـبْـحٍ وكُـلَّ إشْـراقِ أبْكي عَـلَيْكُمْ بِـدَمـعٍ مُشْـتـاقِ
قَـدْ لَسَعتْ حَيَّـةُ الـهـوى كبـدي فـلا طـبـيـبٌ لـهـا ولا راقِ
غيـرُ الحبيـب الـذي شَغُـفْتُ بـهِ فـإنَّـهُ رُقْـيَـتـي وتِـرْيـاقـي

وقال :

آيـاتُ نُبـوَّةِ الهـوى بـي ظَهَـرَتْ قَبْلي كُتِمَتْ وفي زمـاني اشْتَهَـرَتْ
هـذي كبـدي إذا السَّمـاءُ انْفَـطَرَتْ شـوقـاً وكـواكِبُ الـدُّمـوعِ انْتَثَـرَتْ
يـا صـاحِ لمَّـا رأيْت شُهباً ظَهَـرَتْ قَـدْ أحْـرقَتِ القُلوبَ ثُمَّ اسْتَتَـرتْ
طِـرْنـا طـربـاً لشـوقِهـا حين سَـرَتْ بـانَتْ وأضَـاءَتْ وِتَـوَلَّتْ وسَـرَتْ

وقال :

أقْسَمْتُ بصفـوِ حُبِكُمْ فـي القِـدَمِ مـا زلَّ إلى غيْـرِ هـواكُمُ قَـدَمي
قَـدْ أمـزج حُبكُـم بِلَحْـمِي ودَمـي قـطعي صِلَتِي وفي وجـودي عـدمي

وقال :

وا اعْشَـوْشَبتِ الـرُّبَى وَفَـاحَ الشيـحُ واثعنجـرَتِ السُّحْبُ ولاحَتْ بـوحُ
أو أزْهـرتِ الـزَّهْـرُ وهـبَّتْ ريـحُ إلاّ وصَـبَـتْ إلـى لِقـاكَ الـرُّوحُ

ولَـــهُ :

بدا لك سِـرٌّ طـال عنْـكَ اهتِمـامُـهُ ولاح ضـيـاءٌ كُنْـتَ أنْـتَ ظِـلامـهُ
وأنْتَ حجـابُ القلبِ عَنْ سِر غيبـهِ ولـولاكَ لم يُـطْبَـعْ عليـه ختـامـهُ

ولـــه:

كـلامـي عُقــارٌ عُـتِّقَـتْ ثمَّ روِّقَـتْ    وبـعضُ كـلامِ القــائـلينَ عَـصيـرُ
إذا بـزغَتْ يـومـاً بُـزاةُ خـواطِـري    فمـا لعصـافيـرِ الـطَّريقِ صَفيـرُ

ومن لطائِف كلمته أشركنا الله تعالى في صالح دعواته:

مَنْ لم يبتهج بأعاجيب سُرَّادِقاتِ العِليينَ، فهو من الغـافلين، ومنْ لم يذُقْ مـائدةَ ربِّ العـالمين فهـو مِنَ الخـاسـرين، ومَنْ لم يتلذَّذْ بلـذَّة أشعَّـةِ أنـوارِ المُقرَّبين فهو مِنَ المحرومين[1].

وقال: إذا ضبطت نفسكَ عَنِ الاشتغال بالزائدِ على مُهمٍّ بدنِـك الضَّروري واستكمَلَتْ بالعلمِ، أتَيتَ على كثيرٍ من الفضائِلِ. وعليكَ بالتَّسابيح والأورادِ، واقْطَعْ الخواطِرِ الرَّديئةَ. وأنفذ الخواطر الجيِّدة، والخواطـر الرَّديئـة إذا قطعتـه أولاً نجوت منه وإلا تنادي بك إلى ما لا يلائم.

وقال: أكثر الدعاء في أمر الآخرة واسأل الله تعالى ما يبقى معك أبـداً لا ما يزول.

وقال: لا تتكلم قبل الفكر، فكر مراراً ثمَّ قُل: فإن كنت بنطقك صابـراً من الصـالحين فيوشـك أن تصير بـالصَّمت ملكاً من المقـربين، وممَّا ينسب إليـه أعلى الله رتبته ولم أتحقق ذلك:

لـو تعلم داركم لمـن قـد جمعت    قـامت رقصت وصفَّقت واستمتعت
والقهـوة لـو نعلم مـن يشـربهـا    كـانت خضعت لشـاربهـا ودعـت

وله أيَّدهُ الله تعالى رتبته فارسية:

يكجنـد بتقليـد كـزيـدم خـودزا    نـايـده همي نـام شيـدم خـودزا
درخـود بـودم أزان نـدبـدم خـودرا    أرخود جون برون شدم بديدم خودرا

---

(1) إلى هنا تنتهي النسخة الموجودة بمكتبة برلين انظر المقدمة.

وقال: لا تعجب بشيء من حالاتك فإن الواهب غير متناهي القوّة وعليك بقراءة القرآن كأنّه ما أنزل إلاّ في شأنك فقط، واجمعْ هذه الخصال في نفسك فتكون من المفلحين.

وقال: الصُّوفي هو الذي اجتمع فيه الملكات الشريفة والتَّصوف اصطلاح عن هذه.

وقال: كما قصرت قوى الخلائق من إيجادك قصرت عن إعطاء حقّ إرشادك بل هو الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثمَّ هدى، قدرته أوجدتك، وكلمته أرشدتك لا تلعبنَّ بك اختلاف العبارات، فإنَّه إذا بُعثر ما في القبور وأحضر البشر في عرصة الله تعالى يوم القيامة لعلَّ من كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسع وتسعون يبعثون من أجداثهم وهم قتلى من العبارات وذبائح سيوف الإشارات، وعليهم دماؤها وجروحها غفلوا عن المعاني فضيعوا المباني.

وقال: الحقيقة شمس واحدة لا يتعدد بتعدُّد مظاهرها من البروج، المدينة واحدة، والدروب كثيرة والطرق عسيرة يسيرة.

وقال: إنّ الرجل لا يصير أهلاً للمعارف والمكاشفات العظيمة إلاّ بتعب عظيم.

وقال: وقد ظهر في زماننا جماعة يظنون دعابة المخيَّلة إذا استهزأت بهم مكاشفة تزيد بذلك الخيالات التي يجدها من يأكل الحشيش.

وقال شعر:

قل لأصحابي رأوني ميِّتاً فبكوني إذا رأوني حزنا
لا يظنوني بأني ميت ليس ذا الميِّت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصي طرت عنه وعليَّ رهنا
وأنا اليوم أنا حي ملا وأرى الله عيانا بهنا

فاخلعوا الأنفس عن أجسادها — لترون[1] الحقَّ حقًّا بيِّنا

ولـهُ:

شربنا على روض الرَّبيع المهفهف — فجادلنا السَّاقي بصهباء قرقف
فلما شربناها ودبَّ دبيبُها — على موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو عليَّ شعاعها — فيظهر جلاَّسي على سرِّي الخفي

وقال:

ترتاح أرواحُ العباد لِوجهها — حتَّى تسمَّى راحة الأرواح
لا تطلب المصباح إنَّ لقاءها — بالليل يغنيك عن المصباح

وقال: أوَّلُ الشروعِ في الحكمة الانسلاخ عن الدُّنيا، وأوسطه مشاهدة الأنوار الإلهيَّة وآخره لا نهاية له.

وقال عقيب ذكر المقولات: أنظر كيف انتقلت الحكمة من النظر في أمور الروحانيَّات ومعرفة الطَّرائق إلى مشاهدتها وسلم الخلع بالعلوم العميقة التي تشهد بصحتها الأمم الفاضلة، وعليها كان مدار الحكمة واعتماد الحكماء إلى ما فعل شيعة المشائين من الاختصار على أمور تشبه مقولة متى والجد، بحيث صارت التي هي بالحقيقة حكمة، وكان عليها السير وشهود أنوار الملكوت متقطعة لا يعرفها المنتسبون إلى الحكمة في هذه الأزمنة وإني لأعلم يا اخواني أنَّه إذا نادى منادي الحقّ بظهور الحقائق تنطمس هذه الأقاويل الناقضة الشَّاغلة وإن بقيت تبقى في المواقف الجدلية في رياضات المبتدئين. وتعود الحكمة الرئيسة فإن صاحب الزَّورة ذات الألق إذا أنذر صدق وإذا وعد حقَّق.

وقال بعد قوله: بين السَّواد والبياض أنواع غير متناهية فمثل هذه هو سيِّئاتٌ، وقعوا فيها لتضييع طرائق الحكماء الأقدمين من السلوك وعلوم

---

(1) «كذا» في «أ». ولعلَّه أثبت النون لضرورة الوزن.

المشاهدة لأنوار الملكوت وأسرار الخلع والتجريد ودوام الانصباب إلى مطالعة جلال الحقّ. فلمّا تركوا سلّط الله عليهم هذه الهوسات. أما تراها كيف تقسي القلب وتضيّع الوقت وتشوّش الفكرة، وليس فيها طائل، بل يجوز النظر فيها لتشحيذ الطّبع في أوائل أمر السالك ليرتقي إلى أهليّة العلوم الخفيّة، أمّا الاقتصار عليها فهو جهلٌ وخسارة، وإن لم تصدّقني ففكر في رموز الأقدمين، وتأمّل كتب أفلاطُن وهرمس لتعلم أنَّ لهم علوماً أشرف من مقولة متى والملك.

وقال بعد أن ذكر عرض الأفلاك في الحركاتِ على رأي المشائين: وأمّا أنت إن أردت أن تكون عالماً إلّهياً من دون أن تتعب وتواظب على الأمور المقرَّبة إلى القدس فقد حدثت نفسك بالمُمتنع أو شبيه المُمتنع، والنّاس يجتهدون في طلب باطل غاية الاجتهاد وأيضاً رهابون الأمم وزهادهم قد يرتكبون الأمور الشّاقة ويتركون المألوفات لا لغرضٍ شريفٍ، بل لمطالب خسيسة، فقبيح لطالب الحكمة أن لا يجتهد ولا يطلب الطرق فإن طلبت واجتهدت لا تلبث زماناً طويلاً إلّا وتأتيك البارقة النّورانيّة وسترتقي إلى السكينة الإلّهيَّة الثابتة فما فوقها إنه كان لك مرشدٌ. وإن لم يتيسّر الارتقاء إلى الملكة الطامسة، فلا أقل من ملكة البروق.

وقال: لا تحدِّثْ نفسك إن كنت امرأً ذا جدٍ بأن تتكي على سرير الطّبع راضياً برغد عيشه في هذه الحرية القدرةِ وتمدُّ رجليك وتقول: قد أحطت من العلوم الحقيقيَّة بشطرها ولنفسي عليَّ حقّ كيف وقد فزت قصب السَّبق على إخواني، إنّ هذه خطرةٌ ما أفلح من دام عليها قط.

وقال: كلُّ هذه العلوم صفير صفير يستيقظك من رقدة الغافلين، وما خلقت لتنغمس في مهلك التيه يا مسكين وانزعج بقوَّة وارفض اعداء الله تعالى فيك، واصعد إلى الطّامسين لعلّك ترى ربك بالمرصاد.

وقال: وليكن يومك خيراً من أمسك ولو بقليلٍ، وإلّا فأنت من الخاسرينَ، روِّح سرَّك بترك ما ثقلت عليك تبعاته، اذكر موتك وقدومك على الله عزَّ وجلَّ

في كل يومٍ مراراً. احفظ النَّاموس يحفظك، لا تؤخر إلى غدٍ شغل يومك فإنَّ كلَّ يومٍ آتٍ بمشاغله، ولعلَّك لن تلحقه.

وقال: كُنْ ذا عزيمة فإن عزائم الرجال تحرِّك الأسباب.

وقال: وبباب الحق قوم لا تشغلهم صدمات الأسباب، ولا يجزعون من البلاء، فإن البلاء صراط الله به عبرت قوافل الرِّجال ولو سلكته لوجدت عليه آثارهم وتعرَّفت منه أخبارهم، فكل أرضٍ لم يصبها صيبٌ من المصائب أبت أن تنبت نبت النجاح.

وقال: نعم الرَّفيقان الجوع والسَّهر، يضعفان أعداء الله من القوى بعقر مطاياها، وتعد المستشرف لسناء الإشراق، الفقر سوط الله به ساق الصِّديقين إلى فواصل الدَّرجات.

وقال: يا من كُلِّف بالنطق المبين صبراً على ما أُمرت به، أقم الذكر فلن يصدك عنه أحد، وسيهلك الله الكافرين بغتةً، إن الله تعالى هو القائم على النفوس يستوفي الحقوق للعباد.

وقال: لكل قهوةٍ سكارى، ولكل بحرٍ مغرقون، كم بين صائرٍ في الظلمات زحزح عن نور الشمس، وبين حائرٍ أغرقه نورها في قربها الأقرب.

وقال: أن تعبد الله تعالى حباً خيرٌ من أن تعبدهُ خوفاً، فإن التعبد بالتخويف دين اللئام.

وقال: إعمل لنفسك فلقد ذلَّ من أحوج إلى الشفيع.

وقال: نقِّش مَداركك أيُّها الإنسان بأفضل ما يمكن ونزهها عن خبيثات الأمور فإن قيم الموادِّ تصورها.

وقال: لا تترك الفكرة الخبيثة تسري كالسُّم، إصرفها وهي ضعيفة لئلّا تستضعفك قوتها، أدرك صغار الأمور قبل أن يدركك كبارها. إسلك أيُّها

الفكور بقلبٍ يقظانٍ وقف موقف التّعظيم وانت من النور زيّان. اغتنموا قُدرتكم الزّائلة.

وقال: فيا من أضلّ أقرب الأشياء منه ما أبعدك من أبعدها. أُطلب بارىء الكل في القرب الأقرب وإن كان في العلو الأعلى قهراً وشرفاً أمر الله تعالى لا يتعطّل بما توانيت أيها المتخلّف، ولكنك تبقى عرِّياً عن الفضائل مُدّ عينيك مداً وأبسط إبساطاً واتركِ الشّاغلات من بنات الظُّلمة لترى القيُّوم قائماً بالقهر على رأس الوجود كله بالمرصاد. لقد غنّى الحبيب فأين الواجدون هذه برزة النور، والقوم في ملعب العشق يلعبون، لا تبائس بنقار الهمج، ولا تبع هيبة الصّمت بالوسط من الكلام.

وقال: لا تترك حامل السّيف الجاهلي أن يدنو، ولا المرأة المستهونة الملقية الجسد في الطّرائق أن تتشبّث بذيله، وطوائف من النيران التي قلّ ضوؤها وكثُر دخانها طفقت تنطفىء لهبوب ريح زعزعٍ. إنّ عبدة البطن والفرج في الدّارين لعنوا لعناً يقطع أدبارهم ويوردهم إلى سوء البرازخ المشحون بالعذاب.

وقال: العقل نور الله ولا يهتدي إلى النور غير النور، لا تظهر صورةٌ فردانيّةٌ إلاّ في مرآةٍ فردانيّة، النّفس مرآة الله تعالى، ومرآة الله لا تشبهها مرآة الأجسام، إذا انحلّ التركيب رجع الواحد إلى الوحيد.

وقال: إصرف الفكرة إلى الآثار واعرف الله تعالى بأعاجيب آياته بشواهد بينة الحضور فإن الفكرة لا تتسلط على إلّه الأرباب.

وقال: إذكري أيتها المدينة الفاضلة ربك بأصواتك المتجامعة والصّياح والتفخيم والتّعظيم، ما أبهاك يا مدينة لحِّني بذكر الله تعالى أسواقها ومشاريعها ومسلكها وبيوتها وسطوحها عند بلوغ رأس النيرات إلى مراسم التّسبيح. وكبري تكبيراً جهرياً تهزم جنود الشيطان، وتقهر عبدة الطّاغوت، وترعد خبيثات النُّفوس وتهزّ النفوس ويحرِّك الأشباح الصّيحة الجهورية

بالتَّسبيح فريضة في كتاب الله المسطور بالبيان.

وقال: لولا إراعة المبطلين نطقت الفطرة بشـواهد الإيمـان، ادفعوا سمـومَ الحادثات بحميَّا الأزلِ، إذا رضي صاحب اليد العليا خسرت الوشاةُ.

وقـال: أمر الله بـالرَّصـد إذا توغلت في الهـوى علمك الهـوى كيف تكون كتاب الله مشهوراً يـراه الغافلون ويـرأه العاقلون، مـا شُكِر الـرَّبُ بأفضـل من الصَّبر، ولا أرضاه كالرِّضى[1][2].

## 126ـ الإمام العلامة فخر الدين محمد بن الخطيب الرَّازي[3] رضي الله عنه

إمام زمانه، وفاضل أيَّامه، صاحب التصانيف المعظَّمة والمؤلفات المفخَّمة في أكثر العلوم. بلغ رحمه الله تعالى في البحث والجدل والقيل والقال مبلغـاً عظيماً. ولم يكن في عصره أحد يدانيه في البحث، وكان خاطـره قويـاً وذهنه جلياً، كثير الفكر والنظر، وكـان لمجلسه جـلالةٌ وعـظمةٌ، وكـان يتعاظم حتَّى على الملوك.

وكـان إذا جلس للدَّرس جلس قـريبـاً منـه الليثي والمصـري والشَّهـاب النيسـابوري[4] وغيـرهم من التلاميـذ الكبار وسـائر الخلق على قـدر مراتبهم، وكان يتكلم مع الكبار وهم يبحثون مع غيرهم.

وله مصنَّفات في أكثر العلوم إلاّ أنَّه لا يذكر في زمـرة الحكماء المحققين، ولا يعـد في الرَّعيـل الأوَّل من المدققين، أورد على الحكمـاء شكوكـاً كثيـرةً وسيَّبها وما قَدرَ على التَّخلص منها، وبعضهم زاد عليها أيضاً؛ ووجـه صعوبـة حلِّها عدم فهمهم مقاصد الحكماء الأقدمين. وبناء البحوث على تقـرير قـواعد

---

(1) هنا آخر النسخة ب.

(2) نقلت قائمة كتب السهروردي إلى آخر الكتاب مع الفهارس وهي لم ترد في النسخة (ب).

(3) القفطي، ص: 291، أصيبعة، ص: 462.

(4) أ: ح. ن.: السهروردي.

المشائين التي هي عند حكماء الكشف والذّوق متزلزلة الأركان، واهية البنيان، وإلّا فإذا ظفر الإنسان بالأصول الصَّحيحة من جهة الذَّوق علم وجه حلِّها بأقرب سعي.

ولا تثبت أمثال تلك الشُّبهات إلّا في النُّفوس العاميّة الكدرة التي لم تستعد للفيض القدسيِّ ولم تتهيَّأ لنزول النور الإلّهي الذي ينشرح به الصدر ويحيا به القلب، ومن ذلك النُّور تنحلُّ الشُّبهات وتزول الشكوك وتحصل الحقائق والمعارف، وإلّا فمُحال أن يحصل اليقين العلمي بمجرد المطالعة لتلك المؤلفات، وترديد النَّظر في تلك المصنَّفات من غير تجريدٍ وإخلاص إلى المنهج القوي والسلوك الحسن إلى الصِّراط المستقيم، وعلامة البعد عن الله تعالى وملائكته ولطائف ملكوته ثبوت تلك الهذيانات في القلوب ورسوخ تلك الشبهات في الصدور.

وبالجملة فالرَّجل لم يحصِّل شيئاً من سرائر الحكماء المتألِّهين، ولم ينل مكنون علوم العلماء الأقدمين بل اشتغل طول عمره بجمع أقاويل الناس وتفريعها وتهذيبها وايضاحها وإيجازها مرة وبسطها أخرى، والتصرف فيها بالعبارات والتَّغيرات من ورقةٍ إلى ورقة ومن مسودةٍ إلى أخرى طلباً للجاهِ الوهمي ومحبةً للترؤس الخيالي من غير أن يظفر من الحكمة بطائلٍ أو يرجع البحث إلى حاصل.

وأعجب أحوال هذا الرَّجل أنَّه صنَّف في الحكمة كُتباً كثيرة توهم أنَّه من الحكماء المبرَّزين الَّذين وصلوا إلى غايات المراتب ونهايات المطالب، ولم يبلغ مرتبة أقلهم.

ثم رجع وتبصَّر مذهب أبي الحسن الأشعري المتكلم الذي لا يعرف أيَّ طرفيه أطول لأنَّه كان خالياً عن الحكمتين البحثيَّة والذَّوقيَّة، ولا يعرف ترتيب حدٍ ولا يقيم برهاناً بل هو شيخ مسكين متحيِّرٌ في مذاهبه الجاهليَّة، التي يخبط فيها خبط عشواء.

واعلم أنَّه وإنْ لم يظفر بالحكمة على جليَّتها إلاّ أنّه كان رحمه الله تعالى شديد الإستعداد قوي النَّفس في استخراج اللطائف والفوائد من كلام الحكماء إلاّ أنَّ عيبه عدم التَّجرُّد والسلوك. لكن يحصل فراغه القلب، وهذا أمرٌ لا ينال إلاّ بهذا، فلا جرم، لم يترق إلى مقاماتهم ولم يقف على أسرارهم، وبعض شبهه صحيحة إلاّ أنه في الأخير يعجز عن إتمامها لعدم الأصل الذي يبنى عليه البحث.

وسافر في طلب العلم إلى خراسان وإلى مراغة وانشغل بها على مجد الدين الجبلي مدة حتى حصل لنفسه استقلال التحصيل والفكر بنفسه، ثم سافر إلى خدمة السلطان غياث الدين وأخيه شهاب الدين، وكانا ملكين في بلاد الغور، وأكثر تلك النواحي كراميَّة مجسَّمة فحظي عند غياث الدين وكان بواسطة صحبة فخر الدين، ارتفع قليلاً عن مذاهب الكرامية.

واتفق أن فخر الدين وعظ هناك يوماً وتكلم بشيءٍ ينافي مذاهبهم، فهمُّوا به فهرب واستجار بالسلطان، فتحيَّل على تخليصه، ثم رحل من هناك إلى غزنة وأقام يدرس في بعض المساجد مدة حتى اتصل بعلاء الدين تكش خوارزم شاه، وصار معلِّماً لولده محمَّد حتى أفضى الملك إلى محمَّد، فصار له الجاه العريض والمال الكثير حتى أنَّه كان يغلظ عليه في بعض الأوقات ويحتمله.

ثم رحل إلى هراة وبنى له السلطان هناك مدرسةً وكان يُدَرِّس بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في سنة ست وستماية هجرية وكان عمره يومئذ ثلاثاً وستين سنة، ودفن في أسفل الجبل بهراة وأوصى أن يدفن ليلاً خوفاً من العامة.

وكان نسبه يرجع إلى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وتوفي، وأسباب الدنيا عنده كاملة من مال وبنين وغلمانٍ وجوارٍ، وأعتق بعضهم، أوكلهم عند الموت، واعطى كل واحد شيئاً. وكان أبو بكر أكبر أولاده وهو الذي ورث منصبه في التَّدريس والوعظ.

وكان رحمه الله تعالى على ما بلغنا كثير الأكل والمباضعة محباً للجاه، وكانت أخلاقه شرسة يؤذي بها المحصلين إذا بحثوا عنده وهو الذي يقول في وصف أخلاقه:

| | |
|---|---|
| أشكو إلى الله من خلق يغيّرني | ويمحق النّور من عقلي ومن ديني |
| حرارة في مزاج القلب محكمة | تبدو فتنمو فتغويني فترديني |

ويُروى: أنه دخل عليه بعض أصحابه يوماً فوجده باكياً حزيناً فسأله عن ذلك. فقال: كنت أعتقد في بعض المسائل إعتقاداً منذ مدَّة، وأزعم أنَّ ذلك هو الصَّواب، وأن ما عداه خطأ حتَّى وقع إليَّ كلام بعض المحصِّلين فيها فرأيت أنَّ اعتقادي كان باطلاً في هذه المدة، مما يؤمنني أن تكون جميع علومي بهذه الصِّفة.

وقال: كُلُّ علمٍ يحصل بمجرّد البحث والجدال من غير سلوك قدسي وتجرُّد، وفي هذا حكمه ولا يمكن حصول اليقين بمجرَّد الاقتصار عليه، وحصول اليقين والطمأنينة للنَّفس إنَّما تكون بالكشف والذَّوق.

فعليك يا أخي بالمسارعة للتَّجرد والإخلاص إلى ذلك السبيل. وكان أكثر عمره مشغولاً بكتبه للتَّصانيف في كل فنٍّ، حتى أنَّه كان يصنِّف في علومٍ لا يعرف حقائقها، ويشهد بصحة هذه القضيَّة تصنيفه للسِّرِّ المكتوم في السِّحر والطلسمات والنَّيرنجات وبعض خواص الفلك.

وأنا أجزم بأنَّه كان خالياً من سرائر هذه العلوم. وأكثر الشُّبه التي أوردها على الحكماء لأبي البركات اليهودي، ومن تصرُّفات ذهنه.

وهذا الذي ذكرناه من حقيقة أحواله ليس غرضنا القدح بل غرضنا تيقّن طريق الحقّ فإنَّه وراء ما اشتغل به هو وأمثاله من الخائفين في الدُّنيا المقتصرين على البحث الصِّرف، ومن كلامه الجيِّد قوله: والله أنني أتأسف في

الفوات عن الإشتغال بالعلم في وقت الأكل[1] والزّمان عزيز، وله أشعار بالعربية ليست بتلك الجيِّدة، منها:

نهاية أقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في غفلةٍ من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أنَّ جمعنا فيه قيل وقال
وكم قد رأينا من رجال ودولةٍ ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبالٍ قد علا شرفاتها ... رجالٌ فزالوا والجبال جبالُ

وله:

فلو قنعت نفسي بميسور بلغةٍ ... لما سبقت في المكرمات رجالها
ولو كانت الدُّنيا مناسبةً لها ... لما استحقرت نقصانها وكمالها
ولا أرمق الدُّنيا بعين كرامة ... ولا أتوقَّى سوءها وأخبالها
وذاك لأنِّي عارفٌ بفنائها ... ومستيقنٌ ترحالها وانحلالها
أروم أموراً يصغر الدَّهرُ عندها ... وتستعظم الأفلاك طراً وصالها

وله:

أرواحنا ليس تدري أين مذهبها ... وفي التُّراب توارى هذه الجُثثُ
كون يرى وفسادٌ يتبعه ... الله أعلم ما في خلقه عبثُ

ولهُ من غرائب الكتب تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النَّقْلي وشرحُ نهج البلاغة غيرُ تامٍ، والملل والنِّحل، ومنتخب كتاب تنكلوشا، والله أعلم. ومن هنا زيادات غير كلام مؤلف الكتاب[2].

---

(1) أ: ح. ن.: فإن الوقت.

(2) الأعلام الآتية فيما بعد أسماء وتراجم قد وردت في النسخة أ من المخطوط وهي ليست ضمن المخطوط الأصلي للمؤلف، ومن إضافة الناسخ نفسه.

## 127 ـ أفضل الدين محمد المرقي المعروف بالقاشي

كان حكيماً، انقطع آخر عمره بقريةٍ من قرى قاشان، وتـوفي بها قـريباً من سنة عشر وستمائةٍ.

## 128 ـ أفضل الدين البامياني

(1) حكيماً مبرزاً خصوصاً في الرِّياضي، توفي سنة بضعٍ وعشرين وسِتّمائةٍ.

## 129 ـ تاج الدين الأرموني

(2) فـاضـلاً متبحـراً، جمـع بين الشّـريعـة والفلسفـة، سمعت من مسلك السّـادة والعلمـاء شرف الـدين، أنّـه لمـا شـرع في الحكمـة كـان من جملة محفوظاته أربعون الف بيتٍ من شعر العرب، وله شعر جزل حسن.

فمن جملته ما أنشدني السّيد المعظم رواية عنه رحمه الله تعالى:

| | |
|---|---|
| على كـــل جيـــدٍ للمنـــون سمـــات | وقـــد طـال عمـــر الأولين فمـــاتـــوا |
| صـوابـح حتفٍ والمنــايـا رواصـــد | وميـــدانهـا الـــدُّنيـــا ونحن كـــرات |

وكان حسن المنظر، يتكبَّر على أهل الدُّنيا، كثير التَّواضـع للفقراء، حـجَّ في آخـر عمره، وتوفـي ببغداد سنـة أربع وخمسين وستّمـائةٍ، وكـان لـه من العمر مائة سنةٍ، وواحد وعشرون سنةً سمعت ذلك من بعض تلامذته الثِّقَات، وكان يتغذى كلَّ يوم مرَّة واحدة بعد الظهر.

## 130 ـ كمال الدين بن يونس

كان رجلاً عالماً متبحراً في أكثر الفنون، ولم يصنِّف كتاباً، توفي سنة بضع وثلاثين وستّمائة بالموصل.

---

(1) و(2) كان: زيادة يقتضيها السياق. (المحقّق).

## 131 ـ مولانا نصير الدين محمد الطُّوسيُّ

وكان رجلاً فاضلاً متبحِّراً في أكثر العلوم خصوصاً في الرياضي، صنَّف كتباً كثيرةً في أقسام الحكمة، وبنى الرَّصد بمراغة بمعاونة جماعةٍ من الفضلاء، منهم: مؤيد الدين العرضي، وهو رجل عالم بالرِّياضي، وفخر الدين الأخلاطيُّ، وكان الغالب عليه الطب، ونجم الدين القزويني والغالب عليه المنطق، وفخر الدين المراغي، ومحيى الدين المعري، والغالب عليهما الرياضي.

فكان مولد نصير الدين رحمه الله تعالى بطوس سنة سبعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، وانتقل إلى نيسابور، واشتغل على فريد الدين داماذ، وقطب الدين المصري تلميذ الإمام فخر الدين.

وانتقل منها إلى بلاد الملحد، وخدم علاء الدين بن مسلمان، وكان له ثمة فراغ فاشتغل بتصنيف شرح الإشارات وتهذيب المجسطي، وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائةٍ فتح المغول القلاع، وحظي عند المغول وأمر بالرَّصد وتوفي في سابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ودفن بمشهد موسى بن جعفر عليهما وعلى آبائهما السلام من ظاهر بغداد.

## 132 ـ كمال الدين عبد الخالق المعروف بابن الداعي

كان يهودياً، حكيماً شاعراً عالماً بأجزاء الطب، أقام مدة في خدمة صاحب مازكرد، ثم انتقل إلى خدمة هولاكو ملك التَّاتار ثم اشخص إلى خدمة مان ملكهم الكبير المقيم ببلاد الخطا، وتوفي بها ومن شعره، قوله:

ضوء العلوم ونور الفكر يصدعني ... كأنني بسواد الحظِّ ملتطمُ
حواء كل دجىً حظِّي وآدمُهُ ... كأنَّما خلقت من حظِّي الظُّلمُ

# الحكماء قبل ظهور الإسلام

8 ـ أسقلبيوس: إله الطب اليوناني القديم **Escalepius**

أول من أظهر مهنة الطب والعلاج. وجاء في إلياذة هوميروس إنه طبيب عاش قبل حروب طراودة. وفي الأساطير اليونانية فهو ابن أبولو، برع في الطب ونبغ فيه ثم قتله الإله زيوس بصاعقة لأنه أحيا أحد الموتى. وبدا الاعتقاد بأسقلبيوس وتعاليمه في الطب منذ القرن الخامس قبل الميلاد حيث أقيمت له المعابد والطقوس الخاصة. وتصوّره التماثيل رجلاً ممسكاً بعصاه التي تتسلقها الحية، ومن هنا صارت الحية رمزاً للطب فيما بعد.

9 ـ أنباذوقلس: 495 - 435 ق.م. **Empedocles**

فيلسوف يوناني من أجرجنتون بصقلية. قال إن العالم مكوّن من أربعة عناصر هي: الماء والهواء والنار والتراب، ولكل منها كيفية خاصة، فالحار للنار. والبارد للهواء. والرطب للماء. واليابس للتراب. وهي كيفيات لا يتحول بعضها الى بعض. وتجتمع العناصر وتفترق بفعل قوتين يسميها الإلفة والنفور فالإلفة تضم الذرات المتشابهة والنفور بفصلها.

10 ـ فيثاغورس: 582 - 507 ق.م.

فيلسوف يوناني ولد في مدينة ساموس. أسس جماعة دينية تؤمن بتناسخ الأرواح وضرورة الحياة المطهرة من الشهوة ورأى أن جوهر الأشياء هو العدد وله نظرية هندسية تعرف باسمه. ويرى أن الغاية من تعليم الرياضيات والموسيقى هي بلوغ الانسجام بين الروح والجسد.

11 ـ سقراط: 470 - 399 ق.م. **Socrates**

من كبار فلاسفة اليونان نبغ في القرن الخامس قبل الميلاد، ولد سنة 469 ق.م.، توفي سنة 396 ق.م. إتسم عصره بصراع الفلاسفة وضوضاء السفسطائية، وكان سقراط ألدَّ أعدائهم حتى أوقعوا به وسجن وعذِّب طيلة حياته.

وكان سقراط من تلاميذ فيثاغورس واقتصر على العلوم الإلّهية من الفلسفة وعارض اليونانيين في عبادة الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلّة فأثاروا عليه العامة ثم قتلوه.

قيل إن سقراط لم يؤلف كتاباً قط، فكانت فلسفته مبثوثة في محاوراته ومحاضراته، وكان خير تلاميذه أفلاطون وهو الذي نقل مذهبه وطوّره. ومن محاوراته يتضح إيمانه بوجود الله ويثبت ذلك بالبراهين الطبيعية والتاريخية، وكان قوي الحجة وله أسلوب خاص في الجدال والإقناع.

(دائرة المعارف ج 5 ص 180 - 196)

12 ـ افلاطون: (427 - 347 ق.م.) **Plato**

أشهر فلاسفة الأقدمين من اليونانيين. ولد في جزيرة أمبين سنة 330 ق.م. وتوفي سنة 247 ق.م.

اتخذه سقراط تلميذه الأول ولما حكم على سقراط بالموت هجر وطنه وأكبّ على العلم والفلسفة، وذهب الى ايطاليا ومصر ثم رجع الى أثينا وأسّس بها دار العلوم.

وفلسفة أفلاطون هي فلسفة أستاذه سقراط، إلا أنه بما اكتسب من العلوم الكونية ألقاها على الناس في ثبوت جديد ثم أضاف إليها أفكاره الخاصة المكتسبة فجاءت أكمل فلسفة عرفها الناس. وعرف بسمو العقل وبُعد النظر في عوائد الأمم وأخلاقها. وهو طبيب حاذق وله العديد من الكتب في الفلسفة والطبيعة والطب.

(دائرة المعارف ج 1 ص 418)

13 ـ ارسطو (384 - 322 ق.م.) **Aristotle**

أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين. ولد في أسطاغيرا/مقدونيا سنة 384 ق.م. وتوفي سنة 322 ق.م. تعاطى في بدايته صناعة الطب طلباً للعيش وألّف فيه كتاباً اسمه الصحة والمرض. ثم شخص الى أثينا في عصر ازدهار الفلسفة وكان شيخها إذ ذاك أفلاطون، فألحق به نحواً من عشرين سنة ثم اعتزله فجأة فكان ذلك مسوغاً لأعدائه للطعن عليه والنيل منه، وزاد مطاعتهم شبهاً بالحق. إن فلسفته تباين فلسفة أستاذه من كل وجهة وتنقضها حتى يخيل للناظر أن أرسطو تعمّد نقض فلسفة أستاذه لغرض في نفسه.

ذلك أن فلسفة أفلاطون مبناها التصورات وسنادها الأفكار والتأملات فهو فيلسوف عقلي خيالي بحت. أما فلسفة أرسطو فأساسها المشاهدات والمحسوسات، وقواعدها التجارب والمقارنات فهو فيلسوف حسي صرف. ويلقّب بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية وله كتب عديدة في الإلهيات والطبيعيات. وأرسطو أول من برهن على وجوده تعالى بنظرية الحركة في كتابه «اثولوجيا».

ومن أقواله:

الفرق بين العالم والجاهل كالفرق بين الحي والميت.

الأمل حلم اليقظان.

لنحفظ حب سقراط وأفلاطون ولكن لنحب الحقيقة أكثر منهما.

**(دائرة المعارف ج 1 ص 164 - 165)**

**14 ـ انكساغوراسي: (500 - 428 ق.م.)**

حقق نتائج في وصف أساس على الظواهر الجوية وتفسير الكسوف والخسوف تفسيراً علمياً صحيحاً. وأدرك أن القمر يستمد نوره من الشمس. وقال بتطوّر الحياة الحيوانية والبشرية مما أظهره فيما بعد كوبرنيق وداروين، ووصف الشمس بأنها كتلة من الحجارة المحترقة، (وكانت الشمس لا تزال تعتبر إلهاً من الآلهة). لذا نقم عليه الأثينيون وكثر خصومه واتهم بالإلحاد وهرب من مدينته.

**15 ـ ثاوفرسطس: 372 - 287 ق.م.**

فيلسوف يوناني خلف أستاذه أرسطو في تزعّم المشائين. وازدهرت المشائية على يديه وكان صديقاً لفيليب الثاني المقدوني ولبطليموس الأول. وكتب في موضوعات كثيرة أخصها النبات، وله كتاب شخصيات رسم فيه شخصيات من أنماط مختلفة صوّر بها معاصريه.

**18 ـ ديمقراطيس: 460 - 370 ق.م.**

فيلسوف يوناني يرى العالم مؤلّفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها، لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً، ولا تدرك بالحواس، ولا تنقسم، ولا تغنى، وتتحرك دائماً فيلتصق بعضها ببعض وتتكون الأجسام. وقد تدرك الحواس اختلافات في الكيف بين الأشياء.

وغاية الحياة عنده هي السعادة، متحققة بالسكينة النفسية.

**19 ـ برقليس/بركليس: 495 - 429 ق.م.**

زعيم وفيلسوف إغريقي. عرف باتساع أفقه وذكائه. كان هدفه أن يجعل أثينا زعيمه الحضارة الاغريقية، وقوة سياسية كبرى. وتحت قيادته شهدت أثينا أزهى عصورها. وأقيم فيها أروع المنشآت وأجمل التماثيل وبلغت نظامها الديمقراطية أقصى مداها.

**25 ـ الاسكندر الافروديسي:**

ولد وعاش في أفروديسيا بآسيا الصغرى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي.

هو الفيلسوف اليوناني الذي كان عائشاً بعد الاسكندر الأكبر في أيام توزُّع ملكه بين قواده. كان متقناً للعلوم متجراً فيها وكان له مجلس عام يدرس فيه الحكمة. وقد فسَّر معظم كتب أرسطو تفاسير مفيدة وبينه وبين جالينوس الطبيب مناظرات ومجادلات وله العديد من المصنَّفات منها: تفسير كتب قاطيفورياس لأرسطو وباريمينياس وأنالوطيقا وطوبيقا.

**28 ـ ديوجانس الناسك: 412 - 322 ق.م.**

فيلسوف يوناني من الكلبيين. عاش في أثينا داعياً الى البساطة، ويروى عنه أنه كان يجوب الطرقات نهاراً حاملاً مصباحاً ليبحث في ضوئه عن «الانسان» أي الانسان الذي تتمثل فيه الفضائل البشرية الصحيحة.

**29 ـ ابقراط:**

ولد بمدينة كور.

كان الطب قبل أبقراط ضرب من الشعوذة والطقوس والخرافات. وأكبر فضل لأبقراط ـ وخلفائه ـ أنهم حرروا الطب من الدين والفلسفة.

من أشهر أقواله:

«العلم كبير ولكن الوقت يمر مرّ السحاب».

«النظريات الفلسفية لا شأن لها بالطب والعلاج يجب أن يقوم على شدة الملاحظة».

وهو صاحب نظرية الأخلاط الأربعة: «إن البدن يتكوّن من أربعة أخلاط هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وإن الانسان يستمتع بالصحة الكاملة إذا امتزجت فيه هذه الأركان بنسبها الصحيحة». وقد بقيت هذه النظرية ولم يتخل عنها الناس وبعض الأطباء إلا قبل قرن من الزمان.

وكان يؤمن بالعدوى ونقل المرض المعدي من انسان لآخر. ويؤمن بأهمية الغذاء والرياضية والهواء قبل استعمال أي دواء.

وقد رفع ابقراط من شأن هذه المهنة بتوكيد شأن الأخلاق في الطب وربما كان القسم الشهير الذي يعزى إليه قد وضع لضمان ولاء طالب الطب بمهنته ومعلميه».

30 ـ أوميروس الشاعر/هوميروس:

أعظم شعراء اليونان وأشدهم تأثيراً في أدباء الغرب في مختلف العصور. بعث نهضة اليونان وخلق منهم أمة قوية تؤمن بدين واحد وتتخذ لغة واحدة. نظم الألياذة والأوديسا. ويرجح أن يكون قد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

(قصة الحضارة: ول ديورانت.
ترجمة محمد زيدان 1968 مج 2 ص 184 - 192)

31 ـ سولون: 640 - 635 ق.م.

مشرِّع ومصلح أثيني. عهد إليه بالحكم. ومنح سلطة كاملة ليخفف وطأة الحالة الاقتصادية وبعيد النظر في الدستور الأثيني. يعزو كثيرون الى سولون إلغاء الديون، لكن يحتمل أنه لم يذهب الى هذا المدى وإنما ألغى قيود الدائنين على أملاك المدينين. وضع أساس الديمقراطية الأثينية بما أدخله إصلاحات دستورية. وأنشأ المحاكم الشعبية. لم تحقق إصلاحات سولون كل الأغراض المنشودة ولكنها طبقت لسنوات طويلة.

32 ـ زينون الأكبر (الرواقي): 336 - 264 ق.م.

فيلسوف يوناني مؤسس المذهب الرواقي. تأثر بالكبيين وحاول أن يضع لمذهبهم الأخلاقي أساسه الميتافيزيقي والمنطقي. نسّق كثيراً من أفكار هرقليطس وأفلاطون وأرسطو في بناء فلسفي، واختار لتعليمه رواقاً منه أخذت المدرسة اسمها.

33 ـ الاسكندر الأكبر: (356 - 323 ق.م.)

هو ملك مقدونيا وأشهر قائد حربي في العالم القديم. ولد بمدينة بلّا سنة 356 ق.م. وقرأ على أرسطو كل المعارف الانسانية المعروفة إذ ذاك من شعر وسياسة وأخلاق وفصاحة وطبيعة وطب الخ. وتولى الملك بعد موت أبيه فيليب وعمره عشرون سنة. واتجه لفتوحات في فارس والهند ومصر وبابل وتوفي بها وعمره 33 سنة في

(323 ق. م.) وحياته ملحمة حروب مع هذه الشعوب وملوكها وصراع مع قادته وجيشه واختلطت بالكثير من التفاصيل والإضافات حتى صارت أقرب إلى الأسطورة والخيال، ولكنه يعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات في التاريخ.

**(دائرة معارف القرن العشرين ج 1 ص 311 - 320)**

**34 - بطليموس: ت بعد سنة 161 م.**

عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزيقا ومؤرخ. نشأ بالاسكندرية. له أرصاد هامة عن حركة القمر والنجوم واعتبرت أعماله في الفلك والجغرافيا مرجعاً أساسياً حتى أيام كوبرنيكوس. وأشهر كتبه المجسطي، يبحث في الفلك والرياضة. وله جداول بها 1028 نجماً تعتبر أقدم وصف دقيق معروف للسماء، ونظريات هامة في حساب المثلثات.

**38 - اقليدس:**

عالم رياضة يوناني نشأ في الاسكندرية ربما في عهد بطليموس الأول. أنشأ مدرسة مشهورة بالاسكندرية وقام بتنظيم وتنسيق علم الرياضة في عصره وضمنه مؤلفه «الأصول». وترجم هذا الكتاب الى العربية في القرن الثامن ثم نقل من العربية الى اللغات الأوروبية في القرنين 12 و 13. ومن مؤلفاته الأخرى «الظاهرة» و «التقويم» و «البصريات» و «القسمة».

**39 - لقمان الحكيم:**

حكيم معمر، عرف في الجاهلية. وفي القرآن سورة باسمه تعرض نماذج من حكمه التي تنصبّ خاصة على وصية لابنه. وفي الأمثال والحكم عبارات شتى تعزى الى لقمان. وقيل أنه كان نجاراً أو راعياً، أو عبداً حبشياً وأضحى أسطورة تاريخية دون تحديد المكان الذي وجد به وسنوات حياته ومماته.

**40 - جالينوس: 130 - 200 م.**

طبيب وكاتب يوناني. ولد في برجامون وعمل جراحاً لمدرسة المصارعين بها بعد أن أتم دراسة بلاد اليونان وآسيا الصغرى والاسكندرية، ثم أقام بروما حيث ذاع صيته فاختاره ماركوس أوريليوس طبيباً لبلاطه. وينسب الى جالينوس خمس مائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة. وبقي من مؤلفاته الطبية ثلاثة وثمانون على الأقل. وقد

أضاف الى ما سبقه من معارف طبية باكتشافاته التي توصّل إليها بـالتجريب وبتشريـح أجسام الحيوان، وله إضافـات في علم وظائف الأعضـاء. وأضاف الكثـير الى المعرفـة بالمخ والأعصاب والحبل الشوكي والنبض. وظلت تعاليمه ونظرياته مقبـولة مسلًّم بهـا وتدرس وتنقل حتى أواخر القرن السادس عشر.



# الحكماء بعد ظهور الإسلام

41 - حنين بن اسحق العبادي 194 - 260 هـ / 810 - 873 م.

طبيب مترجم مؤرخ كان أبوه صيدلانياً من الحيرة وأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره واتقن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية وانتهت اليه رئاسة العلم بها بين المترجمين مع أحكامه العربية. واتصل بالمأمون فجعله رئيساً لديوان الترجمة وبذل له الأموال والعطايا. ويصلح ما ترجمه غيره من المترجمين وله كتب ومترجمات تزيد عن المائة وتوفي ببغداد.

**الاعلام 287:2، معجم المؤلفين 87:4.**

**GAL, I, 205, SI, 366-369; GAS III, 247-256**

42 - اسحق بن حنين: 215 - 298 هـ / 830 - 910 م.

اسحق بن حنين بن اسحق العبادي: طبيب مترجم أفاد العربية بما نقله إليها من كتب الحكمة وشروحها، خدم بعض الخلفاء من بني العباس وألف كتباً كثيرة منها: الأدوية المفردة واختصار كتاب اقليدس وآداب الفلاسفة ونوادرهم وتاريخ الأطباء وترجم العديد من الكتب. وكان عارفاً باليونانية والسريانية فصيحاً بالعربية ولد ومات ببغداد.

**الاعلام 294:1، طبقات الأطباء 201، معجم المؤلفين 233:2**

**GAL, I, 206, SI, 369; GAS, III, 267-268**

43 - جبيش بن الحسن الأعشم الدمشقي:

طبيب مؤلف ومترجم من تلاميذ حنين وابن أخته. ترجم أغلب كتب جالينوس الى العربية. له العديد من الكتب تأليفاً وترجمة.

**44 ـ ثابت بن قرة بن زهرون الحراني أبو الحسن 221 - 288 هـ / 836 - 901 م.**

فيلسوف طبيب حاسب ولد ونشأ بحرّان وقصد بغداد واشتغل بالفلسفة والطب فبرع فيها. وكان يتقن لغات عدة منها السريانية واليونانية والعبرية ويجيد الترجمة الى العربية.

واتصل بالخليفة العباسي المعتضد فكانت له عنده منزلة رفيعة. وصنف نحواً من 150 كتاباً في المنطق والرياضيات والطب منها:

- الذخيرة في علم الطب.
- المسائل الطبية.
- كتاب الهندسة.
- المباني الهندسية وغيره من الكتب.

وله العديد من الكتب المترجمة الى العربية منها كتاب بطليموس المجسطي وكتاب الجغرافيا.

**الاعلام 98:2، معجم المؤلفين 101:3**

**GAS, III, 260-3; GAL, I, 217, S. 384-6;**

**45 ـ الدمشقي، أبو عثمان سعيد بن يعقوب، كان حياً 302 هـ / 914 م.**

طبيب، مؤلف، مترجم.

ترجم الى العربية كتباً للاسكندر الأفروديسي وفرفوريوس. تولى رئاسة بيمارستان بغداد. ومن كتبه: مقالة في النبض، مسائل من كتب جالينوس.

**كحالة 234:4**

**46 ـ الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (240/854 - 320/932).**

فيلسوف، طبيب، مؤلف. ولد بالري جنوب طهران ثم انتقل الى بغداد وعاصر الخليفة عضد الدولة العباسي.

يعتبر من أعظم أطباء القرون الوسطى ولقب بجالينوس العرب. اشتهر بدقة الملاحظة السريرية والمشاهدات الطبية العلمية وتسجيل بطاقات للمرضى. ألف نحواً من 220 كتاباً ورسالة في العلوم الطبية والصيدلة والكيمياء. انتخب من بين مائة طبيب لتولي رئاسة المستشفى العضدي ببغداد.

ومن أشهر كتبه: الحاوي في الطب، والمنصوري في التشريح، وكتاب الحصبة والجدري وهو أول من فرق بين الجدري والحصبة ووصف العدوى الوراثية.

وله كتاب «من لا يحضره الطبيب» وكتاب «محنة الطبيب».

**الاعلام 130:6، معجم المؤلفين 10:6-7**

**GAL, I, 233-235, S.I. 417-421; GAS, III, 274-294;**

**47 ـ علي بن ربن الطبري: ت 247 هـ / 861 م.**

طبيب حكيم ولد بطبرستان وكان يخدم ولاتها ويقرأ علم الحكمة وانفرد بالطبيعيات ثم رحل الى الري وسامرا وصنف بها كتابه فردوس الحكمة.

ومن كتبه أيضاً: الدين والدولة، وتحفة الملوك، ومنافع الأطعمة والأشربة والعقاقير، كتاب حفظ الصحة، كتاب في الحجامة.

**الأعلام 288:4، أخبار الحكماء 155،**
**البيهقي ص 22، معجم المؤلفين 94:7**

**GAL, I, 231, S.I., 414-5; GAS, III, 236-240;**

**48 ـ ابن سوار، أبو الخير الحسن بن بابا بن بهنام.**

طبيب مؤلف مترجم، ولد ببغداد ثم انتقل الى خوارزم.

من مؤلفاته: كتاب الحوامل، رسالة في الطب.

**50 ـ البتاني: أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الرقي، ت: 317 هـ / 929 م.**

من مدينة الرقة بحران ويعتبر من أشهر علماء الفلك العرب وقد عمل في مكتبة الخليفة المأمون وكان رصده في مدينة الرقة على نهر الفرات كما أنشأ مرصد البتاني في سوريا.

وقد حدد بدقة عظيمة ميل تلك البروج وطول السنة الشمسية، وعارض نظرية بطليموس في ثبات الأوج الشمسي واستنتج أن معادلة الزمن تتغير تغيراً بطيئاً كما صحح حركات كثيرة للقمر والكواكب.

من مؤلفاته: الزيج، كتاب معرفة مطالع البروج وقد ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي.

**الأعلام 68:6، ابن النديم 390**

**51 ـ الفارابي، أبو نصر محمد ت: 339 هـ / 950 م.**

هو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين ولد في فاراب، ثم انتقل الى بغداد ونشأ بها وألف بها أكثر كتبه ورحل الى

مصر والشام واتصل بسيف الدولة بن حمدان وتوفي بدمشق وكان يتقن اللغة اليونانية.

وله نحو مائة كتاب منها:

- احصاء العلوم
- آراء أهل المدينة الفاضلة
- المدخل الى صناعة الموسيقى
- الموسيقى الكبير

**الأعلام 20:7، معجم المؤلفين 193:11**

**GAL, I, 210, S.I., 375-377; GAS, III, 298-300;**

**55 ـ الكندي: أبو يوسف يعقوب بن اسحق، توفي سنة 252 هـ / 768 م. في بغداد.**

سمي بفيلسوف العرب لـه مؤلفات كثـيرة في شتى ميادين العلم، عـربي مسلم من بني كنده، ولد بالكوفة جاء بنظريات وآراء جريئة وكان لا يؤمن بتأثـير الكواكب والأبـراج السماوية على مصير الانسان ومستقبله.

من مؤلفاته: صنَّف ما يزيد عن 230 كتاباً ورسالة في العديد من العلوم:

- رسالة في المدخل الاريثماطيقي.
- كتاب ظاهريات الفلك.
- كتاب في المناظر الفلكية.
- الاقرباذين.

عاصر المأمون والمعتصم وعهد إليه ترجمة كتب أرسطو.

**الأعلام 195:8، معجم المؤلفين 244:13**

**GAL, I, 209, S.I., 372-364; GAS, III, 233-247;**

**56 ـ البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل 235 - 322 هـ / 849 - 934 م.**

أحد كبار علماء الاسـلام جمع بـين الشريعة والفلسفـة والأدب والفنون ولـد في إحدى قـرى بلخ، وساح سيـاحة طـويلة ثم عاد الى مـدينته وعـرضت عليه الـوزارة فأبـاهـا. واشتغل بالكتابة.

ومن كتبه:

- مصالح الأبدان والأنفس.
- «صور الأقاليم الاسلامية» و «أقسام العلوم» وغيرها.

**الأعلام 134:1، معجم المؤلفين 240:1،**

**GAL, I, 229, S.I., 408; GAS, III, 274;**

57 ـ أبو الفرج، عبد الله بن الطيب المتوفى سنة 435 هـ / 1043 م.

حكيم، مؤلف ومترجم. طبيب عراقي واسع العلم كثير التصنيف خبير بالفلسفة، كان كاتب الجاثليق ومتميزاً بين أطباء بغداد، يعلم الطب في البيمارستان العضدي ويعالج المرضى فيه، وكان معاصراً للرئيس بن سينا.

من مؤلفاته:

- مقالة في القوى الطبيعية، النكت والتعليقات في الطب.
- مقالات أرسطو، ونحو أربعين كتاباً في الطب والفلسفة.

الأعلام 94:4، معجم المؤلفين 66:6

GAL, I, 482, S.I., 884;

60 ـ البوزجاني: أبو الوفا محمد بن محمد بن يحيى ـ توفي سنة 388 هـ / 998 م.

من العلماء المعدودين في علم الفلك والعلوم الرياضية ومن ألمع العلماء العرب الذين كان لهم تأثير بتقدم العلوم. ولد في مدينة بوزجان بفارس ثم انتقل الى بغداد واشتهر بشروحه لمؤلفات اقليدس والخوارزمي. وبرع في العلوم الرياضية والفلك.

وله من المؤلفات:

- كتاب ما يحتاج إليه العمال والكتاب من صناعة الحساب.
- كتاب الكامل في حركات النجوم.
- كتاب زيج الواضح.

الأعلام 21:7، GAL., S.I., 400

61 ـ ابن الهيثم: أبو علي الحسن بن الحسن (965/354 - 1038/430).

ولد بالبصرة ثم انتقل الى مصر زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بالله. بلغت الحضارة العلمية الإسلامية في عصره الذروة وهو معاصر لابن سينا والبيروني، ظلّت كتبه المرجع الذي يعتمد عليه أهل الصناعة في علم الضوء أو علم المناظر، وتعمق في دراسة العلوم الطبية والفلسفية والفلكية والرياضية ونبغ وألّف فيها العديد من الكتب والرسائل التي تتجاوز المائتين بالعدد. أول من وضع نظرية البصريات والضوء وأثبت مراكز البصر في الدماغ، وكتب حول أقسام العين ووظائفها. وتضلع في علم الرياضيات وله رسائل في الجبر والحساب والهندسة.

وأقام بالقاهرة وتوفي بها. ومن كتبه: كتاب المناظر، المرايا المحرقة بالدوائر.

الأعلام 83:6

62 ـ الكوهي: أبو سهيل بن رستم، المتوفى سنة 405 هـ / 1014 م.

عالم بالهيئة وآلات الرصد. عاصر الدولة البويهية والعضدية. وهو الذي بنى (بيت الرصد) المرصد لشرف الدولة وأحكم أساسه وقواعده.
له مؤلفات عدة في العلوم الرياضية كرسائل في الهندسة والفلك.

**الأعلام 127:8، انظر ص 230**

63 ـ ابن الأعلم: علي بن الحسين البغدادي، توفي 375 هـ / 986 م.

عالم بالهيئة بغدادي المولد والمنشأ وعاصر عضد الدولة بن بويه وصنع له زيجاً كان العمل عليه في زمانه وبعده الى القرن السابع للهجرة وتوفي آيباً من الحج.

**طوقان: 268، الأعلام 272:4، البيهقي: 90**

64 ـ ابن هندو، أبو الفرج علي بن الحسين المتوفى سنة 420 هـ / 1029 م.

فيلسوف وطبيب وشاعر. ومن المتميزين في علوم الحكمة والأدب والشعر، نشأ بنيسابور وكان من كتّاب الانشاء في ديوان عضد الدولة وتوفي بجرجان.
أهم مؤلفاته:
- الكلم الروحانية من الحكم اليونانية.
- مفتاح الطب.
- كتاب النفس.

**الأعلام 278:4، معجم المؤلفين 82:7**
**GAL., I, 240, S.I., 425, GAS, III, 334-5;**

65 ـ أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني: ت: 401 هـ / 1010 م.

حكيم طبيب مؤلف مترجم، فصيح العبارة، جيد التصنيف، حسن الخط، متين العربية، تتلمذ على حنين بن اسحق في الترجمة والنقل الى العربية.
ولد بجرجان ونشأ وتعلم ببغداد وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب.

من مؤلفاته:
- الكتب المائة في الصناعة الطبية.
- الطب الكلي.
- أصول الطب.
- مقالة في الجدري.

ومن ترجماته: كتاب ابيديميا الأمراض الوافدة (عن أبقراط وجالينوس).

الأعلام 110:5، معجم المؤلفين 35:8

GAL, I, 238, S.I., 423; GAS, III, 326-7;

**66 - ابن عدي يحيى بن عدي بن زكريا أبو زكريا 280 - 364 هـ / 894 - 975 م.**

فيلسوف حكيم مترجم انتهت إليه الرئاسة في علم المنطق في عصره. ولد بمدينة تكريت وعاش ببغداد وتتلمذ على الفارابي.

ومن كتبه:

- تهذيب الأخلاق.
- شرح مقالة الاسكندر.
- رسالة في تحليل القياسات.
- رسالة فيما تحقق من اعتقاد الحكماء.

والعديد من الكتب المترجمة.

الأعلام 156:8

**67 - بهمنيار بن المرزبان الأذربيجاني أبو الحسن: ت: 458 هـ / 1066م.**

حكيم من تلاميذ بن سينا، كان مجوسياً، ثم أسلم له تآليف عديدة منها:

- ما بعد الطبيعة.
- مراتب الموجودات.
- التحصيل.

الأعلام 77:2

**68 - ابن زيلة: الحسين بن محمد - أو ابن طاهر - أبو منصور: ت: 440 هـ / 1048 م.**

حكيم عالم بالرياضيات، موسيقي، عارف بالأدب، حسن الإنشاء. ولد ونشأ بأصفهان.

كان من خواص تلاميذ الرئيس بن سينا.

ومن كتبه:

- النفس.
- شرح رسالة عمر بن تيغان.
- الاختصار في طبيعيات الشفاء.
- الكامل في الموسيقى.

طوقان 400، الأعلام 254:2

GAL, I, 488, S.I., 829;

70 ـ المعصومي: محمد بن عبد الله بن أحمد المعصومي: ت: 460 هـ / 1068 م.

حكيم من تلاميذ بن سينا. وكان يقول للمعصومي: أنت في منزلة أرسطو من أفلاطون.

من كتبه:

- المفارقات.
- أعداد العقول والأفلاك.

الأعلام 228:6

73 ـ ميمون بن النجيب الواسطي: ـ كان طبيباً فاضلاً حكيماً ويحفظ المنطق والطبيعيات والإلهيات.

77 ـ ابن أبي صادق: عبد الرحمن بن علي أبو القاسم:

حكيم طبيب يلقب بسقراط الثاني من أهل نيسابور.

من تصانيفه:

- شرح مسائل حنين.
- شرح نصول أبقراط.

الأعلام 316:3

78 ـ النسوي، أبو الحسن علي بن أحمد المتوفى سنة 420 هـ / 1020 م.

علي بن أحمد أبو الحسن النسوي: رياضي، من أهل نسا بخراسان له كتب منها التجريد في أصول الهندسة (مخطوط).

الأعلام 254:4، طوقان 290، البيهقي 112،

GAL, I, 219, S,I,M 390; GAS, III, 311;

80 ـ السرخسي: أحمد بن الطيب المتوفى سنة 286 هـ / 899 م.

فيلسوف غزير العلم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون ولد في سرخس وقرأ على الكندي الفيلسوف واتصل بالخلفاء العباسيين فعلم المعتضد بالله، ثم تولى الحسبة ببغداد في أيامه، وله العديد من المصنَّفات منها: كتاب السياسة، كتاب الموسيقى، المسالك والمهالك وغيرها.

الأعلام 205:1، معجم المؤلفين 157:2، القطبي: 55

GAL, I, 210, S.I., 375; GAS, III, 259;

81 ـ الخيـامي: أبو الفتـح عمر بن ابـراهيم النيسابـوري المتـوفى سنـة 515 هـ / 1021 م. (عمر الخيام).

عالم بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ وديوان شعـر. دعاه السلطان ملكشـاه وطلب منه القيام بتعديل التقويم السنوي فأنجزه ونجح في ذلك.

من مؤلفاته: كتاب الزيج

الأعلام 1294:5; GAL, I, 471, S.I., 855

83 ـ الأسفرازي: المظفر بن اسماعيل، أبو حاتم توفى نحو 480 هـ / 1087 م.

فلكي مهنـدس. كان معـاصراً لعمـر الخيام وبينهـما مناظـرات. غلب عليه الاشتغـال بعلوم الهيئة والأثقال والعلوم الهندسية.

له تصانيف في الرياضة وغيرها منها: مقدمة في المساحة. وكتاب مختصر اقليدس.

الأعلام 255:7، البيهقي 125، GAL, SI, 856

85 ـ الايلاقي، شرف الدين أبو عبد الله محمـد بن يوسف كـان حياً سنة 428 هـ/1037 م.

طبيب من تلاميذ بن سينا نسبته الى ايلاق من جهات فرغانه.

ومن تصانيفه:

- الأسباب والعلامات في الطب.
- شرح عمليات القانون لابن سينا.
- كتاب الأسباب والعلامات.
- الفصول الايلاقية

الأعلام 148:7، معجم المؤلفين 133:12؛
GAL, I, 485, S.I., 887

86 ـ الساوي: عمر بن سهلان زين الدين: ت: 450 هـ / 1058 م.

فيلسوف من ساوه استوطن نيسابور وتعلم بها.

ومن كتبه:

- البصائر النصرية، ورسالة الطير.

الأعلام 47:5، البيهقي: 132

**87 ـ أبو الصلت: أمية بن عبد العزيز الأندلسي 460 - 529 / 1068 - 1135 م.**

حكيم أديب من أهل دانية بالأندلس ورحل الى المشرق وبقي بمصر عشرين سنة ثم انتقل الى المهدية بالمغرب واتصل بملوك الصنهاجيين وتوفي بها. اشتغل بالطب والفلك والرياضيات وصنف كتباً كثيرة منها: «الحديقة»، «رسالة العمل بالاسطرلاب»، «الأدوية المفردة» و«تقويم الذهن»، كتاب العقاقير.

**طوقان 337، الأعلام 23:2، معجم المؤلفين 3:3**

**GAL, I, 486, S.I., 889;**

**89 ـ الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم أو الفتح 479 - 548 / 1086 - 1153 م.**

من فلاسفة الاسلام وكان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. ولد في شهرستان وانتقل الى بغداد، ثم رجع وتوفي ببلده.

ومن كتبه:

- الملك والنحل.
- نهاية الأقدام في علم الكلام.
- مصارعات الفلاسفة.
- تاريخ الحكماء وغيرها من الكتب.

**الأعلام 215:6، البيهقي: 141**

**90 ـ أمين الدولة بن التلميذ: أبو الحسين سعيد هبة الله البغدادي المتوفى سنة 560 هـ / 1164 م.**

طبيب شاعر مؤلف، عميد أطباء بغداد في عصره. كان رئيساً للبيمارستان العضدي ببغداد الى حين وفاته. طبيب ومعاصر للخليفة العباسي المقتفي.

من تصانيفه:

- أقراباذين، اختصار كتاب الحاوي للرازي
- اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط
- شرح مسائل حنين بن اسحق
- اختبار كتاب مسكويه في الأشربة.

**الأعلام 103:3، معجم المؤلفين 333:4،**

**GAL, I, 486, S.I., 888;**

**91 ـ ابن الشبل البغدادي: محمد بن الحسين أبو علي، ت: 1080 / i' 473 م.**

شاعر حكيم من أهل بغداد مولداً ووفاة. قرأ كلام الفلسفة والأدب ونظم الشعر الجيد.

وله ديوان شعر.

**الأعلام 100:6**

**96 ـ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المتوفى سنة 1030/421 م.**

مؤرخ باحث أصله من مدينة الري وسكن أصفهان وتوفي بها، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء. كان قيماً على خزانة كتب ابن العميد ثم كتب عضد الدولة. ولذا لقب بالخازن.

ومن مؤلفاته:

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم،
- طهارة النفس،
- آداب العرب والفرس،
- الفوز الأصغر،
- الأدوية المفردة وغيرها...

**الأعلام 10:211-212، معجم المؤلفين 2:168-169**

**GAL, I, 342, S.I., 582, GAS, III, 336;**

**97 ـ أبو النفيس: النفيسي/القطرسي أحمد بن عبد الغني الملقب بالنفيسي: ت: 603 هـ / 1206 م.**

هذا الشاعر هو ليس ابن النفيس الطبيب المشهور وقد يكون النفيسي. شاعر أديب مصري له علم بالفقه وله ديوان شعر. توفي بمدينة قوص بمصر.

**معجم ألقاب الشعراء: ص 239، الأعلام 152:1**

**101 ـ أبو البركات / هبة الله بن ملكان البغدادي: ت: 560 هـ / 1165 م.**

فيلسوف طبيب ومؤلف. كان طبيباً للخليفة المستنور بالله.

من مؤلفاته:

- كتاب المعتبر في الطب والطبيعيات.
- كتاب النفس.

**الأعلام 75:8، معجم المؤلفين 142:13**

**GAL, I, 460, S.I., 831**

103 ـ **الحارثي: محمود بن عبيد الله بن صاعد المروزي (541 - 606 هـ / 1947 - 1209 م).**

فقيه حنفي ينعت بشيخ الإسلام من أصل مرو. ولد ونشأ بمدينة سرخس وتوفي بمرو.

من كتبه:

- تفهيم التحرير.
- خلاصة النهاية في فوائد البداية.
- الفتاوى.

104 ـ **محمود الخوارزمي: بن محمد بن العباس، 492 - 568 / 1099 - 1173 م.**

فقيه شافعي، مؤرخ من أهل خوارزم مولداً ووفاة.

ومن مصنفاته: «الكافي في النظم الشافي».

**الأعلام 181:7**

105 ـ **الخازن: أبو الفتح عبد الرحمن المنصور، المتوفى سنة 550 هـ / 1155 م.**

نشأ بمدينة مرو بخراسان واشتهر ببحوث في الرياضيات والفلك وله فيها إضافات ونظريات. وألف في الحساب والهندسة وعلم الأرصاد.

من مؤلفاته:

- الزيج السنجري
- كتاب المسائل العددية.
- ميزان الحكمة.

**الأعلام 305:3**

106 ـ **المعموري البيهقي: محمد بن أحمد: ت: 485 هـ / 1092 م.**

فيلسوف أديب، اشتغل بالرياضيات وصنف كتاباً في دقائق المخروطات والميل والأثقال.

**طوقان 368، الأعلام 316:5**

108 ـ **القصارى البيهقي: علي بن شاهك.**

فيلسوف حكيم. اشتغل بالرياضيات والفلك واستخرج طوالع النجوم والتقاويم.

**طوقان 368، البيهقي 171**

109 ـ البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد: ت: 440 هـ / 1048 م.

ولد بضاحية من ضواحي خوارزم. زار العواصم العربية وعاش بالهند سنوات طويلة. تعمق في دراسة الفلك والرياضيات والطب.

وألف في تاريخ الهند مصنّفة المشهور «ما للهند من مقولة» وله كتاب قيِّم في الفلك أسماه «القانون المسعودي». كما ألف في الطب والصيدلة. وكتابه المعروف في الجواهر والمعادن «المجاهر في معرفة الجواهر». وقد كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية. وله القولة المشهورة: هجاء بالعربية خير من مدح بأي لغة أخرى.

وتقدّر مصنفاته بمائة وثمانين بين كتاب ورسالة.

من أشهر مؤلفاته:

- الآثار الباقية من القرون الخالية.
- كتاب كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب.
- الجماهر في معرفة الجواهر.
- الصيدنة في الطب.
- القانون المسعودي.

الأعلام 314:5؛ GAL, I, 475, S.I., 870; GAS, V, 375-383

113 ـ السجستاني: أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام (المنطقي): كان حياً قبل 372 هـ / 983 م.

حكيم، منطقي، له نظر في الأدب والشعر. سكن بغداد وأقبل عليه العلماء والحكماء.

من مؤلفاته:

- مقالة في مراتب قوى الانسان ورسالة المحرك الأول.
- كتاب صوان الحكمة.

الأعلام 171:6، كحالة 96:10

114 ـ عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح: 302 - 391 هـ / 914 - 1001 م.

كاتب حكيم من أهل بغداد عمل في ديوان الخليفة الطالع لله للرسائل. حجة في النقل والترجمة والتصرف في فنون اللغات وضروب المعاني والعبارات.

من تصانيفه: كتاب «الأمالي».

الأعلام 106:5

115 ـ غلام زحل: عبيد الله بن الحسن البغدادي: ت: 379 هـ / 986 م.

عالم بالفلك والحساب من أهل بغداد.

له تصانيف منها:
- أحكام النجوم.
- التيسيرات والشعاعات.
- الاخيارات وغيرها.

**الأعلام 192:4، الفهرست 284**

**118 ـ أبو القاسم الانطاكي: علي بن أحمد المجتبي: ت: 376 هـ / 987 م.**

من مشاهير مهندسي القرن الرابع الهجري ورياضيبيهم. ولد بأنطاكية وتوطن ببغداد وتوفي بها وعاصر عضد الدولة بن بابويه.

فكان فصيحاً، من الموصوفين بحسن البيان.

من مصنفاته:
- كتاب شرح اقليدس.
- كتاب في المكعبات.
- كتاب الموازين العددية.

**طوقان 255. القفطي 157، الأعلام 253:4**

**119 ـ أبو اسحق ابراهيم الحراني (ابن زهرون): ت: 384 هـ / 994 م.**

نشأ ببغداد ودرس بها وكان بليغاً في صناعتي النثر والنظم. بارعاً في الرياضيات والهندسة، أديباً شاعراً.

وكان من جملة الذين قربهم شرف الدولة بن عضد الدولة ليشرفوا على مرصد بغداد

له مصنف في المثلثات ورسائل في الرياضيات، وكتاب «الهفوات النادرة» وديوان شعر.

**طوقان 256، الأعلام: 87**

**122 ـ الجرجاني: اسماعيل بن حسين زين الدين: ت: 531 هـ / 1137 م.**

طبيب باحث من أهل جرجان.

ومن مصنفاته: «الطب الملوكي»، «زبدة الطب»، الرد على الفلاسفة.

**الأعلام 312:1، معجم المؤلفين 264:2**

**GAL, I, 486, S.I., 889-890**

123 ـ أبو الحسن محمد بن يوسف العامري: ت: 381 هـ / 991 م.

عالم بالمنطق والفلسفة من أهل خراسان وأقام ببغداد مدة واتصل به بن العميد.

من مصنفاته:

- التقرير لأوجه التقدير.
- النسك العقلي.
- الابصار المبصر وغيرها.

الأعلام 148:7

124 ـ ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله (371/980 - 428/1036):

عبقري، فيلسوف، طبيب، مؤلف، شاعر.

رائد من رواد الفكر الإنساني والمعلم الثالث للإنسانية بعد أرسطو والفارابي ولد في فترة تعتبر من أزهر عصور الحضارة العلمية الاسلامية، درس الطبيعيات والإلهيات وقرأ كتب أرسطو وأفلاطون واشتهر بالطب والفلسفة، كما عني بالرياضيات والفلك وهو الطبيب الفيلسوف الرياضي الفلكي.

بدأ يصنف الكتب وهو في الحادية والعشرين من عمره، وكان يعالج المرضى دون أجر واكتسب شهرة بزَّ بها أهل زمانه، حتى لقب بالشيخ الرئيس.

يقدّر عدد كتبه بست وسبعين ومائتين ويعتبر كتابه القانون في الطب من خير ما تفخر به الحضارة العلمية العربية في هذا الفن. وقد ترجم الى عدة لغات في العالم وكان دستور تدريس الطب في كثير من كليات الطب في أوروبا. وكتاب الشفاء في المنطق والطبيعيات والفلسفة. وقد ترجم أيضاً الى العديد من اللغات.

الأعلام 241:2، معجم المؤلفين 20:4

GAL, I. 453, S.I., 812-828

125 ـ الشهاب السهروردي (549 - 587 هـ / 1154 - 1191 م).

هو يحيى بن حبش بن أميرل أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي. ولد بناحية سهرورد من قرى زنجان بالعراق وسافر الى حلب فنسب له انحلال العقيدة وسجنه الملك الظاهر غازي، وقتل بقلعتها ومن كتبه التلويحات وهياكل النور وكتاب المشارع والمطارحات.

الأعلام 140:8

**126 ـ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر ابن خطيب الري.**

الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل قرشي النسب. اشتغل وألّف في الكيمياء وفنونها فضلاً عن الفلسفة والفقه. وكان واعظاً بارعاً بالعربية والفارسية.

من مؤلفاته:

- المباحث الشرقية.
- معالم أصول الدين.
- شرح كتاب بن سينا الاشارات والتنبيهات.
- الجامع الكبير في الطب.
- نموذج العلوم.

**الأعلام 313:6، معجم المؤلفين 79:11**

**GAL, I, 506-508, S.I., 920-924**

**130 ـ بن يونس، كمال الدين موسى.**

فيلسوف علامة بالرياضيات والحكمة والأصول عارف بالأدب والموسيقى والسير. مولده ووفاته بالموصل.

من كتبه:

- كشف المشكلات.
- مفردات القاضي القانون لابن سينا.
- شرح الأعمال الهندسية وغيرها.

**طوقان 394، الأعلام 332:7**

**GAL, S.I., 859**

**131 ـ الطوسي: أبو جعفر محمد بن محمد نصير الدين، المتوفى سنة 672 هـ / 1274 م.**

علامة بالارصاد والرياضيات. وقد أسس مرصداً بمدينة فراغة ومكتبة بها.

من مؤلفاته:

- الزيج الإيلخاني.
- زبدة الادراك في هيئة الأفلاك.
- ظاهرات الفلك لاقليدس.
- التذكرة النصيرية في الهيئة.

**الأعلام 30:7، معجم المؤلفين 307:11**

**GAL, I, 508-512, S.I., 924-933;**

# الفهارس العامة

1 ـ فهرس آيات القرآن الكريم.

2 ـ فهرس الحديث النبوي الشريف

3 ـ فهرس الأعلام اليونانيين وما يقابله باللاتينية.

4 ـ فهرس المصطلحات والكلمات العلمية.

5 ـ فهرس الشعر والقوافي.

6 ـ فهرس الأعلام.

7 ـ فهرس البلدان والمدن والمواضع.

8 ـ فهرس الأمم والقبائل والفرق والأجناس.

9 ـ فهرس أسماء بعض الكتب الواردة في المخطوط.

10 ـ فهرس كتب ابن سينا الواردة في المخطوط.

11 ـ فهرس كتب السهروردي الواردة في المخطوط.

12 ـ فهرس الأبواب والموضوعات (محتويات الكتاب).



# طريقة الفهارس

هذا الكتاب وحدة متكاملة، شملت فهارسه كل ما جاء في المقدمة والمتن والحاشية، وقد اعتبرتُ:

1 ـ الكلمات التي تؤلف الاسم وحدة مركبة بإهمال (أل) التعريف أينما وجدت.

2 ـ أسقطت في ترتيب الأسماء الأحرف التالية: أبو، ابن، ابنة، بنو. .

3 ـ أثبتُّ في فهرس «الشعر والقوافي» الأبيات مرتّبةً وفاقاً لرويِّ قوافيها: القافية المضمومة، فالمفتوحة، فالمكسورة، فالساكنة، وذكرتُ من مطلع البيت الأول كلمة أو أكثر من صدره، وبحرَه، وعدد الأبيات، واسم الشاعر. .

4 ـ الكتاب غنيٌّ وحافل بالأسماء اللاتينية القديمة، وربما يكون قد لحق ببعضها تصحيف ما، غير أنني صوَّرتُها كما هي في المخطوط، وربما يكون الاسم مكرَّراً باختلاف بسيط (كزيادة حرف في أوله أو وسطه أو آخره أو ما شابه ذلك أو إبدال نقطة بنقطتين أو ثلاث ووضعها أحياناً فوق الحرف وأحياناً تحته) وهي هفوات لم يكن بوسعي تجنبها لأن ذلك يستلزم تحقيقاً وتدقيقاً في هذه الأسماء وضبطها وتوحيدها، وليس بين أيدينا مصادر أو مراجع

تفي بالغرض. . فلربما أتيح لنا النظر فيهـا فيها بعـد وتصويبهـا في طبعات لاحقة إن شاء الله. . . علماً بأنني رتبتها في الفهارس ترتيباً معجمياً ألفبائياً دقيقاً وموثَقاً دون إغفال أيّ منها. . مع التعريف بالأعلام المسلمين مرتبين تــارةً حسب شهـرة كـلٍّ منهم أو كنيتـه أو لقبــه وذكـر اسمــه الأصـلي والعكس تارةً أخرى. . .

# فهرس آيات القرآن الكريم

| السورة | رقم الآية | الآية كاملة[1] | الصفحة |
|---|---|---|---|
| 2: البقرة | 31 م | ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ | 56 |
| 2: البقرة | 184 م | ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدّة من أيام أُخَر﴾ | 314 |
| 2: البقرة | 196 م | ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام﴾ | 314 |
| 4: النساء | 43 م | ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾ | 314 |
| 5: المائدة | 6 م | ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحدٌ منكم من الغائط﴾ | 314 |
| 18: الكهف | 45 ك | ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء﴾ | 372 |
| 18: الكهف | 90 م | ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ | 451 |
| 24: النور | 61 م | ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ | 314 |
| 84: الفتح | 17 م | ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ | 314 |
| 50: قَ | 6 ك | ﴿أفلم ينظروا[2] إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ | 318 |

(1) الكلمات بالبنط الغليظ هي فقط الواردة في متن الكتاب.

(2) أولم يروا: كذا وردت في الأصل، والصواب ما أثبتناه هنا.

# فهرس الحديث النبوي الشريف

# فهرس الأعلام اليونانيين وما يقابله باللاتينية

| | |
|---|---|
| ابراقلس | Heraclides |
| ابرقلس | Heraclides |
| ابرقليس | Heraclides |
| ابقراط | Hippocrate |
| اخروسيس | |
| ادمون | Eudmon |
| ادوميس | |
| أوي الطرسوسي | |
| أديموس | Eudemus |
| اراقلس | Heracles |
| ارباسيوس | Oribasius |
| أريجانس | Areaganis |
| ارسيسطراطس | Erasistruts, Herastratus |
| ارمنيس | Arimenes |
| ارساسالوس | |
| ارون | Aros, Heron, Aron |
| اريوس الطرسوسي | Arius |
| اسطفانس | Stephanus |
| ارسطاطاليس | Aristoteles |
| ارسطو | Aristos |
| اسطيوس | Eustathis |
| اسنورس | |
| اسقلبيوس | Asclepius |
| اسقلبادوس | Asclepiades |
| اقليبادوس | Asclepiades |
| اصطفن | Stephanus |
| الاسكندر الافروديسي | Alexander Aphrodis |
| أغاميس | |
| اغلوقن | Glaucon |
| اغاتاديمون / اغاديمون | Agathodaemon |
| افرويس | |
| افروطوفس | |
| افريطن | |
| افلاغورس | |
| افريدون | |
| افرطون | Plato |
| اقليدس | Euclides |
| اقراميطس | |
| اقراطيس | |
| اليس | |
| أمافرس | |
| أمروقلس | |
| أموسوس | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| افرديطس | | دوالس | |
| انباذقلس | Empedocles | دياسقوريدس | Dioscorides |
| انتيلاوس | | ديمقراطيس | Democrates |
| اندماخس | | ديوجانس | Diogene |
| ادنرماخس | Andromachus | ديوقيلس | Diocles |
| انطيماخس | | رغالس | |
| انقبلاوس | | روفس | Rufus |
| انكسانطراطيس | | رومانوس | Romanos |
| أورجس | | رومانيدس | Romanides |
| أورساسيس | | زينون الصغير | |
| أومرفولوفوس | | زينون الأكبر | |
| أونيس | | سادرفطوسي | |
| أوميوس | Homer | سادس | |
| ايراقلس | Heracles | سادياس | Suidas |
| باسطيوس | Bastius | ساروس | |
| باسلس | Basilius | سقراط | Socrates |
| باسلوس | Basilius | سنيداس | Suidas |
| بطليموس | Ptolemoeus | سولون | Solon |
| بقراطيس | Hippocrate | سالس الحمصي | |
| بقراط | Hippocrate | ساوري | |
| بولس | paulus | سريرفطوس | |
| بولوس | Paulus | سطن | |
| تاسليمس | Thessalus | سفراطون | |
| سقراطيس | Socrates | سقاليس | |
| ثامسطيوس | Themistius | سقوريس | |
| قاوفرسطس | Theophrastes | سقيلوس | |
| جاريكسانس | | سقروقوس | |
| جالينوس | Galenus | سمرس | Samirus |
| جروجيس | Georgis | سموليس | |
| جلسيوس | Gesius | سنبارس | |
| دراقن | Dracon | سرانوس | Syrianus |
| درانوس | Adrianus | سورنس | Soranus |

| | | | |
|---|---|---|---|
| سوناخس | | ماجيس | Meges |
| سيساوس | | مادقيس | |
| سيطوس | Sitas | مارس | |
| سيفوروس | Severus | مارقس | Marcus |
| سيقورس | | ماريوس | Marius |
| صورمند | | ماجورياربكلي | |
| طوطوسوس | | ماريطس | |
| طياطاس | | ماسرجيس | |
| طيحاناوس | | ماغارس | |
| غالوس | Gallus | ماسطيس | |
| غانوس | | ماغيس | Meges |
| غاغوكس | | مافالس | |
| غورسن | Gallus | منيس | Manius |
| غريغوريوس | Grigorius | ماهانس | |
| نافاميس | | مايطانس | |
| فثالوس | | مالانا اريا | |
| زيمون | | مساوس | |
| فافولوس | | مرقس | Marcus |
| فرنوريوس | Porphorius | مستانوس | |
| فوربس | | مغنيس | Magnus |
| فولس | Paulus | مهراريس | |
| فوياغورس | | ميادوس . | |
| فيليوش | | نافيسنون | |
| فلوطرخس | Plutarcho | نودينوس | |
| فيلاطس | | نكسهانس | |
| فيهاطوس | | وطيهاوس | |
| فيثاغورس | Puthagorus | هرمس | Hermes |
| قرطانس | | يارن | |
| قولوس | Gallus | يحيى النحوي | Johannes-Phelopoos |
| كسانوبرجس | | ينطس | |
| لونس | | يولانس | Julianus |
| ماثولوس | | يونا | Johannes |

| | |
|---|---|
| افرديطس | |
| انباذقلس | Empedocles |
| انتيلاوس | |
| اندماخس | |
| ادنرماخس | Andromachus |
| انطيماخس | |
| انقبلاوس | |
| انكسانطراطيس | |
| أورجس | |
| أورساسيس | |
| أومرفولوفوس | |
| أونيس | |
| أوميوس | Homer |
| ايراقلس | Heracles |
| باسطيوس | Bastius |
| باسلس | Basilius |
| باسلوس | Basilius |
| بطليموس | Ptolemoeus |
| بقراطيس | Hippocrate |
| بقراط | Hippocrate |
| بولس | paulus |
| بولوس | Paulus |
| تاسليمس | Thessalus |
| سقراطيس | Socrates |
| ثامسطيوس | Themistius |
| قاوفرسطس | Theophrastes |
| جاريكسانس | |
| جالينوس | Galenus |
| جروجيس | Georgis |
| جلسيوس | Gesius |
| دراقن | Dracon |
| درانوس | Adrianus |
| دوالس | |
| دياسقوريدس | Dioscorides |

| | |
|---|---|
| ديمقراطيس | Democrates |
| ديوجانس | Diogene |
| ديوقيلس | Diocles |
| رغالس | |
| روفس | Rufus |
| رومانوس | Romanos |
| رومانيدس | Romanides |
| زينون الصغير | |
| زينون الأكبر | |
| سادرفطوسي | |
| سادس | |
| سادياس | Suidas |
| ساروس | |
| سقراط | Socrates |
| سنيداس | Suidas |
| سولون | Solon |
| سالس الحمصي | |
| ساوري | |
| سريرفطوس | |
| سطن | |
| سفراطون | |
| سقاليس | |
| سقوريس | |
| سقيلوس | |
| سقروقوس | |
| سمرس | Samirus |
| سموليس | |
| سنبارس | |
| سرانوس | Syrianus |
| سورنس | Soranus |
| سوناخس | |
| سيساوس | |
| سيطوس | Sitas |
| سيفوروس | Severus |

| | |
|---|---|
| سيقورس | |
| صورمند | |
| طوطوسوس | |
| طياطاس | |
| طيحاناوس | |
| غالوس | Gallus |
| غانوس | |
| غاغوكس | |
| غورسن | Gallus |
| غريغوريوس | Grigorius |
| نافاميس | |
| فثالوس | |
| زيمون | |
| فافولوس | |
| فرفوريوس | Porphorius |
| فوربس | |
| فولس | Paulus |
| فوياغورس | |
| فيليوس | |
| فلوطرخس | Plutarcho |
| فيلاطس | |
| فيماطوس | |
| فيثاغورس | Puthagorus |
| قرطانس | |
| قولوس | Gallus |
| كسانوبرجس | |
| لونس | |
| ماثولوس | |
| ماجيس | Meges |
| مادقيس | |

| | |
|---|---|
| مارس | |
| مارقس | Marcus |
| ماريوس | Marius |
| ماجورياربكلي | |
| ماريطس | |
| ماسرجيس | |
| ماغارس | |
| ماسطيس | |
| ماغيس | Meges |
| مافالس | |
| منيس | Manius |
| ماهانس | |
| مايطانس | |
| مالانا اريا | |
| مساوس | |
| مرقس | Marcus |
| مستانوس | |
| مغنيس | Magnus |
| مهراريس | |
| ميادوس | |
| نافيسنون | |
| نودينوس | |
| نكسيانس | |
| وطيماوس | |
| هرمس | Hermes |
| يارن | |
| يحيى النحوي | Johannes-Phelopoos |
| ينطس | |
| يولانس | Julianus |
| يونا | Johannes |

# فهرس المصطلحات والكلمات العلمية

## ـ ف ـ



## ـ ق ـ



## ـ ك ـ



## ـ ل ـ



## ـ م ـ

# فهرس الشعر والقوافي

حرف (الباء)

| صدر البيت | قافيته | العدد | بحره | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|---|---|
| قومٌ رقدوا . . . | قلْبُ | 2 | الدُّوبَيْت | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 383 |
| حديث ذوي الألباب . . . | شاربُهْ | 2 | الطويل | أبو عبد الله المعصومي | 318 |

حرف (التاء)

| صدر البيت | قافيته | العدد | بحره | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|---|---|
| على كلِّ جيدٍ . . . | سماتُ | 2 | الطويل | تاج الدِّين الأرموي | 397 |
| إنَّما الدُّنيا . . . | ملتفتِ | 1 | المديد | سقراط | 142 |
| من أنكر مذهب . . . | ذاتي | 2 | الدُّوبَيْت | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 384 |
| آياتُ نبوَّة الهوى . . . | اشتهرَتْ | 4 | الدُّوبَيْت | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 385 |
| لو تعلم داركم . . . | واستمتعتْ | 2 | الدُّوبَيْت | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 386 |

حرف (الثاء)

| صدر البيت | قافيته | العدد | بحره | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|---|---|
| أرواحنا ليس تدري . . . | الجثثُ | 2 | البسيط | محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين) | 396 |

حرف (الحاء)

| صدر البيت | قافيته | العدد | بحره | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|---|---|
| أبداً تحنُّ . . . | والرَّاحُ | 31 | الكامل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 383-382 |
| واعشوشبتِ الرُّبى . . . | بوحُ | 2 | الدُّوبَيْت | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 385 |
| ترتاح أرواح . . . | الأرواحِ | 2 | الكامل | أبو الفتوح السهروردي | 388 |

## حرف (الدال)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ما للمعيل والمعالي... | الفاردُ | 2 | الرجز | أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو | 315 |
| أظلّتْ رياحُ... | رواقدا | 5 | الطويل | عمر الخيّام | 325 |
| فتىً لم يتبع... | ولا وعْدا | 2 | الطويل | أبو جعفر بن بابويه | 336 |
| إذا قنعت نفسي... | وساعِدي | 4 | الطويل | عمر الخيّام | 325 |
| لا تحسدنّ على... | بمرصدِ | 3 | الدُّوبَيْت | سليمان بن طاهر بن بهرام السجستاني | 355 |

## حرف (الراء)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| بقربكَ أيها الفلكُ... | اضطِرارُ | 51 | الوافر | الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل البغدادي (أبو علي) | 333-331 |
| في النفسُ والجسم... | والفكَرُ | 13 | البسيط | أبو النفيس | 341 |
| لأنوار نور الله... | أسرارُ | 8 | الطويل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 382-381 |
| أفنيتُ بعدكم هل... | أثرُ | 2 | البسيط | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 384 |
| كلامي عقارٌ... | مصيرُ | 2 | الطويل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 386 |
| درخوم بودم (بالفارسية) | خودرا | 1 | (؟) | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 387 |
| تدين ليَ الدُّنيا... | خاطري | 4 | الطويل | عمر الخيّام | 325 |
| أقول لجارتي... | الديارِ | 10 | الوافر | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 383 |

## حرف (الزاي)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| يكجند بتقليد.. (بالفارسية) | حودزا | 1 | (؟) | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 386 |
| أخي خلٍّ حيِّزاً... | حيِّز | 5 | المتقارب | أبو نصر الفارابي | 302 |

حرف (السين)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| أناف الذّنابى على . . . | ونكّسِ | 4 | المتقارب | أبو نصر الفارابي | 306 |
| الجوع يدفع بالرغيف . . . | ووساوسي | 2 | الكامل | عيسى بن أحمد بن زرعة | 354 |
| خليليَ إن الأنس . . . | القدْسِ | 4 | الطويل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 384 |

حرف (العين)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| لمّا رأيتُ الزمانَ . . . | انتفاعُ | 6 | مخلّع البسيط | أبو علي ابن سينا أو أبو نصر الفارابي (؟) | 302 |
| قالوا اشتغلْ . . . | تنخدعُ | 2 | البسيط | أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو | 315 |
| قالوا القناعة . . . | والطّمَعُ | 2 | البسيط | الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل البغدادي | 333 |
| تنقّلَ عن دين . . . | الشافعِ | 2 | المتقارب | أبو البركات البغدادي | 345 |

حرف (الفاء)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| يا من تكلّف إخفاء . . . | الكلَفُ | 2 | البسيط | أبو سهل النيلي النيسابوري | 320 |
| قد كان صاحبُ . . . | من شرفِ | 2 | البسيط | أبو الفتوح يحيى السهروردي (؟) على قبره | 383 |
| شَرِبْنا على روض . . . | قرقفِ | 3 | الطويل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 388 |

حرف (القاف)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| خلعَتْ هياكلها . . . | تشوُّقا | 7 | الكامل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 384 |
| وكلّ صبحٍ . . . | مشتاقِ | 3 | المنسرح | أبو الفتوح يحيى السهروردي (؟) | 385 |

حرف (الكاف)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| أقام رجالاً . . . | هلكى | 5 | الطويل | الشيخ أبو علي (ابن سينا) | 375 |

## حرف (اللام)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ما يلوم جسمي . . . | عَجِلُ | 4 | البسيط | أبو نصر الفارابي | 302 |
| نهاية إقدام . . . | ضلالُ | 5 | الطويل | محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين) | 396 |
| فلو قنعت نفسي . . . | رجالَها | 5 | الطويل | محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين) | 396 |
| لعمري ما أدري . . . | ترحالي | 2 | الطويل | محمد بن زكريا الرازي | 296 |

## حرف (الميم)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ضوء العلوم . . . | ملتطِمُ | 2 | البسيط | كمال الدين عبد الخالق المعروف بابن الداعي | 398 |
| بدا لك سرٌّ . . . | ظلامُهْ | 2 | الطويل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 385 |
| أقسمت بصفو . . . | قَدَمي | 2 | الدُّوبَيْت | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 385 |

## حرف (النون)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| وللأمور مواقيتٌ . . . | وميزانُ | 5 | البسيط | أبو الفتح البستي | 364 |
| رحَّبْتُ دهراً . . . | خانا | 3 | البسيط | عمر الخيّام | 355 |
| قل لأصحابي . . . | حزنا | 5 | الرمل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 388-387 |
| خليلي ليس الرأي . . . | لشاني | 2 | الطويل | أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو | 315 |
| أشكو إلى الله من خلقٍ . . . | ومن ديني | 2 | البسيط | محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين) | |
| ولمَّا وردنا ماء . . . | النجوى | 4 | الطويل | أبو الفتوح يحيى السهروردي | 385-384 |

## حرف (الياء)

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| فإذا رأيت الفضل . . . | خافيا | 2 | الكامل | أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو | 315 |
| ولو أعطاني الدَّهرُ . . . | والطَّوِيَّهْ | 2 | الوافر | عمر الخيّام | 326 |
| خرجنا من قضاه . . . | إلَيْهِ | 3 | الوافر | الحسين بن عبد الله بن يوسف ابن شبل البغدادي (أبو علي) | 333 |

# فهرس الأعلام

## ـ أ ـ

## ـ أ ـ

- ح -



- خ -

**ـ د ـ**



**ـ ذ ـ**



**ـ ر ـ**



**ـ ز ـ**

- س -

## ـ ش ـ



## ـ ص ـ



## ـ ض ـ

- غ -



- ف -

## ـ ق ـ



## ـ ك ـ

- ل -



- م -

ـ ن ـ

# فهرس البلدان والمدن والمواضع

- ك -



- ل -



- م -

# فهرس الأمم والقبائل والفرق والأجناس

# فهرس أسماء بعض الكتب الواردة في المخطوط

# فهرس كتب ابن سينا الواردة في المخطوط

1 ـ رسالة إلى ابن القرج.
2 ـ رسالة في الرد على مقالة لابن الفرج.
3 ـ رسالة في اثبات المبدأ الأول.
4 ـ رسالة في الفيض الالهي.
5 ـ رسالة في النبض (بالفارسية).
6 ـ كتاب البر والاثم.
7 ـ تفسير بعض سور كلام الله تعالى.
8 ـ رسائل وكتب: كتاب إلى أبي القسم الفضل محمود.
9 ـ تعاليق في المنطق.
10 ـ كتاب إلى أبي الفضل.
11 ـ قصائد له.
12 ـ المعاني في المنطق.
13 ـ رسالة في حقيقة ما: واضرب لهم مثل الحياة الدنيا.
14 ـ رسالة في انشقاق القمر.
15 ـ رسالة في كيفية اصحاب الكهف.
16 ـ رسالة في النفس.
17 ـ رسالة في النفس.
18 ـ رسالة في النفس.
19 ـ رسالة همج الرعاع إلى ساكن القلاع.
20 ـ تكرر المنطق.
21 ـ رسالة في ذم ما صنع الجراد.
22 ـ تدبير المنزل.
23 ـ تدبير المسافرين.
24 ـ كتاب لسان العرب.
25 ـ دستور طبي.
26 ـ دفع الغم عن الموت.
27 ـ في ماهية الحزن.
28 ـ رسالة الفردوس.
29 ـ شرح مسائل حنين بن اسحق.
30 ـ رسالة في الباه.
31 ـ مقالة في السكنجبين.
32 ـ رسالة في الفصد.
33 ـ مسألة في القضاء والقدر.
34 ـ رسالة إلى أبي طاهر.
35 ـ رسالة إلى أبي طاهر المتطبب.
36 ـ في معنى السراج.
37 ـ مقالة في حفظ الصحة.
38 ـ كتاب المجموع.
39 ـ الحكمة القدسية.
40 ـ الشفاء.
41 ـ كتاب الحاصل والمحصول.
42 ـ كتاب اللواحق.
43 ـ القانون.
44 ـ الانصاف والاتصاف.
45 ـ النجاة.
46 ـ التعليقات.
47 ـ المباحث.
48 ـ الاشارات.

49 ـ عيون الحكمة.
50 ـ الحكمة المشرقية.
51 ـ مقتضيات الكبير السبعة.
52 ـ اشارة إلى علم المنطق.
53 ـ الأوسط الجرجان.
54 ـ الجد والملحق بكتاب الأوسط.
55 ـ الاستبصار.
56 ـ رسالة في تعقب الموضع الجدلي.
57 ـ كتاب المهجة.
58 ـ رسالة في اثبات النبوة.
59 ـ الموجز الكبير في المنطق.
60 ـ كتاب بيان ذوات الجهة.
61 ـ رسالة في السياسة.
62 ـ الموجز الصغير في المنطق.
63 ـ التحفة.
64 ـ رسالة في تجزي الأقسام.
65 ـ رسالة في علة قدام الأرض.
67 ـ الجمل من الأدلة المحققة لبناء النفس الناطقة.
68 ـ الرسالة الطيرية.
69 ـ زبدة القوى الحيوانية.
70 ـ رسالة في أن علم عمرو غير علم زيد.
71 ـ مقالة في القوى الانسانية وادراكها.
72 ـ مقالة في خطأ من قال ان الكمية جوهر.
73 ـ كتاب المعاد.
74 ـ الرسالة النيروزية.
75 ـ كتاب العلائي.
76 ـ الأدوية القلبية.
77 ـ تدارك أنواع الخطأ.
78 ـ الحدود رسالة في الهذيا.
79 ـ رسالة في العشق.
80 ـ رسالة في الحدث.
81 ـ كتاب في الشعر.
82 ـ رسالة إلى أبي القاسم الكرماني.
83 ـ رسالة في النفس الفلكي.
84 ـ الهداية.
85 ـ رسالة في معرفة الأجرام السماوية.
86 ـ عهد عهده لنفسه.
87 ـ رسالة حي بن يقظان.
88 ـ رسالة في الأخلاق.
89 ـ رسالة في أقسام العلوم.
90 ـ في أقسام الحكمة.
91 ـ رسالة في الزاوية.
92 ـ رسالة العروس.
93 ـ أجوبة أبي ريحان.
94 ـ أجوبة عن مسائل.
95 ـ أجوبة عشرين مسألة..
96 ـ أجوبة عشرين مسألة أخرى.
97 ـ كتاب إلى أبي سعيد.
98 ـ كتاب آخر اليه.
99 ـ ارجوزة في المنطق.
100 ـ رسالة في القوى الجسمانية.
101 ـ رسالة إلى أبي الفضل.
102 ـ رسالة في الشراب مجدول.
103 ـ رسالة في الشراب غير مجدول.
104 ـ رسالة في التفاح.
105 ـ رسالة في الموسيقى سوى الشفاء.
106 ـ رسالة في البرق.
107 ـ رسالة إلى أبي الحسن سهل بن محمد في أمر مستور.
108 ـ رسالة الاصحوبة.
109 ـ رسالة إلى أبي عبيد الجوزجاني.
110 ـ جواب إلى كتاب بعض المتكلمين.
111 ـ كتاب التعبير.
112 ـ كتاب التوسيع.
113 ـ فصول طبية مرت في مجلسه.
114 ـ الحكم العرشية.
115 ـ أرايتِ بخط بعض المحصلين.

# فهرس كتب السهروردي الواردة في المخطوط

1 ـ المطارحات.
2 ـ التلويحات.
3 ـ حكمة الاشراق.
4 ـ اللمحات.
5 ـ الألواح العمادية.
6 ـ الهياكل النورية.
7 ـ المقاومات.
8 ـ الرمز المومى.
9 ـ المبدأ والمعاد (بالفارسية).
10 ـ بستان القلوب.
11 ـ طوارق الأنوار.
12 ـ التنقيحات في الأصول.
13 ـ كتاب في التصوف.
14 ـ البارقات الالهية.
15 ـ النفحات السماوية الالهية.
16 ـ لوامع الأنوار.
17 ـ الرقيم القدسي.
18 ـ اعتقاد الحكماء.
19 ـ كتاب الصبر.
20 ـ رسالة العشق.
21 ـ رسالة (بالفارسية).
22 ـ رسالة المعراج.
23 ـ رسالة زوربى جماعت (بالفارسية).
24 ـ رسالة عقل شرح.
25 ـ رسالة أوار جبرائيل.
26 ـ رسالة رتونامة.
27 ـ رسالة لغة موران.
28 ـ رسالة غزارة العربية.
29 ـ رسالة بردان سناحت.
30 ـ رسالة صغير سيرغ.
31 ـ رسالة الطير.
32 ـ رسالة تفسير آيات من كتاب الله.
33 ـ رسالة غاية المبتدى.
34 ـ التسبيحات.
35 ـ دعوات الكواكب.
36 ـ تخيرات الكواكب.
37 ـ كتاب التنقيحات.
38 ـ مكاتبات إلى الملوك والمشايخ.
39 ـ كتب الحكمة.
40 ـ الألواح الفارسية.
41 ـ تسبيحات العقول.
42 ـ الهياكل الفارسية.
43 ـ أدعية متفرقة.
44 ـ السراج الوهاج.
45 ـ الدعوة الشمسية.
46 ـ الواردات الالهية.
47 ـ كتاب التعليقات.
48 ـ كتاب في المنافيات.
49 ـ شرح الارشادات (بالفارسية).

# فهرس الأبواب والموضوعات (محتويات الكتاب)



